

الجزء الثالث

من

الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكنونات وغرائب

الآيات الباهرات

(تأليف)

الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم

سابقا متع الله المسلمين بحياته آمين

طبع بطبعة

مُصِطَفَى البَابِى الحِمْبِى وَأَوْلَادُهُ بِمُصَنَّد

(وحقوق إعادة الطبع محفوظة لهم)

شوال سنة ١٣٤٣ هجرية

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة النساء مقاصدها تسع)

المقصد الأول في بدء الخلق من قوله يا أيها الناس إلى قوله ونساء
المقصد الثاني في صلة الأرحام والوصية على اليتامى من قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إلى
قوله حسبي
المقصد الثالث في قسم التركات والمعاملات المالية من قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون
إلى قوله ولهم عذاب مهين
المقصد الرابع في صلة الصنفين الذكر والأنثى وأحكام ارتباطهما بعقد أو بغير عقد من قوله واللاتي
يأتين الفاحشة من نسائكم إلى قوله إن الله كان عليهما خبيراً
المقصد الخامس في طاعة الله والرسول وأولياء الأمور أكرام الوالدين واليتامى والعبادات والانفاق
وقأدية الأمانات من قوله واعبدوا الله إلى قوله وكفى بالله علماً
المقصد السادس في القتال والجهاد من قوله يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم إلى قوله وكان الله عليهما حكيماً
المقصد السابع في أحكام القضاة والمحامين ولوم القضاة إذا قصروا في التحقيق وذب المحامين إذا زوروا
من قوله إنا أنزلنا إليك الكتاب إلى قوله وكان فضل الله عليك عظيماً
المقصد الثامن في العدل في النساء وذب اتباع الشيطان ومدح الاخلاص لله والقيام بالقسط لليتامى - وفي
ترك مصادقة أعداء المسلمين ونحو ذلك من قوله لا خير في كثير من نجواهم إلى قوله وكان الله غفوراً رحيماً
المقصد التاسع في الجدل مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى وتقريرهم على ذنوبهم مثل الربا وعلى
جهلهم مثل المغالة في الدين وختم السورة بجواب عن الفتيا من قوله يسألك أهل الكتاب إلى آخر السورة

(ملخص هذه السورة)

كان الله عز وجل يقول في القسم الأول . يا أيها الناس أنتم من أب وأم والأب أصل لكم والأم فرع ومنهما كان رجال ونساء فالوحدة في الكثرة أولا ترون أنكم كرجل واحد وكيف لا يكون كذلك وأنتم جميعا يعين بعضكم بعضا فالشرقي يلبس ما نسجه الغربي والغربي ينسج ما زرعه الشرقي وأنتم تتبادلون جميع المنافع فإذا اتحدتم أصلا فيها أنتم أولاء اتحدتم عملا فالأصل واحد والعمل متحد أولا ترون أن الإنسان الواحد يده تعمل غير عمل عينه وعينه تعمل غير عمل كعبد والكبد يخالف الرئة وكلها متعاونة لاختل واحد منها هلك الإنسان هكذا مجموع الناس كشخص واحد فاتفقوا ولا تعصوا أيها الناس

وكانه يقول في القسم الثاني . فلماذا إذن أيها الناس لا تتواصلون ولا تتراجعون ولا يعطف بعضكم على بعض وإذا كان الناس كلهم شرقا وغربا كأسرة واحدة فبالأجدر يكون الأقارب والأرحام فواسوهم ثم اليتامى فلا تأكلوا أموالهم وأياكم والاسراف في التزويج وكثرة النساء واقتصروا على أربع إن عدلتم وواحدة إن خفتكم الظلم وأعطوا النساء مهرهن ولا تضيعوا أموالكم باعطائنها لمن لا يحفظها وأعطوهم ما يتقهم وحافظوا على أموال اليتامى وكونوا أعتاف

وكانه يقول في القسم الثالث . واقسموا التركات بالحق الذي بينته فالذكر كالأنثيين وللبنات المنفردة النصف وإن كانت بنتان فلهما الثلثان ولكل من الأب والأم السدس إن كان لليت ورثة فإن لم تكن ذرية فلأمه الثلث وإن كان له إخوة فلأمه السدس وللزوج نصف تارة ورابع أخرى وللزوجة ربع تارة وثلث أخرى ومن مات ولا ولد له ولا ولد لوالده يكون لأخيه من أمه السدس فإن زاد عن واحد فلهم مهما كان عددهم الثلث والذكر هنا كالأنثى

وكانه يقول في القسم الرابع . عاشروا النساء بالمعروف وأشهدوا على اللاتي يأتين الفاحشة من نساءكم بعد استيفاء الحد فلا يتعرضن لمواقف فيه حتى يتزوجن وللتوبة منزلة شريفة في الاسلام ما لم يكن الاحتضار ولا تتخذوا النساء ساءا للميراث ولا تحبسوهن عليكم من غير رغبة فيهن لأجل أن تأخذوا بعض ما أخذن منكم من المهر الا في أحوال خاصة وتسكن المعاشرة بالمعروف وأياكم أن تأخذوا منهن ما أعطيتوهن فإن ذلك عار وكيف يكون هذا الشقاق بعد الوفاق والخلطة ولقد حرمت عليكم نساء آبائكم وكثيرا من القرابات كالأم والأخت الخ وجميع المتزوجات كل هؤلاء حرام عليكم واحذروا السفاح ولا تتزوجوا بالاماء اللاتي ملكهن غيركم الا أن تخافوا الفتنة واحذروا الشهوات والميل في الأموال كما تحذرونه في الأعراض ولقد أعفوا عن الصغائر إذا اجتنبتم الكبائر وهذه الأموال والنساء عاريات مردودات فلا يقل امرؤ لم استمتع بغيري بالنساء والأموال وأنا محروم فارجعوا الى الله والله هو المعطي . وإذا أعطيت المرأة نصف مال الرجل فليس لها اعتراض وليأخذن كل وارث ما استحقه فلا يحسدن أحدا أحدا على ما قسم له ويسأل كل الله وإذا أخذ الرجل ضعف المرأة فأنما ذلك لكونه قواما عليها فله فضل ذلك كما أنه له تأديبها بالأنواع التي أباحها له الشرع فإذا خفتم الشقاق فابعثوا الحكمين

وكانه يقول في القسم الخامس . اعبدوا الله ووبروا الوالدين وصلوا الأرحام وافعلوا المعروف مع اليتيم الخ وأياكم والرياء والله لا يظلم وإن رسولي شهيد عليكم فاحذروا أن تظهروا أمامه مشوهي الصور الروحية فتخجلوا وتفضحوا فضيحة عظيمة فتسكن الصلاة بقلوب حاضرة لا بمجرد أقوال وأفعال وتسكن على نظافة لتبتهج أفئدتكم وتكون أرواحكم مشرقة ويكون الظاهر معراج الباطن فالصلاة بلا حضور قلب ولا طهارة لا تنفيد بل تبطل وذلك يناسب ما يفعله اليهود من تحريف الكلام في التوراة حفظا للرئاسة وكذبا

ألا وإن الظهور بالمظهر الكاذب يورث القلوب النفاق والخلل الدنية وتصبح مجبولة على الأكاذيب والخداع وتغطي عنها الحقائق ألا وإن بعض أهل الكتاب باستدامة هذه الخلال أخذوا يؤمنون بالأصنام ويفضلونها على دين الإسلام لكثرة الأكاذيب حتى صارت سجية فلا يبالون بنتائجها أفليس ذلك يستوجب اللعنة لهم ولو أن الملك لهم لبخلوا وهم يحسدون الناس لأن المعاصي يجر بعضها بعضا فليؤد الناس الأمانة وليطيعوا أولى الأمر منهم ولبرضوا بقضاء قضائهم العادلين ولتعظوا الجاهلين ولتعلموا أن المطيعين منكم مع الأنبياء والصديقين وكأنه يقول في القسم السادس . فلا تكونوا أيها المؤمنون ذوى نفاق تبطون عن القتال وتكونون كمن يعبد الله على حرف فإن رأوا خيرا أقبلوا وإن رأوا شرا أدبروا فقاتلوا في سبيل الله وأنفذوا المستضعفين من أهل مكة الذين ظلمهم الكفار . عجبا لقوم أحبوا القتال فلما أمروا به هابوه وكرهوه مع أن الحياة متاع والموت مطاع وهم ينسبون أكثر ما يقضى عليهم من الشر لك وينسبون الخير لله بل الشر من أنفسهم لأنفسهم وهم يظهرون خلاف ما يبطنون في طاعتهم لك ويفشون الأسرار ويشيعون الأخبار في الحرب والسلم بلا هدى ولا كتاب منير فقاتل ولو وحده وحرض المؤمنين واحذر المنافقين ولا يقتل مسلم مسلما عمدا وللخطأ الدية وجزاء العمد جهنم ومن أسلم قدمه حرام والمجاهدون في سبيل الله لهم فضل عظيم ولا يقعد قادر راضيا بظلم الكافرين فليهاجر والمسافر قصر الصلاة وإذا صليتم في أوقات الحرب فاحذروا الأعداء وأقيموا وقت السلم وكونوا أقويا على الأعداء

وكانه يقول في القسم السابع . إياكم أيها القضاة والنهائون في القضايا ولا يسلبن ألبابكم المحامون عن المدعى عليهم بذلاقة ألسنتهم

وكانه يقول في القسم الثامن . خير المناجاة ما كان للبر والصدقة والصلح وفيه ذم اتباع الشيطان والمرء مجزئ بأعماله فليخلص لله وليعط كل ذي حق حقه لاسيما الضعفاء ولا تظلموا النساء وتصلحوا بين الرجال وبينهن وعلى الرجل أن لا يعيل كل الميل عن المرأة وإن الظالمين منكم أستبدل بهم غيرهم فأقيموا الشهادة حقا ولا تضلنكم الأهواء . وفيه ذم المنافقين وذم من يتخذ بطانة من الأعداء

وفي القسم التاسع . ذم اليهود لنقضهم الميثاق وتبجحهم بأنهم قتلوا المسيح واليهود والنصارى سيؤمنون بأن المسيح عبد الله ورسوله عند الاحتضار ولقد ضيقنا على اليهود في دينهم لأنهم ظالمون آكلون أموال الناس باطلا لا يقول العلماء منهم وأنت ومن قبلك مبشرون ومنذرون فلاتتفلوا يا أهل الكتاب في الدين فالمسيح لا يتعالى أن يكون عبدا ولا الملائكة الخ انتهى القول في جل من معاني هذه السورة

(مقدمة في مناسبة هذه السورة لما قبلها)

لقد قدمنا أن سورة البقرة مسوقة لأحوال بني إسرائيل وأن آل عمران كأنها مقمة لها ذلك أن عيسى عليه السلام من بني إسرائيل وقد جاء بدين لإصلاح ما أفسده الدهر من الدين القديم وعنوان السورة يشهد بذلك

وقد قدمنا أن سورة آل عمران مبدوءة بالنظر العلمي مختومة بالعمل والعملي ابتدئت بالنظر في السموات والأرض واختتمت بالابتهاج بجمال العالم العلوي والسفلي وإن من لم تكشف له الحقائق كانت فضيخته وعاره عظيمين وقد جاء في خلال ذلك الكلام في غزوة أحد والتلميح إلى غزوة بدر فكان تاريخ بني إسرائيل أعقبه تاريخ المسيح بالترتيب الزمني هكذا بعض تاريخ الأعمال الإسلامية في غزوة بدر وأحد

ولما كان ماورد في آل عمران من أحوال الإسلام لا يعدو في مجموعه جهاد الأعداء ودفعهم عن الأوطان والهرب عن حياض الدولة وحراسة الملة ناسب أن يؤتى عقبها بما يصون البلاد في داخلها من القوانين المستونة

لصيانة الأموال والأعراض ونظام الأمور من قسم الثركات وحفظ الزوجات وتبليان المحرمات وحفظ الأنفس من القتل ونظام القضاة والقضاة والمحاميين المدافعين عن المدعى عليهم والصلح بين الأزواج والصدق والشهادات وأداء الأمانات وإغاثة المستضعفين وما أشبه ذلك مما قرأته مجلداً وستعرفه مفصلاً فكان تسميتها بالنساء أقرب لأن المسألة ترجع إلى أمر الأمور والأحوال المنزلية وحفظ العائلات والنساء أسس المنازل كما أن الرجال أساطين الحروب والأعمال الخارجية فلنبتدئ في تفسير هذه المقاصد التسعة

(المَقْصِدُ الْأَوَّلُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

(التفسير اللفظي)

(يا أيها الناس) هذا الخطاب عام لجميع نوع الإنسان (اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) هو آدم (وخلق منها زوجها) حواء (وبث) نشر (منهما) من تلك النفس والزوج المخلوقة منها (رجالاً كثيراً ونساءً) بنين وبنات كثيرة اه اعلم أن الله عز وجل لما فرغ من سورة آل عمران وقد حث في أولها وآخرها على النظر العلمي والتفكير في خلق السموات والأرض وذكر الله باللسان والقلب وكان ذلك أشبه بالنظام العلمي في فن الحكمة أخذ يكمله في أول هذه السورة بالنظام العملي فهناك العلم وقوة الأبدان وهنا نظام الأمور وحفظ العائلات فأخذ يمهّد لذلك بمقدمة لطيفة تدل على اتحادنا مدشاً وتشابهنا خلقه . واعلم أن خلق آدم وحواء ليس هناك دليل قطعي على كينفته والقرآن أتى به مجلداً على مقتضى ما تقبله العقول وتفهمه النفوس فأما التفصيل فليس ذلك للكتب السماوية وإنما هذه مقدمات يؤتى بها للمقاصد . فأما التفصيل فقد قام به علماء الأمم من عجم وعرب . ومن عجب أنهم لم يهتدوا للحقائق ولم يصلوا إلى أصل الخلق ألا ترى كيف قال آباؤنا السابقون إن الحيوانات أول ما خلق منها البحرية لأن البحر قبل البر ثم كانت البرية وكل حيوان أنقص خلقه مقدّم على ما هو أكمل وقالوا أن الحيوانات الثامة الخلق لم تكن من البحر بل خلقت تحت خط الاستواء وكل منها تناسل من ذكر وأنثى والحرارة هناك كافية للتوليد فلما أن انتشرت تلك الحيوانات كالبحر والغنم والآساد والتمور في الأرض حفظت تلك الحرارة في الأرحام لتستأهل لنمو الأجنة والإنسان أيضاً كذلك الحيوانات وأبونا آدم وزوجه حواء خلقا كما خلق من كل نوع زوجان تحت خط الاستواء وتفرقت البرية في الأرض كسائر الحيوانات ثم آباؤنا نقلوه عن قبلهم من الأمم ولذلك تجد جزيرة سيلان (سرنديب) التي هي قرب خط الاستواء مذكور في كتبهم أنها فيها خلق آدم ومن هذا جعلت كل الأمم إن آسيا منبع الجنس البشري وأهل أوروبا يقولون إن أكثرهم من آسيا وإن أمما نزحت قديماً وهاجرت إلى تلك الأقطار الباردة منها وعلى ذلك شاع وذاع لفظ (بأجوج ومأجوج) أي أهل تلك الأقطار وهم التتر والمغول (هكذا رأيتها في كتب الجغرافيا القديمة) وأنهم يفسدون في الأرض فسكما كثروا تزحوا إلى أوروبا وغيرها كما تقرأه عن أمة (الهون) وغيرها قبل العصور الحاضرة وقد هاجروا إلى أوروبا وكما تقرأه في أخبار جنكيزخان (الذي ستقرأ خبره وتخرجه لبلاد الإسلام في آخر سورة الكهف وتري هناك معجزات النبوة واضحة) وهولاكو ومن نحنا نحوهما من أزالوا دولتنا العربية ببغداد وذهبوا إلى روسيا واستوطنوا شواطئ نهر فولجا وهم الآن مسلمون كل هذا مذكور في التاريخ والسراصل في أن الناس قديماً يرون أن مهّد

الجنس البشرى في الشرق وسره الاكبر ظنهم تولد الابوين الاصليين من كل حيوان في خط الاستواء أما الفرنجة فانهم لا يزالون يتخبطون وائس لاقوالهم نهاية ففريق يرى أن الحيوانات البحرية مقدمة على البرية والاتقص قبل الاكمل مثل قدمائنا ولكن يرون أن الحيوانات النامة الخلقة من سلسلة من ناقصة الخلق حتى الانسان وهذا المذهب قد سار شوطا بعيدا في القرن الماضي ولكن علماء العصر الحاضر حقروه وبذوه ظهريا ودموا قائله وقابلوه بالنكران وكفروا به وهم لا يزالون في البحث مجدين ولا يزالون مختلفين أما القرآن والتوراة فانهما نصا على أن آدم خلق من التراب وحواء خلقت منه . هذا هو كلام الديانات وهذه علوم الناس قد أحضرتها بين يديك على سبيل الاجال . وبأليت شعري اذا كان القرآن والكتب السماوية أجلت المقال والفلاسفة والحكماء تفرقوا شيئا فأين السبيل . أقول اعلم أن الكتب السماوية انما تذكر هذا لغرض أسمى من معرفة أصل الأبوين وماذا نجني من وراء معرفة أصلهما نعم البحث في العوالم كلها مرقعة للعقول ولكن كل ما يعرفه البشر في هذا المقام لا يصل للحقيقة الواقعة (ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) ان الناس لم يشهدوا مبدأ العالم ولا مبدأ أنفسهم وانما المقام هنا الدلالة على الوحدة العامة الانسانية فلئن ذكر الله اتحادنا في المنشأ والتشابه في الاحوال فانما ذلك ليدلنا بطريق الكناية على الوحدة العامة الانسانية والنظام الشامل لهذا الوجود والكناية هنا هي المقصودة بالذات كما يقول علماء البيان ألا ترى الى قول الخنساء وقد خطبها دريد بن الصمة

معاذ الله يرضعني حبركي * قصير الشبر من جثم بن بكر

تقول أنا أستعبد بالله أن يرضعني قصير القامة ضئيل الجسم من هذه القبيلة ولم يكن ذم الارضاع مقصدها ولا الولد القصير الشبر عندوا لها وانما تريد ما هو أهم لها في زواجها وهو أن يكون الزوج طويل القامة عظيم الهامة من قبيلة شريفة فانها لو تزوجت ناقص الخلق ضئيل الجسم حلت منه فوضعت ولدا يشبه أباه فانتقلت من المعاول الى العلة ومن الفرع الى الاصل فكانت النتيجة هكذا أنا لا أتزوج رجلا ضئيلا قصيرا حقير المنظر لا يملأ القلوب مهابة ولا العيون إجلالا وليس من الملأ الشرفاء ولا من السادة العظماء هذا هو الذي يفهمه الرجال والنساء والعامة والعلماء فهكذا هنالم يقصد الخلق ومبدؤه لذاته وانما يراد منه الاتحاد والوحدة العامة الانسانية في هذا الوجود وكأنه بعد أن أبان تناسب المادة وتناسقها في آخر آل عمران أخذ يبين تناسب الجنس البشرى واتحاده النظري ورتب عليه التراحم والمودة وصلة الارحام وحفظ مال الايتام والعادل في قسم التركات والقضايا والدعوات وأداء الشهادات واذا كانت الحكمة تثبت أن هذا العالم الحيواني والانسانى متشابهان في الخلق متناسقان في الوضع حتى انك لترى أن النبات أدناه يقرب من المعادن كخضراء الدمن أى النباتات التي تراها أيام الربيع بالغداة حتى اذا جبت الشمس ذبل النبات وصار هباء منثورا فاذا كان اليوم الثاني طلع كالذي قبله ثم يرتقى النبات طبقات حتى يكون أعلاه ما يعيش على غيره كنبات يسمى الكشوثى فانه لاساق له وانما يعيش على غيره ويمتص من عصاراته كما تمتص الدودة من الرطوبات وكالنخل لانه تبرز كره من أنشاء وهكذا اذا قطعت رأسه مات فصفت النخل وصفات الكشوثى أشبه بصفات الحيوان وبلى هذين وأشباههما الحيوان وله أدنى وأعلى فالأدنى أشبه بالنبات كما هو معلوم في محله وشرحته في كتاب الفلسفة مما يعيش في القوقع على شاطئ البحار ثم يرتقى طبقات حتى يكون أعلاه من الآساد والنمور والقروود بحيث ترى الأدنى يتلوه الأعلى فدوات البيض أقل من التي تحمل وتلد وتوضع أولادها وهكذا حتى تصل الى المتوحشين من بنى آدم ويرتقى نوع الانسان الى العلماء والانبياء ويليهم الملائكة على تفصيل في ذلك وعالم الحيوان وعالم النبات كملكة واحدة تدبرها نفس واحدة وكأنها جسم تدبره نفس واحدة يشير لذلك (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) فاذن علمت مما قدمناه في هذا التفسير أن هذه العوالم كلها متضامات بينها مناسبات

كانها أسرة واحدة لمنظم واحد أفلا تكون الأسرة الانسانية أقرب الى التعاطف والتراحم لاقتربها وقد قضت الحكمة أن الاتحاد أعم منها فكيف يكون أمرها وإذا كان الاتحاد العام والنظام الشامل بحسب الحكمة يدعواننا أن نرحم الحيوان وننظم هذه الكرة الارضية فكيف بالانسان وهو أخو الانسان يقول الله أيها الناس تراجوا ونوادوا فأنتم أسرة واحدة من أب واحد * وقال سقراط لتلاميذه وقد أنكر بعضهم العبادة والقربان لله وأنكر وجود عقول غير عقل الانسان لانه لم يره (ألمست ترى أن صورة الانسان من المواد الهوائية والمائية والارضية قال بلى قال فاذن أنت تؤمن أن جسمك المركب من مواد ضئيلة صغيرة جدا من العوالم الكبيرة المحيطة بنا له عقل ولا تؤمن بأن هذه العوالم الكبيرة فيها عقل أى ان مادة الهواء والماء والجسم الأرضي التي اشغل عليها جسمك تحظى بعقل وفهم فأما الارض ذات الفجاج والهواء ذو الرياح والبحر ذو الأمواج فكل هذه محرومة من العقل أى ان العقل يناله القليل الضئيل ويحرم منه العظيم الكبير الكلى ان العقل يكذب هذه القضية وهذا العالم منظم بعقل كلى) هذا تقرير ما قاله سقراط في محاوراته مع تلاميذه ويستدلون على ذلك أيضا بأن كل معدن كالمخك والنظرون والشب والمغنيسيا والاسرب والنحاس والذهب له عمل غير عمل الآخر وهكذا النبات والحيوان والماء فانها مختلفا النتائج متحدة الوجهة لغرض واحد ونرى الشمس تخرج حرارتها بالماء وبالتراب وبالهواء ويكون أنواع النبات ثم ان المعادن تتعاون معها فتكون منافع للناس تتبعها أخرى ورتبوا على ذلك ما يقال له

(النفس الكلية)

وجعلوا أن الشمس والقمر والكواكب والماء والهواء بالنسبة اليها كآلات النجار والحداد فالحرارة آلة والبرودة آلة والهواء آلة والماء آلة وبهذه الآلات وتحريكها تصور هذه الصور باذن الله تعالى هذا ما يقوله الحكماء فتلك العناصر والقوى في العالم أشبه بالأعضاء والآلات التي يستعملها الانسان وتكون أنفسنا لتلك النفس الكلية أشبه بالعين والسمع والبصر والشم بالنسبة لأنفسنا فالعالم مدبر بنفس واحدة أبدعها الله وهذه النفس مستعدة قواها من العقل الأول الذي هو اللوح المحفوظ عند علماء الشريعة ونفوسنا أشبه بالاسماع والابصار لها وكما أن نفوسنا تسمع وتبصر وتبطن وتتكلم وتهضم بالاذن والعين واليد واللسان والمعدة والنفس واحدة والقوى والأعمال مختلفة هكذا هذا العالم كله مدبر بنفس واحدة كنفوسنا وهذه النفس لها قوى مختلفات تدبر العوالم فالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والكهربائية والمغناطيس كل واحد منها له عمل مخالف للآخر والنفس واحدة والأعمال منتشرة تبع القوى وكما أن اختلاف الأعين والأذان والأيدي في الأعمال لا يمنع أن النفس واحدة هكذا لا يمنع اختلاف النبات والحيوان والماء والهواء والحرارة والبرودة أن النفس المدبرة لها واحدة فالله واحد والنفس المدبرة الكلية واحدة لها آلات وقوى تدبر بها العمل تديرا منظما متجها الى نتائج منقظمة كما تتجه أغراض الانسان لما يريد من حوائج لغرضه الأصلي هذا تحقيق المقام في النفس الواحدة عند الحكماء فإذا صح هذا تكون النفس الواحدة التي عبر عنها بآدم تذكرة للنفس الواحدة المنظمة للعالم وهذه الوحدة المنظمة ترى الناس يخدم بعضهم بعضا وان لم يعلموا

الناس للناس من بدو وحاضرة * بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

وعلى هذه القاعدة ترى جميع نوع الانسان على الأرض يخدم بعضهم بعضا وهم لا يشعرون والمرء لا يقدر أن ينجز ويحرق ويزرع ويخطط ويأتي بالحديد والنحاس من الجبال ولا يصنع المراكب في البحار ولا القطارات فوق القصب الحديدية ولا يزرع جميع أنواع الزرع ان حاجات الناس تزداد كلما زاد العمران وتعظم كلما ارتقى نوع الانسان وهنا يقال • ان كل امرئ محتاج لغيره في ضروريات معيشته كالأكل والملبس وفي كالياته كالزينة والعطر فغيره هو المكمل له فنكره غيره فقد كره من يكون سبب ضرورياته وكالياته ومن

كره من هو سبب لكما ليانه وضرورياته فقد كره كمال نفسه وحياتها ومن كره كمال نفسه وحياتها فهو فاقد العقل متخبط في براهينه لأن القضية العقلية الصادقة هكذا كل امرئ يحب نفسه وكمال نفسه . ولكن من يكره الناس تكون نتيجة كراهته لهم هكذا أنه يكره كمال نفسه وحياتها فتكون النتيجة انه يحب حياة نفسه وكمالها وأنه يكره حياة نفسه وكمالها فأما القضية الأولى فهي بالبداية وأما الثانية فبالبرهان لأنه يكره الناس فالإنسان في الصين وفي أوروبا جميعا يعين بعضه بعضا حتى أنك ترى أن أوروبا لما أرادت أن تستغنى عن دولة البلشفيك في روسيا طلبت بعد سبع سنين ودها لأنها رأت الأمان من مصادقتها فكل عالم في الشرق ينفع الغرب وكل صانع في الغرب يصل أثره للشرق فالعالم الانساني كجسم واحد والأمم اعضاؤه وأفراد الناس ذراته وإذا كره زيد عمرا وأبغضت دولة دولة فذلك الامن عوارض خلقت لمصلحة التنافس والتسابق فالمحبة أصل الوجود والعداوة طارئة لأن العالم بني على الرحمة والجمال والحب وكل ما طرأ عليه فهو زائل ونهاية كل شئ الجمال والرحمة والبهاء والنعمة لأن الله رحيم والرحمة وسعت كل شئ ولا يبقى في غضب الله الامن سبق عليهم القضاء

(ذكرى)

أيها الذي هذا مقام عزيز المال شريف الخزى فإذا أنست في نفسك قبولا لما نقول وفهمته فذاك وإن وجدت حرجا في صدرك وعاقك عن قبوله ما درسته من الأقوال وظواهر الكلمات فأنا أنصحك أن تجلس دقائق كل يوم وتوجه قلبك لمبدع هذا العالم وتجعل قلبك متجها اليه وتطلب منه بالقلب واللسان أن يفتح لك الباب وهناك ترى منه فتوحا متى أخلست في الاقبال عليه مع الطاعة والاخلاص والنشاط والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . لطيفة في تناسب السورتين قال الله في آخر السورة السابقة (واتقوا الله لعلمكم قتلحون) وأعقبها بأول سورة النساء بقوله (يا أيها الناس اتقوا ربكم) كأنهما سورة واحدة والخطاب عام للناس كلهم كما قال في سورة أخرى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) وهنا يقول (وبث منهم رجالا كثيرا ولساء) انتهى المقصد الأول

(المقصد الثاني)

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَقْبِضُوا أَلْيَتَ الْيَتَامَىٰ بِالطَّبَيبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا * وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّا وَثَلْتُمْ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا * وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا * وَلَا تَوَارَوْا الْسُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا *

(التفسير اللفظي)

(واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها عطفاً على لفظ الجلالة أو والأرحام بالجر معطوفاً على الضمير أي تسألون به بالأرحام . تقول العرب سألتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم والرحم القرابة وهي إمامن الرحمة وأما من الرحم لاهم خرجوا من رحم واحدة في البخاري ومسلم قال عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعته الله * وروى أيضاً من مره أن يبسط عليه من رزقه وينسأ في أثره فإصل رحمه وقوله ينسأ في أثره أي يؤخره في أجله ويروى لا يدخل الجنة قاطع (ان الله كان عليكم رقيباً) حافظاً مطلعاً (وأتوا اليتامى أموالهم) أي إذا بلغوا الرشد واليتيم هو الصبي الذي مات والده (ولا تبدلوا الخيث بالطيب) أي ولا تستبدلوا الخيث الذي هو حرام عليكم بالحلال من أموالكم يقول ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم (ولا تأكلوا أموالهم) مضمومة (إلى أموالكم) أنه كان حوياً كبيراً ذنباً عظيماً نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم كان في حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذي له فغضب عنه فترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الخوب الكبير ودفع إلى اليتيم ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطلع ربه هكذا فإنه يحل داره يعني جنته فلما قبض الصبي ماله أنفقه في سبيل الله

ان الناس كثيراً ما ينحازون إلى جهة من الدين ويتركون الأخرى والحياة لا قوام لها إلا بالكمال ومراعاة القضايا الدينية من سائر أطرافها بل ما مثل الناس في أمورهم الدينية إلا كمثل التلاميذ في المدارس النظامية أو كمثل الحكومات الرسمية فلوا أن تلميذاً قرأ النحو والعرف والحساب وترك العلوم الطبيعية في المدرسة لحرم الشهادة التي يعطيها له المدرسون ولو أن حكومة غفلت عن نظام الري وحفظ الجسور وهي ذات عناية تامة بتحصيل الضرائب وأجرة الخفراء وتعليم التلاميذ وارتقاء الجند لكانت آيلة إلى الزول ذاهبة إلى النكال يحل بها البوار في سنين معدودات فالنظام الاجتماعي هيكلاً منظم كهيكل جسم الإنسان متى أصيب أحد أعضائه الأصلية سرى الخلل إلى سائر الأطراف فتمطلت أعضاؤه وذهب كأمس الدابر ولات حين مناص

هكذا هنا في هذه الآية يقول الله تعالى ما معناه مالكم لما سمعتم الوعيد على من لم يقيم لليتيم بحقه هل تعلم من عذاب الله والخبوب الكبير وأنتم مع ذلك لم تحترسوا من الزنا وهو خوب كبير فهل أنتم تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فعليكم أن تحترسوا من سائر الكبائر على السواء فكما خفتم من أكل مال اليتامى نخافوا من الزنا الذي هو اعتداء على حقوق غيركم بل فيه اعتداء على حقوق من هم كاليتامى وكيف لا يكون كذلك والزانية قد تلد ولداً لا أب له فتسرع بالقائه في الطرقات فيؤخذ لقيطاً فيربيه غير والده فهذا هوذا يتيم أنتم كنتم سبب وجوده وبقائه وشقائه الأبدى فكيف تخرجتم من أكل حق اليتيم المشاهد ولم تخرجوا من هضم حق اليتيم الغائب والأخير من نسلكم وأمره ومبدؤه منكم فأنكحوا ما تحبون من النساء على شريطة العدل والمساواة اجتناباً للزنا فإذا كان الزنا لقضاء الشهوات البهيمية أفلا يكفيكم أن تزوجوا من واحدة إلى أربع وإياكم والظلم في القسم بينهم فاعدلوا وهو أقرب للتقوى فإذا كنتم حراماً عليكم أكل مال اليتامى وحرماناً الزنا وأمرناكم أن تزوجوا فاحترسوا من الظلم وعدم العدل عند التعدد فإن وجدتم من أنفسكم ضعفاً فجهزتم عن العدل بينهم فتزوجوا زوجة واحدة ولا مانع من كثرة السراري والاماء فهؤلاء يحل لكم الاكثار منهم فهذا قوله تعالى

(وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء) أي ان خفتم يا أولياء اليتامى

أن لاتعدلوا معهم فإلکم ظلمتم بالزنا فانكحوا الخ
والآية وجه آخر وهو ان ختم الاعداء في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لکم من غيرهن
اذ كان الرجل يجد يتيمه ذات مال وجمال فيتزوجها ضابطها فر بما يكون عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام
بحقوقهن وهذا يقدمه علماء التفسير عادة وقوله (مثنى وثلاث ورباع) أى اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا
أربعا والواو هنا بمعنى أو كما تقول تزوج اثنتين أو ثلاثا أو أربعا ولو كانت على حالها لصار المعنى أنه يضم هذا
العدد كله

واعلم أن الآية ليس فيها ما يمنع الزيادة على أربع . ألا ترى أنك لو قلت لرجل تمتع في بستان أو اثنين
أو ثلاثة أو أربعة من بساتينى وانزل في رحب وعيش رغد هنى لم يكن ذلك مانعا من التمتع بغير الأربع وابعه وابعه
شئ لا تقتضى منع سواه ولكن السنة والاجماع هما اللذان عينا الأربع . ألا ترى الى ما روى عن ابن عمر
أن غيلان بن سلمة الثقفى أسلم وله عشر نسوة فى الجاهلية فأسلمن معه فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يختار منهن أربعا وهكذا روى أن قيس بن الحارث قال أسلمت وعندى ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن أربعا وإنما الزيادة من خصائص النبی صلى الله عليه وسلم والعبد له أن
يتزوج بأربع على إحدى روايتين عن مالك وأكثر العلماء أنه على النصف من الحر (فان ختم الاعداء)
أيها الأزواج بين الأربع (فواحدة) أى فتكفيكم واحدة على الرفع أو فانكحوا واحدة على النصب (أو
ماملكت أيمانكم) سوى بين الواحدة من الأزواج والعدد من السرارى خلفه مؤوتهن وعدم وجوب القسم
بينهن (ذلك) التقليل منهن أو اختيار الواحدة أو التسرى (أدنى) أقرب من (ألا تعولوا) أى أقرب من
ألا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار (وآتوا النساء صدقاتهن) مهورهن (نحلة) عطية
يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا أعطاه إياه عن طيب نفس بلاثوق عوض فليس للأزواج منع المهر وللأولياء
الاستيلاء عليه لانهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم (فان طبن لکم عن شئ منه نفسا) أى فان طابت نفوسهن
ووهبن لکم من الصداق شيئا (فكلوه هنيئا مريئا) نخذوه وأنفقوه حلالات لاتبعة فيه وهنيئا طيبا ومريئا
سانعا (ولاتؤتوا) أيها الأولياء والآباء (السفهاء) الذين تحت وصايتكم ونساءكم وأطفالكم (أموالكم) التى
تصرفون فيها بطريق الولايات التى تملكونها لأنفسكم (التي جعل الله لکم قياما) أى تقومون
بها (وارزقوهم) أى أطعموهم (فيها) واكسوهم وقولوا لهم قولوا معروفا) عدوهم عدة جولة تطيب بها نفوسهم
والمعروف ما عرفه الشرع والعقل بالحسن (وابتلاوا) اختبروا (اليتامى) قبل البلوغ بتقبع أحوالهم فى صلاح
الدين وحسن ضبط المال والتصرف (حتى اذا بلغوا النكاح) أى حد البلوغ بان يحتلم أو يستكمل خمس
عشرة سنة عند الشافعية وثمان عشرة سنة عند أبى حنيفة ولقد كنى ببلوغ النكاح عن البلوغ لأنه يصلح
للكاح عنده (فان آنستم) أبصرتهم (منهم رشدا) فى المعاملات (فادفعوا اليهم أموالهم) من غير تأخير عن
البلوغ فلا يجوز أن يدفع لهم ما لهم قبل الرشد وقال أبو حنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهى مدة
معتبرة فى تغير الأحوال لأن الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد (ولاتأكلوها
إسرافا وبدارا أن يكبروا) أى مسرفين ومبادرين كبرهم (ومن كان غنيا فليستعفف) من أكلها (ومن كان
فقيرا فليأكل بالمعروف) بقدر حاجته وأجرة سعيه وللعلماء فى هذا المقام ثلاثة أقوال فمنهم من منع أخذ شئ
من مال اليتيم فقيرا كان أو غنيا ومنهم من قال يأخذ بقدر أجره بالمعروف ان احتاج ومنهم من قال ان احتاج
يقترض ثم يرده اذا أيسر واذا أعسر فلا شئ عليه ويرأى أن الأمة الاسلامية يجب أن يكون التعليم فيها عاما
محييا فى الاخلاص وبعد ذلك يقوم بأعمال هذه الأعمال الأغنياء متبرعين فلاحاجة اذا للفقراء فاللهم التفكر
والعلم وأما الأحكام فانما هى للضرورات التى أوجبها شع الناس وعدم الاخلاص فى الأعمال (فاذا دفعتم اليهم

أموالهم فأشهدوا عليهم) بأنهم قبضوها فإنه أنفى للتهمة فلا يصدق في دعواه أنه سلمها لليتم الابالينة عند الشافعي ومالك خلافاً لأبي حنيفة (وكفى بالله حسيباً) محاسباً ومجازياً فلا تخالفوا أمره انتهى التفسير اللفظي يقول الله تعالى يا أيها الناس أنتم أسرة واحدة أو جسد واحد لأن أباكم واحد وكل امرئ منكم كعضو من أعضاء الجمية الانسانية ألا ترون أن فيكم من هو كالسمع والبصر من العقل وفيكم من هم كاليد والرجل من العمل وفيكم من هم كالطباخين والخابزين كالعدة والأعضاء أفلا تتقون وتخافوني وأنتم تذكرون الرحم مقرونه باسمي فأنا الرحيم وهي الرحم فالقربة التي بينكم المشتقة كلمتها من اسمي أجدر بالمراعاة والمحابة والمراعاة فضلاً عن الانسانية العامة أي عبادي اني عليكم رقيب أرقب ما تصنعون بأرحامكم وكيف لا أرقب ذلك والرحمة صفتي فمن قطع الرحم قطعه ومن وصلها وصلته فأنا الرحيم أحب الرحيم سيما اذا كان ذلك على القربة الأذنين . أنا سائلكم أيها الناس عن البعيد كما أسألكم عن القريب بل اني أسألكم عن كل ما تقدرون عليه فاني لا أكف نفسي الاوسعها فالرحمة أنتم عنها مسؤولون فاذا كان فيكم فضل قوة على رعاية اليتامى من الناس فلا تجعلوا مالهم غنيمة لكم ولا تأكلوا أموالهم ولكم أن تأخذوا قدر عملكم فيه بما هو المتعارف المألوف وان كنتم أغنياء فخير لكم أن تستغفروا وتعملوا في أموالهم بلا أجر الى آخر ما تقدم وفي هذا القسم أربع لطائف

اللطيفة الأولى ان الله كان عليكم رقيباً

اللطيفة الثانية تعدد النساء في الاسلام

اللطيفة الثالثة ولا تؤثروا السفهاء أموالكم

اللطيفة الرابعة فادفعوا اليهم أموالهم

اللطيفة الأولى ان الله كان عليكم رقيباً وهذه اللطيفة واضحة فيما تقدم فلا تطيل فيه

اللطيفة الثانية تعدد النساء في الاسلام . اعلم أنه قد كثرت لفظ الفرنجة ومن تخا نحوهم ممن خالطهم من المسلمين في تعدد أزواج المسلمين وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم فلهم أربع وله صلى الله عليه وسلم أكثر . فاعلم أنني قد ألفت رسالة تسمى السر المحجوب وقد محضت هذا المقام تليخياً بسائر أطرافه وهذا المقام لا يسهل الاقاضة فيه خيفة السامة ولكني أدلى اليك يد من القول لتقف على ما تبصر فأقول . لقد حسد الفرنجة المسلمين وغيرهم على تناسلهم حتى انهم في افرقيا الجنوبية لما رأى الانسكايز أن رجلا يتزوج عشرين النساء وهن يسعين لرزقه وهو يأكل ويشرب فيلذ بنين وبنات كالديك مع الدجاجات ساءهم ذلك لأن التسل يكثر وهم يريدون تقليده فعمدوا الى ايجاب الضرائب على هذا النوع من الزواج وهكذا لما رأوا الأمم الاسلامية تتكاثر وتتناسل أفاروا هذه المسألة ولقد بحث الباحثون فوجدوا ان الذين يتزوجون أكثر من واحدة في الاسلام لا يزيدون عن خمسة في المائة ولا ينقصون عن ثلاثة في المائة وهذا العدد القليل لا يجرى مفتقر في جانب العدد العظيم . واعلم أن الله سبحانه جعل للذكور والاناث قانوناً لا يتعدونه فالذكور والاناث في دفاتر الموايد في كل قرية ومدينة وأمة وفي الكرة الأرضية كلها متساويان تقريباً لحسن النظام وجمال الاتقان وبديع الصنع فقل لي رعاك الله هل سمعت أن أمة من الأمم ولدت أناثاً فقط أو ذكورا فقط في سنة أو شهر أو يوم كلا فانه خلقهما متساوي العدد غالباً فلو أن المسلم أراد أن يتزوج اثنتين وكان ذلك عاماً فأين النساء ولائسا فلكل رجل نظيرة منهن وكان الخرافة التي جرت على السنة العامة أشبه بهذا إذ يقولون ان لكل رجل قرينة من الجن يقولونها وهم لا يعقلون معناها يتلففونها عن الدجالين بلا علم ولا هدى ولا كتاب منبر وإنما الله أجراها على سنتهم . وسرها أن لكل رجل امرأة من الناس تخلق مقارنة له فعداً أهل القرى والأمصار نجد هذه القاعدة مطردة وهذا من السر المحجوب الذي وضعه الله في الطبيعة التي نظمها - ما نرى في خلق الرحمن من

تفاوت - أى تناقض واختلال ولو أنه خلق في مقابل الرجل امرأتين أو بالعكس لاختل النظام فياليت شعري كيف يمكن أن يتزوج المسلمون كلهم أو كثير منهم بأكثر من واحدة والله لم يخلق ذلك وإنما جعل الله في كل أمة قوما ضعافا لا قدرة لهم ولا مال هؤلاء لا يتزوجون وآخرين لهم قوة ومال وهم ذوو طباع حادة ولا تكفيهم زوجة واحدة بل يذهبون للزنا وهذا أمر مستطير فأباح الله لهم أن يتزوجوا بأكثر من واحدة إكثارا للنسل ومنعنا لا انتشار الزنا وقتل أولاد السفاح ورميهم في الطرقات ولعمري إن هؤلاء خير من أغنياء الأوربيين الذين يصاحبون أكثر من واحدة سرا فهم وإن لم يتزوجوا أكثر من واحدة جهرا فقد تزوجوا سرا ولقد ذمهم علماءهم واذكر منهم العلامة جوستاف ليبون وأخبر أن التعدادات لا ريب فيه ولقد أوضحت الحرب العامة هذه المسألة أيضا فان الرجال توفي كثير منهم في الحرب وأصبحوا قليلا وكثرت النساء فمن ذا يعولن ومن ذا يقوم بأمرهن فأباح بعض الدول تعدد الزوجات

فأما المسلمون فاني أرى أن يكون الأمر موكولا لذوى الحل والعقد منهم وليسكن التعداد على مقدار الحاجة وليحصوا الرجال والنساء في البلاد ولينظروا العدد الذي لم يتزوج من الفريقين وليأمروا كل شاب بلغ سنا معينة مثل ٢٠ أو ١٨ سنة بالتزوج فان لم يتزوج أوجبوا عليه مالا معيناً يدفعه للحكومة تنفقه على فقير ذى عيال والنساء اللاتي لم يتزوجن يبحث عن رجال يتزوجونهن منفردات والا كان ذلك مثني وثلاث ورباع للقادرين الأقوياء الأغنياء فإذا فعلت الامم الاسلامية ذلك فليكن بأمر أهل الحل والعقد منهم لا بأمر الفرنجة فان الفرنجة يقصدون تقليل النسل وتقليل الزواج وإكثار السفاد والفساد في الاسلام فاحذروهم أيها المسلمون فليحذر المسلمون الذين يحكمهم الفرنجة أن يوحوا اليهم بأمر من هذا فانهم يريدون الزنا وقلة النسل وضياع البلاد فأما أهل الحل والعقد منكم فلهم أن ينظروا في المصالح وهم أعلم بما يناسب حالتهم

﴿ تعداد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

لقد أجمع المسلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم من خصوصياته أن له الزيادة على أربع ومع هذا الاجماع ترى أنه اختار من نسائه أربعاً أذكر منهن عائشة وحفصة فأما الباقيات فانهن رضين أن يكن أمهات المؤمنين وسامحن في أمر البيت عندهن فكان النبي صلى الله عليه وسلم اقتصر على أربع في الحقيقة فأصبح كالأمة وإن لم يطلق الباقيات لأسباب أو ضحت في الكتاب المذكور انتهى المقصود من ذلك الكتاب ملخصاً فاقراً هذا المقام مفصلاً في سورة الاحزاب ففيها تلك الرسالة كاملة

(اللطيفة الثالثة) ولا تؤتوا السفهاء أموالكم • نهى الله الأوصياء والآباء أن يؤتوا اليتامى أموالهم قبل بلوغ سن الرشد وحسن التصرف وهكذا النساء والأطفال فان قلة عقل الطفل والمرأة تجعلهما يسرفان ويبذران في الأموال فيصبح الرجل حسيراً هذا ما في هذه الآيات

ومن عجب أن الأمم الاسلامية اليوم تعطي أموالها سفاهة للأوربيين إما كرها بالاحتلال كأهل جاوه وماوالاها من الجزائر وكأهل المغرب تونس والجزائر ومراكش وكأهل السودان كل هؤلاء يدفعون المال للفرنجة قهراً وإما طوعاً بان يدفعوا أثمان البضائع التي تصنع في بلادهم فأصبح المصري والهندي والمغربي جميعاً يعملون ويكدحون والغربي هو الذي يستنزف ثروتنا وهذا سفاهة دولية لأمة الاسلام ولعمري لا تبلغ أمة الاسلام الرشد حتى تصنع ما تحتاج اليه من الصناعات ملبساً مأكلاً وآلات فان لم يفعلوا وسيفعلون فذلك ضياع مدنيهم وذهاب دولهم وياليت شعري اذا كانت الدريهمات التي يعطيها الانسان لابنه الصغير أو لزوجته يتصرفان فيها بلا عقل قد نهانا الله عن التفريط فيها فما بالك بأموال الأمة والامرات التي يمتصها الفرنسي بملايس نحن نقدر أن نصنع غيرها ونستغني عنها ويكون الثمن في أيدي أبناء البلاد ليس هذا أدعى إلى النهي واذا كان الله يقول لنا فيما نعطيه للأطفال - ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً - فجعل هذه الأموال قياماً

لنا نحفظ كياتنا ونعيش بها فما بالك بماتوا في بلادنا المصرية من تلك القناطر المقتطرة من الذهب وهي تبلغ كما في إحصاء المالين نحو (٧٠ مليوناً) من الجنيهات وأكثرها ياربح في المصارف الافرنجية وهم ينتفعون بتلك النقود والمسلمون لم يأخذوا ربا لا حرام والفوائد قد ذهبت إلى أوروبا يصنعون بها الطيارات والمدافع ويقذفونها على أبناء المسلمين في الجزائر وتونس ومراكش والهند ومصر كل ذلك والمسلمون غافلون نائمون فلا يصدقون أن مصارف البلاد التي أنشئت حديثا تقوم مقام المصارف الافرنجية ويتركون تلك الأموال عند الفرنجة ولا ينتفعون بها في تجارة أو شركة أو زراعة بل يتركون أنفسهم عالة على أوروبا التي تأخذ ما لهم كأنهم قاصرون والاجانب يريدون كل مال هؤلاء الأيتام ولكن الآن قد ظهرت بوادر الإصلاح في الهند ومصر وأكثر البلاد الاسلامية

(حكاية) قابلت شابا هنديا منذ أيام وهو لابس ملابس كلها من قطن مغزول غزلا بلديا من رأسه إلى قدميه وليس مما ينسجه الاوروبيون فقلت أغزل بلادكم هذا فقال نعم ولوأنتي خالفت هذا ولبست ما ينسجه الاوروبيون لعدوني خارجا عن الوطن ولموني بأقبح التهم ولقتلوني وذلك من تعاليم الزعيم العظيم غاندي تلك التعاليم التي حرمت على جميع الهندو الملابس الافرنجية وأقول ومن كلامه الذي ذكرته في سورة آل عمران ان أوروبا اليوم لا تمثل روح الله ولا روح المسيح بل تمثل روح الشيطان وما أعظم نجاح الشيطان اذا ظهر ولسانه يردد اسم الله وقال أيضا إن الولوع بالمنسوجات الأجنبية يجلب العبودية الأجنبية والفقر المدقع وما هو أقبح من هذا وهو العار على كثير من العائلات

(اللطيفة الرابعة) فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم. لقد رأى الشافعي رضي الله عنه أن تصرف الصبي قبل البلوغ وهو مميز باذن وليه غير صحيح وصححه أبو حنيفة فاختره بالبيع والشراء والأخذ والعطاء عند الخفية وبالنظر في أحواله وعقله وادراكه عند الشافعي ويبلغ بالانزال كل من الصبي والجارية سواء كان بالاحتلام أم بالجماع . فلما بالسن فأكثر أهل العلم أن بلوغ الغلام والجارية بخمس عشرة سنة وجعل له أبو حنيفة ثمانى عشرة سنة ولها سبع عشرة سنة . ويختص النساء بالحيض والحبل فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لأنها أقل مدة للحمل ثم اذا بلغ الصبي وهو صالح للتصرف في ماله وانفسد دينه سلمه المال عند أبي حنيفة خلافا للشافعي لجعل الصلاح في الدين أيضا شرطا فان كان مفسدا لماله أيضا لم يسلم له حتى يبلغ خسا وعشرين سنة كما تقدم فيسلم له ولولم يكن صالحا في ماله انتهى

(عظة واعتبار)

لقد تبين في هذا المقام كيف جعل الله المال قايما لنا وأمرنا ألا نعطيهِ للسفهاء من النساء والأطفال جعل الله المال قايما لنا أي قايما لحياتنا الدنيوية والأخروية وهما أنت ذا أيها الذكي ترى كلام علماء الاسلام والائمة رضي الله عنهم وكيف دققوا في أموال اليتامى وفي الرشد وكيف يقول الامام مالك ان الجارية اذا بلغت رشيدة لا يدفع المال اليها الا اذا تزوجت فاذا تزوجت دفع اليها مالها ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج مالم تكبر وتجرب فهذا التشديد والتقيد في المال والدقة في البعث توجب يقظة المسلمين وانتباههم فيا عجب كل العجب يجعل الله المال قايما لنا في القرآن ويشدد علماء الاسلام ويدخل الفرنجة بالمنسوجات الديار المصرية وبلاد الغرب في تونس والجزائر ومراكش وسوريا ويأخذون الأموال ويضعكون على العقول ويلهوننا بالنسوق والفجور والزخارف كما فعلوا بالاندلس لما أمضوا معاهدة للصالح بينهم وبين أمراء الاسلام وأقيمت الافراح وكانت نعال خيل بعض الأمراء من ذهب وكانت هكذا حرية التجارة وحرية التعليم وحرية الدين فقال قائل من المسلمين هذه المعاهدة لا تدفع عارا ولا تذكي نارا ولا تنفع جارا وسيأتي زمان قريب يحرق فيه تاريخ

الاسلام ويتسمى فيه بحج الآباء الأعلام ويشرب فيه الخمر جهارا ويلبس أبناء البلاد عارا وشنارا وتكون الملابس الفرنجية وتزول من لرؤس الحمية فردوا عليه هارثين وسمعوا له ساخرين وقالوا والله انك لست من السياسيين ثم عملوا أفراحهم وأولوا ولائهم ودخل الخمر في البلاد وقلدوا الفرنجة في العادات ومشى في الشوارع الشبان مع العادات جهارا وهم يظهرون العصيان نهارا واستدان المسلمون وظهر الربا وهجرت مدارس الاسلام وعمرت مدارس الأسبان وأدخلوا في عقولهم تحقير أسلافهم وسقوهم الخمر وهم غافلون حتى ان راهبا أسبانيا كان يعلم التلاميذ في قرطبة اشترى عندها جميعه وحلف ألا يبيعه الا لأبنائه وتلاميذه المسلمين حبا في رقيهم وسعيا لاسعادهم وغراما بفرحهم لانهم أحبابه المخلصون وأصدقائه الأقربون وقد كثرت لبس الحرير والترف والنعم والكسل وحب الاقربى واحتقار الآباء ودينهم وتاريخهم وهكذا حتى أزالهم الملك فرديناند والملكة ايزابله من بلاد الاندلس ورموهم في البحر بعد أن قتلوا أكثرهم ومن تنصر منهم وهم قليل جدا حقروا تنصرهم وسموهم مرتدين وزال ملكهم وهم جاهلون . هكذا نرى اليوم أبناء العرب لم يتوبوا ولم يشوبوا لرشدكم ولم يرجعوا عن غيهم والفرنجة يطاردونهم ويستعماون رؤساء الدين في مراکش وتونس والجزائر والأمراء في مصر وبلاد العرب شبكة اصيدهم وسيفا مسموما ورمحا جارحا يفدقون عليهم النعم ويفسونهم في الترف ويزجونهم في سجن الشهوات وهؤلاء هم الذين يجرون هذه الشعوب العاقلة الى الرزايا ويضعون الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في حميم الذل وفي نار الاستعباد ورؤسائهم هم المسيطرون عليهم سواء أكانوا من الشرفاء أم من الأمراء ألساء مثلا اقوم المغفلون ويكون ذلك سبب جلب الشقاء واستنزاق الثروة ونقلها الى الفرنجة بما فعل هؤلاء الشرفاء والأمراء وهم جميعا في جهنم الاستعباد مصفدون حتى اذا وقعت الواقعة وقرعت الفارعة ونزعت النازعة واقترب الوعد الحق للقصاص وقع أولئك الرؤساء في الذل كآثمهم ولات حين مناص فترلوا عن مراتبهم وأودعوا سجن المدلة والهوان يقولون - ياربنا قد كافى غفلة من هذا بل كما ظالمين -

أيها الأمراء المسلمون ويارؤساء الدين قد آن أن يلقى بعضكم حتفه - وهذا يوم مصرعكم والله قد حكم أنكم في هذه الأيام تسامون سوء العذاب جزاء ما كنتم تكسبون لبستم ملابس الظالمين وقستم بعيش الغافلين ورضيتم باذلال شعوبكم أجمعين ألم تروا الى قيصر الروس كيف كان عند المسيحيين يمثل حضرة المسيح والى كثير من الملوك كيف طردتهم أممهم وأذاتهم جيوشهم فصرعوا وهم ظالمون . هكذا عمما قريب ستقطع تلك الرؤس الظالمة الفاجرة في الأمم الاسلامية تلك الرؤس الفاسقة الفاجرة التي خضعت أمام الفرنجة ألقطعا لتلك الرؤس وموت لتلك النفوس . يا أبناء الاسلام قد تنبه الهنديون واستيقظ الروسيون وحرمت المنسوجات الفرنجية في بلاد الهند وزالت الغفلة عن كثير الا أبناء العرب . يا أبناء العرب ان الدين دينكم والمجد مجدكم وماضركم الرؤساء السوء تارة بالكيد لكم وفتح البلاد للفرنجة وتارة بكنتم العلم عن المستحقين هذا القرآن يقرأ صباحا ومساء وفيه إن المال قيام لنا وعلماؤنا قد حققوه تحقيقا وماتوا شاردة ولا واردة الا أحصوها فما بال العلماء يغفلون عن النصيحة بل ما بال العالم يبقا لأراء الجهلاء . ألم يأن للعرب وللأبناء المغاربة وسوريا والعراق وأضرابهم أن يشوبوا الى رشدهم . ألم يأن لرجال مصر أن يعلموا نساءهم أن الملابس الأوروبية خربت ديارهم وجعلت الأغلال في أعناقهم ألم يعلموا أن هناك حركة سرية مدبرة لاقتناص الأموال وفساد العائلات وان هناك خائطات فرنجيات يخطن الملابس للغايات ويدبرن المكائد للنساء ويمتد عن كل يوم بدعة جديدة فيغيرن الطراز في يوم أو بعض يوم ويبطلن عادة ويجددن أخرى والرجال غافلون والأمراء نائمون بل راضون وكل حزب بما لديهم فرحون وريع الأتبان ونقود الموظفين والتجار جميعها في هذا السبيل مصروفة فذل العزيز وعز الذليل وتقربت أشرف السيدات أصلا وأعرفهن مجدا وأعلاهن

فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ * تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ *

يقول الله تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) والمراد المتوارثون بالقرابة ثم أبدل من قوله مما ترك وقالوا (مما قل منه أو أكثر) حال كونه (نصيبا مفروضا) * روى أن أوس بن الصامت الأنصاري خلف زوجته أم حكة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة مبراته عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والأطفال وقالوا انما يرث من يحارب ويذهب عن الحوزة فجاءت أم حكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت إليه فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله سبحانه وتعالى فنزلت فبعت إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى نزل قوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم) فأعطى أم حكة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم

ولما كانت آية الميراث تمنع كثيرا من قرابة الميت وغيرهم فلاشئ لهم في الميراث وكان الاسلام هو الذي جاء بنشر المعروف والفضل بين الناس على القاعدة المذكورة أول السورة من اتحاد الناس وتعاونهم والمجموع لا يصلح الاصلاح أفراده المتضامنين كأعضاء الجسد الواحد - نزلت الآية الحاضرة على اعطاء من لم تعطه آيات الميراث الآية نعيما للفضل وتحقيقا للتسامح واصلاحا للمجموع وذلك الآية هي (واذا حضر القسمة أولوا القربى) ممن لا يرثون من الميت (واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا) بان يدعوا لهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمتنوا عليهم * يقول فأعطوهم شيئا من المقسوم وجوبا على مذهب أبي موسى الأشعري وابراهيم النخعي والشعبي والزهرى ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير فهؤلاء كانوا يعطون من حضر شيئا من التركة * وروى أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قسم ميراث أبيه وعائشة حبة فلم يترك في الدار أحدا الا أعطاه وتلاه هذه الآية * قال الفخر الرازي فهذا تفصيل قول من قال بأن هذا الحكم نبت على سبيل الوجوب أما المذهب المتعارف بين الفقهاء فليس فيه الا التنبه للورثة الكبار أما الورثة الصغار فيكتفى بقول المعروف عنهم وعلى الوجوب روى محمد بن سيرين أن عبيدة السلماني قسم أموال أيتام فأمر بشاة قد بحت وصاقت طعاما لأجل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالي وهذا القول وان لم يكن معمولاً به عند أكثر الفقهاء هو الأحرى بهذه الأمة اليوم رجوعا بالأحكام الى ظواهر القرآن وإلى آراء الصحابة والتابعين وهم أعلم بالقرآن والمسلمون اليوم أحوج لاتباع ظواهر الكتاب ولما فرغ من الكلام فيمن حضر القسمة من هذه الطوائف رجع إلى الكلام في اليتامى فحذر أوصيائهم قائلا (وابخش) الأولياء (الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم) فليضعوا بأولاد غيرهم ما يفعلون بأولادهم من البر والشفقة والرعاية وحفظ الأموال والترية الصادقة وتعليمهم العلم وادخالهم المدارس وتعليمهم الصناعات هذا هو الواجب عليهم

(فليستقوا الله) في أمر اليتامى بفعل ما تقدم (وليقلوا قولا سديدا) مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب والتعليم مع الاخلاص ثم أنذر الظالمين من الأوصياء لليتامى فقال (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) ظالمين (انما يأكلون في بطونهم) ملء بطونهم (نارا) ما يجر الى النار ويؤول اليها * عن أبي بردة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج أفواههم نارا فقليل من هم فقال ألم تر أن الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا (وسيلون سعيرا) نارا موقدة مسعرة وانما ذكر أكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام ومعناه أن أكل مال اليتيم ظلما يفضي به الى النار وخص الأكل بالدكر مع أن جميع الآلاف مثله لان الأكل معظم المقصود * وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أمرى به قال نظرت فإذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا * فيها هو ذا ذكر الميراث إجمالا وأن الرجال والنساء لهم نصيب منه وكذلك الأقارب الذين لم يذكر في الآية الآتية والمساكين واليتامى لهم بعض الحقوق واليتامى الذين لهم وصى عليه أن يكون أبا لهم وأن يعاملهم معاملة أبنائه * ثم حذرهم العقاب في جهنم اذا فرطوا * ثم أخذ يبين أصحاب التركات من الورثة فقال (يوصيكم الله في أولادكم) يأمركم ويعهد اليكم في شأن ميراث أولادكم ثم فصله فقال (للذكر مثل حظ الأنثيين) أى يعد كل واحد باثنتين حيث اجتمع الصنفان (فان كن نساء) أى فان كان الأولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر (فوق اثنتين) أى زائدات على اثنتين (فلهن ثلثا ما ترك) المتوفى منكم (وان كانت واحدة فلها النصف) أى وان كانت المولودة واحدة والاثنتان حكمهما حكم ما فوقهما فلهما الثلثان عند أكثر العلماء (ولأبويه) أى أبوى الميت (لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له) للميت (ولد) ذكر أو أنثى ولكن الأب يأخذ السدس مع الأنثى بالفريضة وما بقي من ذوى الفروض بالتعصيب (فان لم يكن له) يعنى للميت (ولد وورثه أبواه فلائمه الثلث) يعنى ان الميت اذا مات عن أبوين وليس له وارث سواهما فان الأم تأخذ الثلث بالفرض وتأخذ الأب الباقي بالفرض والتعصيب فيكون إذن المال بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين * ولما اعتبر الشرع أن لها نصف المالا لأب وجب أن يعتبر ذلك فيما لو كان معهما أحد الزوجين فيعطيان الباقي هكذا أى يكون لها ثلث ما بقي بعدما يأخذه أحد الزوجين خلافا لابن عباس حيث يعطيها ثلث المال كله فتفضل الأنثى على الذكر أى تفضل الأم على الأب وهو خلاف وضع الشرع (فان كان له إخوة) ذكورا كانوا أو إناثا (فلائمه السدس) أى فلائمه الميت اذا كان معها أب والمراد بالإخوة الذين يردونها من الثلث الى السدس ما زاد عن الواحد وهو قول كثير من الصحابة كعمر وعثمان وعلى والجمهور فاذا مات رجل عن أبوين وأخوين فللام السدس والباقي وهو خمسة أسداس للأب سدس بالفريضة والباقي بالتعصيب ولائمه للإخوة فكأنهم محجوبوا أمهم ورد السدس لأبيهم الذى كان هو لأئمه ينفق عليهم * ثم قال سبحانه هذه الأنصبة للورثة (من بعد وصية يوصى بها أو دين) ثم قال سبحانه (أبائكم وأبنائكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) يقول أبائكم وأبنائكم يعنى الذين يرثونكم لاتعلمون أيهم أنفع لكم فى الدين والدنيا فرى بما ظن الانسان أن أباه أنفع فأعطاه أكثر أو عكس القضية فأعطى الابن فأنه تولى أمركم ودبر لكم ما فيه المصلحة ولو وكله اليكم لتجبرتم فلاتعلمون لمن تعطون ومن تمنعون ثم قال فرض ذلك (فريضة من الله) وهذا مصدر مؤكد (ان الله كان عليما) بالمصالح والرتب (حكما) فى قسمة الميراث (ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن) والمراد بالولد الوارث من بطنها أو من صلب بنيتها أو بنى بنيتها وان سفل ذكرا كان أو أنثى منكم أو من غيركم (من بعد وصية يوصى بها أو دين ولفن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلن الثمن مما تركتم من بعد وصية يوصى بها أو دين) فللرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة

كما في النسب وكما في الابوة في مسألة الأب والأم ان لم يكن إخوة وإنما يستثنى أولاد الأم كما سيأتي والمعققة وتستوى الواحدة والعدد منهم في الربع والثلث (وان كان رجل يورث) الجملة صفة رجل (كالدلة) خبر كان وهو من لم يخلف ولداً ولا ولداً فهي قرابة ليست من جهة الوالد والولد والدلة في الأصل مصدر بمعنى الكلال قال الأعشى

فأليت لا أرثي لها من كدلة • ولا من جوى حتى نلاق محمداً

فاستعيرت لقرابة ليست بالعضية ثم وصف بها الموروث والوارث أي ذا كدلة (أو امرأة) عطف على رجل وله أخ أو أخت) ومثله المرأة والمراد بالأخ والأخت هنا من الأم المذكورة وفي قراءة أبي وسعد بن مالك - وله أخ أو أخت من الأم - وجواب الشرط قوله (فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) سوى بين الذكر والأنثى في القسمة • واعلم أن مقتضى الآية أن لا يرثوا مع الأم والجدة فجاء الاجماع وخصص المفهوم ببرائهم مع الأم ومع الجدة وقد أجمع العلماء على أنهم شركاء في الثلث اذا كانوا اثنين فصاعداً والذكر كالأنثى وقوله (من بعد وصية يوصي بها أو دين) مفهوم (غير مضار) لورثته بالزيادة على الثلث في الوصية أو بنفس الوصية بأن يقصد المضارة بها لأوجه الله أو بالاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصي وقوله (وصية من الله) مصدر مؤكد (والله عليم) بالضرر وغيره (حليم) لا يعاجل بعقوبته • ثم أشار الى الأحكام المذكورة فقال (تلك حدود الله) شرائعه التي هي كالحدود المحدودة (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم) ومن يعص الله ورسوله ويطع حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) هذه الآيات ظاهرة

﴿ لطيفتان ﴾

الأولى • حصر الفروض المتقدمة في جدول ليكون أقرب للفهم

الثانية • كيف تكون التعاليم الإسلامية في مستقبل الزمان

اللطيفة الأولى • اذا مات الميت وله مال يبدأ بتجهيزه من ماله ثم تقضى ديونه ان كان عليه دين ثم تنفذ وصاياه ولا يجوز أن يوصى بأكثر من الثلث لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن أبي وقاص قال الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس أخرجاه في الصحيحين فالوصية بأكثر من الثلث لا تجوز وبحل النقص عنه ولا تجوز الوصية لوارث قال صلى الله عليه وسلم ان الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر ثم ما فضل بعد الدين والوصية يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة والوارثات من النساء سبع ومنهم من لا يحجب بالحرمان نحو الابوين والولدين والزوجين والورثة أصناف صنف يرث بالفرض كالزوجين والبنات وقسم يرث بالتعصيب كالبنين والاخوة وقسم يرث بالتعصيب تارة والفرض أخرى كالأب والجدة وقد عرفت أصحاب الفروض في الآيات فأما العصة فهي اسم لكل من يأخذ المال جميعه اذا انفرد كالأب والابن ويأخذ ما فضل عن أصحاب الفروض وأسباب الميراث النسب والنكاح والولاء كولاية المعتق فان المعتق وعصبته يرثون المعتق بالفتح والكافر لا يرث المسلم والمسلم لا يرث الكافر وهكذا القاتل لا يرث المقتول عمداً كان القتل أَوْ خطأ

﴿ همة علماء الاسلام في علم الفرائض المستخرج من هذه الآيات وأمثالها ﴾

تعجب أيها الذكي في امرأة الاسلام وعلماء الاسلام وانظر كيف سلكوا سبلاً وذلوا طرقاً وعبدوها فأصبحنا نهجها ولا ندرى كيف سلكوها - آياتها أنت ذا تقرؤها أمامك في هذا هذا التفسير وفي المصاحف سهلة واضحة فما أسهل أن يفهم الانسان أن البنت لها نصف الابن هذه أمور سهلة ولكن الدين وان جاء سهلاً يحمل متبعيه على البحث والتفتيش في الامرار التي ينطوي عليها هذا السهل • انظر رعاك الله هذه الآيات

الواضحات وتأمل كيف أحوجت آباءنا إلى تدوين علم يسمى علم الفرائض أدخلوه ضمن علم الفقه وأبأنوا العصبية وذوى الفروض وأصحاب الثلث والنصف والسدس والثلث وكيف يحجب أحدهم الآخر فدخلوا في بحر لجي وتغلغلوا في المسائل فبعد أن تراها في القرآن واضحة سهلة لا عوج فيها ولا أمتا نرى علم الفرائض عويضا شديدا المراس صعبا الأعلى ذوى الجهد والاجتهاد . ولما كانت التركات يعوزها نوع من الحساب جاسوا خلال العلوم وبحثوا في الفنون وجدوا في المسير حتى استنبطوا حسابا للفرائض واشتقوه من علم الحساب العام وعلم الحساب العام مشتق من علم الارتماطيقى أى علم خواص الاعداد فيا عجب كل العجب لهؤلاء الاعلام غاصوا في بحار العلوم فاستخرجوا در الحساب وحلوا به مسائل الفرائض ليسهل لهم قسمة التركات وحفظ نظام الاسرات وايفاء حقوق الابناء والبنات ضربوا في كل علم بسهم ومدوا أيديهم إلى فرع من فروع العلم الرياضى الذى هو أحد أقسام علم الفلسفة الشاملة لسائر العلوم فجذبوه حتى استظلت به سهام التركات وانتظمت بها الأسرات فها أنذا أبين لك نموذجاً لما صنعوا حتى تقرأ في هذا التفسير صفوة علم الفرائض أولاً وفروع علم الحساب ثانياً لتكون على بينة من أمر امتك وأجدادك وعلمائهم وكيف كانوا بعيدى النظر واسعى الفكر فاستعانوا بالعلوم على الاستنباط من القرآن ولم يدخروا وسعاً في استنباط العلوم واستخدام ما يحتاجون اليه من علوم الحكمة العامة وكيف مات المتأخرون وجهلوا سائر العلوم واقتصروا على علم الفقه جهالة وخسة وقصر نظر وإذا قرؤا الفرائض تلقفوا حسابها جمعاً وضرباً وطرحاً وقسمة وهم لا يعلمون من أين هذا العلم ومن فروع أى العلوم هو ويجهلون أن آباءهم قد عرفوا العلوم الحكمية وهم الذين اصطفوا هذا الفرع من الحساب العام الألساء مثلاً القوم الجاهلون . ولكنى أقول لك لا تحزن ولا تأسف وأبشر فإن للنهضة الاسلامية بشائر هذا أوانها ولرق الشرق زمانا هو مائحن فيه . واعلم أن المفكرين في الاسلام اليوم أخذوا فعلاً ينسجون على منوال الأوائل ودليلك على ذلك ما في هذا التفسير فقل للآباء ناموا قريرى العين واعلموا أننا اليوم أخذنا ننسج على منوالكم فلئن خدمتم الأمة بالعلوم ودقوتم في الفقه حساباً استخلصوه من علم الحساب فنحن نقول

لسنا وإن أحسابنا كرمت * يوما على الآباء نتكل

نبني كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

قد خدموا أمة الاسلام في الأحكام الشرعية لحفظ كيان الامة فحق علينا أن نبين من الآيات العلوم الكونية حتى يلتحق الشرقى بالغربى

يا أمة الاسلام آيات معدودات في الفرائض اجتذبت فرعا من علم الرياضيات فما بالكم أيها الناس بسبعائة آية فيها عجائب الدنيا كلها الله أكبر جلّ العلم وجلت الحكمة . هذا زمان العلوم هذا زمان ظهور نور الاسلام هذا زمان رقيه . ياليت شعرى لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا في آيات الميراث . ولكنى أقول الحمد لله الحمد لله انك تقرأ في هذا التفسير خلاصات من العلوم ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض لأنه فرض كفاية فأما هذه فانها لازدياد في معرفة الله وهى فرض عين على كل قادر كما هو مقرر في باب الشكر للإمام الغزالي وهى نفس علم التوحيد الحقيقى والمعرفة والشكر يكونان على كل امرئ بقدر طاقته . إن هذه العلوم التى أدخلناها في تفسير القرآن هى التى أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء في الاسلام فهذا زمان الانقلاب وظهور الحقائق والله يهتدى من يشاء الى سواء الصراط . إذا عرفت هذا فهالك ما وعدتك به من خلاصة علم الفرائض ثم أتبعه بذكر فروع علم الحساب لتعرف كيف كان جد آباؤنا الا كابر في علوم الدين

(خلاصة علم الفرائض)

اعلم أن أقرب طريق لمعرفة الفرائض الميراثية ما دبحه العلامة ابن الهيثم وهو جدول لطيف مشتمل على ثلاثين مربعا في النصف الأعلى ثم هو أشبه بثلاث ويمكن كل مطلع عليه عن لم يقرأ علم الميراث أن يعطى كل ذى

حق حقه في أسرع وقت إذا اطلع عليه مراعي التنبيهات التي جعلت مفتاحه وها هو ذا ملحق بالتفسير ويمكن استخراج مئات المسائل منه وهذا من نعمة الله التي أفاضها على قلوب الفضلاء من هذه الأمة انتهى وإذا عرفت خلاصة من علم الفرائض من الجدول الملحق فهناك فروع الحساب المستنبطة من علم الخواص العددية

علم الحساب العام وهو علم بقواعد يعرف بها طرق استخراج المجهولات العددية من المعلومات المخصوصة وله تسعة فروع

(١) علم حساب الهواء وهو الذي به يعرف حساب الأموال العظيمة في الخيال بلا كتابة
(٢) وعلم حساب التخت والميل وهو العلم المشهور في مدارس الشرق والغرب الآن المكتوب بالأرقام الهندية المعروفة المرتبة ترتيباً يدل على الآحاد والعشرات والمئات الخ

(٣) وعلم الجبر والمقابلة وهو معروف

(٤) وعلم حساب الخطأين وله طرق مخصوصة مختصرة يتعرف بها المجهول

(٥) وعلم الدرهم والدينار وهو العلم الذي يعرف به من المسائل ما لا يعرف بالجبر

(٦) وعلم حساب العقود أي عقود الأصابع ولهم طرق في استخراج المجهول بها وهو ينفع لمن لا يحسن الكتابة ولمن كان مسافراً الخ

(٧) وعلم التعابي وهو الذي به يعرف ترتيب العساكر في الحروب

(٨) وعلم حساب النجوم الذي به يعرف حساب الدرج والدقائق والثواني وهكذا

(٩) وعلم حساب الفرائض وهو الذي نحن بصدد به يعرف قسمة التركات مثل تصحيح السهام لدى الفروض إذا تعددت وانكسرت أو زادت الفروض على المال وهذا حساب جزئي باعتبار أحكام الفقه انتهى

هذه هي الفروع التي تفرعت من علم الحساب وطبقها قدماءنا على فروع الحياة فالمجاهدون اتخذوا علم التعابي وعلما الفرائض علم حسابهم والتجار في الأسفار علم حساب العقود ورجال الدواوين علم التخت والميل هذه أعمال آبائنا وهانحن أولاء في القرن الرابع عشر الهجري نحذو حذوهم في سائر أعمال الحياة ونذكر خلاصة علوم الشرق وعلوم الغرب وعجائب صنع الله عز وجل وهي التي بها قامت المدنية الحاضرة في تفسير الآيات وقد انتشرت هذه الفكرة بين المسلمين في هذا الزمان وهم بها آخذون وهم مستبشرون الامن أكل الحسد قلوبهم من صغار الفقهاء - فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

﴿ جوهرية ﴾

قد عرفت أن آيات الميراث تبعها علم الحساب ولا جرم أن التركة لا تقسم على الوجه الأكمل إلا بمساحة الأرض إذا اشتملت عليها والمساحة من فروع الهندسة ولا بد للمساحة من علم الفلك لان علماء المساحة الراسخين يضطرون الى الاعتماد على بعض النجوم كما يضطر الملاحون لملاحظة النجوم في سير السفن هذا هو الاسلام

اللطيفة الثانية . كيف تكون التعاليم الاسلامية في مستقبل الزمان . إن مفتاح التربية المستقبلية في آية اليتامى يقول الله تعالى في هذه الآيات - وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فلينتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً -

اعلم أن الله عز وجل قد رمز في هذه الآية للتربية الحقيقية الاسلامية وسنبرز ما كمن فيها للام الاسلامية المستقبلية ليعلموا أن الله عز وجل خبا لهم كنوز العلم في القرآن ليستخرجوها وليبحثوا في نفوسهم وفي الآفاق

عما كنز فيها من الجواهر والحكم والجمال والبهاء إن النفوس الانسانية كبحر لجسى وكل من الناس لا ينال من خبايا نفسه وجواهرها الا ما قصده ولا يستمتع الا بما أراد ويبقى ما كمن في الأنفس ملقى فيها لا يجد من يشيره ويستفيع به . ألا فليعلم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها أن هذه الآية تدعو حثيثا الى استخراج جمال النفوس وجواهر الحكم من غورها

فاعلم أيها الذكى أن التعاليم في هذا العالم الانسانى على قسمين تعاليم بالارهاب وتعاليم بالرغبة والوجدان فأما تعاليم الارهاب فهى التى يسلكها الانسان فى معاملته مع الصبيان والجهال وأصحاب النفوس الضعيفة التى لم تستخرج كنوزها كما ترى أن البلور ترسم فيه الصور بلا صقل ولا تعب فأما الحديد فلا يقبل الصور الا بعد العناء فى صقله والتعب فى تحسينه حتى يقبل الصور كما يقبلها البلور وفى الحديث * الناس معادن كمدادن الذهب والفضة فخيركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام * فتفطن لما يلقى عليك أيها الذكى اليوم من جواهر هذه الآية الواردة فى الأيتام وفى الحكم المستودعة فيها . لقد أرشد الله الأوصياء قائلا - وليخش الذين لو تركوا من خلفهم - الخ

يقول أيها الناس انى قد جعلت الرحمة والشفقة والعطف والحنان من الغرائز الممنوحة لأهل الأرض قاطبة فقتشوا أيها الناس فى قلوبكم وانظروا بعيونكم هل ترون الارحة ممتزجة بنفوسكم واشفاقا فى قلوبكم أولاترون الحيوانات من الخيل والبقر والمغز والغنم بل الحيوانات المفترسة أودعت فى قلوبها رحمة على أبناء جنسها عامة وعلى أولادها خاصة وأنا الذى حكمت عليها أن تأكل الأنعام لحكمة دبرتها وغاية يعرفها الحكماء وأكابر العلماء فأى امرئ منكم لم ير فى نفسه ميلا واشفاقا على الضعفاء والمساكين والأرامل والأيتام ولو أن المرء خلى وغربزته الأولية لا يقن أن العطف الذى على ولده الصغير هو العطف الذى يحبه على جميع الضعفاء ومن دفن تلك الرحمة وأسدل الستار عليها وغطاها بحجب الشهوات تارة والعدوان أخرى . فن طمع فى مال غيره من الضعفاء كالدول الكبيرة فان هذا الطمع يسدل الحجب على تلك الغرائز الشريفة فيسترها كما ستر الرحمة التى فى الآساد للبهائم ما طبعت عليه من الافتراس العارض لها

﴿ المحبة والكهرباء ﴾

ألا وان المحبة والمجد والعطف كامنات فى النفوس ككون الكهرباء فى الأجسام أيها الناس ان المحبة والمجد كامنان فى نفوسكم كما كمنت الكهرباء فى الأجسام . أولاترون أن الزجاج والراتينج أى شمع الختم اذا ذلك كل منهما بطرق مخصوصة وقرب لب السيسان مثلا من الزجاج جذبته اليه وضمه ثم فتر منه وطرده فاذا قربناه من الراتينج المدلوك جذبته اليه والتزق به ثم طرده فاذا أرجعناه للزجاج قبله وهكذا وهذه التجربة البسيطة الصغيرة أوجدت قسمين كهرباء سميت موجبة وهى الزجاجية وكهرباء سميت سالبة وهى الراتينجية وجميع الكهرباء فى الهواء والماء والسحاب والمعادن لا تعدو هذين القسمين وهذه هى التى لما كشفها الناس حلتهم وأطعمتهم وكستهم وحرثت أرضهم وفعلت عجائب لم تخطر ببالهم واذا كانت هذه المادة مخلوقة لكم وفيها هذا السر النافع العجيب أفلا تكون أنفسكم أصدق محكا وأعظم مقاسا وأنتم لو فتشتم فيها لوجدتم أن فيها ما هو فوق الكهرباء فى اسعادكم ورفيقكم وتشديد مجدكم انظروا أيها الناس ألم تكن الأعمال الجراحية تعمل لكم وأنتم متألمون أشد الآلام ألم تستطيعوا أن تأتوا بمختر يسهل العمل ويقلل الألم ويدفعه عنكم هذا مثل مما وصلتم اليه

﴿ الترغيب والترهيب فى الآيات ﴾

هكذا أنتم تقومون بالأعمال إما طوعا وإما كرها كالأوصياء هنا فان الله قال لهم فقتشوا ضمائركم وانظروا فى نفوسكم ألستم تعاملون أبناءكم برحمة ومودة وعطف وشفقة فهكذا عاملوا الأيتام واحفظوا لهم أموالهم

كأبنائكم وهذه الآية يراد منها إنارة العواطف الكامنة في النفوس التي مبدؤها الرحمة وغايتها سعادة الضمير بما يرى منقوشا فيه من صور الاحسان وما يسمع من الثناء من الناس وما يتصف به من جميل الاخلاق والمزايا الحسان . ولما كانت أكثر النفوس لا تعرف الا الانذار والتخويف ولا تفهم الشرف النفسى ولا اللذات العقلية أعقب الآية بالوعيد لهم بأنهم انما يأكلون النار في بطونهم وسيصلون نارا مسعرة مهددا لهم وزاجرا كأنه يقول أيها الناس ان سعادة نفوسكم بالاحسان والفضائل التي تنصرف بها النفس واذا لم تفهموا فأنا أحذركم نار جهنم بسبب أكل مال اليتيم

واعلم أن ذكر النار في هذه الآية وفي حديث الاسراء المتقدم وهو أنه يؤتى بحجر من النار فيدخل في فيه نازلا في جسمه فانما ذلك تصوير لما عليه حال الانسان الآن وان لم يحس به فان الحرص والطمع والحسد وعدم الرحمة كل ذلك مؤلم للنفوس في هذه الدنيا والناس كالتخدرين لا يشعرون فاذا ماتوا انكشفت السوات وظهرت العورات

واعلم أن الناس لا يصدقون هذا الا اذا كانوا مفكرين فتأمل أيها الذكي أليس ترى أن المال كلما زاد زاد التعب به وأن المناصب والأولاد وأمثاله لا تمنع الشرور عن الانسان بل تزيدها وأنا لا أطيل في هذا المقام فارجع اليه في سورة البقرة عند قوله تعالى - ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع - العمل للمحبة أدوم والعمل بالقهر قصير الأجل لأقدم لك مقاله النابغة الديباني لو أنها برزت لأشطر راهب * عبد الاله ضرورة متعبد لربنا ليهجتها وحسن حديثها * ونحاله رشدا وان لم يرشد وقال في هذا المعنى كثير عزة

رهبان مدين والذين عهدتهم * يسكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها * خروا لعزة ركعا وسجودا

فانظر كيف جعل النابغة وكثير أن الرهبان والعباد الذين يسكون من خشية العذاب اذا سمعوا قول معشوقتهم تركوا عبادة ربهم وأصغوا الى حديث هذه الفاتنة الجيلة . وفي هذا المعنى يقول الله تعالى - وما نرسل بالآيات الا تخويفا -

فالتعليم أيها الناس بالتخويف لا يفيد الأمم وانما نتيجة هذا البحث أن الله يحثنا أن نعلم بطرق الترغيب ونستخرج ما كمن في النفوس بما فيها من الجمال وهما اذا آت لك بصور من ذلك

الطريق الأول أن نذكر سير النابغين في علم أو عمل أو وطنية . فليذكر كل أهل قطر سير عظمائهم الذين أفادوا بلادهم بأن علمهم أو أدوا اليهم عملا شريفا أو حفظوا أوطانهم من العدو فليفقه التلاميذ ذلك فان ذلك يهيج الشعور في قلوبهم فتتملى بالحماسة ويسرون على منهج سابقهم ويقلدونهم ويعملون عملهم ان الأمم التي تنسى هذا لا محالة فاقدة مجدها آيلة الى خرابها ذاهبة الى الحضيض . هذا هو الذي يرمى اليه قوله تعالى - وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم - يريد تحريك الوجدان والشعور فلنحرك الوجدان والشعور والمجد بالطرق التي نعرفها وهذه منها

الطريق الثاني كثرة النظر في جمال الطبيعة حتى يعتاد الشاب الحسن والجمال في هذه المشاهدات المخلوقة في الأرض والسماء

الطريق الثالث أن يكون مع التلميذ مذكرة بحصى فيها ما يستحسنه مما رآه وماذمه مما مر عليه من الأمور المهمة يرجع اليها عند الحاجة فهذه الثلاثة متى اجتمعت في امرئ جعلته في مصاف العظماء ومنهج منهج الحكماء

﴿ جوهره في قابلية الناس للكمال وواجب العلماء في أمة الاسلام ﴾

الناس جميعا قابلون لهذه الفضائل العلم والقُدوة كفيلا باستخراج فضائلهم وان كانوا مختلفين اختلاف المعادن والخشب في الكهرباء فالخشب يقل مريان الكهرباء فيه والمعدن كثرت قابليته . فليقم الاساتذة في الاسلام بعلم أبرزه الله في هذه الآيات قدم الله آية الترغيب بالبحث في النفس عن الرحمة على الترهيب بأكل نار جهنم التي سترها وجودنا في حياتنا الدنيا وان كنا نحس بالآلام الحرس والطمع أحيانا . رغبتنا الله في إيقاظ العتول لنستخرج فضائلها وهذا أفضل من الترهيب . إن أمما معاصرة لنا سلكت هذه السبل فقلت القضايا كأهل سويسرا يمر الشهر ولا ترى أمام القاضي قضية ولا محاماة بل ينصرف كل الى عمله وذلك لانهم يرضعون الفضائل وحب البلاد مع اللبن يلقنونه في المهد والتربية والمدارس . لا تذكري في مراكب الترام لا تذكري في القطار . يسير الراكب ويضع الاجرة في صندوق مقفل بحيث لا يعلم أحد ماذا دفع . يارب عجب من أمة الاسلام عجب وألف عجب . الى متى . ديننا يأمرنا أن نوقظ الشعور . نحن من نوع الانسان ولنا دين الاسلام . فلم سبقنا الفرنجة من أهل سويسرا . يا الله اليك أشكوا . التعاليم في الاسلام ناقص . أبت تعليم لا يثير الفضائل . تعليم ليس فيه الا التخويف لم يمل قيد شعرة عن ذكر المخوقات والمزعجات . مع أنك أنت يا الله أنزلت في الكتاب سبع مائة وخمسين آية فيها جمال هذا العالم والنظر في الجمال يدخل في النفس صور الجمال والجمال يجذب بعضه بعضا فيجذب ما في نفوسنا من الجمال والفضائل . أمرت بالبحث في النفس في هذه الآيات عن فضائلها فافتصر أهل العلم على ذكر النار مع أن النفس الانسانية فيها مبدأ السكالم والجمال . يارب لم يعلم الناس أن القرآن فيه تعاليم كثيرة فلم يأخذوا منها الا قولا واحدا غالبا وهو عذاب الجحيم فأما الفضائل الكامنة فلم يثيروها ولم يستخرجوها بل تركوها عليها الصدا . بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم . قدأنت يا الله أن الران والصدأ اذا غطى القلب حجب صاحبه عن النعيم ودخل الجحيم فقالوا نترك المعاصي فحسب ونعمل الطاعات ولكن لم يفكروا كثيرا العلماء في جمال الطبيعة والسير الشريفة عند التعليم الا قليلا منهم مع أنهم لا يتقنونها

﴿ حكاية وبشارة بمستقبل التعاليم في الاسلام ﴾

قال لي صديق تعلم في أوروبا سنين طويلة هل يمكن أن تعم الأمانة الناس والصدق قلت له نعم فأنكر ذلك أشد الانكار قلت له فاذا برهنت على ما أقول ببرهان تشاهده في منزلكم هنا فقال يكون عجيبا قلت ألم تجد أحدا زوج أخناله جميلة لرجل وهي أجل من امرأته هو قال بلى هذا كثير قلت له أليست هذه الأخت أنتي كالاناث والطبع يميل اليها بشهوة الطبيعة قال بلى فانا نجد المجوس وهم من نوع الانسان يتزوجون بناتهم وأخواتهم قلت له حسن فالذي منع طبائع المسلمين والنصارى أن تكون كطوائع المجوس أليس هو التعاليم والبيئة . أولست نجد أن العامة والجهلاء في البلاد والقرى المصرية لا يرضون بسرقة حصر المسجد وقنديله وهم يسرقون كل شيء أفلمت ترى أن ذلك من البيئة والعادة المستقرة في احترام المساجد واحترام الأرحام بحيث يرى الشاب أن أخته كأنها مقدسة وأمه كذلك وبنته لا يخطر بباله أن يناهها بسوء . امرى ان هذا ليس من الطبيعة في شيء انما هو من التعاليم فالتعليم أيقظ في النفس فضائل أخرى أوجدها وقد كانت فيها كامنة . أفلمت ترى ما تمنع به أهل سويسرا من الأدب والفضل ونحن أهل الشرق أولى أن نناله ونحن آبائهم وأسلم منهم عقولا وأصح منهم جسوما وأقدم مدنية قال بلى أما الآن فقد آمنت بقضيتك وصدقت كلمتك قلت له أنا أشعر أن مستقبل الأمم الاسلامية سيكون على هذا المنوال ولو بعد حين وأنهم ينالون هذا النعيم في الحياة وتقل القضايا وترفع الرزايا ويقوم الوجدان بدل القانون والاحسان مقام السجان والمعرفة مقام الشر والسفه والمعاونة بدل المخاصمة . أليس هذا يشير له آيات المحرمات من النساء وكأنه يقول أنا حرمت

الأمهات والبنات حتى لم تعد لكم حاجة فيهن مع أن الطبع يقتضيهن وذلك لما أبرزتم ما كن في نفوسكم من الجية والشرف هكذا فلتنعلوا في سائر التعاليم كقضية اليتامى . أليس هذا مقتضى ما قيل لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا وما قيل لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه بالحب قامت السموات والأرض . ومن هذا السر حديث الحياء من الإيمان

فليكن كل قصدك أيها الذكي نشر المعرفة وبث السير الجميلة والقذوة الحسنة وليكن هذا من الاسلام فذلك أرقى من التهديد وليقم في البلاد مصلحون على هذا النظام وليجدد التعليم على هذا الأساس وينبذ ماعداه الا للنفوس التي هي كالخشب المسندة فأما أمثالك فليس لهم غير ائارة الجبال في نفوسهم والحسن والكمال انتهى

(المقصد الرابع)

(في صلة الذكور والانثى وأحكام اختلاطهما بعقد أو بغير عقد)

وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ ، فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا * وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذَوْهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا * إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا * وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنِ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا * وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا

مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
 كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِرِينَ غَيْرَ
 مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُأَحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا
 تَوَاضَعْتُمْ بِهِ مِنَ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا
 أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاَتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 بِإِيمَانِكُمْ ، بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَإِذِنْ أَهْلَهُنَّ وَأَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
 مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ بِنَافِحَةٍ فَعَلَيْهِنَّ
 نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ إِنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ
 وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ
 عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَبُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
 الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا *
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ
 مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا
 فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَارَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ
 عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا * وَلَا تَتَّبِعُوا مَا نَظَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى
 بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ ، وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ
 فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ
 وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا * الرِّجَالُ
 قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَتَّفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ
 قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِنَفْسِهِنَّ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ، وَاللَّاتِي تَخَاضِعْنَ أَشْوَارَهُنَّ ، فَظُهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي
 الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْتَغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا *
 وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَتَكْمَلُ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ

اللَّهُ يَنْتَهِمَا، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا *

في هذا المقصد ثلاثة فصول

الفصل الأول في تعدي حدود الله المذكور قبل هذا المقصد وكيف يوجب الزناة وتقطع صلتهم بالناس الى قوله - وأخذن منكم ميثاقا غليظا -

الفصل الثاني في المحرمات من النساء الى قوله - والله غفور رحيم -

الفصل الثالث في أحكام عامة للنساء وللأموال وبيان الصلح بين الزوجين الخ

﴿ الفصل الأول التفسير اللفظي ﴾

(واللاتي يأتين الفاحشة) الزنا لزيادة قبحها وشناعتها (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) فاطلبوا ممن قد فتنن أربعة من الرجال تشهد عليهن (فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت) احبسوهن في البيوت اجعلوها سجنا عليهن بعد أن يجلدن كيلا يجري ماجرى بسبب الخروج والتعرض للرجال (أو يجعل الله لهن سبيلا) بأن يتزوجن فيستغنين عن السفاح (واللذان يأتياها منكم) يعني الزاني والزانية (فاذوقا) بالتوبيخ والتقريع (فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما) فاقطعوا عنهما الإيذاء وأعرضوا عنهما بالأغماض والستر (ان الله كان توابا رحيمًا) علة الأمر بالأعراض وترك المذمة والستر بعد الفضيحة . فهذه الآية لتأديب الزناة تأديبا عرفيا أخلاقيا نفسيا ومن ثبت عليه الزمانهما بquam عابه الحد وقد تحبس المرأة للآية السابقة (إنما التوبة) أي قبولها (على الله) أي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بهتضي وعده من تاب عليه اذا قبل بوبته (للذين يعملون السوء بجهالة) متلبسين بها سفها لأن المذنب سفيه (ثم يتوبون من قريب) أي من زمان قريب أي قبل حضور الموت لقول الله تعالى - حتى اذا حضر أحدكم الموت - ولقوله عليه الصلاة والسلام * إن الله يقبل توبة عبده ولم يغفر * ومن للتبعض أي في أي جزء من أجزاء الزمان القريب أي الذي هو ما قبل أن ينزل بهم الموت (فأولئك يتوب الله عليهم) وعد بالوفاء بما وعده وكتب على نفسه بقوله - إنما التوبة على الله - (وكان الله عليما) باخلاصهم في التوبة (حكيمًا) والحكيم لا يعاقب التائب (وايست التوبة للذين) الى قوله (ولا الذين يموتون وهم كفار) فيه نسوية من لم يتب حتى يغفر بالميت كافرا في أن كلا منهما لا يعتد بتوبته تغليظا على من أخر التوبة وتشديدا عليه حتى جعل لمن مات كافرا (أعتدنا لهم) أي هياتنا لهم وأعدنا (عذابا أليما) أي الذين آمنوا لا يحمل لكم أن تروا النساء كرها) كان الرجل اذا مات وله عصبة ألقى توبه على امرأته وقال أنا حق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الأول وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها وان شاء منعها من الزواج حتى تفقدى بما ورثت من زوجها (ولا تعضلوهن) أيها الأزواج لا تحبسوا النساء من غير حاجة ورغبة حتى تروا منهن أو يختلن بهورهن وأصل العضل التضيق فيقال عضلت الدجاجة بيضتها يقول ولا تحبسوهن لتضيقوا عليهن لعله (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف (وعاشروهن بالمعروف) بالانصاف في الفعل والاجال في القول (فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) أي فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فالنفس قد تكره ما هو خير كثير وقد تحب ما هو شر (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) تطليق امرأة وتزوج أخرى (وأنتم إحداهن قنطارا) أي إحدى الزوجات مالا كثيرا (فلا تأخذوا منه) من القنطار (شيئا) أي تأخذونه بهتاننا وإنما مبينا) لأجل البهتان والاشتم أو باهتين آثمين وهو استفهام توبيخ وإنكار ثم قال منكر لا سترداد المهر (وكيف تأخذونه) (و) الحال انه (قد أفضى بعضكم الى بعض) باللامسة ودخلهم بها وتقرر المهر (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة وميثاق الله الذي أخذه عليكم في شأنهن من قوله تعالى - فامسك

بمعروف أو تصريح باحسان - ومن قول النبي صلى الله عليه وسلم * أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * انتهى التفسير اللفظي

يقول الله تعالى إذا أتى الفاحشة النساء وشهد أربعة عليهن وأقيم الخد عليهن فاحبسوهن في البيوت إذا رأيتم أن الحد لم يزرهن حتى يجعل الله لمن سبيلا بالترجيع المغنى لمن عن السفاح وكذلك إذا درى عنهن الحد لشبهة . وإنما فرر حبس المرأة لأنها لا تكون الفاحشة معها إلا إذا كانت خارجة السجن فأما الرجل فلا يحبس لأنه يقوم بأمور المعاش . وعلى الحاكم أن يأمر بتقريعهما وتوبيخهما والايذاء حتى إذا تابا ورجعا يغفوعنهما وهذا التقريع والتوبيخ لمن شهد عليه شاهدان فلم يقم عليه الحد أو ثلاثة شهود أو كان أربعة شهود ودرى الحد عن المتهم حينئذ لابد من التقريع والتوبيخ فإذا تاب كل منهما بطل التقريع لأن الله يتوب على من تاب توبة مقبولة ما لم تكن في حال الاحتضار . ولما أتم الكلام على عقاب الزناة وحبس الزانيات وايذاء الجنسيتين لفعل القبيح أخذ يوصي الرجل عليهن ويقول أيها الرجال لا تزنوا النساء كرها كما تزنون المتاع إن الميت له ماله والزوجة انحل عقد النكاح بموتها وليست ملكا له حتى يملكها أقاربه فأياكم أن تمنعوها عن زواج أو تأخذوا منها مالا أو تمنعوها مبرانا في مقابلة إطلاق سراحها وعليكم أيها الأزواج أن لا تجعلوا العيش معهن لغاية مالية وفائدة لكم مضارة لها بأن تأخذوا بذلك بعض ما أخذن من المهر وأنتم تترصون موتهن فتزنونهن وإياكم أن تفعلوا ذلك إلا إذا أظهرن عدم العفة وعاملنكم معاملة جائزة بنشوز وسوء عشرة حينئذ لكم عضلهن والتضييق عليهن وعامروهن أيها الأزواج بالمعروف ولا تطيعوا أهواءكم في كراهتهن فرب مكرهه كان خيرا كثيرا ورب محبوب كان شرا مستطيلا . أقول ومن قرأ ما ذكرناه في سورة البقرة عند قوله تعالى - وبشر الصابرين الخ - عرف فوائد المكروه وأن الحياة لاسعادة فيها إلا بالمشاق والمكاره فلا تطيل به هنا فارجع اليه ليظهر معنى هذه الآية ثم قال وإذا أعطيتوهن شيئا فأياكم الرجوع فيه ولو كان قنطارا وكيف ترجعون في العطية وقد بذلتموها وتردون الهدية وقد أوليتوهن وليس من المروءة استردادها ولامن الشهامة إرجاعها بعدما كان بينكما من الصفاء والمحبة والوفاء إن هذا الشين مبين وظلم عظيم

﴿ جوهرة من جواهر القرآن في التربية في مستقبل الاسلام ﴾

تعجب أيها الذكي من نوادر القرآن وغرائبه وأعجب معى هذه الأضواء الساطعة في سماء العلم التي أشرقت في ثنایا سطور هذا التفسير باليت شعري هل يقرأ ما أكتب المسلمون وهل يجيبون معى فيما أقول انظروا أيها العلماء انظروا أيها الأمراء فكروا أيها الحكماء في معنى هذه الآيات يقول من قبل آيات - وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية الخ - ولقد شرحناها هناك ويقول هنا - واللذان يأتیانها منكم فأذوهما - ويقول في آية أخرى - الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله -

هذه أنواع ثلاثة من أنواع التربية قد سطرها القرآن والمسلمون عن الأنفس والآفاق لاهون نائمون ولقد يكتفى أكثر العقلاء والعلماء بالأحكام الفقهية والبيوع الشرعية والقضايا الميراثية وهم عن حقائقه معرضون فمثل هذه الآيات ينظر فيها العالم الى الخلاف الذي بين العلماء فمن قائل ان آية - واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم - منسوخة ومن قائل انها في اللاتي يأتين السحاق مع بعضهن وفي الثانية وهي - واللذان يأتیانها منكم - قالت طائفة انها في المواط وقالت طائفة أخرى انها في الزناة وقد نسخت . ولقد اصطفت لك اللب من كلام العلماء ونبت القشر وفسرت الآية بما ينطبق على قول بعض المفسرين مراعييا الفوائد العلمية والمجانب النفسية والأخلاق الانسانية والطبائع البشرية

إن القرآن نزل منذ أربع وأربعين وثلاثمائة وألف سنة وهذه الآيات تقرأ والناس مصروفون عنها وعن أمثالها بأمرين الأول أن يكتفوا بأقوال الأئمة رضوان الله عليهم أجمعين في الحدود والبيع وما أشبهها ويقولون قد تم الأمر فلا حاجة لبحت ولا تنقيب اللهم إلا الاطلاع على آراء العلماء في هذه الآيات ويكون ذلك مجرد اطلاع الثاني أن يتركوا القراءة ويعبدوا الله بالتلاوة وهذا الأمران هما اللذان أصبحا حجبا بين المسلمين وبين القرآن . وهما إذا أرد أن يرفع الحجاب ويظهر الباب ويطلع الناس على جلال القرآن وعجائبه مع اتقاء مخالفة الأولين والجنوح في التفسير إلى رأى من آراء السابقين حتى لا نكون مبتدعين في التفسير ولا مخالفين المتقدمين فاصغ لما أنزل عليك من جلال التربية الإسلامية من هذه الآيات . ولأقدم مقدمة فأقول

اعلم أن العوالم المشاهدة لا تخلو من واحدة من ثلاث أحوال إما أن تكون مضيئة كالنار والشموس وإما أن تكون معتمة كالمواد الأرضية من الحجر والشجر والطين وإما أن تكون شفافة كالماء والهواء والبلور والزجاج المصنوع من الرمل المخروط بالمغنيسيا والقلبي فالأول ما يضيء على غيره والثالث ما يقبل الضوء والظلمة ولا يحجبهما عما وراءه والثاني ما يحجب النور عما وراءه

إذا عرفت هذه المقدمة فاعلم أن النفوس البشرية ثلاثة أقسام قسم مضى وقسم مشف وقسم معتم فالأول هم أصحاب النفوس الشريفة فهؤلاء بمنعهم عن الرذائل انشراق نفوسهم فتقبل لهم - وليخش الذين لو تركوا الخ - يقول انظروا بفطركم السليمة وعقولكم المضيئة في أمر اليتامى وقد قدمنا أن هذه فتح باب لتربية العقول بطرق خاصة

والثاني هم المتوسطون الذين لا قدرة لهم على الاستنتاج من أنفسهم فأمثال هؤلاء يقرعون ويخرجون باللسان ويوبخون إذا اقترفوا الذنوب كفعل الزنا سواء أقيم الحد كما في البكر أم لم يقم الحد وكانت الشهادة لم تتم بالأربعة خبيثين يوبخون ويقرعون الخ وهكذا يفتح باب التقرير والتوبيخ . وأقول ذلك ليفتح المسلمون هذا الباب وليشهر على السنة الجرائد والصحف من لم يرتدع في الدائرة التي هو فيها حتى يرجع إلى رشده يقول الله - فاذعما - والأيذاء في كل قبيل بحسبه . إن هؤلاء أشبه بالجسم الشفاف وأمرى أن التأديب بهذه الطريق أقرب إلى السلامة وأبعد عن الجهالة وأسعد للأئمة وأبعث لرقى الأمم إن المرء لا يرقى إلى المعالي إلا إذا أحس بالمسؤولية ولا إحساس بها إلا بآثارة ما كمن فيها من عوامل الشرف . فلتجعل الجرائد وسيلة لتعير من يفتهمكون حمة الآداب . إن الجرائد في الأيام الحاضرة بها إقامة الحرب والسلام ونظام الأمم وتأديب الغاوين ومدح النافعين وإرشاد الضالين وهداية الغافلين فلتجعل وسيلة إلى ردع من ضل بالهوى وغوى وأعرض عن نفع الجمهور

وأما القسم الثالث فهم الذين فرغت الخيلة فيهم وعجزت الزواجر عن ردعهم فأولئك يقطعون من جسم الأمة قطعا وينبدون منها نبذا كأن يقتل القاتلون وبرجم الزانون إذا لم ندرأ الحدود بالشبهات وقامت على أعمالهم الشهادات

واعلم أن الجسم المعتم قد يقبل الصقل كالخديد فإن الخيلة تجعله يقبل صور الرقيات ويرى الإنسان وجهه كالمرآة المعالومة فهؤلاء الذين جعلناهم كالأجسام المعتمة يمكن صقلهم بالعلوم فإن لم ينجع فيهم القول سلنا عليهم سيفا قاطعا وفصلنا أرواحهم عن الأجسام فزاروا الرموس بعد قطع الرأس هذا هو الصراط المستقيم ولتعلم أن الله ليس يريد الانتقام وإنما هو مربى الأنام وما العقاب الا اتقاء الشرور فإذا أثبت حجة النفوس بالمباحث العلمية الجميلة وتواصى الناس بالحق في معاملة أولئك الجناة فنبذوهم ظهريا وتركوهم كما ترى في قصة الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت في عشرات الأيام وستقرؤها في سورة التوبة فقد هجرهم الرسول والمؤمنون ولم يعف عنهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ونزلت الآية بالعفو عنهم هكذا

فعل الله في سياسته مع المتخلفين فقوله هذا فاذوها فتح هذا الباب ومن تاب بالتقريع وصالح فليعف عنه وليعامل معاملة الصالحين هذا هو السر الذي أردت اظهاره لتقرأه للمسلمين وتشرحه للمخلصين

﴿ الفصل الثاني ﴾

(ولا تذكروا ما نكح آبؤكم) أي التي نكحها آبؤكم وبينه بقوله (من النساء الاما قد سلف) استثناء من المعنى كأنه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آبؤكم الاما قد سلف قبل التحريم . روى أنه لما توفي أبوقيس وكان من صالحى أنصار خطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت انى اتخذتك ولدا وأنت من صالحى قومك ولكنى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأستأمره فأنته فأخبرته فنزلت هذه الآية وحرم نكاح زوجة الأب (انه كان فاحشة) أقبح المعاصى (ومقتنا) يورث أشد الغضب من الله وغاية الخزي والعار (وساء سبيلا) وبئس ذلك طريقا . رجع في هذا المقام الى تقبيح المعاصى والذنوب بالتقبيح والتشنيع والذم وهذا هو الذى يستتبعه الأمة الاسلامية للطبقة الوسطى فالذم والتشنيع ورسم صور الأشياء وعرضها على الناس فيرون قبحها بآخرة وحسنها أخرى هو الذى يستخرج من نفوس الأمم ما كمن فيها من الاستحسان والاستقباح كما قدمناه في قوله تعالى - والاذان يأتيناها منكم فاذوها - وهنا يقول - فاحشة ومقتا وساء سبيلا - كل هذا للتنفير من الذنب وكان يكفى أن يقول إني أعذبه بجهنم وأسلط عليه أنواع العذاب في الآخرة لم يقل هذا بل استعمل التشنيع والتنفير من الذم . فليفتح هذا الباب للمسلمون ولتكن المؤثرات النفسية هي محور أعمالهم كما تقدم . ولقد بلغنا هذا العهد أن المسلمين لم يكثر نسلهم الا بعد أن أمر ملوكهم الأساتذة فصوروا صورتي زوجين ومعهما أبنائهما وبناتهم وأمامهما أعمال مختلفة فهذه تطبخ الطعام وهذه تحضر الأواني وهذه تدبر أمر المنزل والأبوان جالسان منشرحان وصورتي زوجين آخرين عقيمين متزوجين ضعيفين لا ولد لهما ولا بنت تعولهما ولا مؤنس لهما وعرضوا هذه الصور على نظر الجمهور فانسكبوا على الزواج وكثر نسلهم وكثر جمعهم - وذلك جزاء المفكرين العاقلين . ثم أخذ يشرح بقية المحرمات من النساء فقال (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت) أي حرم نكاحهن والأم من ولدك أو ولدت من ولدك وإن علت والبنات من ولدتها أو ولدت من ولدها وإن سفلت والأخت إمامن الأب وامامن الام واما منهما والعمة كل أنتى ولدها من ولد ذكر ولدك والخالة كل أنتى ولدها من ولد أنثى ولدك قريبا أو بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت يتناول القربى والبعدى فالمحرمات بالنسب سبع بنص الكتاب

واعلم أن كل ما حرم بالنسب يحرم بالرضاع فاذا رضعت من امرأة فقد حرمت عليك التي أرضعتك وصارت أما لك وكل بنت لها صارت أختك وزوجها أبوك وأمها جدتك وأخت زوجها عمتك وأختها هي خالتك وأم زوجها جدتك وبنات ابنتك بنت أخيك فأصبحت من أسرة الرضاعة كما أنك من أسرة النسب . ثم إن الجمهور على أن قليل الارضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وأبو حنيفة وأحمد في إحدى روايتين عنه والقليل كالشافعي وعبد الله بن الزبير وأحمد في إحدى روايتين عنه ان التحريم بخمس رضعات معلومات متفرقات وحجة الأولين أن التحريم في الآية لم يقيد بعدد وحجة الشافعي ومن معه الحديث المبين للقرآن . فأما المدة التي يحرم الرضاع فيها فهي مادون الحولين وهو رأى الجمهور ومنهم الشافعي وابن مسعود ومالك وأبو داود وقال أبو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا فهذا ملخص آراء الأئمة في قوله تعالى (وأما نكحكم الا انى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) وهذا معطوف على أمهاتكم واكتفى بالام والاخت عن ذكر الباقي وفي الحديث يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فكل بنت لها سابقة أو لاحقة فهي أخته وهكذا البقية كما تقدم . فهؤلاء أربع عشرة امرأة تحرم سبعة بالنسب وسبعة بالرضاع وانما ذكر الرضاع بعد النسب لانه لجة كل حمة النسب ويستتبعها بحرمة المصاهرة وقد تقدم منها

زوجة الاب . فاعلم أن من عقد على امرأة حرمت عليه أمها بمجرد العقد وبحرمة أم المعقود عليها تحرم جميع جداتها من قبل أمها كما في النسب والرضاع وتحريم الام ومأمعها بمجرد العقد مذهب أكثر الصحابة وجميع التابعين والجمهور وعليه العمل وقال فريق من الصحابة ان أم المرأة لا تحرم الا بالدخول بابنتها وهو مذهب زيد ابن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر وابن عباس في رواية عنه هذا ملخص ما قالوه في أم المعقود عليها . أما بنتها من رجل آخر فانها تحرم عليه متى دخل بالام وهكذا كل بنت لابنتها أو بنتها وان سفلن من النسب أو الرضاع ويدل على ذلك ما أخرجه الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أيما رجل نسكح امرأة فلا يحل له نكاح ابنتها وان لم يكن دخل بها فليمنكح ابنتها وأيما رجل نسكح امرأة فلا يحل له أن ينكح أمها دخل بها أو لم يدخل وهذا قوله تعالى عطفاً على أمهاتكم (وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) الربائب جمع ربيبة والريب ولد المرأة من رجل آخر سمى به لانه يرب به كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول ولحقته التاء لانه صار اسماً وقوله اللاتي في حجوركم مكمل لعله التحريم وكأنه قيل ان بنات نسائكم تربونهم كما تربون أولادكم وهم في حجوركم كأولادكم فقوى شبهة أولادكم فهن محرمات عليكم فذكر الحبور والتعبير بما يدل على التربية علة للتحريم لانه شرط وهذا مذهب الجمهور وأخذ سيدنا علي بن أبي طالب الآية وجعل التربية لمن شرطاً في التحريم حتى يتحقق حضنة الرجل لمن تربيتها ولا يكون التحريم الا بالنكاح الصحيح فلوزني باصراً لم تحرم عليه أمها ولا بنتها اذا أراد التزوج بهن ولا تحرم المازني بها على آباء الزاني ولا بناته فالنكاح هو الذي يحرم ما يترتب عليه وجوب الصداق والعدة وحقوق الولد سواء أكان صحيحاً أم فاسداً أما الزنا أو ليس امرأة أجنبية بشهوة أو تقييلها كذلك بشهوة فلا وهذا قول ابن عباس وسعيد بن المسيب وعزوة ابن الزبير والزهري ومالك والشافعي وقهاء الحجاز وخالفهم قوم فقال عمران بن حصين وأبو هريرة وجابر والحسن وأهل العراق بان الزنا يحرم . ومما يحرم عليه بالمصاهرة زواج أبنائه أو أبناء أولاده وان سفلوا من النسب والرضاع بمجرد العقد اذا كانوا من الصلب أما الذي تبناه فلا تحرم زوجته وكذلك أخت زوجته بنسب أو رضاع فلا يجمعها معها في نكاح ولا يجمع وطأهما في ملك يمين وكذلك اذا كانت إحداهما بعقد والأخرى بملك اليمين وهذا قوله تعالى عطفاً على أمهاتكم (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) لا المتبنين كزيد بن حارثة الآتي في سورة الأحزاب (وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف) أي لكن ما قدمضي فانه معفو عنه (وكان الله غفوراً رحيماً) فيكون نكاح الأختين في الجاهلية نافذ العقد ويختار الرجل أيهما شاء حتى لا يجمع بينهما ولا يحتاج لعقد جديد على التي اختارها . روى عن الضحاك بن فيروز عن أبيه قال قلت يا رسول الله اني أسلمت وتحتي أختان قال طلق أيتهما شئت وعطف على أمهاتكم أيضاً قوله (والمحصنات من النساء) ذوات الأزواج أحصنن الزوج وفي قراءة والمحصنات بكسر الصاد بمعنى انهن أحصنن فروجهن (الا ما ملكت أيمانكم) من اللاتي سبين وطقن أزواج كفار فهن حلال للسايبين والنكاح مرتفع بالسي . قال أبو سعيد رضي الله عنه أصبنا سبايا يوم أوطاس وطقن أزواج كفار ففكرهنا أن تقع عليهن فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم فترأت الآية فاستحللناهن قال الفرزدق

وذات حليل أنكحتهن رماحنا * حلال لمن يبنى بها لم تطلق

وقال أبو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرفع النكاح ولم تحل للسايبين ولما تم الكلام على المحرمات قال كتب الله عليكم تحريم هؤلاء (كتاب الله عليكم) ثم عطف على الفعل المضمر الذي ذكرناه قوله (وأحل لكم ما وراء ذلكم) ما سوى المحرمات المذكورة وما في معناها كالجمع بين المرأة وعمتها وخالتها وكالطهنة فلا تحل لزوجها الأول حتى تنكح زوجاً غيره ونكاح المعتدة وهكذا من المحرمات التي ورد بها القرآن أو السنة فكل هذه وغيرها تخصص هذه الآية فهذا من العام المخصوص وانما أحل ذلك (لتبغوا بأموالكم) تطلبوا بأموالكم أي تمكحوا

بصدائق وتشتروا بئمن (محضين) متزوجين ومتعففين (غير مسالحين) غير زانيين (فما استمتعتم) فمن تمتعتم به من المنكوحات (فآتوهن أجورهن) مهورهن حال كون الاجور (فريضة) مفروضة (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة) أى فيما يزا على المسمى أو يحط عنه بالتراضى (ان الله كان عليما) بالمصالح (حكما) فى شريعته وأحكامه . ثم أخذ يبين حكم من لم يقدر على نكاح الحرائر فقال

واعلم أن من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فله أن يتزوج الأمة المؤمنة وذلك بشرطين الأول أن لا يجد مهر حرة لانها غالبا غالية المهر ومهر الأمة أخف لاشتغالها بخدمة سيدها الثانى خوف الزنا عند جمع من الصحابة والشافعى وأحمد . والشرط الاول لا يقول به أبو حنيفة رضى الله عنه فيجوز للحر أن ينكح أمة وإن كان مومرا ما لم تكن عنده حليلة حرة

واعلم ان سبب منع نكاح الحر للأمة اذا كان مومرا أن الولد يتبع الام فى الرق والحرية واذا كانت هى رقيقة لسيدها فان ولدها رقيق له مثلها وهل يرضى بهذا حر وأيضا انها تكون فى خدمة سيدها فله أن يحبسها عنه فى خدمته ولا يجوز نكاح الأمة الا اذا كانت مؤمنة أما الكافرة ففيها نقصان الكفر والرق معا وفى المؤمنة الرقيقة نقص واحد وهذا رأى الشافعى ومالك وجمع من الصحابة وأما أبو حنيفة فانه أجاز نكاح الأمة المتأبىة وهذا فى قوله تعالى (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات) أى من لم يستطع منكم غنى (والمراد ما يصرف فى المهر والنفقة) يبلغ به نكاح المحصنات يعنى الحرائر (فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) يعنى الاماء المؤمنات وحل أبو حنيفة رضى الله عنه طول المحصنات على أن يملك فراشه ونكاح على الوطء وعليه يجوز للمومر الذى لا حرة فى فراشه أن يتزوج أمة كما تقدم والفتيات الجاريات المملوكة جمع فتاة والعبد نقي ولما كانت النفوس تأنف من الاماء أردفه سبحانه بأن المدار على القلوب قرب رقيقة أفضل من حرة بسبب إيمانها أو ليس الناس بعضهم من بعض فلا تفضل الا بالقلوب والنفوس فأما الرق والحرية فهما أمران جسمانيان صوريان وكمن رقيق سيد لسيدته وكمن حر هو عبد عبده فهذا قوله تعالى (والله أعلم بإيمانكم بعضهم من بعض) واذا كان كذلك (فانكحوهن باذن أهلهن) أى أربابهن (وآتوهن أجورهن) مهورهن باذن أهلهن وهو حق لسيدها لانها لا تملك وعند مالك هو حقها رجوعا لظاهر اللفظ (بالمعروف) بلا مظل ولا اضرار (محصنات) عفيفات (غير مسالحات) غير مجاهرات بالسفاح (ولا متخذات أخدان) اخلاء فى السر (فاذا أحصن) بالتزويج (فان أتيتن بهن أحشة) زنا (فعليهن نصف ما على المحصنات) الحرائر (من العذاب) من الحد الجلد اذا زني فتجلد الرقيقة خمسين جلدة وهى نصف ما تجلده الحرة وهى مائة جلدة وكذلك العبد والمتزوج منهما عقابه كذلك فلا رجم على العبد ولا الأمة لان الرجم لا ينصف (ذلك) أى نكاح الاماء (لمن خشى العنت منكم) أى لمن خاف الوقوع فى الزنا (وأن تصبروا خير) أى وصبركم على نكاح الاماء متعففين خير لكم (والله غفور رحيم) أى غفر لكم ورحمكم حيث أباح لكم ما أنتم محتاجون اليه انتهى تفسير الفصل الثانى وفيه طائفتان

اللطيفة الاولى . لتجعل المحرمات بهيمة منظمة لتسهل على القارى

اللطيفة الثانية . ما الحكمة فى الشهوات والمحرمات وماذا تفيد من الحكم الاجتماعية والخلقية والاستنتاجية وكيف نعرف من هذا المقام سر النفوس ومعجزاتها وكيف يحترق الناس بالشهوات كما يحترقون بالنيران وهم غافلون ومعجائب وبدائع من أمرار القرآن الشريف ليصل الناس لربهم ويحببون من حكمه الباهرة

اللطيفة الثالثة . سر القرآن فى تحريم زواج الأمة اذا خاف الحر الزنا وما علاقتها بالامم الاسلامية

اليوم سياسة

اللطيفة الرابعة . الأحرار والعبيد وإن بعضهم من بعض والعبرة بالأعمال

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

يحرم هؤلاء على الرجل من النسب والرضاع	هؤلاء يحرم من غير الرضاع والنسب
(١) الأم	(١) تحرم المرأة بانقضاء العدة
(٢) البنت	(٢) يحرم الجمع بين المرأة وخالها أو عمها وأختها الخ
(٣) الأخت	(٣) يحرم عليه امرأة أبيه
(٤) بنت الأخ	(٤) الملاعنة تحرم على زوجها
(٥) بنت الاخت	(٥) من عنده أربع نسوة لا يزبد عليهن
(٦) الخالة	(٦) المطلقة ثلاثا لا تحل لزوجها إلا بشروط خاصة
(٧) العمة	(٧) حليلة الابن
	(٨) الربيبة

﴿ اللطيفة الثانية الشهوة تقلب رحمة ﴾

أولعلم أن النساء بالنسبة لجميع الرجال مشتهيات لافرق بين الأجنبية والمحرم كالأخت والام فالطبيعة البشرية لافرق عند ما بين الأخت والام والخالة والأجنبية فكل عندها سواء كما في البهائم فالنفس البهيمية لا تفرق بين الأخت والأجنبية هكذا الانسان هـ والدليل على ذلك أن الجوس يزوجون بناتهم وأخواتهم ونفوسهم لأنفس ذلك اما المسلمون والنصارى وأمثالهم فإن الرجل قد تكون عنده أخت ثم ينظر للأجنبية التي هي أقل جمالا منها فنظر شهوة ولأخته نظر عطف وحنان . فهذا دليل في كل منزل على ما للنفس الانسانية من القدرة والعظمة والشرف يقول الله للناس

ها أنتم أولاء تقدرون على أن ترفعوا نفوسكم إلى مستوى الملائكة إن في نفوسكم قدرة عظيمة وعزيمة قوية الشكيمة فاستبشروا بها ذلكم انكم لم اسمعتم تحريم المحارم وعرفه الصغير منكم والكبير وصار ذلك عادة مألوفة انصرفت نفوسكم عن نظر الشهوة اليهن واستبدعتها بالحنان والتقدير والرحمة فرجعت نفوسكم بالنسبة اليهن عن صفة البهيمية الى صفة الملائكة فأما انكم مقدمات ساميات شريقات وأخواتكم وعماتكم لان في قدرتكم أن تسموا بأنفسكم الى العلا وتسموا بأرواحكم الى الملأ الأعلى . أى عبادى انما أبقيت دين الجوس لتسبوا به وليكون عنوانا لكم على أن شهوة المحرمات فيكم مثلهم وبانتعالم والمادة انقلب الشهوة محبة شريفة غاية إيدانا من الله ان في نفوسكم قدرة أن تسموا الى أشرف مصاف الكمال فاذا فكر الناس في هذا ايقنوا أنهم يقدرون على تغيير أخلاقهم والنزول عن خسائس عاداتهم فتقلب النفوس الشريرة الى الخير بالقصد والعزيمة . ان نوع الانسان مستعد للسعادة العالية على مقدار طاقته في هذه الحياة

ان احترام الام والأخت بعد أن ركزت الشهوة اليهن في الطبيعة مؤذن بأن النوع الانساني اليوم طفل في الاخلاق طفل في العلوم غرر جاهل وكأن الله يقول أيها الناس اذا كنتم في الشهوة البهيمية التي هي ألزم لكم من ظلمكم وأقوى عليكم من كل أعدائكم وهي ألد الأعداء وأعظم الداء قد سلطتكم عليها فلكتموها وأعطيتمكم قيادها فستتموها وأطفأتم نارها فاستخدمتموها فقلنا يا نار كوني بردا وسلاما فصارت ذمنا ومحبة وروانا وأعظاما واحتراما أفليس هذا دليلا أنكم على الاعتدال في المال أقدر فتقدسون ما لعبركم من الحقوق فلاغبين ولاظلم ولاامراف ولا تقترب بل يصبح المال في أيديكم كالسوء وتصبح النار المشتعلة فيكم للمال بردا وسلاما واذا كانت أملاك الشهوات لكم ذللتهموها فانتم على غيرها أقدر تدليلا وأصدق قيلا ولستكم لا تزالون أطفالا وفي الحكمة جهالا وعلى موائد العلم طفيليين فاذا شاعت الفضائل بينكم ولقتمتموها تلقين المحارم مع الابن في الرضاع انقلب الشهوة المالية حرمت انسانية وأصبحتم بقدر الامكان أيها العباد إخوانا . فلتكون فيكم بعض هذه الأخلاق

ثانياً تحريم القربيات وتزويج الأجنبية لازدياد المحبات الانسانية ولعدم فساد الاسرات وارتقاء نفوس
الشبان والشابات

ان الرجل اذا أحب محارمه على سبيل الرحمة نارة والاعظام والاجلال أخرى فما يدنس هذه المحبة أن تعثر بها
الشهوة فالشباب يحمي أخته ويقدر أمه فلوائه تزوج أخته أو خالته لأصيحنا عنده محل شهوته وقصر
نظره في المحبة على الشهوات وتكون مكانها عنده على مقدار التمتع بها ولا جرم أن ذلك يقلل من قيمة المحبة
الرحمية ولا يراعى إلا المحبة الشهوية والنفس تعود ذلك ولا تعرف سواء فيكون ذلك وبالأعلى الأرحام وتزول
تلك العاطفة الشريفة . ثم هو بزواجه أخرى من الناس قد ضم أسرة اليه فأصبح له أسرة بالنسب وأخرى
بالمصاهرة وهذه سعة في المحبة والمروءة ولو أبيحت هؤلاء المحرمات لأصبح النسب والمصاهرة في جهة واحدة
فضاقت سبل المحبات وانحصرت في بعض النسب . وأيضاً تكون الاسرات دائماً في شقاق لما يحصل من الاخوة
والآباء وأبناء الاخوة والأخوات من التنافس والتشاجر والتقاطع بسبب اقتتالهم على إحدى نساء العائلة كينت
الرجل يتشاجر عليها أخوها أو أبوها وأحد أخويها وهكذا وهذا فيه من الفساد أقصاه ومن قطع الرحم منتهاه
فانظر كم في تحريم الأرحام من البدائع العلمية والمجائب الحكمية

ثالثاً . اعلم أن نيران الشهوات كالنيران التي توقدها وكالكهرباء التي نستثيرها وكالأشجار العلمية التي نعقلها
فكل نار وكل كهرباء لها عملان تفريق وجمع وابعاد وتقريب . فانظر أليس ترى النار تحرق الخشب
فيطير منه أجزاء في الهواء وتبقى أخرى في التراب ففي الأول تفريق وفي الثاني اجتماع . أليس ترى أن
السحابتين اذا كانت كهربائيتين متجانستين بان كانتا إيجابيتين أو سلبيتين فانهما تتنافران واذا اختلفتا إيجابيا
وسلبيا فهما تتجاذبان . فهكذا النيران التي فينا معاشر الناس فاذا رأينا النار التي تحيط بنا والتي هي داخل
الأرض التي نعيش فوقها تجمع الطين واللبن وتفرق أجزاء الخشب والكهرباء سالبة وموجبة فهكذا نحس في
أنفسنا بنار تشتعل اشتعالاً معنوياً إما لطلب الغذاء أو للتزواج وأما للرحمة الضعفاء كالأبناء وأما لدفع الأعداء
كالغضب والغيرة والحسد وجميع العداوات التي تعترى نوع الانسان فانظر كيف كانت أرضنا ناراً يحيط بها قشرة
أصلها نار فخدمت وكما نحن من تلك القشرة فكمنت النار في باطننا رحمة من الله لنا حتى تسوقنا الشهوة لطلب
الغذاء والكساء والتزواج وتدفعنا القوة الغضبية لدفع الأعداء وابعاد الأذى ثم كانت فينا نار الأطف وأجل من
هاتين كاتقوة العلمية تدفع الجهالات وتجذب اليها أجل المعلومات فهذه فرقت وجعت . فليت شعري أي
فرق بين النارين وأي ابتعاد بين الأمرين فالشهوة البهيمية فينا لجلب الغذاء والكساء والقوة الغضبية لدفع
الأعداء والعلم يدفع عار الجهل ويجذب أجل صور العلم . فلئن جفت النار الطين وأذابت الشمع وجذبت
الكهرباء نارة ودفعت أخرى . فلقد منعت الأعداء النفس الغضبية وأزالت الجهالة القوة العقلية كما جذبت
اليها العلم وجذبت الشهوة ملاذ الطعام والشراب

فانظر كيف تقلب الانسان في أنواع من النفوس المحرقة نعم محرقة ولكن الناس لا يكادون يفقهون الا قليلاً
من تعلموا فأولئك يعقلون ويفهمون فالوالدة على فلذة كبدها في احتراق والواقعة لعاشقها في احتراق والذي
غافله الأعداء في احتراق . ونتيجة المقال في هذا المقام أن نار الشهوات للأجنبيات ونار الرحمت للقربيات
ونار العداوات تتأجج على من جرح ما هو من الحرمات ونار أشواق العلوم لما بينا في هذه المقالة من الآيات
البيّنات والمجائب الحكميات وهاك صوراً ثلاثاً للانسان

(١) نار الشهوة ونار الرحمة ونار الغضب هن أصول التفاعل النفسي وبالتفاعل بينها يكون نور العقل
على مقدار التمازج والاتحاد ومماثل هذه النيران الثلاثة الاكمل العناصر الداخلة في المركبات الجسمانية
فهى نار لها نور وهو القوة العاقلة

(٢) تصور فتاة ترضع ولدها اليتيم وعاشقها الذي يخطبها جالس أمامها وأعداؤها يحيطون بها فهي بين ثلاثة نيران نار الرحمة للولد والشهوة والغرام للعاشق والعداوة لأعدائها فهذه العواطف هي عبارة عن هذه المرأة

(٣) شاب جلس مع أخته وحبيته وعدوه فهو مع الأخت ملك ومع الأجنبية بهيم ومع العدو أسد فالظر عجائب الانسان كيف اجتمعت فيه اللطائف المتفرقة

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

إن تحريم زواج الأمة على من قدر على بهر الحرة تحذير للمسلمين من السقوط في مهواة الذل والصغار ولزوم العار والشعار بأن يلدوا الأبناء الأرقاء تبعاً لامهاتهم المملوكات فإذا كانوا يمتنعون من عبودية أبنائهم المسلمين مثلهم فما بالك بهم وقد ملك الفرنجة أرضهم وأخذوا ديارهم وهم خامدون وأحاطوا بهم من كل جانب وهم ساهون لاهون

﴿ حكاية ﴾

حضر الى الديار المصرية صديق من ناحية أدلب من أعمال حلب الشهباء فدار الحديث بيننا على احتلال الفرنسيين لبلادهم فأخبرني بما تشعره الأبدان من قتل النفوس وسلب الاموال والظلم البين وقد كان الرجل سيداً في قومه من الاشراف وكبار العلماء وله سيادة في قومه فحدثني قائلاً طلبني الضابط الاكبر في الجيش الفرنسي قائلاً لماذا نكرهون الفرنسيين وهم انما جاءوا لتمدينكم واسباغ النعمة عليكم قال فأجبه قائلاً ان الامة اذا قام غيرها بما يصلحها ونام أهلها سلمها الله مواهبها وسلمها الى سادتها لان العضو الذي لا يعمل له لا يبقى له قوة وأيضاً تصبح كالحبوانات المنزلية لما قنا بسقيها وتغذيتها فقدت الغرائز التي تحتل بها نظائرها في البراري والقفار من الغزلان وبقر الوحش السعيد في مراعيها الحسنة المفاظر فقال له هل هذا في كتبكم فأجبه قائلاً هذا كلام قرأته في كتاب يسمى نهضة الامة وحياتها تأليف فلان وهو مصري قال فسكت ولم يرد جواباً فإذا كان القرآن يمنع أن نلد من أمة مسلم مثلاً فكيف يتحمل المسلمون العبودية والرق في الاقطار الشرقية ويضع الفرنجة الاغلال في أعناقهم وهم صاغرون . ألا فليعلم المسلمون في أقطار الارض أن الله قد قرب يوم عتقهم من ذل الفرنجة وقد جاء أوامره وظهر إباته ومن عجيب الاتفاق أن تستقل ثلاث دول وهي الافغان والترك والفرس وهما في بلادنا المصرية خطت خطوات واسعة في سبيل الاستقلال ولا بد من تمامه ان شاء الله وستخطو الامم الاسلامية خطوات ونحظى بالاستقلال والخلاص

﴿ اللطيفة الرابعة في الاحرار والعبيد ﴾

يقول الله تعالى - والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض - هاتان الجملتان ذكرتا في هذا المقام لتهدم ما بينته العادات وأبرزته الديانات وأظهرته القوانين المسطورات . اعمرى لقد هدم الله الظواهر المذكورة في هذه السورة بهاتين الجملتين ولقت الناس الى الاعمال الملية . يقول الله لا عبرة بالصور والاشباح ولا الغلبة في الحروب ولا قوة الدول والممالك والاساطيل اها هذه مظاهر يغتر بها الغافلون - اليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي - بعضكم من بعض لافرق بين العربي والعجمي - اسمعوا وأطيعوا ولو ولي عليكم عبد حبشي - أتم أيها الناس عبيدي ولا عبيد لكم لا يفرنكم مظاهر الميراث والمال والعقار والديار ان كل ذلك الامظاهر يفتخر بها الجهلاء وانما النفوس والعقول والاخلاق والآداب وكل ذلك عندنا في كتاب قرب خامل ذكره عندنا رفيع ورب عظيم القدر عندنا ماله شفيع فاياكم أن تفتروا بما ترون من الاحكام الشرعية والحدود المرعية فهذه انما جاءت لحفظ المجموع وصيانة الجموع فإذا اختص الحر بالميراث وامتناز في أحوال الحياة فانما ذلك من ظواهر الامور فإذا مات الحر والعبد استويا في الاحوال وافترقا في الشرف والكمال انتهى الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث ﴾

(يريد الله إيبين لكم) أى التبیین لكم ولللام زیدت للتأکید كما قال قیس بن سعد

أردت لکما یعلم الناس انها • سراویل قیس والوفود شهود

ثم عطف علیه قوله (ويهدیکم سنن الذین من قبلکم) مناهج من تقدمکم من أهل الرشید اتبعوا طریقهم وتسلکوا سبیلهم (ويتوب علیکم) ويصدکم عن المعاصی بتلك الهدایة بأن یلهم قلوبکم النفور منها بسبب الهدایة المذكورة (والله علیم) بمصالح العباد (حکیم) فیما یدر من أمورهم • ولما کان نوع الانسان قد فطر على حب الذات والاستئثار بالمنافع وكان ذلك حتما لیجد فی عملهم ويتنافس فی الفضائل والأعمال الشریفة وجعل من فروع تلك الفطرة الحسد للناس على نعمهم والسعی فی هدم ما بنوا من المجد وما أوتوا من الفضل بین الله ذلك اذ قال ان هدیتمکم یریدها الله وهذه الهدایة یحاول إبطالها الغادرون ویسعی فی إیقافها الفاسقون فیقول الزناة وأهل الدعارة والفسق اذا امتاز هؤلاء بالاقلاع عن هذه المعاصی ازدوانا الناس وولوا وجوههم عنا ونطلعت الوجوه الى هؤلاء المتذکین ولذلك قال الله تعالى (والله یرید أن یتوب علیکم ویرید الذین یتبعون الشهوات أن تمیلوا) عن الفضائل الى الرذائل التي انغمسوا فیها وارتموا فی أوحاها (مبلا عظیما) بأن تأتوا المحرمات فتکونون مثلهم • فقد کر التوبة فی هذا المقام لیس للتکرار تأکیداً وانما هو للمقایسة بین ارادة الله وارادة الذین یتبعون الشهوات ثم قال (یرید الله أن یخفف عنکم) یا أمة محمد ما تنوون تحتنه من الأثقال فی دنیاکم ودينکم فأباح نکاح الاماء بشروط خاصة تسهیل لکم وسیأتی قریباً بیان معنى التخفيف بما هو أوسع من هذا بعد تمام تفسیر هذا المقصد (وخلق الانسان ضعیفاً) لا یصبر عن الشهوات ولا یتحمل مشاق الطاعات ولما كانت علاقات الرجال بالنساء لاتنفک عن الأموال توالى الآیات فیها فترى آیات المیراث أولاً وآیات التحذیر من أكل الأموال بالباطل هنا فقال (یا أيها الذین آمنوا لاتأكلوا أموالکم بینکم بالباطل) بما لا یحل فی الشرع کالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال بالیمین الکاذبة والرشوة والأ کاذب فی المحاماة فی المحاکم • ولما کان الشئ یتوجب تذکار ضده والنفس الانسانیة تحضر الضد عند ذکر الضد بین الله إن التجارة لیس منہا عنها لأن النفس راضیة بالتعاقد أن يأكل زید مال عمرو بتلك المبادلة فقال (الا أن تكون تجارة) صادرة (عن نراض منکم) أى لکن کون تجارة عن نراض منکم غیر منہی عنه • واعلموا أيها الناس أن رشوة الحکام والربا والقمار وأكل أموال الناس بالباطل یورث خللاً فی نظامکم • أيها الناس أنما ماحلات حلالاً ولا حرمت حراماً الا لتعيشوا فی هذه الحیاة آمنین • فهذه الأحکام الشرعیة والحدود الدینیة التي أبینها لکم لیست تراد الا لحفظ نظام هیئتکم الدینیة فاذا نلت لکم فیما مضى ان المدار على القلوب فهكذا هنا أقول إن توصیتی على الأموال تارة وعلى الأعراض أخرى انما أردت بها حیاتکم وبقاء دولکم فأما اذا اغتال الأغنیاء الفقراء وظلم الأقویاء الضعفاء وانتہک الأحکام الحرمات وظنوا أن الناس عبيدهم فان ید العمل فی الامة تقل وكذلك الأعمال النافعة فی البلاد فیہجم علیکم الأمم حولکم فتدوسکم بأرجلها وتطؤکم بمناسمها ویدخلون عندکم الشرکات ویقتسمون الأموال ویربحون وأتم تأمون وهذا هو القتل الحقیقی للأنفس وضياع البلاد والعباد وهذا معنى قوله (ولاتقتلوا أنفسکم) أيها المسلمون وهذا بعینه هو الحاصل فی زماننا • ألا ترى أن المسلمین منذ أربع مائة سنة أتى الیهم الأسبان فخلوا بساحنهم وانتزعوا منهم أرض الجزيرة ولعمرك لم یکن ذلك بالخیل والسلاح والکراع وانما کان بتلك المعاهدة التي دبرها الفرنجة بأمر البابا وبارونات أوروبا ودوق فينیزیا وأباحوا الخمر بمقتضى حرية التجارة ودخل الکسل والبطالة على أهل البلاد فكان الربا والترف والنعیم والکسل فانت الامة وهذا هو القتل • هذا قتل الأنفس العام وهو أشد من قتل المرء نفسه المحرم أيضاً هذه هی المناسبة لذكر القتل

ولقد استمر المسلمون يقتلون أنفسهم هذا القتل الشنيع بعد ماسمعوا أن فرديناند وإيزابلا قد رموا بأمة العرب في البحر الأبيض المتوسط وبعد أن قتلوا منهم آلافا مؤلفة وطردهم وأغرقوهم • ولعمرك لم يقتلهم الأسبانيون إلا بعد أن قتلوا هم أنفسهم بالجهل في الأموال والتجارات فكانوا يتهاقون على صناعات أوروبا ويتركون صناعاتهم لأن صناعات أوروبا كانت أشهى إلى قلوبهم • وليت شعري كيف يذكر الله قتل النفس بعد ذكر التجارة • أيها المسلمون إن التجارة وإن كانت حلالا هي التي أودت بالمسلمين انظروا أليس تجار الأفرنج هم الذين خدروا عقول الأسبانيين أليس تجار أوروبا الآن قد استولوا على أهم موارد حياتنا أليست الحرب الحاضرة قائمة على أساس الأموال والتجارة إن المسلمين نائمون إن التجارة الأفرنجية هي التي قتلت الشرقيين ولذلك أراد (غاندي) أن يتلمس الخروج من الخطر بتحريم المنسوجات الأفرنجية وقد نجح نجاحا عظيما • فهل يعلم المسلمون أن خراب دولهم إنما جاء لجهلهم علوم التجارة وأنهم قوم لا يعلمون منها الا قليلا التجارة تسبق الحرب فمالك الانجليز بلاد الهند الا بالشركة الانجليزية هناك والعادات الفرنجية تغلغت في قلوب المصريين والسوريين وجميع سكان شمال افريقيا هذا هو القتل المذكور في القرآن وهذا هو السرف في تعقيب التجارة بالتحذير من قتل النفس ولما كان ذلك التحذير من فضل الله ورحمته قال تعالى (إن الله كان بكم رحيما) في تصويركم وخلقكم ورزقكم فكيف لا ترجون أنفسكم بعد قتلها الاقتصادي بالاسراف وضياع أموالكم أو قتل أنفسكم انتحارا

اعلم أن من عادة القرآن أن يرشد بطريقتين طريق العقل والهداية وطريق الارهاب وكانت أولى الطريقتين قد ذكرها أولا بان الأمم يعثر بها الفساد وتضيع الدول وكان هذا المعنى لا يعقله الا قليل ولا يفهم مغزاه الا من خصه الله وقد شرع في الطريق الثاني فقال (ومن يفعل ذلك عدوانا) افراطا في التجاوز عن الحق (وظلما) للنفوس بتعريضها للهلاك في الدنيا والآخرة (فسوف نصليه نارا) ندخله نارا يصلي فيها (وكان ذلك على الله يسيرا) ولما كان هذا القول ربما أوقع في النفوس بأسا قال (إن تجتنبوا بكائرا ماتهم عنده) وهي بكائر الذنوب وهي التي عظمت عقوبتها (نكفر عنكم سيئاتكم) تغفر لكم صفاتكم ونمحتها ولعل البكائر تختلف باختلاف المراتب فقد يكون الذنب صغيرا للعالمى وكبيرا على الصديق فلقد عوتب النبي صلى الله عليه وسلم على خطرات النفس وقد يكون الذنب كبيرا باعتبار وصغيرا باعتبار آخر • وما اتفق عليه السبع الواردة في الحديث الا شراك والقتل وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف والعقوق • وعن ابن عباس البكائر الى سبعة اقرب منها الى سبع وقول ابن عباس يشير الى ما قلناه من اختلاف الذنوب باختلاف المراتب فالعلماء والحكماء والصديقون يكون بكائرهم كثيرة بحيث لو ضيع أحدهم وقنا بلا نشر للفضيلة عدائما واعلم أن الناس أشبه بفصائل الحيوان ولكل فصيلة عمل يخصها فتجد العامة أشبه بالبغاة يقول ولا يعقل وصلاتهم كلام لا توجه معه والفضلاء اذا سهوا في جزء من الصلاة كان ذلك ذنبا عظيما واعتبروه اعراضا عن خالقهم (وندخلكم مدخلا كريما) الجنة ومن الآثام الذائعة الحسد وهو شائع بين العلماء والجهلاء وهو يشتد كلما تقاربت المراكز والأحوال فالأقارب والمشترون في صناعة أو تجارة أو قرية أو حارة أو علم وبالجملة من تقاربوا في أكثر الأحوال أو بعضها يتحاسدون بمقدار هذا الاشتراك فلذلك قال (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) كالجاه والمال والجمال والتمسكن في الأرض والصيت وأمثالها تمنيا يفضي بكم الى البحث في زوال النعم عن المنعم عليه باتلاف ماله والسعاية والوشاية والقتل وأمثال ذلك فان هذه الغريزة مخلوقة فيكم للحث على طلب الكمال لأنفسكم لاهدم ما بناء غيركم من المجد فالمسابقة للكمال فضيلة أما السعي في هدم ما بناء الغير فانه حرام وكيف تسمى في زوال مجد يرجع اليك فان الناس بعضهم لبعض خادم وزوال النعم عن الناس مفض الى نقصها من المجموع وكيف تفعلون ذلك و (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) فلكل

مواهب فطرية أو حظوظ اتفاقية والله هو الذي وهبهم فارجعوا عن غيركم (واسألوا الله من فضله) أن يعطيكم وهذه هي القبضة فالقبضة أن تمنى مثل ما عند الغير وتسعى له بالعمل لا بالتبني والسكسل وإياك أن تقول أيها الإنسان لم كان هذا أميرا أو وزيرا أو علما أو غنيا وأما محروم من ذلك ولم كان فلان وارثا وأنا محروم من الميراث أو تقول المرأة لم أخذ الرجل أكثر مني فأياكم أيها الوارثون والحسد وإياكم أيها الناس والتمسوا في الاعتراض على ما أعطيت للناس من مواهب مالية ونعم علمية ومناصب أميرية فإني عليم بالعباد بصير بالمخوقات وجعلت لكل امرئ خاصة يمتاز بها لأصلاح لمجموع ورتبتكم مراتب إلا أنكم أيها الناس كنتم منكم من يمثل العين ومنكم من يمثل الدماغ ومنكم من يمثل اليد ومنكم من يمثل المعدة ولا يعيش المجموع إلا بتوزيع الوظائف الإنسانية عليكم فمن ذاعرف هذا الجمال ويعترض عليه ومن ذا يقرأ هذا الحسن ولا يقربه إني نظمتكم على نظام أنا أعلم به (إن الله كان بكل شيء عليما) فعلى هذا العلم العام رتبنا ملكنا وأنزلنا شرائعنا وخصنا لكل وارث مقدارا من المال يصيبه من مال مورثه فلا يحسد بعضهم بعضا على هذا التباين في الانصاف فانكم تجهلون حسن نظامي وانما يعرفه الحكماء فيكم لا غير فماديتكم في الحسد عذاب عظيم عليكم فانا قد جعلنا لكل من الرجال والنساء الميتين وارثين من إخوانهم وبنى عمهم وسائر عصباتهم يرثون مما ترك والدوهم وأقرباؤهم وبيننا لكل نصيبه فهذا معنى (ولسكل) من الرجال والنساء (جعلنا موالى) ورثة من بنى هم وأخوة أو غيرهم يرثون (مما ترك الوالدان والأقربون) أى من ميراثهم . ولما كان المتحالفون بينهم عهد وميثاق أن ينصروا بما عاهدوا عليه وكان الحلف في الجاهلية على النصرة عند الأمور العظيمة من الحقوق الواجبة على الإنسان فهي لشبه الميراث من جهة الاستحقاق فالقريب والصهر يرثان الأموال والحليف الذي أخذ العهد والميثاق علينا يجب علينا نصرته في أيام حياتنا ولورثتنا المال في الممات فلذلك أعقب ما تقدم بقوله (والذين عقدت) أو عاقدت (أيمانكم) في الجاهلية أن تنصروهم (فآتوهم نصيبهم) أعطوهم حظهم من النصرة التي عاقدتموهم عليها فإله مطلع على عقدكم (إن الله كان على كل شيء شهيدا) ومن ذا يقوى أن يخون فيما شهد الله . ولما كان النساء بيننا وبينهن عقد وميثاق كالذي أعطيناهن للحلفاء في الجاهلية وكالذي فرضه الله في القرآن للوارثين وقد فرض الله الوفاء فيهما علينا . أخذ عز وجل يذكركنا بالسلطة المخولة لنا من جهة الفطرة عليهن وذلك اتنا أقوياء وهن ضعفاء ونحن أقرب إلى العلم والأدب منهن والخبرة في الأمور وهذه كلها أشبه بعقد الحلفاء فللحليف علينا النصر وللوارث نصيبه وللزوجة قسطها من العمل تحت إشرافنا فنحن قوامون عليهن بالسلطة والتأديب بفضلنا عليهن في العقل وحسن التدبير وبما أنفقنا من المهر لهن والنساء على قسمين صالحات مطيعات لله قائمات بحقوق الأزواج وعاصيات ناشزات لا يطعن أزواجهن . فالقسم الأول أمره معلوم أما الفريق الثاني فابتدئوا بوعظه فان لم ينجع الوعظ فاهجروهن في المضاجع ولا يبتسوا معهن ليتبين فان لم يتبين فاضربوهن ضربا غير مبرح وإياكم ومخالفة هذا الترتيب فالوعظ يتلوه الهجروا والهجر يتلوه الضرب فنأطاعت واعتدلت فانسوا ذنبا ولا تذكروه ألبتة لأن الله فوقكم كما أنكم فوق النساء مقاما وقدرة فإذا تبين من الذنب فلا تعتدوا بمالككم من القدرة عليهن فإله أقدر عليكم من قدرتكم عليهن وإن خفتم خلافا بينهما فابعثوا رجلين يصلحان للحكومة أحدهما من أهلها والآخر من أهلها وهما أدري بأحوالهما ليوفقا بينهما فهذا قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء) فهم كالولادة والنساء كالرعية (بما فضل الله بعضهم على بعض) بسبب تفضيله الرجال على النساء بما هو معلوم مما تقدم (وبما أنفقوا من أموالهم) كالنهر والنفقة وهن قسمان مطيعات وعاصيات (فالصالحات قانتات) مطيعات لله (حافظات للغيب) يحفظن في غيبة أزواجهن ما يجب أن يحفظ في النفس والمال (بما حفظ الله) أى بسبب حفظ الله لهن حيث حثن ورغبهن بالوعيد وأنذرهن وخوفهن بالتهديد ووفقهن لحفظ أسرار الزوج وللعفة ومراعاة ما يجب عليهن مراعاته في غيبته من أعراضهن وأموال الأزواج فعنه

عليه الصلاة والسلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها مرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في
 ما لها ونفسها وتلا الآية . فأما القسم الثاني وهن العاصيات فقال فيهن (واللاتي يخافون نشوزهن)
 عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الأزواج (فعضوهن واحجروهن في المضاجع) المراقدة (واضربوهن فان
 أطعنكم فلا تتبعوا عليهن سبيلا) بالتوبيخ والايذاء فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له (إن الله كان عليا
 كبيرا) وهذه المعاني قد قدمناها هنا وقوله (وان خفتم شقاق بينهما) أى خلافا بين المرأة وزوجها وازافة
 الشقاق الى البين على حد قولهم نهارة صائم وليله قائم والحكم الوسط الذي يصلح للحكومة والاصلاح وكون
 الحكمين من أهله وأهلها أفضل ولا يمنع أن يكون من الأجانب وارسال الحكمين من قبل الحكم أو من قبل
 الزوجين أو من قبل صالحى الأمة وللحكمين أن يجريا الخلع بالإذن من الزوجين ان رأيا الاصلاح فيه عندمالك
 وعند غيره لا يلينان جمعا ولا تفريقا الا باذن الزوجين . واعلم أن لارادة الحكمين دخلا في تحقيق الصلح كما قال
 (ان يريد اصلاحا يوفق الله بينهما) ان يرد الحكمان اصلاحا يوفق الله بين الزوجين أو بين الحكمين في اتمام
 الصلح . ويسن للحاكم أن يبعث عدلين ويجعلهما حكمين عند الشافعى * وعن على بن أبى طالب رضى الله
 عنه أنه جاءه رجل وامرأة ومع كل واحد منهما فئام من الناس فقال فعلام شأن هذين قالوا وقع بينهما شقاق
 قال على فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين أتدريان ما عليكما عليكما إن رأيتما أن تجمعا
 جمعتما وان رأيتما أن تفرقا ففرقتما الخ

فاعجب للمسلمين في مصر والشام وكثير من بلاد الاسلام كيف غفلوا عن بعث الحكمين وكيف نام القضاة
 وعلماء الدين عن هذه الآية اللهم ان المسلمين قد غفلوا عن كتابك . يا الله ان القضاة في ديارنا نائمون يتركون
 الزوجين أشهرا ويرهقونهما بالدعاوى والبيئات والشهود ويسلطون المحامين الذين يستنزفون ثروتهم . يا الله
 قد قام المحامى المؤجر مقام الحكمين ان هذا مخالف للدين وكيف يندأمر الحكمين عندنا أهل السنة وقد
 بلغنى أن الشيعة يعملون بهذه الآية فأما أهل السنة فقد تركوها وهى واضحة ظاهرة اللهم ان بعض أمة الاسلام قد
 نبذوا العمل بهذه الآية اتعابا للناس واستنزافا لثروتهم وضياعا للصبيحة الصغار والنساء الفقيرات المسكينات والقضاة
 غافلون وأهل العلم غير مستيقظين والناس قد تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأصبح كل على كل متكلا
 فلترجع الأحكام الشرعية لسابق عهدنا ولينبذ ذلك النوم العميق والجهل المطبق وليجدد العلماء مجد الدين
 وليحفظوا بلادهم التى أضاعها الجهل فأرسل الله الفرنجسة عليها جزاء وفاقا كأأن الناس كانوا لا يرجون حسابا
 وكذبوا بآيات الله كذبا هذا ويظهر من كلام سيدنا على أن الحكمين يقومان مقام الزوجين في كل شئ
 انتهى التفسير وههنا لطيفتان

اللطيفة الأولى . قوله - ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما - وقد ذكر قبلها انه يريد
 أن يتوب علينا وذكر بعدها أنه يريد أن يخفف عنا وان الانسان ضعيف
 اللطيفة الثانية . قوله - ولا تقتلوا أنفسكم - قد ذكرها بعد أمر مباح وهو التجارة وذكر بعدها
 أنه رحيم بنا

وهاتان اللطيفتان ترميان لغرض واحد سنشرحه شرحا وافيا في هذا المقام ولنبتدى بما روى عن ابن
 عباس ثم يتبعه بما فتح الله به * عن ابن عباس رضى الله عنهما ثمان آيات في سورة النساء هن خير هذه الأمة
 مما طلعت عليه الشمس وغربت منها ثلاث من قوله - يريد الله ليبين لكم ويهديكم الى قوله وخلق الانسان
 ضعيفا - والخمس الباقية هى - ان تجتنبوا كآثر ما نهون عنه . وان الله لا يغفر أن يشرك به . وان الله
 لا يظلم مثقال ذرة . من يعمل سوءا يجزيه . ما يفعل الله بعذابكم الآية - فتدبره

اعلم أنى لما قرأت كلام ابن عباس لمع من بين تلك الآيات أنوار مشرقة فان الآيات الثلاث هى التى

ذكرتك بها فان ارادة الله البيان لنا أولا والتوبة ثانيا وأن الذين يتبعون الشهوات يريدون أن نميل ميلا عظيما تريتنا أن الاسلام اليوم سيخلص من القيود التي قيد بها فمن هم الذين يتبعون الشهوات ﴿ أهل أوروبا في الغرب ورجال الاسلام في الشرق وكيف استدلواهم بالشهوات ﴾

اعلم أن الذين يتبعون الشهوات فريقان فريق داخل بلاد الاسلام وفريق خارج بلاد الاسلام فالفريق الذي هو داخل بلاد الاسلام هم الزناة والمقامرون وشاربوا الخمر والمرششون من رجال الحكومات الاسلامية والذين يوالون الفرنجة فيجعلونهم سببا لانتهاك البلاد الاسلامية واستعباد أهلها واذلالهم فهذا الفريق هم الذين يتبعون الشهوات داخل بلاد الاسلام أما الذين يتبعون الشهوات خارج بلاد الاسلام فهم أهل أوروبا أفلاست ترى أنهم قد ملكوا بلاد الاسلام بشهوة الغزو والفتح والاستعمار واستعباد الأمم واستدلالها فهؤلاء بشهواتهم للاستعلاء واستنزاف الثروة فأما أهل البلاد الاسلامية فشهواتهم ما يلبسون ويأكلون ويشربون ويتبعون بالنساء الشرقيات والغربيات ويميزون عن أبناء الشرق بمصاحبة الفرنجة ويتكبرون عليهم وأناموقن بأن الله يهدي المسلمين جميعا وينقذهم كما سأوضحه في هذا المقام

﴿ أسرار النبوة في مسألة المسيح الدجال والأحاديث الصحيحة الواردة فيه وظهور صدق النبوة وتبشيري للمسلمين باقبال الزمان وانقشاع الظلم عنهم قريبا وهذا أوانه ﴾

روى الشيخان وأبو داود عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مع الدجال اذا خرج ماء ونارا فأما الذي يرى الناس أنه نار فماء عذب وأما الذي يرى الناس أنه ماء فنار تحرق فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى أنه نار فانه ماء بارد عذب * وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدري ومعه مثل الجنة والنار فناره جنة وماؤه نار ألا وبين يديه رجلان ينذران أهل القرى فاذا خرجا من القرية دخل أول أصحاب الدجال أخرجه رزين . فهذا الحديث الذي أخرجه رزين وان لم يكن في البخاري ولا في مسلم هو الذي أوضح لنا المقام وأفهمنا ما نحن فيه الآن فانه يقال ان معه مثل الجنة والنار وهذا هو المعقول فان الجنة والنار اللتين في الآخرة لا يكونان الا بعد الموت واذن هذا مثل الجنة والنار ولا شك أن الذي هو مثل الجنة والنار ما نراه الآن فان الجنة الافرنجية ما وضعناه لك في هذا المقام وفي غيره فبالتجارة أخذ الانجليز الهند وكذلك الفرنسيون قبلهم وهكذا بلاد چاوه والجزائر حولها استعمرها الهولنديون واتحد أهل أسبانيا وفرنسا على بلاد مراکش فان الأسبانيين بعد أن طردوا المسلمين من بلاد الاندلس عبروا البحر وراهم ليطردوهم أيضا من شمال افريقيا لموتوا في الصحراء الكبرى ولوقدر الانجليز على أهل بلادى لرموا بهم في غابات السودان وجردوهم مما يملكون ودفنوه في البحيرات عند خط الاستواء ولكن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

﴿ ايضاح جنة الافرنج ونارهم واحتلال البلاد ﴾

لقد عرفت جنة الافرنج وهي التجارة أما النار فهي المدافع والطائرات والنار التي يلقونها على المسلمين في الهند والعراق وشمال افريقيا فايطاليا تعذب طرابلس وأسبانيا وفرنسا ترسلان القنابل على أهل مراکش هذه هي النار واعلم أن الحديث الذي أخرجه رزين هو الذي كفانا مؤونة القول بالمجاز أما وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فلا قول لنا ولولم يأت لكفت المجاز في حديث الشيخين

﴿ سر النبوة الذي ظهر ﴾

ألا تعجب مع أيها الذكي ألا تنظر الى نور النبوة ألا تفكر فيما نقول فتعلم لي رعاك الله أليست ترى قوله في الحديث ان هناك رجلين بين يديه ينذران أهل القرى فاذا خرجا من القرية دخلها أول أصحاب المسيح الدجال . فيا ليت شعري من هم أصحاب هذا الدجال ومن هم أول أصحابه وأين هم أصحاب الدجال هم الفرنجة

ولكننا لانراه وانما ترى أصحابه فسواء جاء هو أو لم يجيء فالملقصود منه قد حصل وهو انذار أهل القرى تارة
واضلالهم بالشهوات ودخول أصحابه البلاد وقد تم كل هذا فضعكوا علينا بذنائبهم وشهواتهم وأخذونا بالتخويف
كل هذا قد تم وربما كان الدجال حقيقة كلية تطلق على النصابين والكذابين واللصوص فكل هؤلاء
دجالون صغار ولكن أكبر الدجالين هم الذين يسرقون الدول ويقلبون الأمم فهم يذكرون في مقابلة الأنبياء
ولذلك يذكرون المسيح مع الدجال فالمسيح ابن مريم للهداية ونظيره الدجال للاضلال أمرنا بالاستعاذة منه
فقلنا في صلاتنا وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وما نحن أولاء وقعنا في فتنة أصحابه الذين ابتدؤا ببلاد
الاندلس وما قتل أهل الاندلس الا أنفسهم بانغماسهم في تجارتهم واضلالهم وأحوالهم وتبعناهم نحن في بلاد الشرق
ولقد رأيت في الحديث أننا أمرنا أن ندخل في ناره ونتجنب جنته ولقد صدق النبي صلى الله عليه وسلم فكل
من اغتر بأهل أوروبا وجنتهم أصبحوا عبيدا لهم كما أوضحته وكما قاله هنري الفرنسي فيما نقلته عنه في سورة
البقرة في تفسير آية الخمر وأن من اتبعهم فقد ذل ذلا عظيما يريد بذلك أهل الجزائر وأول من قبل ذلك من
المسلمين أهل الاندلس كما ذكرناه في هذا التفسير مرارا فانهم لما شربوا خمرهم وابسوا منسوجاتهم ودخلوا
مدارسهم وقرأوا سير آبائهم وصاروا تلاميذ لأسانذتهم وتعاملوا بالربا من مصارفهم وأصبحوا مترفين منعمين
وانغمسوا في ملاذهم وأكلوا في مطاعمهم واستقذروا بيوت آبائهم كان ذلك مبدءا ضعفهم فأذلواهم أجمعين
وقتلواهم كتبعين أبصعين ورموا من بقي منهم خارج البلاد وساموهم سوء العذاب بما كانوا يجهلون ذلك
منذ أربع مائة سنة ثم توالى فتح الفرنجة للبلاد حتى ملكوا بلاد مصر والشام والعراق والهند ونخطوا الى الصين
ولم ينالوا كل مقصدهم هناك كل ذلك أيها الذكي سر قوله - ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تيسلوا
ملاعظها -

(إيضاح شهوات الاستعمارين في أوروبا وشهوات الأمم الشرقية عموما والاسلام خصوصا)
اعلم أن هذه الشهوات المذكورة في هذه الآية قد وضحت في هذه الآيات إذ أعقبها بذكر التجارة وابطاحتها
وبالنهي عن قتل النفس

فيا عجباً كل العجب ها أنا ذا أقرأ القرآن وأنا أكتب هذا التفسير هذه الليلة الثامنة من شهر رجب قميل
الفجر سنة ١٣٤٢ هجرية لا أذكر أن آية ذكر فيها أمر حلال وأعقب بالنهي عن قتل النفس ان التجارة
حلال وأخذ المال بالباطل حرام. تحرم السرقة والربا والرشوة. هذا حق ولكن التجارة حلال لأنها عن تراض ومتى
رضى المتبايعان صار المبيع حلالا للمشتري وصار الثمن حلالا للبائع . وليت شعري أى قتل للنفس هنا حتى
ينها الله عنه ان في المسألة لسرا عجيبة ان في المسألة سرا قد كشفه الزمان الغابر والدهر الحاضر والحرب العظمى
بين دول الشرق والغرب ان التجارة هي السر وهي الحياة وهي القتل والتجارة كانت سبب حروب أوروبا
الطاحنة في هذا القرن ان التجارة هي كل شيء . يقول الله أيها الناس ان الأموال اذا أخذتموها بالتراضي
فانها حلال ولكن ما الذي يقتل الناس أكثر من الحلال ان الحلال فيه السم ان السم في الدسم وما التجارة
الا كالكذاب ويقول فيه الشاعر

وان التجارة كالصديق قال الشاعر

احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مرة

فلربما اتقلب الصديق * في مكان أعرف بالمضرة

أيها الذكي لا تتعجب من قولي ان التجارة هي التي سلطها أهل الغرب على أهل الشرق فأفسدوا أخلاق أهل
البلاد ان التجارة هي الداء العضال هي شبكة الصائدين وحيلة المحتالين ونصب الدجالين ونظام المستعمرين

﴿ التجارة هي مثل جنة المسوخ الدجال الذي حل أشباهه وأصحابه بالشرق من أوروبا ﴾
اعلم أن القرآن تظهر معانيه في هذا الزمان وقد أراد الله أن يظهر السر المكنون والعلم المخزون
والحكمة الإسلامية في هذا الزمان لماذا لأنها قد كشفت واتضحت بالحوادث

الظرف في بلادنا المصرية وفي بلاد صراكش وتونس وبلاد طرابلس والعراق وأكثر بلاد الاسلام
أنظر انظر أليس ترى أن المسلمين لاسيما المتعلمين والأغنياء لا يهتمون بطعام ولا شراب ولا جلوس ولا نوم
ولا راحة ولا ملابس ولا تمتع الا في مطاعم الفرنجة وبخمرهم وفي قهوانهم وفي نزلهم وهي اللوكسندات ومن
منسوجاتهم وفسائهم على طريق الزنا . ولو رأيت ما أراه اليوم لهالك الأمر واستهوانك أحران . يحى
اليوناني خالي الوفاض بادي الانفاض فقيرا لا يملك شروى نقيص صعلوكا فلا يمضي عليه عشر سنوات حتى يملك
الديار والعقار والقصور والجنات بماذا كل هذا بكاسات من الخمر المنفوش المملوء مما زعانا ليسقيه لأهل بلادى
فيقتلهم ويأخذ ما لهم والله لقد كتبت في الجرائد ونشرت وكذلك كثير من أهل العلم وعسى الله أن يأتي
بالمفتح ورفع هذه الظلمات

﴿ بشارة المسلمين بقرب انقشاع الظلمات عن بلاد الشرق والاسلام ﴾

يقول الله - ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما - ويذكر قبلها أنه يريد أن يبين لنا
ويقول بعدها - يريد الله أن يخفف عنكم - ويذكر أن الناس خلقوا ضعافا . فإذا كان الله أراد البيان
وأراد أن يتوب علينا فهاتان الارادتان تمحقان إرادة الذين يتبعون الشهوات فينزلون المسلمين . وأول من
تفطن لذلك رجال الأفغان والترك والهنود وبلادنا المصرية التي جردوها من السلاح فقد أخذت تناضل بالاقلام
والعقول وقد نلنا بعض الحقوق وأخذنا ندخل في نارهم عسى أن نستقل وقد قبلنا مدافعهم في وجوهنا
ورصاص بنادقهم فقتلوا النساء والأطفال وصبر المصريون صبرا كرام والوقت قد حان لخروجنا من معرّتهم
وهاهي ذه بلاد الترك قد حوت الخمر وهكذا في بلادنا تجدد الحكومة في منع المسكرات والمستقبل لله

﴿ إيضاح آية التجارة والقتل ﴾

كأن الله يقول . أيها الناس إن التجارة حلال لكم وأقد تركت لكم الخيار فيها ولقد خلقتكم برحمتي
وقويت أبدانكم ورزقكم وجعلت لكم الحرية فيما يتبعون وتشترون أفلاتنفسكم أيها المسلمون فتعلمون
أنى أنا الذى رحمتكم فكيف لا ترجون أنفسكم بالتفكير في أمر التجارة فلا تنغمسون في نعيم الأم الظالمة التي
تخدر أعصابكم بالشهوات واستنزاف الأموال فارحوا أنفسكم بالتفكير في ذلك كما رحمتكم برحمتي الواسعة

﴿ جمال هذا المقام ﴾

لقد أبنت لك أن الأفغان والترك والفرس قد تنبهوا وفكروا وخرجوا من ظلم الفرنجة وكذلك مصر
اقترب الوعد لخروجها . هذه هداية ونور أزال الظلمات وسيزيلها بالتدريج وقد جاء في الحديث أن الدجال
أنذره الأنبياء أمهم كنوح وإبراهيم وغيرهم قال ما بعث الله من نبي الا أنذر أمته أنذره نوح عليه السلام أمته
والذبيون بعده وأنه يخرج عليكم فاحنى عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم الخ . أقول ولعل الأنبياء كانوا
يحذرون أمهم به لئلا يستأصلهم من يغشونهم من الأمم والأمة المحمدية ألهما الله الاستيقاظ الآن وستبقى الى
آخر الزمان ولن تبديد هذه الأمة الا اذا عاشت غافلة عن أخلاق الأمم التي حولها كما كانت في القرن التاسع عشر
فأما الآن فقد ظهرت عليها دلائل التعقل والهدى . فيكون ملخص ما تقدم أن النبوة لما أشرق نورها على
الأنبياء ضربوا الأمثال لأمهم كما اتفق أن نبينا صلى الله عليه وسلم لیسلة الامراء قد رأى في عالم المثال أنواعا من
الصور كصور الزناة والمفتابين والذين يقولون قولا زورا وآكلى الربا وجبريل يفسر له تلك الصور وهي أمور
عجيبة سنشرها في سورة الامراء فهكذا هنا أنذر المسلمين وحذرهم ممن يسمى المسيح الدجال وعدده

صفات ولكن نحن لم نره ورأينا أهم آثاره وأعمرك ما الذي يهتم المسلمون من أمتنا إلا الآثار التي نفس مصالحهم فأما جسمه وأحواله فنحن لسنا نتكلم مع العامة الجهلاء الذين يجمدون على الألفاظ وإنما نحن ألهمنا أن نكلم الناس بحقائق ديننا والحقائق هنا وضحت فالمسيح ابن مريم والمسيح الدجال لسنا نريد إلا آثارهما وهكذا المهدي فإذا وجدنا الآثار انتفعنا بها وأنا أقول بأعلى صوتي أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها كيف تقرأ في صلاتنا صباحا ومساء داعين مبتهلين إلى الله أن يدفع عنا المسيح الدجال وكان نبينا والصحابة والتابعون كذلك هل كان كل هذا الدعاء عبثا وباطلا يقصده رجل واحد لا يحققه إلا الله بعد آلاف السنين وأذن يكون الدعاء مانعي لا عمل له والحققة أن المعنى المقصود حاصل لاشك فيه ظاهر في قوله ولا تقبلوا أنفسكم عند ذكر التعامل بالتجارة وقد أوضحت هذا المقام لكم أيها المسلمون إيضاحا كافيا فكل من بذل منكم يا أحبائي قراء هذا الكتاب جهده ونشر العلم وأزاح الظلمات وسعى سعيا حثيثا في نبذ المصنوعات الأفرنجية والترف والنعيم وحث الأمة على الصناعات وفتح المدارس ومحال الصناعات فهو من الذين يسعون في الهداية أو هو من مقدمات المهدي أوفيه نور المسيح المحمدي أعني أن المسيح الموعود به والمهدي الموعود به لا يجوز لنا أن نتكاسل لا نتظاره والا كان هذا بلاهة وجهالة ليس يقصد من المسيح أن ننام حتى يأتي بل نجهد لزمانه ولو كانت أشخاص الأنبياء هي المقصودة لكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد بطل دينه بموته مع أن نشره للدين نشرنا حقيقة لم يتجاوز عشر سنين وما هي السنين العشر أنها قليل بالنسبة للزمن الكثير بعده ولكن شريعته هي السارية الآن أما شخصه فغيب عنا

إذا ثبت هذا فليس يقصد من مجيء المسيح إلا الآثار النافعة في وجوده وبعبارة . إن تعاليم المسيح الصفاء والطهارة والاخلاص والتعاون والتوحيد والمحبة وحسن الخلق وتحمل الأذى ويقرب من هذا المهدي فلنتجمل بهذه الصفات الآن تدريجا ولا نتر بص حتى يجيء فلا يكون لنا فضل

فأنت أيها الذي قد عرفت الفكرة الأوروبية المنتشرة بيننا وقد أثبت لك أن أعمال أوروبا هي أعمال المسيح الدجال وقد ابتدأت الهداية في الاسلام والشرق فكل من حذر من أوروبا وقلل من مصنوعاتهم كما في الهند وطردهم كما في تركيا واستخدم صناعاتهم وعلماءهم ليعاملوا أبناء البلاد مثل المرحوم محمد علي باشا فهو لاء قوم هداة كأنهم أصحاب المهدي أو أصحاب عيسى عليه السلام . ولقد ظهرت الفكرة العيسوية اليوم في العالم فترى العمال في أكثر الممالك قد نبغوا وظهروا وطلبوا المساواة وهي كلها أفكار المسيح الأصلي الذي هو شرقي لا غربي . فليم التعليم في بلاد الاسلام وليحترسوا من التجارات الأفرنجية وسائر أعمالهم ولا يأخذوا منها الامالا يكون عندهم ولينشؤا عندهم مصانع ومحال صناعات كما فعل غاندي في الهند

فأياكم أيها المسلمون والاتكال على المهدي المنتظر ولا المسيح بل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون فالهداية قد ابتدأت والمسيح يأتي في وقت لا نعرفه وكل من رقى المسلمون أو نفعهم فهو من أعوان المهدي والمسيح الاسلامي المذكور في الأحاديث كما أن رجال السوء في بلاد المغرب في شمال إفريقيا وفي البلاد الاسلامية الأخرى ومن يحتالون على المسلمين ويضحكون عليهم من الفرنجة من أصحاب المسيح الدجال كما قدمناه فكن من أصحاب المسيح الاسلامي أو المهدي كما أن الأمم المستعمرة أصحاب المسيح الدجال فلنقابل الاصحاب بالاصحاب ولا نتظر الدجال والمسيح فان أعمالهما ظاهرة فكل أمة لم تغتر بالفرنجة فقد حلت فيها الروح الشريفة المسيحية الاسلامية وكل أمة انغمست في نعيم تجاراتهم واستنزفت ثروتها فقد آمنت بأصحاب المسيح الدجال تذكر ماجاء في أول السورة من قوله تعالى - ولا تؤثروا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما - وكيف حذرنا من وضعها في يد صغارنا لتلايضيعوا مابها قيامنا . ثم لينظر الذي كيف ذكر ذلك أول السورة ونبه هنا على مسألة التجارة وأن القتل بالإم منها فتعجب انتهى الكلام على المقصد الرابع

(المقصد الخامس)

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ
وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا خُورًا * الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ
مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ
النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا *
وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ أَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا * إِنْ
اللَّهُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا * فَكَيْفَ
إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَعَصَوْا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا
وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا
مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا * أَلَمْ تَرَ
إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا * مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ
عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَنفَعْنَا وَاسْمَعُوا وَانْظُرْنَا ، لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ، وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا
مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا ، أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا * إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ ، بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي
مَنْ يَشَاءُ ، وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا

مُبِينًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاعُوتِ ، وَيَقُولُونَ
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ
 اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَخْسُدُونَ
 النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ
 مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَمِيرًا * إِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ ، بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ، لِيَذُوقُوا
 الْعَذَابَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ
 تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا *
 إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ ، أَنْ تَحْكُمُوا
 بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا
 اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ
 إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ
 أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ
 أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ
 مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا * أُولَئِكَ
 الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا *
 وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا
 اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ
 فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا * وَلَوْ أَنَّا
 كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ
 فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَقِييَةً * وَإِذَا لَا تَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا *

وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلْمًا *

اعلم أن هذا القسم ثلاث فصول

الفصل الأول . الفضائل العامة بمعاملة الخلق والقربى من الله من قوله - واعبدوا الله الى قوله ان الله كان غفورا رحيمًا -

الفصل الثاني . فى الفريق المقابل لهؤلاء وهم البخلاء والحساد والعابدون للطاغوت من قوله - ألم ترالى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله ويدخلهم ظلا ظليلا -

الفصل الثالث . فى عدل الحاكمين وتأدية الامانة للمحكومين واعطائهم حقوقهم وأمر المحكومين أن يطيعوا حكامهم لينتظم أمر الرعية من قوله - ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى قوله وكفى بالله علما -

﴿ الفصل الأول ﴾

اعلم أن ما تقدم من أول السورة إنما كان فى قسم التركات ومعاملة النساء وزواجهن والمحرمات وفى الزنا والزانيات ونشوز النساء وفى الصلح وهذه مسائل أساسها فى الاسرار وأصلها فى المنازل ولا جرم أن ذلك يحصر الفكر فى الأمور الجزئية والأحوال المنزلية والأعمال الفردية العائلية ولما كانت النفس الانسانية مدنية بالطبع لها صلة بالمجموع كصلتها بأهل منزلها أردفه بذكر العبادات والاحسان العام للقريب والبعيد فيبدأ بالوالدين والأقربين ثم يمتد إلى أكثر الناس احتياجا كاليتامى ثم المساكين وكل جار قريبا كان أو بعيدا وكل رفيق لك فى تجارة أو صناعة أو علم وكل مسافر أو ضعيف وكل مملوك من العبيد والاماء فان الله عز وجل يكره من يتكبر على جبرانه أو يأتف من أهله وأقاربه ويتفاخر عليهم . وهؤلاء المفتخرون المتكبرون يخجلون على الناس بما آتاهم الله من فضله فان كان علما كثره وان كان مالا كثره ومن سوء طباعهم وقبائح فعلهم أن ينهوا الناس عن الفضائل ليساووههم فى الرذائل لما فى النفوس من الفرائض ألا يحب الانسان الامن على ساكنته ولا يأنس الابن ببلاده ويخاف أن يفوقه الناس بمزبه أو يعلو عليه فى قضية ذلك فعل اليهود مع النبي كثره نعمة فى التوراة وكثره الأموال ولم ينفقوها وخوفوا المنفقين من الفقر فلذلك أعد الله لهم عذابا مهينا ومن سوء طباع هؤلاء المنكبرين أرباب الفخر أن طائفة منهم لقلة إيمانها بالله وعدم الثقة بالدين لا تنفق المال الأرباب ولا تعطى الفقراء الاستحياء لا يريدون الا الصيت ومدح السادحين ولا يريدون وجه رب العالمين فلاوربك انهم ليسوا بمؤمنين وهم ومن تقدمهم فى الدم شركاء فالبحيل مذموم عند الله والمرأتى بعمله شريكه فى الذم فالأول لا فراطه فى الشح والثانى لتفريطه فى النية كلاهما عن الحق مصروف وبالباطل معروف والطريق المستقيم والحق الصراح تمام الايمان بالله واليوم الآخر والانفاق من الرزق المملوك فماذا عليهم لو استقاموا فى الأمرين واتسموا بالفضلين صدق القلوب وعمل الجوارح انهما فى الفضل فرسا رهان صنوان لا يفرقان . أولو يعلمون أن الله يعلم ما فى القلوب وهو عدل فى حكمه حكيم فى فعله لا يظلم مثقال ذرة وهى النملة الصغيرة أو أقل منها كذرات الهباء الطائرات فى الهواء الداخلات فى السكوى من ضوء الشمس داخل البنيان وان كان مثقال الذرة حسنة يضاعفها ويعط من عنده عطاء جزى لا فاذا كان الله أوعدا لمسيئين بالعنات فقد فتح باب الرحمة والرجاء وأوسع المصراعين خلفه العاصين والطائعين وهو أرحم الراحمين فهو يزيد فى الحسنات كما يغفر السيئات ومن كان هذا شأنه يجب أن يخشى بأسه ويتحاشى حسابه لان الكريم اذا كثر عطاؤه وعم

تداه وغفر للمسيء وأعطى الشريف والذنىء خجل منه المسيئون عند لقائه فليس كل عذاب جسميا ولا كل نعيم شهويا

يقول الله أفلا يخشون يوما يحشر الناس فيه الى وقد دعونا من كل أمة شهيدا يشهد أن أتباعه نبذوا الحقائق وتركوا صدق الشرائع وجاءت أمتك يا محمد مع الحاضرين وشهدت عليهم أجمعين حينئذ يمتحن عصاة أمتك والكافرون بك أن يدفنوا فى الأرض ويقولون ليتنا لم نخلق وباليات أمهاتنا لم تلدنا لما يرون من مقام رهيب ومشهد عجيب وعظمة وكمال وجلال والملائكة حول العرش حافون وقد تجلى الله بجماله وظهر لهم بكماله فيخرجون خجلا تذوب له القلوب وتكون النار أقل منه عذابا ذلك كله معروف فى الفطر الانسانية تدركه النفوس الفطنة والعقول الذكية ذلك هو الخزى الذى تقدم فى سورة آل عمران إذ قال تعالى هناك - ولا تخزنا يوم القيامة - وفى آية أخرى - ولعذاب الآخرة أذى وهم لا ينصرون - وقد قال حكماء الاسلام كفى الرازى إن عذاب النفوس أشد من عذاب الأجسام ولقد ظهر فى هذا المقام والفطر الانسانية تدركه ومن كلامهم • النار ولا العار • ولقد شرحته هناك شرحا وافيا كافيا • والذى تحقق فى هذا المقام وأمثاله أن الخجل والفضيحة لا تختص بالذنوب الجسمية بل تشمل الصور العقلية فالكفر هنا من أعظم الجهالات والبخل من أشأم الذنوب ومتى ضمنا اليه ما فى سورة آل عمران من التفكير فى الخلق والتأمل فى عجائب الليل والنهار الى آخر ما هناك وان جهل ذلك مستوجب العار ظهر لنا ظهورا واضحا ان الخجل والفضيحة حاصلان لجميع النفوس الناقصة والقلوب الساهية اللاهية فالعامة يخرجون لذنوبهم والخاصة يخرجون لنقص نفوسهم وعدم تحليتها بالعلم والعرفان

يا قوم ليس يلقى الله الانفس مضيفة قد خلت من الذنوب وتحلت بالعلوم الكونية وما الانبياء الامبلغون وعلى الناس البحث والتفكير فليعرفوا ما حوهم لئلا يخرجوا فى ذلك المقام الشريف والمشهد المنيف فليعط الله الناس من النعيم الجسمي ما يشاؤون وليغفر لهم كما جاء فى هذه الآية وفى الأحاديث وليخرج كثيرا منهم من النار مع اعطائهم نعم لا تحصى كل ذلك يزيد فى خجل النفوس الشريفة إذ يرون أنهم ليسوا أهلا لمقعد الصدق والمقام الأقدس عند مليك مقتدر فان ذلك لا يكون الا لكل حكيم عليم

ذلك المقام الذى يظهر فيه الجمال والجلال والحسن والبهاء والأنوار ومجالى السعادة يخرس الألسنة أن تنطق ولا يجد المذنب مفر من الاقرار بذنوبه والاعتراف بعيوبه ولا يكتفى المذنبون الله حديثا ولما كان هذا المقام شريفا عزيزا ولا ينال الا بأن يخلص القلب فيصير كالشمس المضيئة ليس دونها سحب الذنوب ولا غشاوات العيوب أردف ما تقدم بما يقرب الانسان من الحضرة العلية ويخلصه من ذنوبه ويرجعه عن عيوبه وذلك باقامة الصلاة لانها أولا تنهى عن الفحشاء التى تغطى القلوب بسحاب الذنوب وثانيا يتجلى على القلب حكم وأنوار وبهاء لاسيما اذا كان ذلك فى وقت السحر وقد خلا من الشواغل • فاذن لا ينبغي أن يكون المصلى سكران لان السكران لا يعي ما يقول وما المقصد من الصلاة الامناجة تلك الحضرة والمران على مخاطبة ذلك المقام الأقدس وذلك المران يستدعى التجليات والمجاهدات ومن لم يحفظ فى الدنيا بهذه المشاهدات ولم تفرغ منه فى الصلوات لم يحظ بما يريد من لقاء منبع الجمال ومبدأ الكمال • وكما أن القلب فى الصلاة يجب أن يكون حاضرا لاساهيا ولا سكران ليمحصل المقصود هكذا يجب أن يكون المرء على طهارة كاملة • فالقلب حاضر للمناجاة والجسم طاهر من الأقدار والحدث والجنابة وللظاهر فى الباطن آثار فاياك أن تشغل قلبك وقت الصلاة فلا سكر ولا فكر الا فى مناجاة الله لتشهد ولو بعد حين الأنوار فذكر السكر رمز الى سائر الشواغل حتى يعلم الانسان ما يقول ولعمري أى فرق بين السكران ومستغرق الهم فى أعماله الدنيوية الحق ان الصلاة إما باطلة أو فى حكم المباظة كما قدمناه فى سورة البقرة فلما مشاهدة لذلك الجمال بعد الموت لا بمقدمات المشاهدات

اليوم • وإذا كان القلب في الصلاة يجب أن يكون حاضرا والجسم يجب أن يكون طاهرا فلما تصرفه قذارة الجسد أو شغل البال عن مفاجأة الله فإنه يغتفر للضرورة ما يعتري الناس من الأحوال التي تضطرهم إلى ترك استعمال الماء في الطهارات كالجنب الذي فقد الماء في سفره فكيف يغتسل والمريض الذي عرف بقول الطبيب أن الماء يؤذيه فالمسافر الذي لا يجد الماء لوضوئه إذا نقض أو لغسله والمريض كلاهما يتيم بضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين لتبقى صورة الطاعة محفوظة ومما ذلك إلا كما يمتدح الجند على الرماية والتلاميذ في المدارس على أعمال الحساب وقراءة اللغات لترسخ الملكة فيهم فذلك في العلوم وغنا في الأعمال فتصبح أعمال الاغتسال سجية لهم متى جاء وقتها هذا ملخص معنى الآيات في الفصل الأول

فلا أوضح بعض الألفاظ مع تفصيل ما ينبغي تفصيله في هذا الفصل

قوله (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من قوله من كان قوله (ويكفون ما آتاهم الله من فضله) الغنى والعلم ويصح أن يقال الذين يبخلون الخ مبتدأ وخبره محذوف تقديره فهم يستحقون اللوم والتعنيف وقوله (وأعدنا) ههنا وأعدنا قد نزلت في اليهود كانت طائفة منهم تخالط رللا من الأنصار ينهونهم عن الانفاق ويخوفونهم الفقر وهم أنفسهم لا ينفقون المال ويكفون صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة (والذين ينفقون أموالهم رياء الناس الخ) مفعول لأجله أي ينفقونه للفخار والذين يجوز أن يكون معطوفا على ما قبله أو يكون مبتدأ خبره محذوف أي يكون الشيطان لهم قرينا وقوله (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) إيذان بأن الشيطان هو الذي يغريهم وهم له مطيعون فاليمضون إخوان الشياطين والمرأون إخوان الشياطين لان الأفعال إما شرعية وإما مخالفة للشرع فالأولى اتباع للشرع والأخرى اتباع للشياطين (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر الخ) أي وأي تبعة تحيق بهم بسبب الإيمان والانفاق (وكان الله بهم عليما) وعيد لهم ونحويف (إن الله لا يظلم مثقال ذرة إلى قوله ويؤت من لدنه أجرا عظيما) تقدم في المعنى تفسيره وقوله (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد) أي نبي (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء) أي أمتك (شهدا) كفاي آية - وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا - (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لوتسوى بهم الأرض ولا يكفون الله حديثا) أي يودون أن تسوى بهم الأرض وحالهم أنهم لا يكتفون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين إذ روى أنهم إذا قالوا ذلك ختم الله على أفواههم فشهد عليهم جوارحهم فيشهد عليهم فيقننون أن تسوى بهم الأرض وقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية) أي لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى سكر نوم أي لا تقربوها عند غلبة النوم حتى تعلموا ما تقولون لما في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر ربه فيسب نفسه فأما ما روى أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما لبعض الصحابة فأكلوا وسقاهم خرا وأمهم على بن أبي طالب فقرا - قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون - وكان ذلك في صلاة المغرب فنزلت هذه الآية فهذا الحديث حسن غريب ولم يرد في الصحيحين وإنما أخرجه الترمذي وأبو داود فسكارى يحتمل سكر النوم والسكر العسوف (ولاجنبنا) عطف على وأنتم سكارى والجنب الذي أصابته الجنابة يستوى فيه المذكور والمؤنث والواحد والجمع فيجوز مجرى المصدر وقوله (الاعابري سبيل) إما بمعنى المسافرين وإما بمعنى سبيل المسجد فيكون على الأول هكذا لا تقربوا الصلاة جنبا في غامة الأحوال إلا في السفر فلم تجدوا ماء فتميمتم وعلى الثاني لا تقربوا مواضع الصلاة وهي المساجد جنبا لا يجتازين فيها دخولا أو خروجا والأول مذهب أبي حنيفة وهو مروي عن علي وابن عباس فعليه بمنع الجنب من العبور في المسجد والثاني قول ابن مسعود وأنس والزهرى والشافعي وأحمد فيجوز للجنب على هذا عبور المسجد

وقوله (حتى تغتسلوا) غاية للنهي عن قربان حال الجنابة وقوله (وان كنتم مرضى) أى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفارق أو مرضا يمنعكم من الوصول اليه (أو على سفر) لا تجدون فيه (أو جاء أحد منكم من الغائط) فأحدث بخروج الخارج من أحد السبيلين والغائط المظنين من الأرض وجعه الغيطان وكانت عادة العرب إتيان الغائط للحدث فكذبوا به عن الحدث تسمية له باسم مكانه (أولامستم النساء) أى جامعتم وهو قول على وابن عباس والحسن أو ما ستم بشرتهن ببشرنكم بجماع أو بغيره

(١) وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي والشافعي فالأمر عنده بيقض الوضوء ومن لمس محرمة لا ينتقض وضوءه على أصح القولين عند الشافعي ولا ينتقض وضوء الملموس على أحد قولين له بل اللامس فقط

(٢) واشترط مالك والليث وأحمد أن يكون اللبس بشهوة حتى ينتقض به الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا

(٣) وقال أبو حنيفة لا ينتقض الوضوء الا أن يحصل الانتشار

(٤) وقال ابن عباس لا ينتقض بحال وكذلك الحسن والثوري وابن عباس ومن عطف عليه مخفون والشافعي مشدد ومالك وأبو حنيفة متوسطان بينهما ولكل من هؤلاء أحاديث رويها ولكل وجهة هو موليها

وقوله (فلم تجدوا ماء) أى فلم تمكنوا من استعماله إذ الممنوع عنه كالمفقود . واعلم أن المرخص بالتيمم إما محدث أو جنب والذي يقتضيه في الغالب مرض أو سفر . وكأنه قيل وان كنتم جنباً مرضى أو على سفر أو محدثين جئتم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء (فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) أى فتعمدوا شيئاً من وجه الأرض طاهراً فاضربوا ضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين بحيث يضرب التيمم كفيه على التراب ويمسح بهما وجهه ثم يضرب ضربة أخرى فيمسح يديه إلى المرفقين وعند الخنقية لوضرب التيمم يده على حجر صلب ومسح أجزأ وكفى وكذا الرمل والجص والنورة والزرنيخ وينوي عند التيمم استباحة الصلاة بعد دخول الوقت ويصلي فرضاً واحداً عند ابن عباس وعلى ومالك والشافعي وأحمد وذهب جماعة إلى أن التيمم كالوضوء فيقدم جوازاً على الوقت ويصلي به فرائض كثيرة ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والزهري والثوري فأما النوافل فقد اتفق الجميع على أن يصلي الكثير منها بتيمم واحد قبل الفرض وبعده وأن يقرأ القرآن وهو جنب وأبو حنيفة لا يشترط طلب الماء وعند الشافعي لا يقع اسم الصعيد الأعلى تراب ذي غبار . ولما كان ما تقدم فيه تسهيل قال تعالى (إن الله كان عفواً غفوراً) فلذلك رخص لكم انتهى الكلام على الفصل الأول من هذا القسم لفظاً ومعنى وحكماً ملخصاً

(الفصل الثاني)

(ألم تر إلى) أحبار اليهود (الذين أتوا نصيباً) حظاً يسيراً (من الكتاب) من علم التوراة (يشترون الضلالة) يختارونها على الهدى بانسكارهم بقوة محمد وأخذهم الرشاً وأكلهم أموال الناس بالباطل (ويريدون أن تضلوا) أيها المؤمنون (السبيل) سبيل الحق (والله أعلم) منكم (بأعدائكم) وقد أخبركم بعداوة هؤلاء فأحذروهم (وكفى بالله ولياً) إلى أمركم (وكفى بالله نصيراً) فهو ينصركم عليهم فتقوا بولايته ونصره ثم أخذ يذكر بعض فرق هؤلاء اليهود الذين يشترون الضلالة فقال (من الذين هادوا) قوم (يحرفون الكلام) يميلونه (عن مواضعه) التي وضعه الله فيها بآياته عنها وإثبات غيره فيها أو يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه (ويقولون سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك (واسمع غير مسمع) أى مدعوا عليك بلا سمعت بأن تكون أصم أو ميتاً (وراعنا) أنظرنا نكلمك (لياً بالسنتهم) فقلابها وصرفاً للكلام إلى ما يشبه السب

إذ وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا كما تقدم في سورة البقرة (وطعنا في الدين) استهزاء به وسخرية (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم) أى لكان قولهم ذلك خيرا لهم وأعدل (ولكن لعنهم الله) طردهم وأبعدهم من الرحمة (بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) المراد بالقلة العدم قال الشاعر

قليل التشكي للهـم يصيبه * كثير الهوى شتى النوى والمسالك

ثم خاطبهم قائلا (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها) أى نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها يعنى الأقفاء وأصل الطمس إزالة الأعلام المتماثلة وقد يراد بمعنى الطمس في إزالة الصورة وأحسن المعاني التي ذكرها المفسرون أن يكون مجازا كأنه يقال يا أيها العلماء بالكتاب ومعكم دلائل توجب أن تصدقوا محمدا آمنوا بما نزلنا عليه فإذا خالفتم كتابكم وطمستم الحقائق وزغتم عن الجادة صار ذلك بتكراره عادة فيكم وسجية لامفر منها لتكرارها وصار العلم على حسب الأهواء والدين تبعا لللبس والغذاء فتستعذب القلوب ما صرنت عليه وتنفر من الحق تقورا وتذر العلم وتتبع الهوى فتعمى القلوب وطمس البصائر فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب ثم عطف على طمس وجوها قوله (أو لعنهم) أى أصحاب الوجوه على لسانك (كما لعنا أصحاب السبت) على لسان داود وهم الذين صادوا السمك يوم السبت وقد نهوا عنه (وكان أمر الله) بايقاع وعيده (مفعولا) نافذا (إن الله لا يغفر أن يشرك به) فالمشرك مخلد في النار (ويغفر ما دون ذلك) ما دون الشرك صغيرا كان أو كبيرا (من يشاء) تفضلا (ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) ارتكب ما يستحق دونه الآثام (ألم تر إلى) أهل الكتاب (الذين يزكون أنفسهم) فيقولون نحن أبناء الله وأحباؤه (بل الله يزكي من يشاء) فتزكيتهم هي المعتد بها وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين وأصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا أو قولا (ولا يظلمون) بدم أو عقاب أى لا ينقصون (فتيلا) أى الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة (انظر كيف يفترون على الله الكذب) إذ يزعمون أنهم أبناء الله (وكفى به) بزعمهم هذا أو بالافتراء (إنما بينا) أى إنما لا يخفى بل هو ظاهر من بين آثامهم

اعلم أن اليهود لما وجدوا النبي صلى الله عليه وسلم معهم في المدينة ورأوا ديننا هجم على القلوب فاجتمعت ومضى إلى النفوس فاستنارت ساءهم ذلك ورأوه ماسا برياستهم هادما لمجدهم مميتا لمزائهم فأخذوا تارة يمدحون أنفسهم فيقولون

(١) نحن أبناء الله وأحباؤه وتارة

(٢) يذمون هذا الدين الجديد و يفضلون عليه عبادة الأوثان وهم يعلمون أنهم في ذلك كاذبون إذ جاء حي بن أخطب وكعب بن الأشرف في جمع من اليهود إلى أهل مكة ليحالفوا قريشا على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيحاربونهم فقالت قريش لهم أنتم أهل كتاب فاذن أتم أقرب لمحمد منكم البنا فلأننا من مكرم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم فسجدوا لا لاجبت وهو صنم أو أصله الجبس وهو مالا خير فيه وقد استعمل في كل ماعبد من دون الله والطاغوت يطلق على كل باطل من معبود أو غيره • ولما قال أبو سفيان لكعب بن الأشرف نحن ننحدر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آباءه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث • قال له كعب أتم والله أهدي سبيلا مما عليه محمد

(٣) وقد ينظرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه نظر الحسد ويتمنون زوال النعمة عنهم فيقولون تارة نحن أولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب

(٤) وتارة يقولون كيف يجمع محمد الكثير من النساء فيكون له تسع نسوة ولو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن الاهتمام بأمر النساء

وقد أجاب الله عن الأول بما تقدم في قوله - ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم - وعن الثاني بقوله (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) وتقدم تفسيرهما (ويقولون للذين كفروا) لأجلهم وفيهم (هؤلاء) إشارة إليهم (أهدى من الذين آمنوا سبيلا) أقوم ديننا وأرشد طريقنا (أولئك الذين لنهم الله ومن يلعن الله فلن تجده نصيرا) يمنع العذاب عنه بشفاعته أو غيرها وعن الثالث بقوله (أم) بلأ (لهم نصيب من الملك) أى ليس لهم نصيب من الملك البتة ولئن كان لهم نصيب من الملك (فاذن لا يؤتون الناس تقيرا) وهو النقرة التى تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة كما أن القليل هو ما فى شق النواة الذى أعد لأخذ الأغذية لتغذى النواة كما فى العلوم النباتية وقال فى الثالث (أم) بلأ (يحسدون الناس) رسول الله صلى الله عليه وسلم والعرب (على ما آتاهم الله من فضله) إذ سلقوهم بالسنة حداد انكارا للنبوة والمناصب الرفيعة التى جاءت للعرب وسعيها فى إزالة تلك النعم أن يفعلوا ذلك (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكم والنبوة) كداود وسليمان ولم يشغلهم الملك والنساء عنهما فقد كان لداود مائة امرأة وسليمان أكثر من ذلك فضلا عن الاماء فقالوا النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) والناس يكونون على حسب قواهم واستعدادهم فمنهم من قويت أبدانهم وعقولهم فلا يمنعهم بعض الأعمال عن بعض ومنهم الضعفاء تؤثر فيهم الأعراض فإذا مالوا إلى جانب حادوا عن الآخر . وأكثر الناس إذا أوتوا الملك صرفهم عن النبوة أو النبوة صرفتهم عن الملك وهكذا العلماء والحكماء فأكثرهم مصروفون عن الدنيا ومن لم يصرف عنها منهم نقص علمه وقليل منهم من جمع بينهما ففاز بهما معا ومن هؤلاء الأقوياء من الأنبياء داود وسليمان ومحمد فكيف تعترضون على محمد وأنبياءكم كانوا ذوى مناصب ونساء كثيرة فلم يشغلهم شأن عن شأن

ولما فرغ من الرد عليهم ذكر أنهم قسمان قسم آمن بالنبي وقسم صد عنه فقال (فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه) أعرض عنه (وكفى بجحهم سعيرا) نارا مسعرة يعذبون فيها وقد يجعل العذاب فى الدنيا (إن الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا) وهذا تقرير لما قبله (كلما فضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) بان يزال عنهم أثر الاحراق ليعود احساسهم للعذاب كما قال (لينذروا العذاب) أى ليدوم لهم ذوقه واعلم أن العذاب فى الحقيقة للنفس كما أوضحناه مرارا فى هذا التفسير فى مواضع كثيرة فارجع اليها فى السور المتقدمة فانها تزيل اللبس وتعلم أن الجسد ليس الآلة لحسب ولولم يكن اتصال الأعصاب بالمدح لم يحس الانسان بالآلم فالآلم الجسمى والآلم النفسى كلاهما راجع للنفس ولكن أحدهما آت للنفس بلا واسطة الجسم والثانى يأتى لها بواسطة الجسم . ألا ترى أن الموم تنويمها مغناطيسيا يشاهد الناس فى هذا العصر أنه تغرز فيه الابرة فلا يحس وتبدل جميع عوارض الاحساس وهذا مقام يوجب البحث والتنقيب والتفكير ولم تأت الديانات بهذه الأمور الا لتحض العقل على التفكير فى أمر النفوس الانسانية ولانعيم فى الحقيقة الا لأهل العلم المفكرين لأننا فى هذه الدنيا لم نخلق الا لذلك والحضرة الالهية لا يقرب منها الناس الا بالحكمة والعلم والبحث هذا هو الأول والآخر وكل محجوب بما نحن فيه من العوارض فانه يبقى بعد الموت على ما هو عليه فيكون فى أحوال تتجدد عليه وكلها شؤم على النفس كما تتجدد الأحوال الدنيوية علينا وكلها متقلبة غير ثابتة تتجدد الآلام وللعذاب الآخرة أخرى وأشد (إن الله كان عزيزا) غالبا لا يمتنع عليه ما يريد (حكيم) يعاقب بحكمة فليس تبدل الجلود ودوام العذاب على الناس الا بالحكمة قد يعرفها من آتاهم الله الحكمة وروهم الفطنة ودرسوا نظام هذا الوجود فهؤلاء وحدهم هم الذين يعقلون . كيف يعذب الله الناس عذابا لا يطاق

لحظة وكيف يبقى هذا العذاب الى الأبد وهؤلاء متى أدركوا ذلك لو حووا بعانيه للناس تلويحا وأسروه في أنفسهم لانهم يسرون على نهج العزيز الحكيم الذي علمهم فلا يعطون الحكمة لغير أهلها لئلا تضل العقول . وسأذكر لك طرقا في هذا المقام في سورة هود عند قوله - فأما الذين شقوا في النار الخ - لتبين بعض الحقيقة على ما تقتضيه الحكمة التي أبرزها الله لهذا الوجود وصورها كل موجود وعلمها لبعض عباده المفكرين ولما ذكر النار أتبعها بذكر الجنة فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا) كنيها لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم فيه حر ولا برد وهو ظل الجنة وهذا كقولهم شمس شمس وليل ليل ويوم أبوم . وقد مضى الكلام على النار والجنة في سورة البقرة وفي سورة آل عمران فارجع الى هذا القول هناك في المباحث

﴿ لطيفة ﴾

﴿ الحسد والبخل ﴾

لقد وصف الله اليهود بالحسد والبخل في هذه الآيات وحكم عليهم بانهم لا يستحقون الملك واعلم أن الحسد لكرهته للنعمة التي يسبغها الله على عباده شريك البخل بماله يمنعه عن الناس ولكن الحسد شر لأنه يبخل بنعم الله والثاني بماله هو وهاتان الصفتان قائلتان للانسان . ألا ترى أن للقلوب آثارا وللنفوس أسراراً ومن غرست في قلبه كراهة الناس أذله الله على أيديهم ولكن رأينا من عاشرناهم في هذه الحياة من اتصفوا بالحسد وكراهة الناس وغشواهم بالظواهر فافتضحوا في آخر حياتهم وأرداهم سوء طويتهم والحق لا بد من ظهوره والقلوب فيها مكنون الآراء تتفاعل كما تتفاعل العناصر ثم تنبت نباتا على مقتضى البذور ثم تخرج على اللسان ثارة وعلى الأعضاء أخرى وتنبعث أيضا بتيار كهربائي يسرى الى نفوس الناس وهم لا يشعرون فيحدث ذلك بغضا أوجبا فتتفرق النفوس أو تنجذب الى ذلك القلب وصاحبه هذا ما قرأته في بعض كتب النفس في العلم الحديث في كتاب بالانجليزية يسمى هكذا قواك وكيف تستعملها وهذا امر ذكر الملك وسلبه عن اليهود مع ذكر الحسد والبخل اللذين يجمعهما اختصاص الانسان بالنعمة وانفراده بالمجد ولقد علمت أن الانسان كله كنفس واحدة ولكل وظيفة في أعمال الحياة كوظائف أعضاء الجسد وهذا مقتضى ما جاء في أول السورة أن الله خلق الناس من نفس واحدة وأوصاهم بالتعاون فلهذا السر لا يصلح للملك الحاسدون

ينزل وحلم ساد في قومه الفتى • وكونك إياه عليك يسير

وهذا هو بعض معنى الآية

ولذلك نجد أن من تخلوا عن الدنيا أقبل الناس عليهم بالأعظام والجلال والأنبياء والصالحون كلهم على هذا النمط كلما زهدوا فيها أقبل الناس عليهم وأحبوهم انتهى الكلام على الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث ﴾

هذا الفصل درس أعطاه الله على ما تقدم من بخل اليهود وحسدهم وان الحسد من أي أمة والبخل وذا الصفة الممقوتة ليس أهلا للملك والله لا يؤتي الملك الا لدوى النفوس الواسعة فتقبل النفوس عليهم وتلتف الجموع حولهم فلذلك أخذ يشرح ما يجب على الحكام حتى ينالوا الملك واليهود لما كان كل غرضهم المال وكانت مصارف العالم في أيديهم اليوم كما كانوا قديما وحديثا يختصون أنفسهم بالمال فأباحوا الربا مع الأمم الامع أنفسهم حرمهم الله من الملك وأمر بصفات تخالف صفتهم

ومن عجب أن الذين أحدثوا البلشفية هم علماء اليهود في ألمانيا وأولهم ملهم ماركس وامتد علمه الى روسيا فقام لينين اليهودي ومن معه مثل تشنشرين وهذه العصبة منهم هم أصل تكوين البلشفية في روسيا فأزادوا دولة القيصرية وحلوا محلها والبلشفية فيها اليهود وهم أصلها وفيهم قوم من الروس النصارى لاضطهاد

القيامة لهم وهم يقسمون المال بين الناس . فانظر كيف سلب اليهود الملك ولم يعطه منهم أحدا الا حين تركوا الاختصاص بالمال بل تغالوا في تقسيمه بين الناس وهؤلاء طبعاً محقوتون من اخوانهم اليهود لان اليهود يحللون الربا مع الأمم وهؤلاء يحرمونه فرجع هؤلاء عن آراء أجدادهم ودينهم فأوتوا الملك وهذا من عجائب القرآن فكيف ذكر البخل هنا والحسد وسلب الملك عنهم وكيف يقول في آيات أخرى - وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك - كما سيأتي في تفسير هذه الآية وكيف حكم عليهم بتمزيق شملهم فلا ملك لهم الى يوم القيامة وكيف تم ذلك بخلافه وفرقوا في البلاد وكيف قامت لهم دولة ليست باسم اليهود بل باسم غيرهم لما خالفوا طريق اليهود لانه اذا زال السبب وهو الاختصاص بالمال زال المسبب وهو الحرمان من الملك فذلك أمر الله في القرآن باجتنب أخلاقهم وصفاتهم المانعة من الملك . فأمر الولاة أن يحكموا بالعدل والانصاف بالسوية فلا يحبون غنيا لغناه ولا قويا لقوته ولا يحيفون على فقير لأخذهم الرشوة من الغنى ألا ترى أن أول السورة عنوان هذا كله وهو أن الناس من نفس واحدة وينبع ذلك أن يكونوا كأنهم نفس واحدة فالعين تبصر والعقل يفكر والأعضاء تطيع هكذا على الحكم وهم كالعقول في الأمم أن يحكموا بالعدل فلا يميلون مع الهوى وعلى الرعايا أن يطيعوا ما أمر به الولاة على مقتضى الشريعة المرضية فان تنازع الرعاة في أمر فليردوه الى أولى الأمر وليراجعوا كتاب الله وسنة الرسول ولا يفعلون فماعل بعض المنافقين من عدم الرضا بحكم الله والرسول لم يرسلوا الا ليطاعوا فلا إيمان الا اذا رضى الانسان بحكم الله وانتظم شمل الألفة وصار الأنبياء والولاة كالعقل والقوى المفكرة وصار الرعايا كالأعضاء العاملة فتنفذ صواب ما أقرته العقول ورضيته النفوس ويكون ذلك إيمانا بالقلب ورضا بالحكم كما تدعن الأعضاء في الجسد ونتيجة ذلك كله أن يجتمع شمل التابع والمتبوع في الآخرة كما اجتمعوا في الدنيا ويصير الحكماء الفضلاء والأنبياء الظاهرون مع الرعايا والأمم في مقعد صدق متحابين في عالم الأرواح في البرزخ وفي الجنة كما كانوا متحابين في الدنيا فهذه التربية الجسمانية الدنيوية مع ما يمازجها من الأحكام والقضايا وتناجها إن صلحت صلحت النفوس بعد الموت واستعدت للسعادة والألفة وان فسدت فسدت تلك الألفة وتفرقت الأوصال كما أوضحه العلامة الفارابي في كتابه (آراء أهل المدينة الفاصلة) فهذا سر قوله تعالى - ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الخ - بعد الكلام على طاعة أولى الأمر وطاعة الله ورسوله وهذا من عجائب القرآن ونظامه فمن هذا المقام وأمثاله فلتعرف بعض أسرارهِ وعلى هذا النمط فلتعرف بلاغته ولتتوجه العقول الى أمثال هذه المعاني ولا تتلصقا في النكت اللفظية والقواعد البديعية فذلك يجزئ به المتوسطون ويفرح به الذين لا يعلمون فأحرصوا أيها المسلمون من أسرار القرآن على ما به تقوم مدنيتم وتسمو أممكم ويرتقي شأنكم فلقد سبقنا الفرنج درجات وتركونا في الآخريات فان المسلمين لما صرفوا همهم الى ألفاظ القرآن صرفت عنهم المعاني وتراهم في الاندلس لما قدسوا الشعر ولم يتغلغلوا في باطن الحكمة نزل اليهم الأسبان من الجبال فتخطفوههم وكان الملك يستد الى الحكماء والعقلاء والمفكرين من رجال الأسبان ولا يستد الا الى الشعراء وأهل الخيال من الاسلام كابن جهور وابن زيدون وأمثالهما فحقت كلمة الله على المسلمين

اقرأ كتاب العلامة (بيار دو الفرنسي) في تاريخ العرب بالاندلس وقد ترجم حديثا الى العربية وسترى في سورة الشعراء هذا المقام بياض وإياك أن تقف عند كعب بن الأشرف وحي بن أخطب وأمثالهما وتقرأ ما ورد في الحديث وفي الآيات على أنه مجرد قصص فالقصص بدون حكمة لا نتيجة له فلم تذكر هذه الأحوال الالغياتها ولا هذه القصص الالفواند لها فالجهلاء بالحكايات يتسلون والعلماء بالمعاني يرتقون وكل حزب بما لديهم فرحون واذ عرفت بعض سر الفصل الثالث في هذه الكلمات فلنشرع في تفسير لفظه فنقول

روى أن عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما أغلق باب الكعبة يوم فتح مكة وأبى أن يدفع المفتاح ليدخل فيها

النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمتعه لوى على يده وأخذه منه وفتح فدخل
صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج صلى الله عليه وسلم سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية
والسدانة فأمره الله أن يرده إليه فأمر علياً بأن يرده ويعتذر إليه وصار ذلك سبباً لاسلامه ونزل الوحي بأن
السدانة في أولاده أبداً وهذا قوله (إن الله يأمركم) أيها الناس والحكام وولاة الأمور (أن تؤدوا الأمانات
إلى أهلها) وهي كل ما أؤتمت عليه من قول أو عمل أو مال أو علم وبالجملة كل ما يكون عند الإنسان من النعم التي
تفيد نفسه وغيره فليسلم ذلك إلى أربابه ومن ذلك الحكام والولاة فليؤدوا الأمانات إلى أهلها . وفي حديث
البخاري أن الصدق وتأدية الأمانة والوفاء بالوعد علامات الإيمان وأضدادها علامات النفاق ونتائج الإيمان
على هذا المنوال سعادة المجموع الذي هو كنفس واحدة ونتيجة النفاق ونقص الإيمان على هذا المعنى شقاء
المجموع ولذلك نجد أن الأمة الإسلامية لما أصبحت عبادتها لفظية وقضايا المحاكم الشرعية فيها رسمية لاحقيقية
وجهل القضاة القصد من الأحكام وجاروا في أحكامهم للجهل تارة والرشا أخرى ذهبت ربحهم وانقضت عليهم
أوروا بخيلها وأرجلها وانزعوا الأحكام من أيدينا فالأمانة أس العمران والخيانة خراب البلدان ولعمرك
لا تنفع ظواهر العبادات ولا قشور القضايا والبيّنات إلا بدارك الغايات من مقاصد العبادات وحقائق العدل وبواطن
الأمر على قدر الطاقة البشرية عند تحقيق الشهادة وذلك هو الذي ذهب من يد المسلمين فحل قضاة الفرنجة
محل قضاة المسلمين وسبرجع الأمر إلى نصابه ويقوم جيل في الاسلام يأتي الأمر من بابيه ولنعلم نباءه بعد حين
وسيقوم في هذه الأمة عملاق قريب من عقل قوله تعالى (وإن الله يأمركم) إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل
فيسوى القاضي بين الخصمين في خمسة أشياء في الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما
والحكم بالحق فيما لهما وعليهما وملخص ذلك أن يكون مقصود الحاكم بحكمه إيصال الحق إلى مستحقه
وأن لا يمتزج ذلك بغرض آخر (إن الله نعماء يعظكم به) أي نعم شيئاً يعظكم به والمخصوص بالممدح المأمور به من
أداء الأمانات والعدل في الأحكام (إن الله كان سميعاً) لا قوالكم (بصيراً) بأحكامكم وما تفعّلون في الأمانات
ولقد علمت فيما تقدم في هذه السورة الجيلة أن التعليم بطريقتين طريق الافقاع العقلي وطريق الارهاب
ولما كان المخاطبون من أرقى الطبقات في الأمة الذين منهم الحكام أتى بهاتين الطريقتين بشكل عجيب فمدح
هذا الوعظ انعاشاً للقلوب وإيقاظاً للنفوس فكأنه يقول انظروا بعقولكم وفكروا بوجودكم وفتشوا في
ضمايركم ألستم ترون أن مبدأ السورة أن الناس إخوان متعاونون وهم كأنتهم جسم وأعضاء خادمة ومخدومة
فكل لكل مساعد وعضد وساعد أليس هذا التعاون منفعة للجميع وإن الحكم إذا لم يكن لهم رعايا ذهب
عنهم الملك وإن الملك لا يكون إلا بالعدل وإن الرأس لا يستقيم إلا بالأعضاء فإذا عدلتم بين الناس فالأمر راجع
للجميع والرعايا إن لم يطعمشوا نقصت الغلات ونقصها ينقص رزق الجند ويوجب ذهاب الدولة وذهابها ينزل
الحكام عن كراسيهم فيصبحون سوقة فهذا أمر قوله - نعماء يعظكم به - ولما كانت هذه المعاني الشريفة
الجيلة تخفى على كثير من الحكام وأهل النظر أردفه بالتهديد على الذئق الذي رأته في هذه السورة وأكفنه
تهديد لطيف فلم يخوفهم بجهنم كما أخاف اليهود بل تطفف فذكر أنه يسمعهم ويبصرهم فليحذروا نقمه
وطوى ذكر العذاب والنقمة اكتفاء بفظنتهم وهذا غاية الإبداع معنى والاحسان لفظاً من هذا فليصدق الناس
البلاغة القرآنية وليحبوا من الحكم البديعة . ولما فرغ من نصيح الحاكمين شرع ينصح المحكومين باعتبار
أنهم جميعاً كإنسان واحد فقال (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وهذا يشمل الكتاب والسنة
والقياس والاجماع . فالكتاب والسنة يفهمان من طاعة الله ورسوله والقياس والاجماع كذلك فالقياس
من قوله مثلاً - فاعتبروا يا أولي الأبصار - والاجماع من قوله - ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى -
ومما ورد . لا تجتمع أمتي على ضلالة . وحديث . ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن . وقوله

(وأولى الأمر منكم) هم أهل الحل والعقد في الأمم الإسلامية الذين يكون الأمر بينهم شورى ويكون الرأي الغالب معمولاً به وأل في الأمر للعهد والمعهود ذلك في قوله تعالى - وأمرهم شورى بينهم - فهذا هو الأمر المذكور هنا . أما الحكم فإن طاعتهم واجبة لوجوب طاعة الله ورسوله وأولى الأمر فأولوا الأمر هم الذين يولون الملوك والملوك يولون الحكم في الأقاليم فإذا أطاع المسلمون عثمان بن عفان ذلك لأن المجلس الشورى الذي أمر به سيدنا عمر قضى بخلافته . وإذا أطاع المسلمون حكام الأقاليم فقد أطعوا أولياء الأمر منهم بالواسطة طاعة الله ورسوله وما ترتب عليهما تكون في الأمور الدينية وطاعة أولى الأمر تكون في الشؤون الدنيوية المتفرعة على الدينية والمحافظة عليها وهناك لابد من تنازع في فروع الفقه والدين وفي مجالس الشورى بين المسلمين فليرد المتنازعون أمر ما تنازعوا فيه إلى ما ورثوه من العالوم في الكتاب والسنة وليقتبسوا منهما ولينظروا فيه ما حتى يستقيم الأمر ويعتدل وهذا هو قوله تعالى (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فإن الإيمان يوجب ذلك (ذلك) أي الرد (خير) لكم (وأحسن تأويلاً) أحسن عاقبة أو أحسن من تأويلكم بلارد

وستأتي محاورات في المجلس الذي سيعقد بعد مئات من السنين للأمم الإسلامية بعد تفسير المقصد السادس بعد هذا من سورة النساء التي نحن بصدد الكلام عليها وهي تطبيق على هذه الآية فلتقرأها ولتتدبرها هذا واعلم أنه في هذه الأيام طرد الترك آل عثمان والخليفة من بلادهم فكتبت هذه المقالة في عدد الثلاثاء ١٨ مارس سنة ١٩٢٤ - ١٢ شعبان سنة ١٣٤٢ بجزيرة المقطم وهذا نصها

﴿ الخلافة في الإسلام ﴾

الفطرة نور إلهي سار في المخلوقات الحية ظاهر في نوع الطير في جو السماء وفي ذوات الأربع فوق الغبراء والحيوان البحري في لجج الماء فهذه الغرائز أنوار مشرقة على الأحياء إشراق السكواكب والشمس والقمر على سائر الأرجاء

فهذه الفطرة حببت الأمهات في أولادها وبها حنت الذرية إلى أمهاتها ودلف الطير إلى عشه وكرّ الاسد إلى هرينه وجرت الحية إلى وكرها وسارعت الغزالة إلى كئناسها وعاشت الأحياء في سلامة وسلام بهذه الفطرة عاش الإنسان قبل التاريخ ثم امتاز قوم بنو إبراهيم وإشراق أجلى وهم الأنبياء فأخذوا يمدون إخوانهم بماله يمدون ويعلمونهم ما يلهمون والفطرة لاتخدع فيقبلون عليهم ويصغون إليهم وكانهم ماسمعوا إلا فطرهم ولا أصغوا إلا لنفوسهم

هكذا كان بوذا وكونفوشيوس وموسى وعيسى في الأزمان الغابرة ولما طال الأمد أخذت تلك الشعوب تلون الديانات بألوانها وتصبغها بصبغتها فتطبع بطابعها وتنسى المبادئ الأولى للديانات وتظهر أجيال تشاهد مالمس من طبع الدين وانما هو من طبع المتدينين وأخلاق التابعين

وكما كثرت الأجيال وتوالى الأمم وامتد الزمان تباعد الدين عن أصله وصار على غير شكله هناك يكون ضلالا لتابعيه وتأخيراً لمعتنقيه فيصبح مرة المذاق طعمه لن يطاق قليل الجدا قيدا في الأرجل غلا في الاعناق فكما كان في أوله عدة النشاط مفتاح النجاح صار في آخره قيد النفوس جالبا للبؤس

فقام في كل أمة من هذه الأمم مجددون وظهر فيها مستنبرون فعملوا أمهم وهدبوا طرقهم وأنت ترى تعاليم أوروبا في العصر الحديث اذ نهجت غير المناهج القديمة في العصور الوسطى ونادى أناس بالحرية العملية والعلمية والاطلاق من الوثائق وقام لوتر وأمثلة من المصلحين فاتجلت بعض الغياهب وظهرت بعض الحقائق وارتقت الشعوب

﴿ دين الاسلام ﴾

وجاء دين الاسلام موافقا للقطر كسائر الديانات في أول أمرها فقبله العرب الاوثون وأصلح أخلاقهم وجمعهم وكان سهل التعليم فطاروا به في الارض شرقا وغربا وخلف النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى فكانوا على أخلاق النبوة سائرين ولطريق النبوة سالكين وفي سبلها عاملين متخففين بالأخلاق الحميدة وهم في حكمهم عادلون

﴿ الخلافة المحجبة المبرقة ﴾

ثم لما طال الامد قست القلوب ووهنت النفوس وبطر الخلفاء وتظاهروا بالكبرياء فتراهم في أواسط الدولة العباسية وأواخرها ببغداد وفي أواخر دولة بني أمية بالاندلس وكذلك الفاطميون بمصر والعمانيون بالاستانة كل هؤلاء أخيرا قد احتجبوا في قصورهم مع الخصيان والنساء ساهين لاهين وكلما هلك خليفة ابتدع من بعده بدعا وأنواعا من الترف وهم في غيهم بعمهون وفي جهالانهم تاهون والعلماء والحكماء لا يستطيعون تقويض ذلك البنيان ولا تغيير تلك الحال بل يمدحونهم بالقصائد وهم يزدادون في قصورهم قصورا ويملكون فيها ولدانا وحورا وحجابا وخصيانا ونساء لا فرق بين الآخرين منهم والاولين وأنس الناس بتلك المناظر وخضعوا لتلك المظاهر وخست الالسن فلا تسمع الا همسا وبتوالي الزمان أصبح ذلك عادة مألوفة وجبلة ثابتة كيف لا والعادة طبيعة خامسة واذا مات الخليفة قام مقامه آخر من نفس البيت بطريق مرسوم والام قبلت ذلك لسببين أولهما أنهم يخافون قيام الثورات وظهور الفتن في البلاد وثانيهما أن هؤلاء مثلهم للدولة كمثل شبكة الصائد أوجرة الطيب أو التنويم المغناطيسي فهذه المظاهر والزخارف تأنس النفوس وتخضع الرقاب وكلما أراد الشعب انطلاقا لم يزد الخلفاء الا وثاقا بما يزعجون ويشيدون وبمن حولهم من الحراس والحجاب وأرباب الدولة والمظاهر الخلابه فهذه أشبه شيء بأدويه مسكنة للشعب ليهاج لوقعها ويخضع لمآها وهذه تزداد على مدى الزمان وترى هذه المظاهر منومات للشعوب فتفتقر لهم وأضل النفوس وترتبك العقول وهناك تغلى الفطن البشرية وتذام العقول الانسانية أجيالا وأجيالا حتى اذا وقعت الواقعة وانثقت سماء الوهم فهي يومئذ واهية أتى هؤلاء الخلفاء يومهم الموعود وحضر لهم الشاهد والمشهود فذل العزيز وعز الذليل فتكسر تلك الأغلال وتبدل الحال إماما من داخل البلاد كما في دولة الترك الحاليين وامام من خارجها كما في التتار إذ قتل هولاكو آخر خليفة عباسي في القرن السابع وزالت الدولة العباسية من بغداد وقد فعل صلاح الدين الأيوبي مع الخليفة الفاطمي بمصر في ذلك الزمن ما هو أشد وأنكى ألف مرة مما فعله الترك في بيت آل عثمان إذ حبس الشبان والشابات من بيت الخلافة متباعدين في أماكن حتى لا يتناساوا ثم ماتوا في سنين معدودة وهم لا يرجون • وهكذا انقرضت الخلافة الاموية من الاندلس وجاء ملوك متفرقون شذروا مذر حتى تفرقت الكلمة واجتمعت أوروبا على مناصرة الأسبانيين فأخرجوهم من الجزيرة وهم يائسون ليس في هذه الحياة ما يبقى الا اذا كان أصلح للوجود وكيف يبقى ما لا فائدة له قاصرون في القصور ماثنون في الحجرات كيف يعيشون بين الأمم الا الى أجل معدود كالأعضاء الاثرية في الحيوان إنه ليس في الوجود معطل ولا يبقى الا ما هو أصلح للحياة - فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض - تبقى تلك العروش قرونا ثم تبعد كما يهلك الشيخ اذا انتهى أجله وفرغ عمله وذهب أمره وقل نفعه فيكون موته رحمة له وللعالمين لذلك ترى أناسا يثبتون في الأمم فيزيلون تلك المظاهر المعطلة والمناظر المضاللة التي لا يحترمها الناس الا رياء ولا يعظمونها الا شفاها وهم في أنفسهم كارهون وفي قلوبهم مبغضون ولذلك شكوا المصريين منذ أربع مائة سنة من الترك وشكوا الترك حديثا من المصريين وسائر المسلمين الذين هم واقعون تحت ضغط الاوربيين فقال المصريون لقد سطا الترك على خليفتنا فأخذوه وباعهم بالخلافة وانفرد بها السلطان سليم وقال الترك حديثا ان المصريين أرسلوا العمال الى فلسطين نحو مليون أو يزيدون وهكذا

سارت الجنود المصرية الى مكة في الحرب العامة خاربوا جيوش الخلافة وهم مسلمون فغضب الترك على الخلافة وأخرجوها من الديار وقالوا لا طاقة لنا اليوم بما لا خريفه وليس له احترام • ألا انما السبيل للحل هو الشورى ويكون الخليفة بالانتخاب

لقد أبدت في هذه المقدمات سنة الوجود وان الأمم تخضع للعروش الى أجل محدود وليس يهمننا في هذا المقام الا أمر الأمة المحمدية المترامية الأطراف البعيدة الأكناف لقد جاء في القرآن سورة باسم الشورى ايذانا بعظمتها وتعريفها بحكمتها وتبييننا لفضائلها وهذه السورة نزلت بركة ونزلت سورة النساء بالمدينة وجاء في الأولى - وأمرهم شورى بينهم - وعمل بذلك النبي صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله ونرى المشاورة في الغزوات مشهورة معروفة عن الحديثين ولقد شاور أصحابه صلى الله عليه وسلم يوم غزوة أحد فاختلفوا وكان هو أميل في أول الأمر الى انتظار المهاجرين في المدينة وأيد ذلك رؤية رآها ولكن الحجة التي أدلى بها من مال الى الخروج الى القتال كانت أرجح فأنحاز اليها وغضب أصحاب الرأي الأول وأسرعوا للهزيمة كعبد الله بن أبي بن سلول وكان ما كان فانظر ماذا قاله الله في سورة النساء - يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم - ومن هم أولو الأمر هم المعهودون عندهم هم أهل الشورى المذكورون في السورة النازلة قبلها في مكة - وأمرهم شورى بينهم - فليكن في كل بلد إسلامي مجلس للشورى وبعبارة أخرى نواب وهذا المجلس له القول الفصل في أمر البلاد فليفعل ما يشاء وليحكم بما يريد وليكن هناك مجلس عام من الأمم الإسلامية ولكل مجلس خاص فيه أعضاء يتربون عنه ويمثلونه وليقتنعوا اقتراحا سريا أي عظماء الاسلام يقلدونه الخلافة ومتى انتخبوا واحدا كان له الخلافة ومن المعقول أن هذه الجموع لا تنتخب سرا ولا جهرًا الا من هو مستقل ليس لادوربا عليه سلطان ويكون ذلك الخليفة له أعمال يخصصها له المجلس بحسب الزمان والمكان لانه خليفة على سائر المسلمين وهم متفرقون في الأرض ومنهم من هم في احضان المستعمرين بهذا يكون للاسلام خلافة حقا والافسكيف نرى في مصر للفاطميين وفي بغداد للعباسيين وفي الاندلس للامويين خلافت متنوعة في زمن واحد فأى خلافة هذه انها ملك أعطى لقب الخلافة

ولقد نرى رجالا من الأمة تزيوا بزى الخلافة على أشكال شتى من الأمم الإسلامية المتأخرة متشبهين بالخلافت البائدة وأثروا في عقول الشعب إما بالنسب وإما بالانتساب الى ولى من الأولياء بطريق العهد وما أشبه ذلك فعاشوا في رغد العيش وتمتعوا بنعيم الملوك في غفلة من الأمم الإسلامية وكانوا أكبر عون للفاتحين من الاوربيين وهم مشهورون لاسيما في البلاد العربية في شمال افريقيا وغيرها وهم هم أعوان كل فاتح في بلاد الغرب وذلك مستفيض بين الجمهور • إن الشورى ممكنة في هذه القرون المقبلة بسهولة المواصلات والمحادثات والمكاتبات ووجود القطار والبريد والبرق وهل يتم ذلك وبينهم المستعمرون ان ذلك موكول الى المستقبل ففيه تبين الحقائق والله عاقبة الأمور انتهت المقالة

ولما كانت طاعة الله ورسوله واجبة أردفها بما وقع من مخالفة

(١) فدكر المنافق الذي لم يرض بحكم رسول الله

(٢) وأتبعه بذكر الأمر بالقتال وكيف كان من المنافقين مشبطون وذلك من عدم الطاعة

(٣) ثم ذكر ما كان يعله ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا النبي صلى الله عليه وسلم من طريق الوحي بنصر أو تخويف من عدو فأنهم كانوا يذيعون ذلك وفي الاذاعة ضرر بالسياسة وعليهم أنهم كانوا يردونه الى الرسول والى أولى الأمر منهم

أما الأول فذلك أن ناسا من اليهود قد أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة في الجاهلية حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من بني قريظة رجلا من بني النضير قتل له وأخذت دية مائة وسق من

تمر وإذا قتل رجل من بني النضير رجلا من قريظة لم يقتل به وأعطى دينه ستين وسقا فلما جاء الاسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاقتصموا في ذلك فقال بنو النضير كنا وأنتم قد اصطلحنا على أن نقتل منكم ولا تقتلوا منا ودينتنا مائة وسق ودينتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقال الخزرج هذا شيء أخذتموه في الجاهلية لكثرتكم وقتلنا فقهرتمونا على ذلك فاليوم نحن اخوة في الدين فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم نطلق الى أبي بردة الكاهن الأسلمي وقال المسلمون من الفريقين نطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم فأبى المنافقون وانطلقوا الى أبي بردة الكاهن ليحكم بينهم فأبى أن يحكم بينهم الا بمال كثير فنزلت آية القصاص وهذه الآية (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) أي المنافقين ممن آمنوا من أهل الكتاب (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) وهو أبو بردة الكاهن على قول السدي المتقدم أو كعب بن الأشرف على قول ابن عباس والطاغوت كل باطل من معبود غير الله أو قاض أو كاهن (وقد أمروا أن يكفروا به) لان الكفر بالباطل وهو الطاغوت إيمان بالحق وهو الله (ويريد الشيطان أن يضاهم ضلالا بعيدا) عن الحق (وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا أصابهم مصيبة بما قدمت أيديهم) أي فكيف تكون حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون اذا أصابهم مصيبة يعجزون عنها (ثم جاؤك) حين تصيبهم المصيبة (يخلفون بانه) الجملة حال (ان أردنا الا احسانا وتوفيقا) ما أردنا بذلك الا الفصل بالوجه الأحسن والتوفيق بين الخصمين (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان (فأعرض عنهم) عن عقابهم (وعظهم) بلسانك وكفهم عما هم عليه (وقل لهم في أنفسهم) أي خاليا بهم فان النصيح في السر أجمع (قولا بليغا) يبلغ منهم ويؤثر فيهم فهذا أمر صلى الله عليه وسلم أن يتجافى عن ذنوبهم وينصح لهم ويبالغ في الترغيب والترهيب لأن الأنبياء أهل الشفقة على الأمم ولما كان مفعله منافقو اليهود مخالفة للرسول وقد أمروا بطاعته قبل هذه الآية أردفه بأنه لا يرسل الله رسولا إلا ليطاع وكما ان اللسان خلق ليتكلم والعين لتنظر والمعدة لتضم والعقل ليفكر هكذا الرسول أرسل ليطاع وهذه قاعدة عامة فقال (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله) بسبب اذنه في طاعته (ولوأنهم إذ ظلموا أنفسهم) بالتحاكم الى الطاغوت (جاؤك فاستغفروا الله) بالتوبة والاخلاص (واستغفر لهم الرسول) أي من مخالفته والتحاكم الى غيره (لوجدوا الله توابا رحيم) أي لعلموا أنه قابل توبتهم ورحم لهم (فلا وربك) أي فوربك ولا زائدة للتأكيد (لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت) ضيقا مما حكمت به (ويسلموا تسليما) وينقادوا لك انقيادا ظاهرا وباطنا (ولوأننا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) كما كتبنا على بني اسرائيل فامتلوا (أو اخرجوا من دياركم) كما خرج بنو اسرائيل حين استتبوا من عبادة الجبل (مافعلوه إلا قليل منهم) إلا أناس قليل وهم المخاصون وقد تقدم أن الايمان لا يتم إلا بان يسلموا حق التسليم (ولوأنهم فعلوا ما يوعدون به) من متابعة الرسول رغبة لا رهبة (لكان خيما لهم) في العاجلة والآجلة (وأشد تنبينا) في دينهم وهنا يقال ما يكون لهم بعد التنبيت فقال (وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما) وزاد في تأكيد الطاعة لله والرسول فقال (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) فهم مع الأنبياء الذين بلغوا درجة الكمال والتكميل والصديقين الذين ارتقت نفوسهم بمراقبي النظر تارة وباتصفيه والمجاهدة تارة أخرى والشهداء الذين أذاهم حرصهم على الطاعة الى بذل أرواحهم في سبيل الله والصالحين الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأمواهم في مرضاته وما أحسن مرافقة هؤلاء الأربعة (وحين أولئك رفيقا * ذلك الفضل) كائن (من الله وكفى بالله غلبا) بحزاء من أطاعه

﴿ التسليم والرضا وسورة النساء وسورة الشورى ﴾

ذكرى للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بالمدينة المستقبلية والتربية العالية

هل لكم أيها المسلمون أن تسمعوا لماذا يشير كلام الله في هذه الآيات وهل يعلم الناس ماذا يريد الله عز وجل بقوله - ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما - يقول لا إيمان إلا إذا حصل الاذعان للأحكام والرضا بالقلوب والتسليم وكيف سمي هذه السورة باسم النساء كما سمي أخرى باسم الشورى فقليل هناك (سورة الشورى) وقيل هنا (سورة النساء)

ان هذا المقام يحتاج للأسهاب والتطويل ولكنني أوجز القول فأقول

ان هذه السورة سميت باسم النساء لأن المرأة أظهر ما فيها من الأحوال أمران الرحمة والتربية فبالرحمة تعطف على الأبناء وتجمعهم وبالتربية تغدو أولادها بلبنها وتعطيهم ما لها وتكون بالأميرين ألفة جامعة ونظاما يكفلهم ولذلك ابتداء السورة بأنه خلقنا من نفس واحدة وخلق منها خلقا كثيرا ولماذا هذا لأنه يريد أن يكون الناس أسرة واحدة لهم ألفة جامعة وكما ان الأم ترحم البنين هكذا القضاة والحكام يجب أن يربوا بطريقة تفرس في قلوبهم الرحمة حتى يكونوا كالأم والأم لا تقضي بين بنينا إلا بالعدل بقدر طاقتها وإذا أنفذت حكما فيهم لم يكن ذلك تشفيا ولا انتقاما وإنما ذلك لقصد اصلاحهم واسعادهم وهي تتحمل أذاهم وتوى الولد اذا وصله من أمه أذى فليس ذلك يدعو الى كراهتها غالبا بل هو يعطف عليها ويرجع اليها رجوعا قلبيا ثم ان أبناء المرأة الواحدة اذا كان لهم اخوة من أم أخرى اجتمعوا صفا وكانوا يدا واحدة على اخوتهم فلهم جامعة واحدة من جهة أمهم كما هو مشاهد معروف حتى ان الأخ من الأم والأب مقتسم في الميراث ويحجب الأخ لأب لأنهم اتحدوا في المودة والمحبة وتشاركوا في الآراء وأمور الحياة لجامعة الام فهكذا الأمة يجب أن تتأور في الأمر ويكون رأى الشورى وأولى الأمر فيهم نافذا بطريق القبول كما أن حكم الأم صادر من قلب رحيم يشعر به الأبناء ويتلقونه بالقبول والتسليم فيكون أمرهم شورى بينهم والأحكام النافذة من القضاة مقبولة قبولاً نفسياً لا قهراً بجسمياً ولعمري هذا هو الذي يطلبه القرآن أيها المسلمون وبأليت شعري أي فائدة في الإيمان اذا لم تجعل الأمة كتلة واحدة وأسرة واحدة ذات حب خالص والثناء واتحاد

أيها المسلمون أي فائدة نجنيها من هذه الأحكام الشرعية والمرافعات القضائية والتربية في البلاد غير مرعية • أنا لا أقول غير ما طرق الأحكام فحسب بل أقول غير ما طرق التعليم • التعليم اليوم ليس على طراز الدين أرضون أيها المسلمون أن يكون هذا التعليم فاشيا في أوروبا ويحرم منه الاسلام

ألم يبلعكم ما يفعله التلاميذ هناك انهم يقرؤون قانون المدارس وفيه تحديد العقاب على كل ذنب فإذا يصنع التلاميذ يرتكب زيد ذنبا كأن ينسى واجبا يعمله فيأتي الى المدرسة فيدخل السجن ويجلس فيه المدة المقررة للعقاب بلا حارس يحرسه ولا خفير يحفظه بل جعل نفسه على نفسه حسيبا ويعد التلميذ من العار أن يحرسه الخادمون أو يقف على الباب الديدبان بل هو الخابس وهو المحبوس وهو الحارس وهو المحروس وهو الراضى وهو المرضي عنه فهذه الآية لم تذكر في القرآن للتسلطات ولا لتكرير العبارات ولا لمجرد العبادات بل جاءت لشيء فوق العبادات والأحكام هو الذي له جاءت الرسل ووضعت الشرائع وأنزل الوحي ومن أجله صوّرت صور الموجودات بالجمال وزوّقت بالحسن وحسنت سمائها وأضاءت نواحيها فالجوّ جميلة أضواءه والماء حسن الرواء والسماء بديعة البناء والنجوم باهرة الأنوار والمشارق والمغارب بديعة المناظر النائية المطالع حسنة بهجة تسر الناظرين فهل أرانا الله ذلك لنحرم من ثمراته في القلوب أو نغيب عما صوّر فيه من كل عجب عجاب

أرانا الله الجمال وأوحى الى الأنبياء ما شاكله من الكمال فجاء على لسان عيسى أن يكون الناس أحياءا

وجاء في هذه السورة أننا أسرة واحدة وعنوان السورة بذلك شهيد وقال في غضونهما ان أولى الأمر ينظرون في أمور الرعية وأن المحكومين يسلمون في أحكام القضايا وأنه لا إيمان لهم إلا بالتسليم ولعمري كيف يكون التسليم والرضا من قلوب مقفلة وعيون مسبلة وأذان فيها وقر وعيون عليها ختم وأنفس لم تعرف من المحبة إلا لفظها ولا من التربية إلا ظاهرها ولا من التعليم إلا أدناه ولا من التهذيب إلا ما لا يرضاه فويل لمن عاشوا عيشة لفظية فأتوا موة جاهلية وويل ثم ويل لمن وعظهم الدهر بضرهاته وانتهرهم بوثراته فلم يفيقوا من غفلاتهم ولم يتعظوا بنكباته من الأمم الإسلامية التي دهمها الفرنجة فأردوهم وضربوهم فزقوا شملهم فهل ترى لهم مدنا مستقلة أو أصولا ثابتة فتى ينتفعون وفي أى طريق يسلكون

﴿ الطريقة المثلى لرقى الاسلام ﴾

هي التربية الشريفة ونبد ما هم عليه وأن يملأ صدور التلاميذ من العواطف والرحمة والحب للشعب ويربى الأبناء على حب النظام والعمل للجموع والحب العام بالحكايات اللطيفة والسير الجميلة وسيرة النافعين للأمم الإسلامية بحيث تهذب القصص والحكايات فلا يدخل فيها ما ينقص سير الأبطال ولا يدمج فيها ما يضر بسمعتهم ولو كان حقا ويلخص كل جميل وينسند كل قبيح وليعدل الى الروايات المشجعة قارة والمحبة للجموع أخرى والمعطشة للعلم والمرغبة للمساعدة للاخوان آونة ويمكن ذلك كثيرا حتى ترسخ الملكات في النفوس هنالك يتم الإيمان هناك يحب الشعب حكمه هنالك يطيع رؤساءه ولا يجد المحكومون في أنفسهم حرجا من الحاكمين ذلك هو الصراط المستقيم فعلى المسلمين أن يحرصوا على هذه التربية حرصا دائما فلئن اقتصر الجهال من المسلمين على تعظيم الأحكام الشرعية فليحرض العلماء الشعب على اتساع نطاق التربية الخلقية والمحبة الجنسية والفضائل الخلقية فذلك أعلى تقدسا وأشرف مقاما وأعز مقصدا وأوسع مددا وأقرب منالا وأكثر فضلا وأقرب الى مرامي النبوات والى جلال هذه المخلوقات

فكما يبصر الناس بالعيون جلالا في السموات يبصرون في قلوبهم جلالا في النيات . فبالت شعري لم قال الله - نعم يعظكم به - في تأدية الأمانات وأمر بآلة الحرج من النفوس عند الحكم في الدعوات وأمر رسوله أن يعظهم في ذلك بأبلغ العبارات هل كل ذلك لحوادث جزئية وقضايا وقتية . كلا . ثم كلا ان الله خزن ذلك في القرآن وأبقاه لنا الى أن آن الأوان وظهرت حوادث الزمان وسبق الفرنجة بهذه التعاليم ونحن أرقى منهم أديانا وأرفع شأننا منهم فلنقم بالأمر خير قيام ولنعلم الشعب حسن الاخلاق . ولعمرك هل جلت الصور المحسوسة والبدايع المنظورة في أنحاء المعمورة إلا بصنعة باهرة وأعمال ظاهرة وأصول قيمة وهندسة متقنة هكذا لن تجمل النفوس ولن تجمل الأخلاق وتحسن الشعوب ويتم النظام إلا بصنع النفوس صنعا بعلمها ووعظها وعظا يدنيها بالأمثال النافعة والحكايات الممتعة والآراء الناجعة والأقوال الشارحة وسير الأبطال وفضائل الرجال وشمائل العلماء وأخلاق الحكماء وطرق العقلاء وشيم الأذكياء وتراجم الصالحين الذين نفخوا الأمم بعلومهم ورقوها بأموالهم وأنفسهم وذلك هو القول البليغ الذي أمر به الرسول والوعظ الممدوح والقول المشروح الشارح للصدور المهية لتبوي النفوس مقام الصدق ومطالع العرفان والنور انتهى المقصد الخامس

(المقصد السادس)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا * وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا * وَلَئِنْ

أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ
فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا * فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ
الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً
وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَا كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ * قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ،
وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا * أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ
فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا
هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَا
أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا
وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا * مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا
وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا
يُمِيتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا * أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ
مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا * وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ
أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا * فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا
تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكْفِيَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ
بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا * مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ
شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا * وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ

خَفِوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا ، إِنْ أَلَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا * أَلَلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا * فَمَا لَكُمْ فِي
الْمُنَافِقِينَ فِتْنَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَمَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ
اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا * وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا
مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا نَحْنُ دُونُكُمْ وَأَقْتُلُوكُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا
تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاؤُكُمْ
حَصْرَتِ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ أَوْ يِقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ
فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقَاتِلُوكُمْ وَآلَقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا *
سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا رَدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا
فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ نَحْنُ دُونُكُمْ وَأَقْتُلُوكُمْ حَيْثُ تُقِفْتُمُوهُمْ
وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا * وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً
وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا ، فَإِنْ
كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ
خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنْ أَلَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً
وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ
وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * إِنْ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ

قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا
فَأُولَئِكَ مَا وَأُمُّ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا
غَفُورًا * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ
بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا
وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ
يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا * وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ
فَأَقِمْ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا
مِنْ وَرَائِكُمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا
حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا
وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا أُطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا
مَوْقُوتًا * وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ
مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا *

هذا المقصد اكمال للدروس المعطاة للمسلمين تطبيقا على وجوب طاعة الله والرسول الخ
وفي هذا المقصد أحد عشر فصلا

- (١) الوعيد على الإهمال في الجهاد والوعد بالسعادة الآخروية للمجاهدين
- (٢) الحضي على انقاذ المستضعفين من المؤمنين من يد الأعداء
- (٣) ذم الجبناء بخورهم وخوفهم بعد ظهورهم بهيبة الشجعان
- (٤) كيف يخاف الناس من الموت وهو لاحقهم أينما كانوا
- (٥) ذم التشاؤم من المخلوق بحدوث المصائب مع ان الله هو الفاعل لكل شيء
- (٦) إعادة الكلام في وجوب طاعة الرسول مع العلم أن كل ما تقدم من تلك الطاعة
- (٧) ذم المرجفين الذين يذيعون الأخبار قبل مراجعة أولى الأمر
- (٨) الكلام على المنافقين
- (٩) تحريم قتل المؤمن كما يجب محاربة المعتدين على البلاد والعدو المغير
- (١٠) التحريض على الهجرة للقادرين

(١١) قصر صلاة المسافرين والسكّام على صلاة الخوف في الحرب

فحصل الكلام في هذا القسم (١) جهاد من المؤمنين الصادقين (٢) حكم على المنافقين بالضلّال
(٣) تحريم قتل المؤمن (٤) فرار القادرين الذين لا يجدون نصيرا في أرض العدو

﴿ التفسير اللفظي ﴾

يقول في الفصل الأوّل (خذوا حذركم) تيقظوا واستعدّوا بالسلّاح للقتال (فانفروا) اخرجوا للجهاد
جماعات متفرقة جمع ثمة تقول ثبتت على فلان تبيّة اذا ذكرت جميع محاسنه وجمع الشبه ثبين (أو انفروا
جميعا) مجتمعين كوكبة واحدة وذلك وان كان واردا في الحرب فهو عام لكل خير (وان منكم لمن ليبطئن)
اللام الأولى لام الابتداء المسماة بالمرحاقه والثانية واقعة في جواب القسم وليبطئن اما بمعنى يتباطأ ويتناقل
فلا يتوجه للحرب واما بمعنى تثبّط غيره كما فعل بعض المنافقين يوم أحد وبطأ بالتشديد من بطؤ بك المتعدّي
بالباء ومن اسم موصول اسم ان أى وان منكم بحسب الظاهر منافقين في الباطن والله ليتخلفن عن الجهاد
(فان أصابكم مصيبة) كقتل وهزيمة (قال) ذلك المبطئ (قد أنعم الله علىّ إذ لم أكن معهم شهيدا)
ولئن أصابكم فضل من الله) كفتح وغنمة (ليقولنّ كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم
فأفوز فوزا عظيما) وجهلة كأن لم تكن الخ معترضة وهذا القول لضعف في العقيدة (فليقاتل في سبيل الله
الذين يشرون) يبيعون (الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما)
• وقال في الفصل الثاني (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله و) في سبيل استنقاذ المؤمنين (المستضعفين) من أيدي
الكفار ثم بينهم فقال (من الرجال والنساء والولدان) في مكة (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها)
فأجاب الله دعاءهم وهذا وان كان قد نزل في المستضعفين بمكة فحكمه عام والمسلمون اليوم آمنون ولذلك سلط
عليهم الفرنجة فأذلوهم وقوله (الطاغوت) الشيطان ونحو ذلك • ثم أمرهم بقتال أولياء الشيطان وأبان ضعفه
تشجيعا لأن الباطل لا يثبت له • وقال في الفصل الثالث ألم تريا محمد الى الذين كانوا يلقون من المشركين أذى
كثيرا بمكة قبل أن يهاجروا وكانوا يستأذنونك في القتال فكنت تأمرهم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وعدم الحرب حتى
تأذنك بذلك فلما كتبنا عليهم القتال خاف بعضهم لقاء العدو فصاروا يخافون الناس خشية الله أو أشد خشية وهذا
من الجبن وحب الحياة والميل اليها وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال الخ • وقال في الفصل الرابع (قل) لهم
(متاع الدنيا قليل) سريع زواله (والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون) تنقصون أدنى شئ من ثوابكم (فتيلا)
ما يكون في شق النواة كما تقدم (البروج المشيدة) القصور أو الحصون المرتفعة وأصل البرج بيت على طرف
القصر من تبرزت المرأة اذا ظهرت • وفي الفصل الخامس ان المدينة كانت ذات خير وأرزاق ونعم عند مقدم
النبي صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود أمسك الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون
واليهود ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا • منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه فقال الله تعالى (وان
تصهم حسنة) خصب وثمار (يقولوا هذه من عند الله وان تصهم سيئة) جذب في الثمار (يقولوا هذه من
عندك) أى من شؤم محمد وأصحابه (قل) يا محمد (كلّ) من الحسنة والسيئة (من عند الله) فأما الحسنة
فانعام وأما السيئة فابتلاء لأنه سبحانه يربى الناس بالسرّاء والضراء والتربية يلزمها الأمران (فما لهؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون حديثا) يوعظون به وهو القرآن فكله ناطق أن كل شئ من الله (ما أصابك)
أيها الانسان (من حسنة) نعمة (فمن الله وما أصابك من سيئة) بلية (فمن نفسك) لأن الاستعداد
والقابلية لنفسك لم يبق لها إلا تلك البلية لأن الله يربى الناس وينقلهم من حال النقص الى حال الكمال
فاستعداد الضعيف ليس كاستعداد القوى والبلايا ما هي إلا نقص وما النقص إلا عدم الكمال فأنه لم يخلق
العدم وإنما خلق الوجود وليس يقال ان الله ظلم الدودة فلم يعطها فلسفة أفلاطون ولا حكمة لقمان لأن خلق

الدودة لا يستلزم تلك الحكمة بل لا فائدة لها في ذلك السكال (وأرسلناك) يا محمد الى كافة الناس رسولا لتبليغهم رسالتى وما أرسلناك به ولست رسولا الى العرب وحدهم بل أرسلناك (للناس رسولا وكفى بالله شهيدا) على ارسالك للناس كافة . وقال في الفصل السادس (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى عن طاعته (فما أرسلناك عليهم حفيظا) تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقوله (ويقولون طاعة) أى أمرنا طاعه أو منا طاعه (فاذا برزوا) خرجوا وقوله (بيت طائفة منهم) أى زورت خلاف ما قلت لها أو ما قالت لك من القول وبيت من البيوتونه لأن الامور تدبر بالليل (والله يكتب ما يبيتون) يزورون (فأعرض عنهم) قلل المبالاة بهم وتجاه عنهم (وتوكل على الله) في الامور كلها لاسيما في هذا الأمر (وكفى بالله وكيلًا) يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم (أفلا يتدبرون القرآن) يتأملون معانيه والتدبر النظر في ادبار الشئ وعواقبه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) من تناقض المعنى وتفاوت النظم وبعضه تسهل معارضته وبعضه تصعب معارضته وبعضه يطابق خبره المستقبل الواقع وبعضه لا يطابق وبعضه يوافق العقل وبعضه يخالفه

وقال في الفصل السابع (واذا جاءهم أمر) مما يوجب الأمن أو الخوف أفشوه فاذا سمع بعض ضعفة المسلمين خبرا عن سرية من السرايا عن طريق الوحي أو عن طريق المنافقين أذاعوه بين الناس وفي ذلك مفسدة في السياسة ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول وإلى آراء أولى الأمر منهم البصراء بالامور (لعلمه) العقلاء (الذين يستنبطونه منهم) أى يستخرجون تديره بذكائهم وفطنتهم ومعرفتهم بأمور الحرب وهم الذين يعرفون ما ينبغى أن يذاع وما ينبغى أن يكتم احكاما للسياسة فكان يجب على هؤلاء الضعفاء أن يرجعوا الى أولئك المستنبطين من أولى الأمر فيما يرد من الأخبار ولما دعا الناس عليه الصلاة والسلام الى القتال في بدر الصغرى الى الخروج كرهه بعضهم وقد تقدم ذلك في غزوة أحد في سورة آل عمران وأن أبا سفيان واعد النبي صلى الله عليه وسلم موسم بدر الصغرى بعد حرب أحد فلما كره بعضهم الجهاد حين دعاهم في الموعد نزل (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) إلا فعل نفسك نفخ في سبعين راكبا (وحرض المؤمنين على القتال عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) يعنى قريشا وقد فعل فألقى في قلب أبي سفيان ومن معه الرعب فرجعوا (والله أشد بأسا) من قريش (وأشد تسكيلا) تعذيبا (من يشفع شفاعة حسنة) أى من يصير شفعا لوتر أصحابك يا محمد فيشفعهم في جهاد عدوهم (يكن له نصيب منها) حظ وافر منها (ومن يشفع شفاعة سيئة) بأن قاتل أصحابك وكفر بدينك (يكن له كفل) نصيب (منها وكان الله على كل شئ مقبلا) مقتدرا قال الشاعر
وذى ضغن كفت الشر عنه * وكنت على اسائه مقبلا

أى قادرا وقال ابن عباس في هذا المقام في الحسنة والسيئة ما لها مفسر غيرى معناه من أمر بالتوحيد وقاتل أهل الكفر وضده السيئة وأقول ان هذا التفسير هو المناسب للمقام . ولما ذكر الله أنه يكافى الحسن بنصيب والمسيء بكفل وأنه قادر على كل شئ أردفه بأنكم أيضا أيها الناس عليكم أن تقتدوا بربكم وتخلقوا بأخلاقه وتسبوا على نهجه فتقابلون الاحسان بالاحسان فقال (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) التحية العطية فاذا أعطى الانسان عطية فليعط أفضل منها أو يردّها وجوبا وهو قول قديم للشافعى والجمهور حملا على السلام فيزيد من يرد السلام ورجة الله فان قالها المسلم زاد وبركاته والرد واجب وجوبا كفاتيا ولا يشرع الرد في بعض الأحوال فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة (إن الله كان على كل شئ حسيبا) يحاسبكم على الشفاعة السيئة وعلى عدم رد التحية بأحسن منها أو مثلها وللسلام أحكام تطلب من علم الفقه فلا نطيل بها وأما قوله الله لا إله إلا هو الى قوله حديثا فتفسيره ظاهر وقال في الفصل الثامن فما لكم تفرقتم في أمر المنافقين فرقتين ولم تنفقوا على كفرهم والله أركسهم

بأن صيرهم الى النار وأصل الركن رد الشيء مقلوبا (أتريدون أن تهبطوا من أضل الله) أى تجعلوه من أهل الهداية (ومن يضل الله فلن نجد له سبيلا) الى الهدى وقوله (ودّوا لو تكفرون كما كفروا) أى ودّوا لو تكفرون كفرا مثل كفرهم (فتكونون سواء) مستويين أنتم وهم في الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله) فلا توالوهم حتى يؤمنوا بأن يهاجروا من الكفر الى الايمان لأن الهجرة في سبيل الله بالاسلام (فان تولوا) عن الايمان (نغزوهم واقتلواهم حيث وجدتموهم) كما هو حكم سائر المشركين (ولا تتخذوا منهم ولّيا) توالونه (ولا نصيرا) وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوهم

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع قبل خروجه الى مكة لعل بن عويمر الأسلمي على ألا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل الى هلال والتجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لعل كان الأسلميون بهذا من المعاهدين أيضا لقد كان بنو مدج عاهدوا ألا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ألا يقاتلوهم فهذا يكون بنو مدج مسلمين والأسلميون معاهدين

وهذا هو قوله تعالى مستثنيا من قوله - نغزوهم واقتلواهم حيث وجدتموهم - الخ (إلا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) أى إلا الذين يصلون الى الأسلميين ونحوهم ممن لهم عهد (أو جاؤكم حصرت) ضاقت (صدورهم) عن (أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) عطف على الصلة أى أو الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقاتل قومهم كبنى مدج والحصر الضيق والانقباض ثم بين الله أن صرفهم عن المسلمين من فضل الله فقال (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) بأن يقوى قلوبهم ويشرح صدورهم ويزيل الرعب من قلوبهم (فلقاتلوكم) ولم يكفوا عن قتالكم (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم) الاستسلام والانقياد (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) أى فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم

ثم ان أسدا وعطفان وبنى عبد الدار أتوا المدينة وأظهروا الاسلام ليأمنوا بأهل المسلمين فلما رجعوا كفروا وكلموا دعاء قومهم الى قتال المسلمين قاتلوهم فهذا قوله تعالى (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم) باظهار الايمان في المدينة (ويأمنوا قومهم) بمحاربتكم اذا رجعوا اليهم (كلما ردّوا الى الفتنة) الكفر (أركسوا فيها) عادوا اليها وقلبوا فيها أقبح قلب (فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم) ولم يلقوا الصلح (ويكفوا أيديهم) عن قتالكم (نغزوهم واقتلواهم حيث نفعتموهم) حيث تمسكتم منهم (وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم . وقال في الفصل التاسع مالم يخصه ان القتل ثلاثة أقسام عمد وشبه عمد وخطأ فأما العمد المحض فهو أن يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فيقتل به ففيه القصاص عند وجود التكافؤ أو دية مغلفة سيأتي بيانها في مال القاتل وأما شبه العمد فهو أن يقصد ضرب انسان بما لا يقتل بمثله غالبا مثل أن ضربه بعصا خفيفة أو رماء بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه وتجب عليه دية مغلفة على عاقبته مؤجلة الى ثلاث سنين وأما الخطأ المحض فهو ألا يقصد قتله بل قصد شيئا آخر فأصابه فمات فلا قصاص عليه وتجب فيه دية مخففة على عاقبته مؤجلة الى ثلاث سنين وقتل الخطأ مثل أن يقصد قتل كافر فيصيب مسلما

ودية الحر مائة من الابل فان لم توجد الابل فقيمتها وهي ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وفي الدية المغلفة والمخففة كلام طويل في علم الفقه ترجع الى أن تكون الابل أصغر سنا من التي هي مغلفة مع كونها مائة وهل دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم وأيان وهذا قوله تعالى (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا) بغير حق (إلا خطأ) أى إلا قتلا خطأ كما اتفق لعياش بن أبي ربيعة أخى أبي جهل من الأم لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد أسلم ولم يشعر به عياش فقتله (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) أى فواجبه تحرير رقبة أى عتق رقبة مؤمنة (ودية مسلمة الى أهله) مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر

الموارث (إلا أن يصدقوا) يتصدقوا عليه بالدية فسمى العفو عنها صدقة حشا عليها (فإن كان من قوم
عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) أي إن كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين ولم يعلم إيمانه
فعلى قاتله كفارة دون الدية لأنها ترجع إلى الورثة والكافرون لا يرثون المؤمنين كما هو معلوم في الميراث (وإن
كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلحة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) أي وإن كان من قوم معاهدين
أو أهل ذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية (فمن لم يجد) رقبة بأن لم يملكها ولا ما يتوصل به
إليها (ف) عليه (صيام شهرين متتابعين) شرع ذلك (توبة) صادرة (من الله وكان الله عليما) بحاله (حكيم)
فيما أمر في شأنه (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما)
واعلم أن قتل المسلم عمدا والزنا وشرب الخمر وعقوق الوالدين وأشباهاها لا توجب خلودا في النار ولكن عذابها
شديد لأنها من الكبائر والمراد بالخلود المكث الطويل فإن الدلائل متظاهرة أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم
• روى أن سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت أهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثفة بإسلامه فلما
رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا به وكبروا كبر ووزل وقال لا إله إلا الله محمد رسول
الله السلام عليكم فقتله أسامة واستاق غنمه فنزل (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم) سافرتهم وذهبتم للغزو
(في سبيل الله فقتلوا) اطلبوا بيان الأمر وثنائه ولا تهملوا فيه (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام) ممن
حياكم بمحبة الاسلام وفي قراءة - السلم - أي الاستسلام والالتقياد (لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا)
تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاذ (فعند الله مغنم كثيرة) لكم تغنيكم عن قتل أمثاله لماله (كذلك
كنتم من قبل) أول ما دخلتم في الاسلام فتحصنتم بالشهادتين من غير أن يعلم ما في قلوبكم (فمن الله عليكم)
بالاستقرار بالإيمان (فتبينوا) وافعلوا بالداخلين في الدين ما فعل بكم (إن الله كان بما تعملون خبيرا) علما به
وقال في الفصل العاشر (لا يستوي القاعدون) عن الحرب (من المؤمنين غير أولى الضرر) بالرفع صفة
للقاعدون أو بدل أو بالنصب حال (والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) أي لا مساواة بينهم وبين من
قعد عن الجهاد من غير علة (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) أي بدرجة (وكلا)
من القاعدين والمجاهدين (وعند الله الحسنى) المثوبة الحسنى وهي الجنة (وفضل الله المجاهدين على القاعدين
أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة) وفصل متضمن معنى أعطى وأجرا مفعول ثان له ودرجات ومغفرة
ورحمة كلها بدل من أجرا (وكان الله غفورا) لما عسى أن يفرط منهم (رحيما) بما وعد لهم

وقال في الفصل العاشر أيضا (إن الذين توفاهم الملائكة) أي توفتهم أو توفاهم فهو ماض أو مضارع أي
توفاهم بقبض أرواحهم (ظالمى أنفسهم) أي حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة كقيس بن الفاكه بن المغيرة
وقيس بن الوليد بن المغيرة فهذان وأشباهما دخلوا في الاسلام ولم يهاجروا فلما خرج المشركون إلى بدر
خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار والمعلوم أن الله تعالى لم يقبل الاسلام من أحد بعد هجرة النبي صلى الله عليه
وسلم حتى يهاجر إليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية
أخرجاه في الصحيحين فسألهم الملائكة حين قبض أرواحهم (قالوا فيم كنتم) سؤال توبيخ وتقريع
(قالوا كنا مستضعفين) عاجزين (في الأرض) أرض مكة (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)
كما فعل المهاجرون إلى المدينة وإلى الحبشة (فأولئك مأواهم جهنم) لأنهم تركوا الواجب وساعدوا الكفار
(وساءت مصيرا) والمخصوص بالذم جهنم (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) استثناء منقطع
(لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) حالان من المستضعفين (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله
غفورا غفورا) وهذا ظاهر (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراعما كثيرا) وهو التراب يقال خرج
الرجل عن قومه مراغما لهم أي مغاضبا لهم ومقاطعا فالمرام المذهب والمهاجر والمتحول كأنه خرج رغم أنفسهم

والرغم التراب كأنه أذلهم بخروجه وأنشد الزجاج

إلى بلد غير داني المحل * بعيد المراعى والمضطرب

(وسعة) في الرزق واطهار الدين (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما) ومعنى وقع وجب * نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها إلى المدينة فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق يمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما يابح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبات فيه

وقال في الفصل الحادي عشر (وإذا ضربتم في الأرض) أي سافرت (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) بتنصيف ركعتي الظهر والعصر والعشاء كل منها ركعتين كالصبح وجوبا عند أبي حنيفة لقول عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضي الله عنها أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فقصرت في السفر وزيدت في الحضر ورأى الشافعي أن القصر رخصة في السفر والاكمال عزيمة لأن لا جناح يستعمل في موضع التخفيف والرخصة لا في موضع العزيمة وقال الحنفية إنه عزيمة لا رخصة ولا يجوز الاكمال لقول عمر المذكور وأما الآية فكانهم ألقوا الاتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا في القصر فنفي عنهم الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر ويطمئنوا إليه ثم قال (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) جار على حسب الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر المفهوم فالصلاة تقصر في الخوف وفي الأمن كما في قوله تعالى - فإن خفتم ألا يقيموا حدود الله فلا جناح عليهم - الخ فالسنن تظاهرت على جوازها في حال الأمن

﴿ آراء العلماء ﴾

(١) صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر عند ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله والسندي وأبي حنيفة فقصرها إذن تخفيف الركوع والسجود

(٢) صلاة المسافر مقصورة وأبست بأصل وهو قول مجاهد وطاوس والشافعي وأحمد

(٣) يجوز القصر في كل سفر مباح عند الشافعي ومالك وأحمد والجمهور

(٤) يجوز القصر بشرط أن يكون سفر حج أو عمرة أو جهاد أو سفر طاعة

(٥) لا يجوز القصر في سفر المعصية وأبو حنيفة والثوري يجيزانه فيه

﴿ أي سفر يكون القصر فيه ﴾

(١) قال داود وأهل الظاهر يجوز القصر في قصر السفر وطوله يله ويروى عن مالك أيضا

(٢) قال الأوزاعي يشترط سفر يوم

(٣) وقال الحسن والزهرى سير يومين

(٤) وقال الشافعي سبيلتين وذلك ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة أميال فتكون ثمانية وأربعين

ميلا بالهشامي والميل ستة آلاف ذراع والذراع ٢٤ أصبعاء معترضة معتدلة والأصبع ست شعيرات مترصات متدللات

(٥) ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في مسيرة أربعة برد وهي ستة عشر فرسخا كالمقدم وهكذا

مالك وأحمد واسحق

(٦) وقال الثوري وأبو حنيفة وأهل البدقة لا قصر في أقل من ثلاثة أيام

فأبو حنيفة مشدد وداود وأهل الظاهر ميسهون والباقيون متوسطون ثم قوله تعالى - إن خفتم أن يفتنكم

الذين كفروا - يروى فيه أن عمر رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله

عليكم بها فاقبلوا صدقته أخرجه مسلم

ثم شرع بذكر صلاة الخوف فقال (واذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) ملخص ذلك

أن يجعلهم طائفتين تقوم احدهما معه يصلون وتقوم الطائفة الأخرى تجاه العدو والذين يصلون معه يجب أن يأخذوا أسلحتهم فإذا سجد المصلون وجب أن يكون الذين لا يصلون حارسين لهم من ورائهم ثم يذهب المصلون الى وجه العدو ويأتي الحارسون فيصلون مع الامام ويجب أن يأخذوا حذرهم وأسلحتهم . هذا معنى الآية وهناك كيفيات لتلك الصلاة وهذا بيانها

الأولى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخل صلى مرتين بكل طائفة مرة وهذا ظاهر الثانية أن يصلى صلاة واحدة بكل ركعة في التي هي ركعتان فيصلى بالأولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتأتي الأخرى فيصلى بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات لرقاع . وقال أبو حنيفة يصلى بالأولى ركعة ثم تذهب هذه وتتقف بأزاء العدو وتأتي الأخرى فتصلى معه ركعة وتتم صلاتها ثم تعود الى وجه العدو وتأتي الأولى فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تعود وتأتي الأخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلاتها وإذا كان العدو في جهة التبله فليعمل ما هو الأنسب فتتقف كما تقدم طائفة تجاه العدو ويصلى بالطائفة الأخرى ركعة فإذا قام الى الثانية أتموا لأنفسهم وذهبوا يحرسون وتأتي الطائفة الثانية فيصلى بهم الثانية ويتشهد ثم ينتظرهم حتى يسلم بهم كما تقدم والعبرة بترتيب الامام ونظره في الحرب ولا دخل لأحد إلا نظر القائد الذي يصلى بهم والآية واضحة وانما حذرهم الله لأن العدو يربص وقت الصلاة ليفنيهم فيه ولذلك قال (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) أي تمنوا أن ينالوا منكم غرة في صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة

(من آراء العلماء)

(١) رأى أبي يوسف والحسن وزيد من أصحاب أبي حنيفة أن صلاة الخوف كانت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا تجوز لغيره

(٢) المزني من أصحاب الشافعي يقول كانت ثابتة ثم نسخت

(٣) علي بن أبي طالب وأبو موسى وحذيفة بن اليمان صالوها الأول ليلة الهرب والثالث بطبرستان ولم يخالفهم الصحابة وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وكثير من العلماء

واعلم أنه إذا اشتدت الحرب والتحم القتال صالوا رجالا وركبانا يومئون للركوع والسجود الى أي جهة كانت عند الشافعي . وعليه يكون قوله تعالى فيما يأتي - فإذا قضيت الصلاة - أي إذا أردتم أدائها واشتد الخوف فأدوها كيف أمكن قياما مسايضين ومقارعين وقعودا مرايين وعلى جنوبكم مثخنين ومذهب أبي حنيفة انهم لا يصلون فإذا أمنوا قضوا ما فاتهم من الصلاة ثم قال (ولاجتراح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى) أي لا حرج عليكم في حال المطر وحال المرض (أن تضعوا أسلحتكم) لأن السلاح يشغل حمله عليكم (وخذوا حذركم) أي راقبوا العدو ولا تغفلوا عنه (إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا) ثم قال تعالى (فإذا قضيت الصلاة) أدبوا بها وفرغتم منها (فادكروا لله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) فدوموا على الذكر في جميع الأحوال . قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحيانه (فإذا اطمأنتم) سكنت قلوبكم من الخوف (فأقيموا الصلاة) أي أتموها أربعا وذلك في الإقامة في الأوطان أو أتموا ركوعها وسجودها إذا سكن القلب بالامن بعد الخوف (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) فرضا موقوتا

محدود الأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها في شيء من الأحوال (ولا تمنوا في ابتغاء القوم) لا تضعفوا في طلب الكفار بالقتال (إن تكونوا تألمون فأنهم يألمون كما تألمون ورجون من الله ما لا يرجون) فالألم قدر مشترك بينكما وقد صبروا على ألمهم أفلا تصبرون وقد امتزتم بأنكم على الحق وفي قلوبكم رجاء النصر في الدنيا والثواب في الآخرة فأنتم ترجون إحدى الحسنيين (وكان الله عليهما حكيمًا) فهو يعلم مصلحتكم . انتهى التفسير اللفظي ﴿ التفسير المعنوي وجمال القرآن والاسلام ﴾

- (١) مناسبة هذه الآيات لأول السورة في خلق آدم
- (٢) كيف تحفظ صور الموجودات الجمادية باليبوسة بعد أن شكلت بالرطوبة
- (٣) كيف تحفظ الأنفس الحيوانية بما هو فوق ذلك من قوة غضبية وأسلحة مختلفة
- (٤) علم الإنسان ورحمته وقواه النفسية للحياة وشجاعته لحفظها ودوامها
- (٥) ظهرت هذه القوة الغضبية في الشجاعة لحفظ الإنسان وفي مظاهر الشهامة عند المتوحشين
- (٦) عند بعض الأديان القديمة
- (٧) عند الأمم المختلفة بأشكال متباينة
- (٨) تركها بعض الديانات فضلت أهمهم سواء السبيل واتبعت الشهوات
- (٩) الاسلام له في ذلك ثلاث درجات
- (١٠) الآيات التي قرأتها الآن والسابقة للمحافظة على الوطن وتغصير بعض المسلمين وفضل بعضهم في التقدم
- (١١) تجاوز ذلك الاسلام إلى ادخال سائر العناصر وجعلهم أمة واحدة ككافور الاخشيدي والعبيد المصريون يسودون ساداتهم وهذا بخلاف أوروبا وان الدين الذي بهذا الشكل يصلح للدينونة اذا وجد رؤسا كبيرة تراعى الزمان والمكان

﴿ نظام هذا العالم ونظام الإنسان والتثام أول هذه السورة مع علومها ﴾

اعلم أن الله عز وجل خلق هذا العالم متشابهًا متشاكلًا متجاذب الأطراف وحسبك أن تنظر ما حولك من العناصر والمركبات الطبيعية ألست ترى كل صورة حجريه أو كتلة مدريه مائات شكلها إلا برطوبة الانتهاء ومائة سهلها فقبلت التدوير أو التثليث أو التربيع أو الخميس ثم ألحت عليها الشمس أخاها فتماسكت الأجزاء وتجاذبت الأطراف أولست ترى أن اللبنة يصيرها الناس آجرًا باحراقها بالنار لحظة على الصورة أن تفلت من مادتها فلم تترك لم تقبل الشكل إلا وهي بالرطوبة مشبعة ولم يبق الشكل يومًا أو بعض يوم أو مئات السنين إلا باليبوسة التي أنتجت الحرارة الشمسية أو الحرارة النارية يستوى في ذلك الجماد والمعدن والنبات والحيوان أليس آدم الذي أشير إليه في أول السورة بأننا منه خلقنا ذكورا وإناثا قد خلق من صلصال وما الصلصال إلا الفخار والفخار كان رطبًا حتى شكل وبعد ذلك ألحت عليه النار فبقيس

أيها الذكي ارفع طرفك قليلا وليكن بصرك حديدًا فلتنظر أليست النفوس الحيوانية فيها القوة الغضبية لتحفظ كيائها وتمنع عدوها وتنطحه بقرونها أو تسله بجثمانها وقوتها أو ترفسه بأرجلها أو تعدو إلى أوكارها الخ أليس هذا شياً اختص بالنفوس لم يكن في الأجسام الجمادية فهو هذا حرارة نفسه وهناك في الصلصال حرارة نارية جسميه ثم إن النفوس الحيوانية والانسانية لا نحيا إلا بأراء وغرائز تقوم بها من رحمة وحب والحب قد يكون لطلب الطعام الذي به حياة الأجسام وطلب الاناث من النوع لتولد الأمثال

فالحب والرحمة في الأنفس قائمان مقام الرطوبة في الأجسام الطبيعية لتقبل الأشكال الصورية والقوة الغضبية في هذه الحيوانات كاليبوسة في الأجسام فلولا الغذاء ما عاش حيوان ولا نسا انسان كما لا يصور نبات ولا مادة ترابية إلا بمخالطة الرطوبات ولولا غريزة حب البقاء في الانسان والحيوان والغضب المودع فيهما للدفاع عن النفس

ما عاش أحد منهما إلا قليلا

فالمحافظة في سائر الحيوان على الأنفس غرائز واجبة الحصول . فترى ما ألهمه كل حيوان ظهر أثره على أعضائه فترى القرون والمخالب والأنياب وقوة العدو والصدف على جسد السلحفاة والابر على جلد الفنفذ وأنياب الأسد وسم الحيات والعقارب وقوة الفيل . كل تلك آلات تطابق ما جبلت عليه تلك النفوس من المحافظة على أجسامها بقواها الغضبية المسلحة بالأعضاء الظاهرية وترى هذه القوى الباطنية لا أثر لها في الأشجار كما لا أثر لأسلحتها في تلك الجمادات

وأعمال فوق ذلك إلى الانسان ترى الطيارات الهوائية والجيش البرية والمراكب البحرية وانفواصات المائي كل ذلك مطابقة لقواه الفكرية واستعداداته العقائية

على ذلك درج الانسان قديما وحديثا بأشكال مختلفة وهو في الحقيقة لم يتعد طور ما حوله من المخلوقات وإنما ذلك تنوع في أنواع الدفاع ولعمرك لم يخرج عما جاء في أول السورة انه من أبيه آدم وهو من صلصال حبست صورته بالنار فيست لصورة وحفظت . هكذا هنا تبقى الصورة الانسانية والحيوانية بدفاع العدو عنها فلا يتلفها وذلك بالسلاح القائم مقام الحرارة في الصور الجمادية

ألم ترى المتوحشين من أهل السودان كيف ظهر ذلك في أفعالهم العادية وأن الشاب يظهر أمام الفتيات إذا أراد التزوج بواحدة منهم فيضربونه بضر بامتوايا حتى يسيل الدم من ظهره وهو لا يظهر الألم شجاعة وقوة حتى يستعظمه الواقفون ويملاء عين من ترغبه زوجا لها

ثم ارتفع عن هذه الطبقة إلى الأمم التي أخذت من العلم بنصيب أفلم يكن أهل اسبارطه يجعلون التربية دائرة على أن يتمرن الشبان على احتمال الضرب كل يوم بالسياط أمام الأشراف فأما الصبيان فانهم يضربون ضربا شديدا ثم يزداد كل يوم شدة بحيث يتمرنون تدريجا ويكون ذلك قوة لهم حتى يتحملوا ما سيلقيه الدهر عليهم من دروسه فتقوى أجسامهم ويكونون شجعانا

ثم ارتفع فوق ذلك المستوى وانظر إلى الأديان القديمة كالدين الذي كان شائعا في شمال أوروبا في جهة السويد ونروج إذ قام فيهم عظيم يدعى (أودين) فاتبعوه قرونا طويلة وحكم الأيמות أحدهم إلا قتيلا وعدا الموت لعادي جريمة وإنما مبينا حتى انه إذا كان عظيم من العظماء قد دنا أجله نزل في سفينة وأوقدوا فيها النار حتى يموت الملك أو الأمير بين الماء والنار . ولعمرك لم يكن ذلك إلا لتربية الشجاعة في القلوب وأن يألف الانسان عظام الأمور فلا يجزع للصائب ولا يحزن للصاعب

كل ذلك من السر الذي في صلصال آدم والمحافظة على النفوس من طريق الشجاعة ولقد ثبت أن الحيوانات البحرية أطول أعمارا وانظر هذا في الدين وهو الدين المسيحي كيف حرم مقابلة السيئة بمثلها ولكن أتباعه بعد حين صاروا أظلم الأمم فهتكوا الأعراض وخربوا البلاد وملكوا المسلمين شرقا وغربا وظلم بعضهم بعضا كما حصل في حرب الألمان وأوروبا فلم يرجعوا انسانا من دينهم أو غير دينهم فالقوة الغضبية غالبة على هذا الانسان ولما جاء الدين البوذي في الهند ومنع الناس من الظلم اجتاحتهم الأوروبيون وتعدت شكل هذه الصفة في الأمم بأشكال مختلفة كما فصله الفارابي في كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة

(١) من الأمم من اتخذت القهر بالسلاح لاشباع الشهوات البهيمية والقوة الشهوية ومطاعة الخواص الخس في مطالبها الظاهرية

(٢) ومنهم من يقول كلا وإنما أريد الغلبة لحفظ كرامتي وعظمتي بين الناس

(٣) ومنهم من يقول أغلب الناس لشهواني ولحفظ كرامتي معا

(٤) ومنهم من يقول ليست الغلبة والقهر طبيعيين في الانسان وهذه تسمى المدينة المسالمة

- (٥) وهؤلاء يقاتلون ان قوتلوا وأريد إبادتهم
 (٦) وأولئك لهم طرق في الغلبة فتارة تكون الغلبة بالحرب
 (٧) وتارة تكون بتجارة النساء وحرب الرجال
 (٨) ومنهم من يستعبدون أمة ويتخذونها مساعدة لحرب أخرى
 (٩) ومنهم من يجعل المعاهدات سلما للظلم فيعاهدون أمة ويحاربون معها أخرى
 ولا نطيل بذلك بل نقتصر على ما أتى بالمقصود فنقول
 ها أنت ذا رأيت طبائع الانسان وآراء بعض الديانات وسياسات الأمم فهالك أمر الاسلام
 لقد أثبت لك في سورة البقرة أن للاسلام في الحرب ثلاث مراتب . المرتبة الأولى ألا حرب ولا قتال
 وذلك في زمن الضعف كما في أيام اقامة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة . المرتبة الثانية محاربة المخاربين والذين
 يهجمون على الأوطان

﴿ وجوب المحافظة على الوطن في الاسلام من أهم ما في القرآن ﴾

أنظر ما مر عليك في سورة البقرة ألم تر الى قوله تعالى في قصص بني اسرائيل - وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد
 أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين - وانظر ما تقدم في سورة
 آل عمران كيف رأيت أن غزوة بدر المشار اليها في أوّلها إنما كانت محاربة لأهل مكة الذين أخرجوا النبي صلى الله
 عليه وسلم وأصحابه منها وغزوة أحد كيف كانت لما أراد الأعداء مهاجمة المدينة وقد نشاور النبي صلى الله عليه وسلم
 مع أصحابه وأشار بعضهم بالخروج الى الأعداء وبعضهم أشار بالبقاء في المدينة ثم تغلب الفريق الأول وأخرجوا الى
 أحدم انظر الى هذه الآيات وكيف يقول - وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الخ -
 فأفاد أنه سبحانه يحرضهم على انقاذ المؤمنين بمكة من ظلم الكافرين هناك وهذا ولا شك دفاع عن الوطن فانظر
 كيف جعل الله الوطن محترما وجعل المحافظة عليه أمرا عظيما وكيف كانت سورة آل عمران قد كان منها قسط كبير
 للجهاد وهكذا هذه السورة كل ذلك للمحافظة على الأوطان

أفلم تری أن المسلمين أيام خراب الأندلس لم يكن عندهم شهامة ولا حمية ولا شرف ولادين وهم جهلاء
 أفلم تری أيضا أن المسلمين اليوم نائمون اللهم إلا ما حصل قريبا من أهل الأفغان والفرس والترك فانهم استقلوا
 ونبدوا حكم الفرنجة لبلادهم

فأما باقي المسلمين فانهم نائمون ضربت عليهم الفرنجة ذلة الاستعباد وها هي ذلة بلادنا المصرية تنفست الصعداء
 قليلا في هذه الأيام والفرنجة لا يزالون يغدون ويروحون في مصر وتونس والجزائر ومراكش وبلاد جاده
 وسومطره والشام وفلسطين والعراق وأهل البلاد في تلك الأصقاع متحاسدون متباغضون متقاتلون يجهلون
 الشرف ولا يعرفون المحبة والاتحاد - تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى -

أفلم يقرؤا قوله تعالى في هذه الآيات - وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء
 والولدان الخ - فالمسلمون مأمورون أن يخلصوا من وقع في يد الأعداء من اخوانهم - وهؤلاء يقدمون
 اخوانهم قربانا للفرنجة في مراكش وتونس والجزائر ومصر وربع الشام والعراق
 لقد أصبح أبناء العرب مثلا للذين يخضعون وطعمة لمن يأكلون ولكن آن أن يزول ذلك الرجس
 من القلوب ويرجع لهم مجدهم المفقود إن شاء الله تعالى فقد بدت بوادر النجاح وبماشيد الفلاح

﴿ الواجب على المسلمين في أقطار الأرض ﴾

أيها المسلمون الفرار الفرار من العار انظروا في سائر شؤونكم الجهاد ليس قاصرا على الحرب أنتم اليوم
 تحتاجون للجهاد في كل شيء في التجارة في العلم في حفظ البلاد في عدم ضياع الوقت في حفظ الصحة في

السياسة • في التفكير

فلتكن أكثر ملابسكم من مصنوعات اخوانكم في بلادكم واترقوا الصناعات الاسلامية وتذشمو المدارس العالية بكثرة فعشرة متعلمون تعلما راقيا أفضل من آلاف من الناقصين تعلما ولا تمكنوا الاجانب من البقاء في بلادكم وجتدوا في القوة لاجراجهم واتحدوا فيما بينهم نظردهم ذلك مايجب عليكم أيها المسلمون أما الطريقة الثالثة التي ذكرت في سورة البقرة فقد ذكر نظيرها في بعض هذه الآيات وهي قتال المشركين أين وجدناهم كما قال في آية - وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة - والقصد من هذه ادماج الأمم وجعلها أمة واحدة

ولقد تجدد هذا وانحرف في أمة الاسلام وقد صار خلقا فالمسلمون بحب الدين لا يفضلون أحدا إلا بالتقوى ألا ترى الى كافور الاخشيدي كيف كان عبدا اسود وحكم المصريين وفيها الأشراف من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف ترى أسامة بن زيد ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قيادة الجيش ودام كذلك زمن أبي بكر وترى في بلادنا المصرية آثار العبيد ظاهرة في هذه الأيام فان عبيد الخديويين لهم من الملك ما ليس لأعظم الأحرار في البلاد كل ذلك لأن الاسلام خلط الأمم وجعلها أمة واحدة كما في أول هذه السورة - الذي خلقكم من نفس واحدة - فاذا كانت الحرب لأمة أخرى فليس المقصد إلا ترقية الأجناس المنحطة فانك ترى العسكر الانكشارية في الدولة التركية ما كانوا إلا شرادم من العبيد الذين اشتروهم بالمال وكذلك المماليك البرية والبحرية بمصر انهم إلا أرقاء كانوا يجلبون من بلاد الروس والصقالبة ويشترون بالمال فاذا مات السيد من الامراء المصريين ورثه عبده الذي اشتراه ومن هؤلاء الظاهر ييبرس ومن قبله ومن بعده من الملوك الذين استولوا على مصر نحو ثمانية سنة وهكذا نسلمهم بقوا فيها بعد فتح الدولة التركية لها الى دخول المغفور له محمد علي باشا في أول القرن الثامن عشر المسيحي فزقهم شرا ممزق وكذلك الترك قتلوا الانكشارية الذين هم عبيد أيضا كانوا يتعلمون الدين والقرآن ويحكمون الدولة ويدافعون عنها فاستعبدوا ملوك بني عثمان وقتلوا الدولة وأهلكوها وأخروها والقصد من هذا القول أن الاسلام لعدم تفرقة بين الأجناس تغالت الأمم الاسلامية في تسلط الأجانب عليها متى أسلموا حتى أنست بالمدلة فأرقتهم الفرنجة والقرآن هو الأصل الذي عليه الاعتماد في ذلك هذا كان مقصد الاسلام من الأسرى ثم فكهم واعتاقهم فالقرآن يأمر بالحرب للسلم والتعليم فيأتي بالجهلاء والمتوحشين فبرقهم ويعلمهم ثم يكونون في نعمة لم يحلم بها آباؤهم وهذا العمل من المسلمين مطابق لقوله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - أفليس ما هناك هو ما في هذه السورة أليس يقول هنا في أول السورة انه خلقنا من نفس واحدة ثم بحرطنا على القتال لحفظ الوطن ثم يشير الى القتال العام ثم يقول حرروا الرقبة المؤمنة اذا قتلتم مؤمنا خطأ فجعل التوبة من الذنوب أن تحرر الأسرى • ان تحرير الأسرى ظهر في الاسلام ظهورا واضحا فكثيرا ما يأمر بالتحرير وعشق العبيد وهذا هو السر في اختلاط الشعوب الاسلامية

﴿ مقايضة أوروبا بالاسلام ﴾

لقد دخلت أوروبا بلاد الشرق وقالت أنتم أيها الناس أحرار ولكن هل جعل الانجليز من المصريين وزيرا أم الفرنسيون جعلوا من الجزائريين أميرا أم اتخذوا الأسبان من أهل مراكش وكيلًا • كلا • ثم كلا وكثير من تلك الدول تغتال الأموال جهارا وتقتل الناس بالطائرات فلا ينامون إلا غرارا فأى الحكيمين أقرب للعدل وأولى بالحق • هل جعل الفرنجة من المسلمين ملكا على بلادهم كما جعلنا كافورا ملكا في مصر لجرّد الاسلام • كلا هذه هي الميزة الاسلامية على سائر الأمم الغربية

نحن جعلنا كافورا ملكا وأمريكا لا ترضى أن يكون السود جالسين مع أبنائها في العربات ويحرقون

أن يساووهم فالإنسان اليوم جهول كقار

﴿ محاورات في المجلس العام للمسلمين بعد مائتي سنة فأكثر ﴾

يحكي في عام الخيال أنه اجتمع مجلس الشورى العام (البرلمان) في الاستانة وقيل في أنقرة وقيل في مكة وحضر من كل أمة من الأمم العربية والتركية والفارسية والأفغانية ونحوها نائبون • ولما استقر بهم الجلوس وقف أحد الأعضاء وقال لقد أغارت الأمم الإسلامية على أمة كذا وأدخلتها في حوزتها فهل يرى المجلس أن نعاملها معاملة أوروبا لأهل أمريكا الأصليين فنقيتهم بالتدريج ونقرضهم من الوجود كما هي السنة المنبئة في الاستعمار فردّ نائب الأفغان وقال إنا إذا فعلنا ذلك كما مثل السوء في العالمين وكيف نفعل ذلك ونبيننا جاء رجة للعالمين ونحن خلفاؤه على المخلوقين فقال نائب الفرس مالكم تردون كل مورد وتذهبون في البحث بعيدا فالعضو المحترم الأول حكم بالاهلاك والثاني أوجب ألا يمسوا بسوء وهل تذكرن أوسط الامور وأفضلها عند الجمهور أن نجعل بعضهم لبعض عدوا كما فعل الاسكندر بملوك الطوائف كما أمره استاذة ارسطو طاليس وسلط عليهم الشهوات وزوجهم الغايات وألبسهم التيجان وألزم كلا اسم الملك فننازعوا بينهم والاسكندر حكم بحكم بينهم فهم الأعداء وهو المحبوب وهكذا حذت حذوه انكسرتا وفرنسا وسائر أمم أوروبا حتى فرقت المسلمين شذرمذرا أيام القرون الأولى وهانحن أولاء قد من الله علينا فاجتمعنا فلنفعل معهم كما فعلوا معنا • فقام عالم مصري وقال أيها الاخوان أذكركم بالقرآن ألم يقل الله - فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول - (في سورة النساء) فانردّ الأمر الى كتاب الله وفعل الرسول ونظام هذا العالم يقول الله - يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة - فلم يقل يا أيها المؤمنون بل جعل الخطاب للناس والناس كلهم أسرة واحدة ولقد وصى على الأيتام وأمرنا أن نعولهم وأن نتعفف اذا كنا أغنياء وتأخذ أجرنا بالحق اذا كنا فقراء فهؤلاء الذين دخلوا في حوزتنا كالأيتام فلم يكن عوننا لهم ولنعافظ عليهم ولنعلمهم حتى يتهيؤوا للحياة والاستقلال والمقصود من الرد الى كتاب الله النظر في المقصد العام من فعل الله وقوله على وجه العموم فقال العضو التركي لقد قلت قولاً فيه الاتم والشار وما الفائدة العائدة على المسلمين نعلمهم وتربيتهم فيصبحون مثلنا ويحارب أبناءهم أبناءنا إن هذا هو الجهالة العمياء والضلالة السوداء فقال العالم التولسي وهو عضو بالبرلمان ان النظرية الفرنجية عارية من العقل خالية من الفهم كانوا يخافون أن ترقى الدول فيبطشون بهم وهذا قصر في النظر وضعف في الفكر

ان هؤلاء قد جنوا عكس ما زرعوا وبثما زرعوا علموا أبناءهم الاتسكال على ماصنع غيرهم فينامون على وساد الراحة والمسلمون يعملون تخملت أعمهم وضعفت قواهم لأن آباءنا كانوا يزيدون نشاطا وهم يتدلون احطاطا فتكامل الخول في الآخرين وتم النشاط والقوة في الأولين حتى دالت دولة الغربيين وأشرقت شمس الشرقيين فهذه النظرية جاهلية أمّا الذي أراه فان الله عز وجل جعلنا خلقاءه في الأرض ووكل لنا اصلاح عباده وأوجب علينا قيادتهم وارشادهم وحفظهم فلنعاملهم بالأمانة ولنعلمهم وانهدبهم ولا نفعل ما فعل آباؤنا المسلمون فقد كانوا يأتون بالأوباش والجهلاء ويسلطونهم على منازلهم وممالكهم فيحكمون الدول • كلاً ثم • كلاً فذلك هو الذي أضاع الدولتين العربية والتركية القديمة وهذا تفریط من المسلمين ولاندهم اذلالا شديدا كما فعل الاوربيون في المسلمين ولكن نتخذ الطريق السوي فنعلمهم وتربيتهم ونتركهم متى استقلوا بأنفسهم ويكونون لنا أصدقاء مخلصين

فأما ما قاله العضو المحترم ان أبناءهم يقتلون أبناءنا فهذه نظرية أوروبية خاطئة • ذلك أنه لا يبقى في الوجود إلا الأصلح له والأمة المصلحة النافعة للناس لن يبيد من الوجود فإدمننا فاعين للناس فالدوام مضمون ولستنا نخاف على أبنائنا إلا من نومهم وكسلهم وحرصهم وجبنهم ولن يكون ذلك إلا اذا ظلمناه هؤلاء الذين ملكناهم

فسخرناهم لأبنائنا فينام هؤلاء الأبناء على فراش الراحة الوثير كما نام الأوروبيون على حساب الشرقيين فوقعوا في ذل الشهوات فزالت مدنيّتهم وتشرّق جمعهم وزال اسمهم من الوجود فهذه الأمم كانت أنظارها قصيرة وآراؤها سقيمة يفعلون ما فعلته الدولة العباسية والدولة البائدة التركية التي كانت تأكل أرزاق الأمم فتصبح عالة عليها وتزول من الوجود كما كانت دولة الرومان . وعلى هذا فلنساعد هؤلاء القوم ونقول لأبنائنا استعدوا للحياة وكونوا ذوي عزم وحزم ولنعودهم السلام والأعمال الشريفة ولنهدبهم ونعلمهم الحب والاتحاد وهذا هو المسعى الحميد والرأي السديد فاذا اجتمعت الأمم على مضرتهم لن يضرّوهم لأنهم بالحق قائمون وللعالم مخلصون والله لا يزيل من أرضه المصلحين وإنما يهلك المفسدين وقال الله لنبينا صلى الله عليه وسلم - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - فأخذت الأصوات فزال هذا الرئيس الأخير ٢٨٩ صوتا ضد ١٢٨ صوتا وعليه صار العمل

(الخم) (الخم) (الخم) انتهى المقصد السادس

(المقصد السابع)

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً * وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِماً * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً * هَا أَنْتُمْ هُوَ لَا جَادِلَ لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا * وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً * وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَلِإِثْمِهِ يَكْسِبُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَزِمْ بِهِ بَرِيئاً فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً * وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً *

﴿ تفسير هذه الآيات ﴾

قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة (مثلثة الطاء والكسر أفصح) ابن ابيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعاً من جاره يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق يثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى داره ثم خبأها عند رجل يهودي يقال له زيد بن السمين فالتمسوا الدرع عند طعمة خلف بالله ما أخذها وماله بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي فأخذوه منه فقال اليهودي انه دفعها إلى طعمة بن ابيرق وشهد له جماعة من اليهود وجاء بنو ظفر قوم طعمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودي وأن يقطع يده فأنزل الله هذه الآية

ولما نزلت هذه الآيات فيه لحق مكة مرتداً عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط

عليه حجر من الخائط فلما أصبحوا أخرجوه من مكة فلقى ركبا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به خملوه حتى اذا جن عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا في طلبه فأدركوه فرموه بالحجارة حتى مات * قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات فهذا قوله تعالى (إنا أنزلنا إليك) يا محمد (الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) أي بما علمك الله وأوحى إليك (ولا تكن) يا محمد (للخائنين خصيما) أي ولا تكن لأجل الخائنين وهم قوم طعمة مخاصما عنهم ومدافعا ومعينا (واستغفر الله) مما هممت به من معاقبة اليهودي ومن أنك هممت بالمجادلة عن طعمة (إن الله كان غفورا) يعني لذنوب عباده يستترها عليهم (رحيما) بعباده المؤمنين (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) بخونونها (إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما) أي مبالغا في الخيانة مصرا عليها منهم كما فيها (يستخفون من الناس) يستترون منهم حياء وخوفا (ولا يستخفون من الله) وهو أحق أن يستحيامنه (وهو معهم) لا تخفى عليه أسرارهم (إذ يبيتون) يزورون (مالا يرضى من القول) من رمى البريء والخلف الكاذب وشهادة الزور (وكان الله بما يعملون محيطا) لا تخفى عليه شيء من أسرارهم ولا أسرار غيرهم (ها) للتنبيه (أتم) يا (هؤلاء) والاشارة الى من كانوا يدافعون عن طعمة وقومه (جادلتم) خاصتم (عنهم في الحياة الدنيا فن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا) محاميا يحمهم من عذاب الله (ومن يعمل سوا) قبيحا يسوء به غيره (أو يظلم نفسه) بما يختص به ولا يتعداه (ثم يستغفر الله) بالتوبة (يجد الله غفورا) لذنوبه (رحيما) متفضلا عليه وهذا حث لطعمة وقومه أن يتوبوا (ومن يكسب إثما فانما يكسبه على نفسه) لا يتعداه وباله (وكان الله عليما حكيما) فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته (ومن يكسب خطيئة) صغيرة (أو إثما) كبيرة (ثم يرم به بريئا) كما رمى طعمة زيدا (فقد احقق بهتنا وإثما مبينا) بسبب رمى البريء وتبرئة نفسه (ولو لا فضل الله عليك ورحمته) باعلام ما هم عليه بالوحي (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال (وما يضروك من شيء) فان الله عصمك (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم) من خفيات الامور الدينية والحكمية (وكان فضل الله عليك عظيما) وأي فضل أعظم من النبوة انتهى التفسير اللفظي

﴿ بيان أجلى ونور أشرق ﴾

لقد تبين أن هذه السورة نزلت لجعل الناس أمة واحدة لأن أباهم واحد وقد خلقوا من نفس واحدة وأن رجلا كثيرا ونساء خلقوا من تلك وان فيها الوصية على الرحم والقرباة واليتامى والمساكين والوصية بالجار القريب والمساكين فاعلم أن الأمر فوق ذلك فأصبح الدين الاسلامي بهذه السورة وهذا المقصد منها يحمي اليهودي الذي قال الله في أهل دينه - لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا - فانظر كيف جعل اليهود ألد الأعداء في الاسلام وكيف انزل في الوحي هذه الآيات . يقول يصف الكتاب انه أنزله بالحق وانك يا محمد تحكم بين الناس بالعدل وكيف تكون قاضيا بالحق وتهم بالمحاماة عن الخائن فاستغفر يا محمد الله فان الله غفور رحيم وكيف تجادل عن الخائنين والله لا يحبهم انهم قوم يراؤن الناس ويخشونهم ولا يرقبون ربهم . هب أنكم أيها المحامون جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن ذا الذي ينفعهم يوم الحساب وأين المحامون هناك وأين الوكلاء في تلك الدار ولقد كاد القوم يضلونك ولن يقدروا عليك لأنك معصوم فأمددناك بلطائف من عندنا وأعطيناك رحمة من لدنا واصطفيناك للناس ففضلنا عليك عظيم

يقال هذا القول وأمثاله لأجل يهودي يجب بحسب الظاهر أن يعتد من السارقين فلقد وجد الدرع في

داره ومع ذلك يعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم عتابا طويلا على ما هم به مما يؤيده ظاهر الحال

فانظر كيف حفظ الاسلام الحقوق مع أعدى أعداء الاسلام وانزلت الآيات للنبي عتابا عظيما فلو أن المسلمين اليوم رجعوا الى ديننا ونظروا في الحقائق الساطعة لأصبحوا أرقى العالمين فانظر كيف كانت هذه

حال الاسلام وقد خالفها فريقان

(١) الفريق الأول أكثر أمة الاسلام فانهم بمعصون لأقاربهم ويجادلون عن أصحابهم وأخوانهم وأقاربهم بالحق وبالباطل ولا يظهرون الحقائق ولا يشهدون بالحق ويقولون فلنستر على الاخوان والله يقول كلا . انظروا الى اليهودى كيف ضربت الذكر صفحا عن قبيلة برمها من العرب وأخزيتهم وأخجلتهم بآيات القرآن وقرعتهم تقريرا يقرأ لآخر الدهر ولم أبال بأنهم مسلمون وهو يهودى بل نصرت الحق والحق أبلغ فان أهل الأرض أمة واحدة وجميع الناس خلق وأنا الذى صورتهم وأوجدتهم فى أرضى وأنا الذى أنزلت الديانات وحكمت على كل أمة أن تتبع ديننا وجعلناكم خير الأمم وأنتم رحمة العالمين فعليكم أن تخالفوا الأمم فى أخلاقها وأن تكونوا أشرف من أوروبا مقاما وأرفع شأننا وأرقى أخلاقا وأوسع اشراقا وأحلى مذاقا وأجل اسقا وأعظم للحقوق احقاقا

(٢) الفريق الثانى الدول الأوروبية . إن أمة الفرنجة لا تعدل فى القضاء إلا فى رعايها . ولقد حدث وأنا أولف هذا التفسير أن شابا مصرى يدعى على فهمى يبلغ من العمر ٢٣ سنة تزوج امرأة فرنجية من بلاد فرانس ولم تلبث معه إلا ستة أشهر وبينما هى تعيش معه فى بلاد الانكليز تشاجرت معه فضرته برصاصة من (بندقيتها) فأردته قتيلا فقدمت للقضاء فأقرت بذلك فحكم القاضى والمحكمون فى المحكمة انها بريئة لا إثم عليها معللين ذلك بأنه كان يؤذيها ويحجزها فى منزله وكان يفعل معها أفعالا تناسلية لا تليق ولم يكن لديها أى اثبات إلا ما كانت تلقيه بلسانها . وبهذا الحكم تقر بوا لفرنسا واحتقروا المصريين والمسلمين . فانظر الحكمين وتجب من العاملين أيهما أقرب للانسانية وأيهما يأس بالوحشية هذا هو دين الاسلام وهذه هى المدنية فى أوروبا فالجسد الذى وقفنا بهذا الحادث أن تكون الموازنة بين الديانات الشرقية والجهالات الغربية والدعوى الكاذبة بأنهم قوم مقدينون فلتقوم فى بلاد الاسلام بمالك عجيبة وأمم حكيمة تحقر ما فى أوروبا من سفاسف الأخلاق والجهالة العمياء ويطلعون على القرآن وينظرون فيه بامعان ويكون لهم فى القضاء القدر المعلى وفى حكم الشعوب المقام الأكمل وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون - فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض . كل فى كتاب مبين - انتهى تفسير المقصد السابع

(المَقْصِدُ الثَّامِنُ)

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ * نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى ، وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ * وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا * إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا * لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَلَا ضِلَّهُمْ وَلَا تَمْنِنْهُمْ وَلَا مَرْهَمَ فَلْيَبْتِكُنْ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْهَمَ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ * وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ

اللَّهُ فَقَدْ خَسِرْنَا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُخَيِّبُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * أُولَئِكَ
 مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا * وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا * لَيْسَ
 بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا
 وَلَا نَصِيرًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ
 الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا * وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ
 إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ
 بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا * وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ
 فِي الْكِتَابِ فِي يَتَأَمَّى النِّسَاءَ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ
 وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَعْمَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
 بِهِ عَلِيمًا * وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا
 صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ * وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
 خَبِيرًا * وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا
 كَالْمُلْقَةِ * وَإِنْ تَصْلَحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا
 مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حمِيدًا * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا *
 إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا * مَنْ كَانَ يُرِيدُ
 ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا
 أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
 بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ

وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا * بَشَرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا * وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا، فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا * الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ لِقَاءٌ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوَذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاوُنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُوَ لَا إِلَى هُوَ لَا إِلَى هُوَ لَا وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا اللَّهَ عِلِّيُّكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا * لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا * إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا * إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا *

وفي هذا المقصد أربعة فصول

الفصل الأول اكمال القول على العدل في الأحكام وذلك بدم المحاماة عن الكاذبين الخائنين وعن

التزوير سرا لنصرهم ومدح شرف النفس ونصر الحق والحض على الصلح والبر والمعروف والصدق بدل
ملاخير فيه من تزوير المحامين وفيه بيان عدل الله الذي هو المنهج الذي يقتدى به عباده في العدل في
أفعالهم وأحكامهم وكيف جعل أمره غير خاضع لارادة أحد من المسلمين والأمم السالفة بل من يعمل سوا
يجزبه الى قوله تعالى - وكان الله بكل شيء محيطا -

الفصل الثاني في بيان بعض مسائل في العدل تطبيقا على القاعدة السابقة كالعدل في يتامى النساء والمستضعفين
من الولدان واليتامى وحسن معاشره النساء من قوله - ويستفتونك في النساء - الى قوله - وكفى بالله وكيلًا -
الفصل الثالث في بيان أن الأمم التي عدم العدل في أحكامها بين أفرادها تدرس معالمها وتحلل
أجزائها ويأتي الله بأمر أخرى تحكمها وتدوسها وتجعلها في الاذنين وبيان انكار الذات والأهل عند
الصدق في الشهادة حتى لا تتعرض الأمة لأسباب الانقراض من قوله - إن يشأ يذهبكم - الى قوله - فان
الله كان بما تعملون خيرا -

الفصل الرابع في بيان الاخلاص في الايمان لأن العقيدة هي أس العمل بالعدل الذي شرحه في الفصول
السابقة فجعل هذا العمل أساسا لها فأوضح فيه رذيلة النفاق وموالات الأعداء مما يجعل القلوب مذبذبة
مضطربة لا ثبات لها فلا يكون عدل في الأحكام ولا صدق في الشهادات فتزول الدولة ويستخلف الله
قوما آخرين من قوله - يا أيها الذين آمنوا - الى قوله - أولئك سوف يؤتهم أجورهم وكان الله غفورا رحيمًا -

﴿ الفصل الأول ﴾

لقد أبان في المقصد السابع كيف يكون العدل في الاسلام وكيف يذم الله المحامين في القضايا المزورة ومن
يزورون الشهادات وكيف يلوم القضاة على عدم البحث الدقيق والكشف والتحقيق والأخذ بالأحوط
وجمع الدلائل والتمسك في الأحكام حتى تجمع الأدلة وتعرف كل علة وماعلى المدعى أوله فأخذ في هذا
المقصد يقول تنبها للرام وتنويرا للأفهام (لاخير في كثير من نجواهم) يقال ناجيته ساررتة والنجوى أيضا
الاسرار في التدبير يقول لاخير في كثير مما يتسار الناس به ويدبرونه سرا سواء كان المتسارون قوم
طعمة أو غيرهم (إلا) نجوى (من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) فالنجوى للصدقات خير
والمعروف وهو كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل خير كالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وتدبير
الحرب وحفظ البلاد والشعور وما أشبه ذلك فالمعروف أعم من الصدقة والإصلاح بين الناس خير فالنجوى
اذن على قسمين نجوى للشر ونجوى للخير فالشر محذور والخير متبع (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات
الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما) أى ومن يفعل هذه الأشياء المذكورة طلبا لرضا الله فان الله يكافئه بالأجر
العظيم وقد رتب الأجر العظيم على العقيدة النفسية بأن تكون جميع الأعمال صادرة لغرض الخير المفروض
في النفس لأن الحياة الدنيا يراد منها نمو الملكات الفاضلة في النفوس فاما بذل المال أو العلم بلا قصد شريف
فانما يكون أشبه بهبوب الهواء على ذرات الهباء وما الأعمال إلا ثمرات القلوب فاذا لم يكن العمل منبعه
القلوب لم تقرب الارادات في النفوس ولم يكن لها إلا النصب في الانفاق والتعب والمشاق بلا نمو في الأخلاق
ولا رقي في الشعور والوجدان

ولما كانت المناجاة بالشر تابعة لما في النفس من شقاق كما ان المناجاة بالخير تتبع ما فيها من وفاق لأن
العقيدة أس الأعمال فلاخير إلا بالعقائد ولا شر إلا منها حاصل وكان الذي يجمع الأمم اتحاد عقائدها والذي
يفرقها تشبث آرائها أردفه بدم انشقاق الألفة الجامعة في الأمم الاسلامية فقال (ومن يشاقق الرسول)
يخالفه من الشق فشكل من المتخالفين في شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) ظهر له الحق
(ويتبع غير سبيل المؤمنين) غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل (نوله مانولى) نكله في الآخرة الى مانولاه

في الدنيا (ونصله جهنم) نلزمه جهنم وأصله من الصلى وهو لزوم النار وقت الاستدقاء (وساءت مصيرا) جهنم
 وإذا كان اتباع غير سبيل المؤمنين ممنوعا كان اتباع سبيلهم واجبا وهذا دليل على أن الاجماع من الأدلة
 الشرعية . ولما كان اتحاد الأمم مبناه اتحاد الفكرة فإذا كان المعبود في نفوسهم واحدا اتجهوا لغرض
 واحد وإذا تفرقت الأهواء تفرقت الأمم أردفه بذكر التوحيد وكأنه يقول إن تفرق الأمة في أعمالها
 واختلافها في أغراضها راجع إلى ما في القلوب من الاختلاف وما في النفوس من الأهواء فأما إذا انحلت
 العقائد وانتظمت الآراء فإن الأعمال تكون على مقتضاها اتحادا والتثامات فقال (إن الله لا يغفر أن يشرك
 به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ومدار الأمر على الوحدة العقلية والوحدة العقلية تقبها الوحدة العملية
 فأما تفاصيل الأعمال وتباين الأحوال من طاعة وعصيان مع ثبات العقيدة الأصلية فليس يمنع من الانتظام
 العام فقد يغتفر في الفروع ما لا يغتفر في الأصول فالشرك لا يغفران في اعتقاده والمغفرة قد تكون في
 الأحوال العملية فليس كل ذنب موجبا زلزلة القواعد ومما مثل القواعد الإيمانية إلا كمثل القواعد المنزلية
 في البيوت المبنية فإن زالت القواعد هدم البناء ألم ترى قوله تعالى - فأثني الله بفيانهم من القواعد
 غفر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا -
 فالقواعد أصول العقائد والبنية الأعمال العامة الحافظة للمجموع وبزلزلة القواعد يسقط البنيان ويكون
 الخزي في الحياة والعذاب في الممات فهكذا هنا ذكر اتحاد الأمة وعدم مخالفتها وبين سبب ذلك وهو تكوين
 الوحدة الفكرية وإن هدمها هدم ذلك البنيان وهذه المسألة هي الأصل الذي بنى عليه قدماء الفرس إدخال
 النحل الكثيرة في الاسلام والمذاهب المنعددة تفرقا لكلمة العرب وتشتيقا لشملهم وهي التي اختارها
 البابا وبارونات أوروبا ودوق فينيزيا لما أرادوا غزو المسلمين في الأندلس فقد قرروا فيما بينهم أن لانجاة من
 المسلمين ولاغلبة عليهم إلا بتحويل عقائدهم وإدخال الشك في قلوبهم وتعلمهم الاتحاد واحتقار الديانات
 والاستعانة على ذلك بتغيير أزيائهم وإدخال المعاصي الظاهرة من الزنا والخمر عليهم وتعويدهم الترف والنعيم
 حتى تزول تلك العصبية ويأتي جيل سهل الانقياد سريع الانفعال فنقض عليه فتمخرجه من أرضنا
 وقد تم ذلك في ثمانية سنة ونجح الفرييون في تشتيت شمل العرب المسلمين كما نجح الفرس بث العقائد
 المختلفة ففترقوا الأمم شيعة وأصبح بأسهم بينهم شديدا فلذلك تجد التهديد على الشرك في هذه الآيات بعد أن
 ذكر الاتحاد وأكدته فقال (ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالا بعيدا) عن الحق وإنما كان بعيدا عنه لأن
 القلوب تختلف تبع ما اختلفت فيه فكل يتبع ما أحبه وعبدته فمن عبد اللات أو العزى أو منات فقد انصرف
 قلبه إلى ما عبده وكره سواء فيكون لكل صنم جماعة فتتفرق الشيع فلا يكون اتحاد فتتخطف الأمم
 تلك الأمة لعدم اتحادها ولذلك أعقبه بقوله (إن يدعون من دونه إلا أنا) وهي الأصنام المذكورات فقد
 كانوا يقولون أنى بنى فلان فيسمون الصنم بلفظ أنى ولا جرم أن أنى منفعلة والرب يكون فاعلا لا
 منفعلا ثم ذكر سببه فقال (وإن يدعون إلا شيطانا مريدا) المراد الممتردا المعاني الخارج عن الطاعة
 فاتباع الشيطان سبب في عبادة الأوثان وعبادة الأوثان سبب لترك التوحيد المبني عليه تفريق الألفة
 وتشتيت الشمل ثم وصف الشيطان بوصفين آخرين وهما أنه ملعون يضل بعض الناس ويقذف في قلوبهم
 الأمانى الباطلة ويأمر بتغيير خلق الله كأن يشقوا آذان الأنعام الخ وهذا قوله تعالى (لعنه الله وقال لأخذن
 من عبادك نصيبا مفروضا) أى نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء (ولأضلنهم) عن الحق
 (ولامنينهم) الأمانى الباطلة كطول الحياة وأن لا يبعث ولا عقاب (ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) ليشقنها
 لتحريم ما أحل الله كما كانت تفعل العرب في البحائر جمع بحيرة والسواثب جمع سائبة
 (١) وقد كان العرب يشقون آذان الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرّموا على

أنفسهم لا تنفع بها .

- (٢) والنساء يأذين بشعر غير شعرهن يصلنه به وهؤلاء يسمين الواصلات
- (٣) ومنهن الواشحات اللاتي يلون أجسامهن بلون الخضرة بغيرز الابر في الجلد وهو الوشم
- (٤) ومن تغيير خلق الله الاخصاء وقطع الأذان ونقء العيون
- (٥) وكانت العرب اذا بلغت ابل أحدهم ألفا عور عين فخلها
- (٦) ومن تغيير الخلق الثغث
- (٧) ومنها عبادة الشمس والقمر والكواكب التي خلقت للنفعة فجعلوها معبودة

وهذه هي أنواع تغيير الخلق التي ذكرها المفسرون الاجلاء

فترى أنسا يكره اخفاء الغنم لأنها تغيير خلق الله وأدخلوا في هذا السحاق والمواط لأنها تغيير لوجهة خلق الله والفعل الطبيعي الألهي وهذا هو قوله تعالى (ولأمرنهم فليغيرن خلق الله) عن وجهه وصورته أوصفته (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا) إذ ضيع رأس ماله (يعدهم) ما لا ينجزه (ويمنهم) ما لا ينالون (وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر (وأولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا) معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات انى قوله ومن أصدق من الله قيلا) ظاهر تفسيرها ثم قال (ليس) ملزما لله من الثواب لينال (بأمانيتكم) أيها المسلمون (ولا بأمانى أهل الكتاب) وانما ينال بالايمان والعمل الصالح . ذلك أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم وقال المسلمون . كلا . نحن أولى بالله منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب المتقدمة (من يعمل سوء يجز به) عاجلا أو آجلا * وروى أنها لما نزلت قال أبو بكر فن ينجو مع هذا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أما تمرض أما تحزن أما يصيبك اللاؤاء قال بلى يارسول الله قال هو ذاك وهذا الحديث لم يرد في الصحيحين وفي اسناده ضعف (ولا يجدله من دون الله وليا ولا نصيرا) * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) لا ينقصون شيئا من الثواب (ومن أحسن ديننا ممن أسلم وجهه لله) أخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه (وهو محسن) آت بالحسنات تارك للسئآت (واتبع ملة ابراهيم) وعى الموافقة لدين الاسلام (حنيفا) مائلا عن سائر الأديان (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخلة من الخلال لأن الود يتخلل النفس ويخالطها (ولله مافى السموات ومافى الأرض وكان الله بكل شئ محيطا) احاطة علم وقدره فيجازى الناس على أعمالهم فلا يذر أحد من عباده إلا حاسبه لا فرق بين مسلم وغير مسلم ويهودى ونصرانى . انتهى التفسير اللفظى للفصل الأول من هذا المقصد

وعنا لطائف . اللطيفة الأولى في قوله تعالى - فليغيرن خلق الله - . اللطيفة الثانية في الشيطان . اللطيفة الثالثة - ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب -

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

لقد اطلعت في هذا التفسير على مقالة المفسرون في معنى تغيير خلق الله وأنه حرام وذهبوا مذاهب ترجع الى وصل شعر أو وشم جلد أو نقء عين جل أو شق أذن أو تحريم مهمة لها عمل نافع بأن ولدت أربعا والخامس ذكر أو تخنث أو سحاق أو لواط أو اخفاء كاخفاء العبيد فكل ذلك تغيير خلق الله . وباليات شعري ان كل ذلك إلا في التغيير الظاهري والتشويه الجسمي فيجرى الى فسوق تارة كالوشم ووصل الشعر أو تحريم أخرى كالشقوق الأذن بحر مؤنها عليهم

واعلم أن أهم تغير خلق الله ما سأذكره لك هنا وهو تغيير وجهة افطرة الانسانية ألا ترى أن الله خلق في كل قطر من أقطار الأرض أناسا لهم مناي في أهمهم وبعبارة أخرى أن كل أمة أشبه بجسم الانسان ففيها من هم كالسمع والبصر والشم وفيها من هم كاليد والعقل فالاستعدادات في الأفراد تختلف كالاختلاف في الأعضاء في الجسم الواحد ولقد وضحت هذا في سورة البقرة عند قوله تعالى - لا يكاف الله نفسا إلا وسعها - ان الناس قد اختلفوا في فطرهم وقابلياتهم فيجب أن يوضع كل في مكانه الذي استعد له . فعلى مجالس النواب في الأمة أن يأمرؤا بأن يوضع كل في مكانه الخاص به وعلى المدرسين أن يمتحنوا التلاميذ بالعدل ويضعوا كلا في العلم الذي غلب على عقله حتى يستخرج من الأرض ثمراتها فمن نقص تميزا درجة فقد غير خلق الله ومن وضع موظفا في غير وظيفته فقد غير خلق الله ومن لم يلاحظ الاستعداد فقد غير خلق الله والحكومات التي لا تلاحظ الشبان فتتركهم وشأنهم بلا زواج فقد غيرت خلق الله بالسكوت عن عقابهم ماليا بضرب ضريبة على الأعزب كما في بعض الدول الغربية وأمم أوروبا التي أغارت على بلاد الشرق فأكثر من الأخلاق الرديئة وغيرت في أوضاع الأمم فقد غيرت خلق الله فنفعت العلم عن الشرقيين وحرمتم النبوغ على بعض المسلمين

وإذا كنا بشق أذن بهيمة وفق عین جبل ووشم جلد فسغيرنا خلق الله وهكذا بتحريم بهيمة كأن حرمنا على أنفسنا أكل لحما أو ركوب ظهرها قد غيرنا خلق الله فما بالك بتحويل ما هو أرفع مقاما وأوفى زمانا وأعلى شرفا وهي الفطرة الانسانية فنسدر العقول الكبيرة من أبناء البلاد في أعمال صغيرة فربما اتفق أن يكون العامل في الحقول أبرع من الوزير في السياسة لو أنه وضع من صغره في الدراسة وربما كان في دست الوزارة من لا يصلح إلا لأعمال الفلاحة فلنسل من الناس عمل يوافقه وطريق أنسب له وكم في البلاد الاسلامية من أيد عاطلة وعقول نائمة وأفكار خامدة فاذا أنزلنا عليها ماء العلم اهتزت وربت وأنبئت من كل زوج بهيج

(حكمة في العقل والمعدة)

ولعلك ترى أن العقل يطالبك في كل آن بلذاته ويؤنبك في كل حين على حرمانه ويقول لك اذا وقفت على شجر أو نظرت الى حجر أو سموت بوجهك الى قبر أو شخصت بعينك الى كوكب سيار أو راقبت طائرا وقد طار يقول لم أعطيت المعدة شهوتها ومنعتني وراقبت الغذاء وتركنتني وذكرته شهوة نفسك ونسبتني ما هذا النجم الثاقب وما هذا الجبل الشامخ وكيف تزلزل الأرض زلاها وما أسبابها وما تاريج هذه الجبال وما أسباب هذا الجبال ولم جئنا في هذا الوجود ولم كان العابد والمعبود ولم نرى لديانات تأتي بهجائب خافيات وحياة بعد الممات وحشر وحساب ونعيم وعقاب كل ذلك خفي أمره على فكن لي ولا تكن على وانظر نظرة الى حتى أعرف هذه الحقائق فأنا أولى من المعدة الجبارة وأنا أحق بهذه المهارة . انتهى كلام العقل . ثم ان عقلك يخاطبك بهذا الخطاب وأنت تجيبه بالسكوت ولكن الله يقول على لسان الشيطان - ولأمرهم فليغيرن خلق الله - نخلق المعدة فينا لم يغير خلقنا وإنما نحن أغرنا على العقل فأطفأناه وغيرناه أقول ان الجهل بهذه الأمور وأمثالها على المستعد حرام بل ربما كان من السكبان وأقل ما فيه انه فرض كفاية ولا كفاية اليوم في الأمم الاسلامية فالذنوب واقع على الجميع . ورب جهل عند عمر ولا يعد ذنبا وجهل عند خالد يعد ذنبا على حسب استعدادهما واذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تعد عليهم أنفاسهم ويستغفرون الله من ذنوبهم فهكذا دور العقول الكبيرة بحاسبون عاين حاسبوا عيرا . واعلم أن علماء الاسلام تفتنوا لهذا وقالوا من عنده قدرة في علم نافع وجب عليه فهذا دليل على أن الأمة فكثرت في هذا إذن يكون حراما على القادر ولا يحرم على العاجز أن يترك ذلك العلم . وانظر الى الأمم الاسلامية

كيف تركت العقل والعلم فانظر ماذا فعل الله فيها سلط عليها الفرنجة . ذلك أن الله لم يخلق شيئاً إلا لمنفعة فإذا فأت المنفعة زال ذلك الشيء والعضو إذا ترك استعماله أصابه الضمور وإذا استعمل قوى وجرى فيه الدم هكذا العقول الانسانية إذا سلط الله على الأمم رؤساء جهالا فأفهموا الشعب ألا يفكر أبناؤه كما حصل للمسلمين أخذت القوة العاقلة تذهب شيئاً فشيئاً كما ذهبت من الحيوانات الداجنة وتحول ذلك العقل الى المفكرين من رؤساء الفرنجة كما حوله الله من الحيوانات الداجنة الى أخواتها الحيوانات الوحشية . والله لا يعطل الوجود لأجل جهل المسلمين ولم يخلق الله ملكه ليقوم كسالى عاطلين نائمين الملك ليس يعطل شمسهم تجرى وقره وكواكبه وأمهارة وحيوانه فمن خالف هذه القاعدة كبعض المسلمين اليوم أذله الله لأنه غير خلق الله بل أجل خلق الله وهو العقل بل ان هذا من أولئك الذين قال الله فيهم - من قبل أن نطمس وجوها فنردّها على أدبارها - وأى طمس أشد من طمس العقل وما الوجه إلا مرآة له وهو الأصل والوجه هو الفرع . إن تغيير خلق الله العقلى ظاهر اليوم فى بعض الأمم الاسلامية وطمس العقول واضح وقد آن أن يبدل الله الحال ويرجع لهم مجدهم وتستنير عقولهم ذلك هو الذى سيكون والله عاقبة الأمور هذا ولتقرأ ما كتبه على قوله تعالى - لا يكاف الله نفساً إلا وسعها - فى سورة البقرة

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

جاء فى هذه الآيات أن الشيطان يريد أى عات خارج عن الطاعة وأنه أقسم أن يتخذ له من عباد الله جماعة من نصيبه ويجعلهم من حاشيته فإن أمرهم أطاعوا وإن وعظهم بالوسوسة اسقعوا له وإن قال أيها الناس قطعوا آذان الأنعام فعلموا أو غيروا خلق الله بتشويه الجلد ووصل الشعر وتعطيل العقول أخلدوا اليه واطمأنوا وهو الذى أمر الأمم الكبيرة كالفرنجة أن يوطؤا بأقدامهم على رؤس الأمم الصغيرة فى الشرق ويحرموهم من العلوم والصناعات ويسلبوا أموالهم كل هذا بأمر الشيطان . فبالت شعري أى مخلوق هذا وهل هو حى يرزق أم هو صورة يقصد بها ضرب الأمثال والتقريب من العقول والتلطف فى القول لقد بحث العلماء فى ذلك بحثاً دقيقاً ونقبوا فى الشرق والغرب عن هذا الشيطان فأنكروا وجوده وقالوا ليس هناك إلا نفوسنا وأخلاقنا واستعدادنا وأن الذنوب على حسب الاستعداد والقوى . وقال آخرون كلا فإن لأمراض التى تسمى الينا على حسب استعدادنا ظهر اليوم انها من حيوانات حية فالجى والجدرى والحصبة وسائر الأمراض التى نستعملها لا تحصل إلا بذلك الحيوانات الذرية التى تتوالد وتناسل فينا ونحن غير شاعرين بها ولا عالمين وفى أجسامنا آلاف آلاف من الحيوانات الذرية الصغيرة التى تعيش فى الدم كأنها جنود مجندة بالسلاح وكأنها حواظ لأجسامنا تقيها عادات الدهر ومن عججات الليالى وصروف الزمان وبينما هى آمنة فى سربها ساعية فى معاشها هادئة فى أمانها إذا حيوانات غريبة هاجت عليها فيقتتل الطرفان ويتلاقى الجمعان ويتضارب الشجعان ويتدخل الحزبان ويكثر الطعان والنزال وقد كسرت القنا على القنا وموج المنايا حولت متلاطم فتعجلى المعركة عن قتلى من الطرفين وجرى من الحزبين فاما الانسان منا والحيوان فيكون قد ارتفعت درجة حرارته من هول الحرب فى الميدان ويكون المرض على حسب الحيوانات الهاجة فتارة يقال انها حى وتارة يقال حصبة وأخرى يقال جدرى وما أشبه ذلك مختلفا باختلاف الحيوانات الهاجة فاما الحيوانات البيضاء التى فى الجسم فانها تدافع بأمانة وشرف حتى اذا غلبت على أمرها وسلمت للموت أنفسها هنالك تظهر الأمراض من جدرى وحصبة وأنواع الجى المختلفة هذا فى الأمراض المعروفة التى لم يكن ليصدق العقل أن هناك حيا يرزق داخل أجسامنا ولا أن هناك مخلوق يدخل فى أمور أمراضنا فما بالك بالأمراض العقلية والآراء النفسية والغزات العقلية والأكاذيب الانسانية والأفعال الشيطانية فربما كان هناك عوالم تفعل فى عقولنا ما فعله الذباب فى أعيننا ألا ترى أن

الذبابة لاتقع إلا على العين الفدرة والجلود الوسخة ومتى وقعت هناك باضت بيضا في تلك الأماكن فكان دود فرض فالاستعداد هو الذي أغرى الذباب فكان الديدان فجاء المرض والناس ساعون لاهون كما دخل المرض أجسامنا باهمال النظام في الشراب والطعام فكانت الحمى وكان الحمام لمانع في العقل يمنع من وجود الشيطان وأنه باقى إلينا الوسوس وأصناف الأحلام ولكن الامكان غير الوقوع والاحتمال غير التحقيق هنالك ظهر قوم وقالوا ليس الشيطان محقل الوقوع فحسب بل هو عالم موجود في هذا الوجود وكما ان في العالم ملائكة ففيه شياطين

فهذه النفوس البشرية اذا ماتت هي وأمثالها من العالم المشابه لعالمنا لاتذهب شعاعا ولا تكون ضياعا ولا تكون سدى أو يلحقها الردى . كذا بل هي حية تسمى ولها في العلم أعمال إذ لا عطل في الوجود فكل انسان في هذه الحياة بعد موته يصبح مغرما بما خلق له في الحياة فيلزم النفوس التي على شاكلته ويوسوس بالشر أو يلهم بالخير على مقتضى سجيته . فكل امرئ اليوم اما فاضل واما ناقص فالناقص شيطان محبوس في قفصه الجسمي والفاضل ملك ممنوع عن مكانه العلوى فاذا خرجا من سجنهما انطلق كل منهما الى مكانه ورجع الى اخوانه وسار معهم في سبيله فيكون اما ملهما للخيرات واما موسوسا بالسيئات

قال الفخر الرازى في سورة ابراهيم عند تفسير قوله تعالى - وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق - الآية وذكر بعض العلماء فيه أيضا احتمالا ثالثا وهو أن النفوس البشرية والأرواح الانسانية اذا فارقت أبدانها قويت في تلك الصفات التي اكتسبتها في تلك الأبدان وكملت فيها فاذا حدثت نفس أخرى مشاكلة لتلك النفس المفارقة في بدن مشا كل لبدن تلك النفس المفارقة حدث بين تلك النفس المفارقة وبين هذا البدن نوع تعلق بسبب المشاكلة الحاصلة بين هذا البدن وبين ما كان بدنا لتلك النفس المفارقة فيصير لتلك النفس المفارقة تعلق شديد بهذا البدن وتصبح تلك النفس المفارقة معاونة لهذه النفس المتعلقة بهذا البدن ومعاونة لها على أفعالها وأحوالها بسبب هذه المشاكلة ثم ان كان هذا المعنى في أبواب الخير والبركات كان ذلك الهاما وان كان في باب الشر كان وسوسة . انتهى

وقال في اخوان الصفاء الجزء الثالث صفحة ٣٦٢

واعلم أن النفوس المتجسدة الخيرة ملائكة بالقوة فاذا فارقت أجسادها كانت ملائكة بالفعل كذلك النفوس المتجسدة الشريرة هي شياطين بالقوة فاذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل فهذه النفوس الشيطانية بالفعل توسوس للنفوس الشيطانية بالقوة لتخرجها الى الفعل كما قال تعالى - شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا - فشياطين الانس هي النفوس المتجسدة الشريرة أنست بالأجساد وشياطين الجن هي النفوس الشريرة المفارقة للأجساد المحتجبة عن الأبصار

وقال قبل ذلك ما ملخصه . ان هذه النفوس الشريرة لما فارقت الجسد وكانت معلقة بالدنيا وسلبت الحواس وآلات اللذات حزنت وتمنت لو رجعت للذات كرهة أخرى حينئذ تصبح النفس كأنها لا حية ولا ميتة كما قال تعالى - لا يموت فيها ولا يحيا - وتقول - يا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل . يا ليتني كنت ترابا - هل لنا من شفعا فيشفعوا لنا - وقال تعالى - ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون - لما ركب فيهم من الأخلاق الشائنة وتبقى تلك النفوس متعلقة بأبناء جنسها المتجسدة توسوس لهم وهكذا . انتهى ملخصا من اخوان الصفاء

وان شئت فارجع الى ما ذكرته في سورة البقرة عند قوله تعالى - فذبحوها وما كادوا يفعلون - وكيف بينت هناك أن الفرنجة قد بحثوا في هذا الموضوع بحثا أوسع نطاقا وكيف قامت دولة أمريكا وانكلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وجميع دول أوروبا وبحثوا في حادث الأرواح وتقبوا ورفعت عريضة في القرن الفائت لمجلس

الأعيان في أمريكا من ١٥ ألف رجل يطلبون معرفة الحوادث الروحية التي حدثت في بلادهم مثل ظهور أشباح وأرواح وكيف قامت الجمعيات العلمية وأثبتت أن هذا حق وأن أرواح الأموات هي التي فعلت ذلك وكيف أبدت جمعيات في أوروبا رسمياً من جهة الحكومات أنفسها ما قاله أهل أمريكا وصدقوا أقوالهم . كل هذا والمسلمون ناعسون نائمون لا يدرون ماذا يقول العلماء في مثل هذه الآيات وإنما شأن المسلم أحد أمرين إما أن يسلم بالقول تسليماً وهم الجهلاء وإما أن ينكره إنكاراً ويقول كل هذه أكاذيب وما هي إلا أضاليل ليقال إنه عالم عظيم ومحقق كبير فلا هو ولا من قبله عالمان كلاًهما مغرور وكلاًهما جهول بل يجب التوقف في الأمر حتى تنجلي الحقائق وتظهر الدقائق فالكبرياء تمنع لاقتناع الناس بأن الإنسان فيلسوف ولكن العقل البشري والفطرة الإنسانية أجل من أن تخضع لتلك الترهات بل لا تزال تطالب بالبيّنات

وقال العلامة أوليفر لودج العالم الإنجليزي الشهير في خطبة خطبها في الحياة بعد الموت وذلك في أيام الحرب العظمى . كل العظام الذين ماتوا كانوا يرتاحون إلى مناجاة المدرّكات العليا أكثر مما يرتاحون إلى الأمور الدنيوية إلى أن قال أنني تحققت أن بعض أصدقائي الذين ماتوا لا يزالون موجودين إذ أنني قد ناجيتهم ومناجاة الموتى ممكنة إلى أن قال وقد حدثت أصدقائي الموتى كما أحدثت واحداً من الحضور وقد كانوا في حياتهم من أهل العلم ولذلك برهنوا لي براهين قاطعة (نشر بعضها وسينشر البعض الآخر في حينه) أنهم هم أنفسهم كانوا يحدثوني وأني لست وأهما . أن ذلك حقيقة أنا مقتنع بها وبصحتها بكل ما في من قوة الاقتناع أنني مقتنع بأننا لانضمحل عند الموت وإن الموتى يهتفون بأمور هذا العالم ويساعدوننا ويعرفون أكثر مما نعرف بكثير ويقدرّون على مناجاتنا أحياناً إلى أن قال وذلك ما يعنى على القول أن الإنسان ليس منفرداً بل تحيط به مدرّكات أخرى

وقال في أخوان الصفاء المتقدّم أن الأرواح بتعليمها للبشر تزيد ارتقاء في عالمها كما أن الاستاذ بتعليمه التلاميذ يزيد ارتقاء وثباتاً في علمه

وإنما نقلت لك كلام الأوائل والأواخر في هذا المقام لتطلع على آراء الأمم قديماً وحديثاً وتعلم أن العقول الإنسانية لها مرام واسعة عظيمة المدى لم تقف عند مشاهدات الأبصار بل استعملت البصائر فإن كفاك ما ذكرناه في اعتقاد الملائكة التي كانت تساعد في غزوة بدر وأحد وفي اعتقاد الشياطين التي تأمرنا أن نقطع آذان الأنعام ونشق الوجوه والأجسام ونخصي العبيد ونغير خلق الله فيها ونعمت والا فاحذر أن تقف موقف المدّعين الذين يقولون قد عرفنا كل شيء واحذر من الكبرياء وإنما عليك أن تهجد وتبحث لتزداد علماً والطريقة المثلى لذلك . أن لا يتكل المسلمون على آراء الغربيين ولا آراء القدماء من المسلمين وإنما عليهم أن يبحثوا أنفسهم حتى إذا رأوا حقاً أثبتوه أو رأوا باطلاً رفضوه . هذا هو الواجب على المسلمين ولعمرك مادهي هذه الأمة إلا الكبرياء واطهار العظمة جهلاً وزوراً فيمكنني الجاحل منهم بقوله - أن هذا إلا أساطير الأولين - وهذه إنما هي خرافات فأياك أن تكون من المغرورين تصديقاً أو تكذيباً فتوقف حتى تهتدى بنور عقلك الباحث في العوالم المطمع على طرق البحث المنقب المجد - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين - واعلم أن هذا المقام سأكتفي به في كل مقام يناسبه في مباحث الشياطين والملائكة وفي الوسوسة والألهام وإن أردت الزيادة فعليك بكتاب الأرواح الذي ألفته لهذا الغرض

اللطيفة الثالثة - ليس بأمانيك ولا أمانى أهل الكتاب -

لقد علمت أن المسلمين كانوا يفتخرون بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبكتابنا وهو القرآن وإن أهل الكتاب كانوا يفتخرون بأنهم أقدم عهداً وأرسخ مجداً فجاءت هذه الآية وكذبت الطرفين وأخرست الحزبين وهذه إحدى نكبات المسلمين ورزايا المسيحيين لقد اغتر المسلمون اغتراراً فاحشاً فناموا وجهلوا

جهلا فاحشا خفروا

يزعم المغرورون الطائشون من أهل العلم ومن على شاكلتهم من الجهال في الاسلام أن الانتساب للإسلام كاف لا تقادهم فساد فألهم وقل جمعهم وصل سعيهم فهم أشبه بمن قال الله فيهم - الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - ومن قال فيهم أيضا - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - ولعل ما نقلناه عن الأمم في الشياطين والملائكة يكفينا في هذا المقام أفلا ترى كيف يقول علماءنا كالامام الرازي واضرابه وعلماء الأمم أن الانسان بعد الموت يكون على حسب أخلاقه في الحياة فالمسلم بعد الموت هو الذي كان حيا فإذا كان في الحياة الدنيا ساهيا لاهيا جاهلا أو فاسقا ذهب إلى ذلك العالم أعزل من السلاح مجردا من قوة الكفاح فنزل إلى مصاف الخدم والعبيد ولا ينفعه الانتساب إلى أولى الألباب - فمن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى - فإذا ظن المغرورون أن انتسابهم للإسلام يرفع وحده من شأنهم فقد خاب فألهم فلا الاسلام وحده يرفعنا ولا الأمانى تميدنا ان الأرواح جاءت هذه الأرض لتستكمل حظها وترفع قدرها وتكمل في أوصافها وتعلمي بأجنحة معنوية تطير بها في تلك الساحات وتسافر بها في تلك الباحات فبالعلم أجنحتها وبالعمل قوتها وبالأحسان سعادتها وبالحجة شرفها فإياك أن تكسل في الأعمال وإياك أن تتواني في منفعة الأمة وإياك أن تقبض يدك عنها فجدي في اعلاء شأنها وأحب الناس جميعا واتكن أخا كريما وأبا للناس رحما ان الله رحيم فكأن بأخلاقه متخلفا واعلم أنك خليفة في الأرض فان شئت فعلى نفسك وان شئت فعلى أسرتك وأهلك وقربائك وأمتك وسائر الأمم فإذا قدرت على نفع سائر الناس فافعل فكلهم عباده وكن رؤفا بالحيوان ساعيا جهدا في ترقية الأمم موجها وجهك لله ذي الجلال

والا فبالله ماهذه الغزوات والجهاد وماهذه التكاليف والأعمال وماهذه الحياة التي اتصفنا بها وهي ملائ بالآلام محفوفة بالأخطار كل ذلك لاقتناص الكمال بالعلوم والأعمال • انتهى النصل الأول في هذا المقصد

﴿ الفصل الثاني ﴾

روى أن عيينة بن حصن أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبرنا أنك تعطى الابنة النصف والأخت النصف وإنما كنا نورت من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلاة والسلام بذلك أمرت وكذلك حديث بنات كحل وقد تقدم في أول السورة • وأيضا كانت اليتيمة تربي في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها إذا كانت ذات جمال ومال ويعطيها أقل من صداقها وإذا كانت غير مرغوب فيها لقله الجمال والمال تركها فلا يزوجها وربما لا يزوجها غيره حرصا على مالها فيحبسها عن الزواج حتى تموت فنهاهم الله عن ذلك كله وقال (ويستفتونك في النساء) في ميراثهن (قل الله يفتيك) الافتاء تبين الميراث وعطف على لفظ الجلالة قوله (وما يتلى عليكم) أي والمتلو عليكم (في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن) ما فرض لهن من الميراث (وترغبون أن تنكحوهن) أي في أن تنكحوهن أو عن أن تنكحوهن فان نكحوهن فبأقل من الصداق وان لم تنكحوهن لدمائهن حبسوهن عن الزواج ليبقى المال في أيديكم • أقول ولعل هناك أحوالا كان لليتيمة فيها مال عندهم حتى لا يتصادم مع ما ورد في هذا المقام أنهم لا يعطون الصغار ولا النساء مالا فتنطق لذلك فما تلى عليكم من كتاب الله قد بين لكم ذلك فيأخذن ما هنّ كاملا وصداقهن كاملا فهذا هو قوله - يفتيك في يتامى النساء الخ - (و) في (المستضعفين من ولدان) يعني ويقتيك في المستضعفين من الولدان وهم الصغار أن تعطوهم حقوقهم لأن العرب في الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار كما تقدم فنهاهم عن ذلك وأمرهم أن يعطوهم حقهم من الميراث ثم قال (و) يأمركم (أن تقوموا) أيها الأئمة (لبيتامى بالقسط) أن تنظروا لهم وتستوفوا لهم حقوقهم بالعدل في ميراثهم ومالههم (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما) فيجازيكم عليه

ولما كان العدل مع الضعاف ليس خاصا بالصدائق أو الميراث بل يتجاوز ذلك إلى المعاشرة وحسن السلوك فليعدل الرجال مع النساء في القسم وهذا حتم لازم . ثم إن الطلاق مباح في الإسلام وإن كان هو أبغض الخلال فإذا وجب القسم للمرأة كان الطلاق مسقطا لذلك الحق وتخلص الرجل من المرأة بهذه الوسيلة فليس هناك وسيلة إلا المصالحة بينهما إذا رغبت المرأة فتتزل عن بعض المال أو بعض القسمة في المبيت لتدوم على أولادها مثلا أو في عصمته فيكون الصلح خيرا من الفرقة والنفوس مجبولات على الشح مطبوعة عليه فلا المرأة تكاد تسمح بحقوقها في المبيت ولا الرجل يرضى بالمبيت عندها إذا رغب عنها فكل واحد منهما يطلب راحته فليخالف هذا الطبع وليعدل الرجال بين النساء في القسم وإن كان مخالفا لطباعهم فإن ذلك أحسن وتقوى ولهم ثواب عظيم في ذلك . والعدل بين النساء في القلوب لا يمكن فللقبيل ميل إلى واحدة أكثر من الأخرى مهما حرص الإنسان فيمكن العدل في العمل واغتفر ما في القلوب إذ ليس في الطاقة اجتنابه فأما ترك العدل ميلا في القلب وعملا بحيث لا يقسم لها فإن ذلك يجعل المرأة كالمعلقة ليست ذات بعل ولا مطلقة . على أن الله إذا افترقا يغني كلا منهما عن الآخر من فضله وغناه . هذا ما يخص ما في هذه الآيات الآتية وهي قوله تعالى (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا) توقفت تجافيا عنها وترفعها عن صحبتها كراهة لها ومنع الحقوقها (أو أعراضا) بأن يقل مجالستها ومحادثتها * كما روى أن عمرة بنت محمد بن مسعدة واسمها خولة كانت تحت رافع بن خديج وهي شابة فلما كبرت تزوج عليها امرأة أخرى شابة وآثرها عليها وجفا الأولى فأنت ابنة محمد بن مسعدة تشكو زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فترت هذه الآية وجواب الشرط قوله (فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا) كما تقدم إيضاحه (والصلح خير) من الفرقة وسوء العشرة (وأحضرت الأنفس الشح) أي جعل الشح حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا فهي مطبوعة عليه فكل من الزوجين لا يفرط في حقه . ولما كان الرجال أحق بالفضل خاطبهم الله قائلا (وإن تحسنوا) بالإقامة على نساءكم وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة (وتتقوا) النشوز والأعراض عنهم (فإن الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم خيرا على هذا الاحسان (ولن تستطيعوا أن تعبدوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل) فإذا مالت القلوب التي لا تملك فلتعدلوا في القسم في المبيت وهو المأكل * وكان صلى الله عليه وسلم يقسم بين نساؤه ويقول هذا قسمي فيما أملك فلا توأخذني فيما تملك (وإن تصاحوا) ما كنتم تفسدون من أمورهن (وتتقوا) فيما يستقبل من الزمان (فإن الله كان عفورا رحيفا) يغفر لكم ماضي من ذنوبكم (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) غناه وقدرته (وكان الله واسعا حكيما) مقتدرا متقنا في أفعاله وأحكامه فهو الذي يسع جميع خلقه فإن اصطلم الزوجان أعطى من سعة فضله من صبر منهما ثوابا وإن افترقا أغناهما عن بعضهما بجوده وسعة فضله وكيف لا يكون ذلك (ولله ما في السموات وما في الأرض) ملكا وخلقا فما أعظمهما ومن ذلك أنه سبحانه وصي الناس قبلنا بالتقوى كما وصانا فكما وسعت عطاياه البرايا وسعت وصاياه الأمم فلذلك أعقبه بقوله (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأياكم) مطوف على الدين (أن اتقوا الله) أي بأن اتقوا الله (وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيا جبارا) أي وإن تجحدوا ما أوصاكم به فإن الله خالق السموات والأرض الخ لحق على الكل أن يتقوه ويرجوه وكان الله غنيا عن جميع خلقه غير محتاج إليهم ولا إلى طاعتهم محمودا على نعمه عليهم (ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلًا) فاتخذوه وكيلًا ولا تشكوا على غيره . ولقد كرر ذكر السموات والأرض ثلاث مرات وكأنه يقول ملكوت السموات والأرض فلا وصي عبيدي لأصلاح شأنهم لأنني أملكهم فإن أعرضوا عن وصيتي فأنا غني بسعة ملكي وقدرتي وأست تاركا أحدا منهم فليتوكأوا على لأنهم جميعا في ملكي هذه فوائد التكرار . أولها

لما كانت الأحوال ثلاثة . الحال الأعلى وهي المبيت معهم والرضا بعشرتهم وإن كن مرغوبا عنهم .
والحال الوسطى وهي أن تنازل المرأة عن بعض حقها ارضاء للزوج لتبقى معه . والحال الدنيا وهي ان يتفرقا
ذكر ملك السموات والأرض ثلاث مرات ايذانا بأن الله بقدرته وسعة ملكه يقوم بأمر عباده في كل
حال بحجارة باخبر وكفاية لمن توكل عليه لأنه عام الجود واسع العطايا

﴿ لطيفة ﴾

ان الله لما ذكر مسألة الأزواج والنشوز والاعراض والصلح وما أشبه ذلك من الأمور الحيوانية الانسانية
ذكر الناس بملك السموات والأرض وكرره كما قدمناه ليدكر النفوس الأرضية بالعوالم السماوية وليفهمهم
أنهم لم يخلقوا إلا لمقام أعلى مما هم فيه فأكثر من ذكر العوالم العلوية والسفلية في مقام الأمور المنزلية
الصغيرة ليرفع النفوس من خودها ويتميها من مراقدها

﴿ حكاية وحكم ﴾

واذا كنا نرى فيلسوف الهند الذي أرسله ملكهم الى الاسكندر لما فتح بلادهم وهو يحاور الاسكندر
في الخبر المهور في التاريخ يعرض عن العالم الأرضي وينظر في النجوم ويتغير وجهه ويقول أنا من عالم
أعلى أنا من السماء فلم أبق في هذه الأرض فيا الله من السماء روي فردني اليها في جوارك
فيا باللك بالقرآن النازل لأشرف الأمم أفلا يذكرك الناس بالعوالم العلوية والسفلية والكواكب والشموس
وهم منهمكون في الأمور الحيوانية والأعمال الأرضية ويقول الى هناك خلقتم ولهذا سكنتم الأرض ولا
فلماذا نرى الأنوار تكتنفنا والنجوم من حولنا والجمال يحيط بنا وكيف نقاها عن هذا الجمال بما نحن
فيه من الأحوال وكأنه عز وجل يقول أيها الرجال ان جمال النساء والشهوات التي ركنتم في طباعكم لن
شيء يسير بالنسبة لما ترونه في عالم الجمال والنور الذي يشرق عليكم وأنتم عنه غافلون فاذا شغلتم بهذه
الأمور وقتا ما فذلك لحكمة وهي أن تستعدوا لهذا المقام الأقدس بالاختبار في الأعمال الأرضية ثم أرفعكم
الى تلك المنزلة الشريفة

واعلمك تقول مالم يخص تلك الحكاية فأقول

لما سار الاسكندر الى الهند ففتحها أرسل له أحد الملوك يقول هل لك أن أرسل لك ابنتي فتكون
زوجا لك وفيلسوفاً يخبر بكل ما تضره نفسك من قبل أن تخاطبه أما ابنته فان الوفد الذي أرسله لما رآها
حارت أبصارهم في جمالها وكأنما أغشى عليهم مما رأوا من الحسن والجمال وأما الفيلسوف فان الاسكندر
لم يحاوره إلا بالاشارات فأرسل اليه برنية مملوءة سمنا فلما رآها الفيلسوف أتى بابر ووضعها في ذلك السمن
وردها اليه فلما رآها الاسكندر أخذ الابر وجعلها كرة مصمتة وردّها اليه فلما رآها الفيلسوف أخذ
الكرة فجعلها مرآة مصقولة يتراءى فيها كل صورة تقابلها فلما أرسلها للاسكندر وضعها في إناء فيه ماء
فكان الماء فوقها فلما رجعت الى الفيلسوف جعلها كرة مجوفة تطفو على وجه الماء فلما ردت الى الاسكندر
ملأها تراباً وأرجعها اليه فبكي الفيلسوف ونظر الى السماء ونجومها وأخذ يفكر في مبدعها ويقول ما يدل
على ولوعه بذلك الجمال وشغفه بالحكمة العالية والعروج الى السماء والتخلص من العناصر الأرضية التي اقتنصت
روحه فحبسته عن العالم الباقي فبلغ ذلك الاسكندر فأرسل اليه خضر ولما دخل وضع يده على أنفه ولم يتكلم
لأن الشرط أن يكون كل محاوره معه بالاشارات فحينئذ قال له الاسكندر لم وضعت يدك على أنفك قال لأنني
أردت أن أقول لك ما في نفسك وهو انك لما رأيتني أعظمتني إذ رأيت جمال صورتي بعد أن عرفت حكمتي
تخطرت في بالك اتى أعظم رجال الهند فوضعت يدي على أنفي كأنني أقول لك ان الأنف أعلى ما في الوجه وأنا
في الهند كالأنف في الوجه قال لقد أصبت أيها الحكيم ففسر لي ما دار بيننا . قال الفيلسوف ان السمن

الذي أرسله لي كأنك تقول ان الحكمة التي أعطانيها الله لا تحتاج لمزيد فأنا ملوء بحكمة فوضعت الابر في السمن كأنني أقول أنا ألقط وأدخل في حكمتك حكمة أخرى ولما جعلت أنت الابر في كرة مصمتة كان معناه أن فتح البلدان والسير في الأعمال البشرية يعيق النفس الانسانية عن الصعود الى الملكوت فلما جعلتها أنا مرآة تظهر فيها صور المرئيات كان معناه أن نفسك وان شغلت بهذا العالم الثقيل فاني أجلوها فلما جعلتها أنت في الماء كان معناه أن الحوادث الأرضية تغشى عليها فلما جعلتها أنا كرة مجوفة كأنني قلت لك انني مع ذلك احتال فأرفع نفسك الى أعلى وان كانت مشغولة بالامور الجسمية فلما وضعت أنت التراب فيها أذكرني برجوعنا الى التراب وذهاب الأجل وتذكرت إذ ذاك ذلك الجمال الأسنى والشرف الأعلى فنت نفسي اليه

فقال له تمن علي مالا فقال لا ينبغي للحكيم أن يأخذ من أحد مالا وإنما أنا أطلب منك أن تكون بأهل الهند رحيمًا وتتفوق سنن الله في الحكمة والعدل والجمال والكمال. وإنما ذكرت لك هذه الحكاية لتعلم أن الله لم يكرر ذكر السموات والأرض ثلاث مرات في هذا المقام إلا ليرفع من شأن الفقهاء في الاسلام فلا يغترون بالأحكام الشرعية ولا يقولون هذا هو دين الله فقط فان هذا خطأ بل يكون المقصد الأسمى ذلك الجمال الأعلى وما القضاء إلا أعمال ضرورية في الحياة الأرضية فاذا كان الفيلسوف المذكور يتلطف مع الاسكندر ويقول أنا أجتهد في رفع نفسك وان كانت منغمسة في الشهوات النفسية وفتح الممالك للأغراض الاستعمارية وأبنت لك الحكمة حتى يكون لك نصيب من الشرف الأعلى والجمال الأقدس فبالأولى القرآن الذي لم يكن رأي حكيم أرضي بل تنزيل من حكيم حميد

فكأنه عز وجل يقول أنا ألفت عقولكم وأوجه أذهانكم الى العالم العاوي والسفلي فلا يشغلنكم المال ولا البنون ولا النساء وقسمهن عن الامور العالوية وهذا كقوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله - ولكن الله هنا يكون بالتوجه النفسى لمناظر الجمال الجاذبة للنفس في مقابلة الجاذبة الحيوانية

أقول وسيكون في الأمة الاسلامية من يحيون هذه الفكرة في المسلمين وحياتها يحيى القلوب فتقل المنازعات والقضايا والبيانات والخصومات والشهادات فهذا هو المقصد الحقيقي من دين الاسلام بل من كل دين في الأرض ولذلك أتى في هذه الآيات بأنه وصى جميع الأمم بالتقوى وقرنها بذكر السموات ليهدي المسلمين الذين يجيئون بعدنا الى أن الجمال في السموات والأرض والحكم التي تنبت في العقول هي التي لها تشرف العقول الانسانية ويكون الصفاء والصدق غالباً عليها فأما القضايا والأحكام فأنما هي حيلة الأمم العاجزة عن الفضائل السكاذبة الخاطئة فليكن دين الاسلام دين الصدق والجلال والجمال ولذلك ترى الله ذكر في هذه السورة الشهادة على النفس وعلى الوالدين الخ كل ذلك منبعه ذلك الجمال والصفاء

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

يناسب هنا أن نذكر ملخصاً من علوم الديانات السابقة قبل الاسلام ونبين من ذلك ما ذكرناه في سورة آل عمران في قصة عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فارجع اليها . انتهى الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث ﴾

وفيه بيان أن الأمم التي غلبت عليها الشهوات وضلت سواء السبيل وعاشت ساهية لاهية غافلة يذهبها الله ويأتي بقوم آخرين كما قال تعالى - وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم - وبيان الاخلاص والصدق في المعاملات وأهمها تأدية الشهادة بالحق ولو على النفس أو الوالد أو الولد فان الأمم التي لا صدق في المعاملة بينها تنقضي حياتهم في الخصومات والمنازعات ولا يتفرغون للأعمال الشريفة وتضيع مصالح البلاد وتنقبض

الأيدي عن العمل ويذهب من النفوس الأمل فتأخذها الدول الأجنبية ويحل بها كل بلية وهذا يؤخذ من قوله تعالى (ان يشأ يذهبكم أيها الناس) أي يفتنكم كما فتن أهلكا بأيدي أوروبا وأهلك أهل الأندلس من العرب وأتى بدلمهم بقوم آخرين وهم الأسبانيون وكيف فعل ذلك كل قرن في الأمم والدول والممالك (ويأتى قوم آخرين) مكانكم (وكان الله على ذلك قديرا) من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهدين للغنمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فما باله لا يطلب أحسن الأمورين وطلب أحسهما وهو المال مع الغفلة عن النظام العام وذلك داع حثيث إلى ارتكاس الأمم وذهابها فلا بقاء لأمة يريد رجاها الحياة الحيوانية فان المجموع لا يعيش ولا يسعد إلا باناس يعملون للمصالح العامة بذيات شريفة فأما اذا كان الغرض المنافع الفردية فذلك باب الخراب وموت الأمة (وكان الله سميعا بصيرا) فذلك رفع الأمم التي عات وجهتها وبعيت الأمم التي خدمت فكرتها

ومن ارادة ثواب الآخرة الشهادات بالحق وهي من أهم ما يبقى الدول والممالك لاقامة العدل فيها فلا تغنى بالظلم فذلك قال (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته (شهداء لله) بالحق تقيمون شهادتكم لوجه الله (ولو) كانت الشهادة (على أنفسكم أو والوالدين والأقربين) فان المدار على المصلحة العامة وحفظ النظام وبقاء الدولة فليس المقام مقام أفراد يعيشون على مال غيرهم ولكن المجموع مرتبط بعضه ببعض وهو كجسم واحد لو اختلف نظام أحد الأعضاء اختلف المجموع فرض فوات هكذا أتمت يا معشر المسلمين ان لم تقيموا الشهادة لله وتراعوا المصالح العامة لا تبقى أمتكم إلا قليلا فاذا كانت الشهادة صادقة وتحملن المكروه عليكم وعلى أقاربكم وكان ذلك خلقا في الأمة عاشت عبسة راضية فلا يعترى بها الفناء إلا اذا اعتراها هذا الداء والا أذهبتكم وأتيت بقوم آخرين فإياكم أن تقولوا ان هذا الغنى بماله يؤذني اذا شهدت عليه وان هذا الفقير اذا شهدت عليه اعتراه الأذى فيجتمع عليه الأمران الفقر الطبيعي والحكم المدني

فالنظام العام يقضى بهدم تلك النظريات ونبت تلك التزغات (إن يكن) المشهود عليه (غنيا أو فقيرا) فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة عليه ولا تجوروا فيها ولا تملأوا ميلا (فإنه أولى بهما) بالغنى والفقير فالمصالح العامة هي التي بها بقاء الأمم (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) أي لان تعدلوا عن الحق (وان تلوا) ألسنتكم عن شهادة الحق (أو تعرضوا) عن أدائها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم بعذاب الآخرة وعذاب الدنيا الخاص في أنفسكم

﴿ لطائف - اللطيفة الاولى ﴾

كان ينبغي أن أذكر هنا الدول الإسلامية وغيرها التي فنت بارز كتاب الجرائم وقد ذكرت جلا في ذلك عند قوله تعالى - أتستبدلون الذي هو أدنى الخ - في سورة البقرة وفي مواضع أخرى فلا نعيد

﴿ اللطيفة الثانية - منظر جميل ﴾

بعدها كتبت ما تقدمت الى ضواحي القاهرة لاجتد النشاط في الهواء النقي والنظر الى المزارع الخضرة والمناظر البهجة وأستعجلى الجمال من وجوه النجوم والشجر والبر والبحر وأشهد آثار الجمال في الحقول وعظمة الجلال في مشارق النور فقشلت في خيالي صورة عجيبة وهيئة غريبة ومنظر جميل فأردت اثباتها هنا ليعجلى بها المقام ويزدان بها جيد التفسير لأنها توضح هذه الآيات فهي حلية حكمية وآية بهية وأسرار خفية أبرزها الله في هذا الزمان ليظهره على الدين كله ويكون القرآن محلي المعاني ومسرح الأماني وبهجة العالمين وشرف الموقنين

﴿ الصورة التي تمثلها في الخلوات ﴾

هي أنى تمثلت لي ثلاثة أعمدة من الياقوت بهجات مصطفات صفا وأمامهن عمود من الماس يلمع كالشوكب الدرى وبينهما حبال نورية مشرقة تمتدات من الأعمدة الياقوتية الى عمود الماس وقد علق في تلك الحبال سفت من البلور الجميل ملوء جواهر بدیعة بحيث لو سقطت الأعمدة الياقوتية أو سقط العمود الماسى يسقط

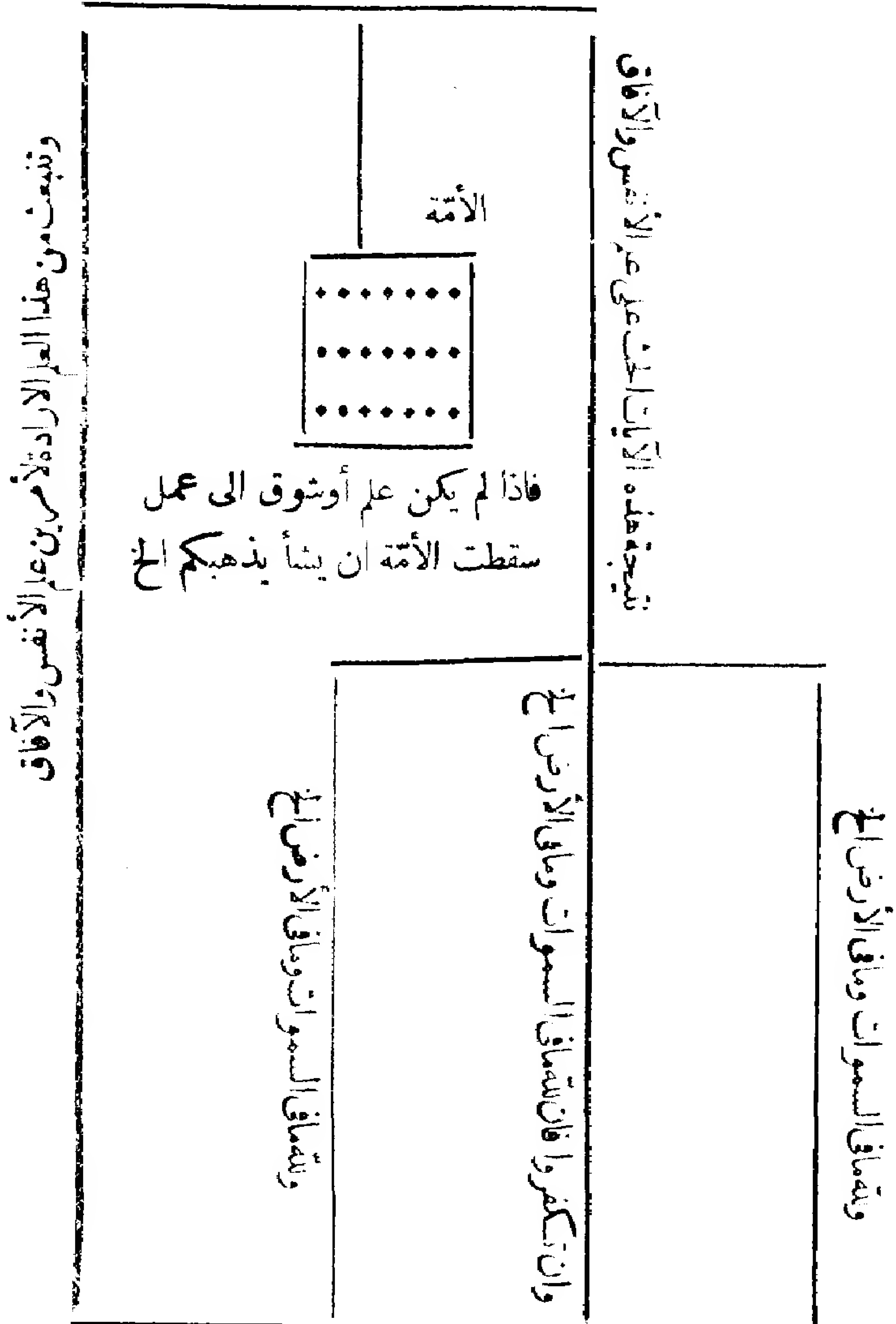
السفط بجواهره على الأرض فيكسر البور وتنفرط الجواهر في التراب وتتبعثر في كل ناحية

(تفسيرها)

اعلم أن الأمم لا تحيا إلا بالمعرفة أولا والعمل ثانيا ولا يكون العمل صالحا إلا إذا كانت النيات ولا نيات إلا بشوق في النفوس ولا شوق إلا بالمعرفة فالمعرفة أساس والنيات تتبع المعارف وعلى حسب النيات تكون الأعمال فإذا سمعت الله عز وجل يقول - من كان يريد ثواب الدنيا إلح - فليس معنى الارادة ما يفهمه أكثر الناس وبعض الفقهاء في الاسلام ولكن النية انبعثت النفوس الى ما اشتاقت اليه ورضيته بعد علمها به وكما ان الانسان لا يتعاطى الطعام إلا اذا جاع أولا وأيقن أن الحاضر لديه موافق لشهوته ثانيا لا يشد عن قابليته فتنبعث إذ ذاك رغبته الى الطعام فتكون النية ثم الأكل

فلانية إلا بعد العلم وإذا فكر المهندس في أنواع البيوت ثم رسم شكلا منها فإن الذي رسمه هو الذي استحسنته في نفسه بعد اعمال الفكر في أنواع الصور الهندسية فقد سبق العلم بالصور الهندسية النية لعمل الصورة الخاصة التي هي نتيجة تلك المعرفة فيكون الرسم والبناء على صورة منوية تقدمها علم بشؤون الصور الهندسية هكذا هنا لما ذكر الله عز وجل معاملة الرجال للنساء من قسم وصلح ونشوز واعراض وما أشبه ذلك أدخل الله في غضون الكلام أمورا تستوجب النظر وتنبيه الفكر . فيأليت شعري ما هذا التكرار للسموات والأرض في هذا المقام وما مناسبة ان الله قادر على ذهاب الدول واستبدال سواها وأية علاقة لذلك كله بما نحن فيه ولماذا ذكر هنا الارادة وأن منها ما هو أعلى ومنها ما هو أدنى ثم نرى انه كرر السموات والأرض مقدما وآخر ذكر الارادة وجعل الكلام على استبدال الدول في وسط الآيات بين العلم بالسموات والارادة فاعلم أنه سبحانه وتعالى كما ذكرنا يريد أن يرينا أن هذه الأحوال النفسية والأحكام الشرعية في الأعمال الانسانية لا يجوز أن تكون سجننا نسجن فيه لملا تموت نفوسنا فلتتصل بالمعرفة والعلم فتشرق النفوس بالنظر في السموات والأرض وان كانت في سجن الطبيعة . وإذا كان الفيلسوف الخلق حاول بفطنته أن يحل الحديد فيجعل له مرآة بهية تارة وتارة يجعله كرة خفيفة والحديد معدن ثقيل مظلم فبذلك حاول أن يجعله خفيفا ومضيئا والخفة والاضاءة من شأن العوالم الجميلة ليجعل ذلك رمزا للنفوس الأرضية في المحاور السابقة فلتنظر في هذه الآيات كيف جعل الله عز وجل النظر في السموات والأرض مكررا ثلاث مرات أثناء المباحث الأرضية والأعمال الحيوانية التي انغمست فيها النفوس الانسانية أفلا ترى أن النظر في السموات والأرض المذكور ثلاث مرات أشبه بالأعمدة الياقوتية وأليس قوله - من كان يريد ثواب الدنيا إلح - أشبه بالعمود من الماس وأليس السفط الذي فيه الجواهر أشبه بالأمة الاسلامية فإذا لم تنشوق الأمة بالعلوم العلوية والسفلية الى معرفة مافي هذا العالم من جمال وبهاء وحكمة لم تنبعث لها ارادات للأعمال الشريفة فإذا سقطت أعمدة العلم أوسقط عمود الارادة خرت الأمة ساقطة - ولات حين مناص -

فإذا سمعت قوله صلى الله عليه وسلم انما الأعمال بالنيات فلتعلم أن النيات لا تأتي بلفظ نويت وانما تأتي بعلوم وأشواق وبحث وتنقيب فإذا قال المصلي - اهـدنا الصراط المستقيم - فإن الله لا يستجيب الدعاء إلا بحضور القلب بما أثر فيه من الرحمة التي لحظها في المخلوقات عند قوله تعالى - الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم - وإذا شرع في عمل من الأعمال النافعة للأمة فلا يتم على الوجه الأكمل إلا بعلم يتقدمه والعلم هو الذي يحدث النية فالنية نتيجة العلم والأمة بين العلم والنية اذا لم يكونا أولم يكن أحدهما خرت صريعة للميدين واللفم فهذا سر هذه الآيات . وهذه صورته



هذا هو الذي خبأه الله في القرآن وكبزه في الآيات ليظهر في هذا الزمان وليكون هناك جيل في الشرق لم يحلم به الدهور ولم يعلمه الجمهور فأما الفقيه فانه لا يعرف من هذه الآيات إلا أحكام القسم والنشور والصلح والاعراض وأن الرجل يجب عليه أن يحسن العشرة مع المرأة ويجمع بين الأحاديث ويستنتج ثم يقف عند حد ذلك وأما العالم الاسلامي الذي سيكون في هذه الأمة بعد الآن فسينظر ويقول انا نرى الله خلق النبات وجعله قوت الحيوان والانسان ومع ذلك قد جعل الله فيه حكما تدق عن العقول يفرح بها العالمون والذي خلق النبات هو الذي أنزل القرآن بطريق الوحي فأنا ان قصرت همي على المباحث الفقهية صرت كالعامة لا يعنيني إلا مثل ما تنعاطاه الدواب ويفرح به الجهلاء في النبات وان تدبرت في ذكر السموات والأرض وكيف كررت في هذا المقام وكيف ذكر ذهاب الدول وانه يأتي الله بقوم آخرين فاني أقول الحق وهو أحق أن يتبع ان هذا القول له مغزى شريف ومعنى رفيع وكما كان في النبات غذاء الحيوان وحكمة الحكماء هكذا - والله المثل الأعلى - كان هذا القرآن فيه المسائل الفقهية لنظام الحياة الانسانية وفي نفس الآيات النازلة لذلك أشرق شمس العلوم ونظام الحكمة وتجلت للناظرين من آفاق الجلال بالحكمة والكمال ولعمري ان الآخرة خير لنا من الأولى واذا تجلت الحكمة والجلال الأفق في العالم العلوي والسفلي قل النزاع وكثر الحب فلاحكمة ولا محاكم ولا نزاع ولا جدال بل يشرق النور على هؤلاء المتشاجرين بالقضايا والدعاوى انما تكون من الجاهلين فالشرع الحقيقي هو العلم الالهي والنظر الحكمي والله يؤتي الحكمة من يشاء - والله واسع عليم - اه الفصل الثالث

﴿ اللطيفة الثالثة - عجائب العلم الحديث في هذه الآيات ﴾

(وبيان ما فيها من الرموز والاشارات ومججزات القرآن في القرن العشرين)

يقول الله - يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط الح - يأمرنا اننا اذا قتلنا أو سرقنا أو زينا ووقفنا تحت آلات القتل نقر - واذا رأيت أبي واقفنا وآلة الشنق منصوبة له أقول ان أبي قاتل ولا أخجل ولا أخاف كل ذلك يأمرني به الله . يأمرنا الله بما لم يشهد أحد عمله إلا نادرا جدا وليس في النوع الانساني من يبادر الى ذلك إلا في النادر ولكن الله سبحانه انما يريد أن يعيش الناس بسلام ووقام ويكونوا اخوانا لتحلو الحياة ويكون الصفاء

فهل لك أن تسمع من العلم الحديث والكشف الغريب ما يجعل هذا الاقرار أمرا متداولاً . هل لك أن تقرأ مارسمته الدول المعاصرة لنا وما كشفوه في هذا المقام حتى تحكم أنهم اذا ساروا على هذا المنوال سنين أصبح مايقوله الله الآن أمرا معتادا ويقر الانسان على نفسه وعلى أمته وعلى أبيه وعلى قريبه وعلى ملكه وعلى المص الذي سرق معه بل يصبح الناس لاسرقة عندهم ولا قتل إلا نادرا ويزول الكذب في الشهادات وتصدق الأحكام . فلاذكر لك ثلاث مسائل

﴿ المسألة الأولى الاقرار بمصل الصدق ﴾

وأصل هذا المصل أن طبيبا يسمى الدكتور هاروس من المختصين بالتوليد وعادة الأطباء أنهم اذا رأوا امرأة تعسر وضعها حقنوها بهذا المصل المسمى (اسكو بلامين) فلاحظ أثناء الحقن والمرأة تضع وهي لا تحس بألم انها تفشى أسرارها ما كانت تنطق بها عادة بل تلك الأسرار من أكبر الفضائح والعار فتوجه الى رجال الحكومة وأحضروا من السجون نحو خمسمائة مسجون وحقنوههم بالمصل كما تحقن الوالدات واستنطقوهم فكانوا يجيبون اجابات صريحة ويخبرون بالحقائق كما هي ولم يجدوا في جميع من سألوهم كلمة واحدة تخالف الصواب ولما أفاق أولئك الرجال دهشوا لما علموا أنهم أجابوا بالحقائق التي أنكروها قبلا وقد قال العلماء في ذلك أن استعماله سيفضي الى اخلاء السجون من الأبرياء ولقد وضعوا الرجال المتهمين على موائد كما توضع المرضى وحقنوههم ثم سألوهم في معارض حضرها رجال القضاء والطب فأسفرت عن النتائج عينها ويقولون انه في بلاد الانجليز التي ككشفت فيها هذا المصل يقدم عشرة متهمين للمحاكمة فلا يحكم إلا على واحد لثبوت التهمة ويبرأ الباقي ومتى حقنوا بهذا المصل ظهر الحق من المبطل وأيضا يقبض على الثلث من المقبوض عليهم خطأ ويبرؤن فيما بعد فهذا المصل ينفي التهمة ويخرجهم وليس هذا نافعا لانكثرا وحدها بل للعالم قاطبة متى انتشر في الكرة الأرضية

﴿ المسألة الثانية ﴾

ان الجنة يعرفون في العالم الانساني الآن بآثار الابهام وذلك أن بلادنا المصرية جعلت ادارة خاصة لآثار الأصابع وجعلتها أصنافا وأنواعا بحيث ان الانسان ليس يكون أثر ابهامه له مشابه آخر في الشرق أوفى الغرب ولذلك تراهم يأتون بالمذنبين ويأمرونهم بوضع أصابعهم على الورقة وهي ملوثة بالخبر فهذا الأثر يدل على صاحبه لا يشاركه فيه سواه . هكذا الأقدام فان عرب البادية في بلادنا يعرفون الناس بآثارهم كالقدماء من العرب الذين كانوا يقصون الأثر فكل امرئ له قدم بصفات خاصة لا يشاركه سواه

﴿ المسألة الثالثة ﴾

لقد ظهر في أمريكا وفي أوروبا علم يقال له (علم السيكمومتري) أعني علم قياس الأثر وقد استعملت هذه اللفظة سنة ١٨٤٢ وهي مشتقة من لفظة يونانية (سيكي) أي النفس و (ميترون) أي قياس ومعناها اللفظي قياس النفس

وقالوا في هذا العلم انه لا يقع ظل على حائط من دون أن يترك أثرا فيه يمكن اظهاره بالوسائل الصناعية وكل غرفة تظن انها محجوبة عن العيون فيها آثار كل ما حصل فيها ولوم من مئات السنين بل كل حجر وشجر ومدر توجد عليه رسوم ما حصل عنده من خبر أو بشر فكل حركة وكل فكرة تصدر من الناس ترسم على ما حولهم فكان هناك صور لطيفة لا عدد لها ثابتة على جميع الأشياء لا تزول بمرور القرون والدعور قال الدكتور جون وليم مؤلف كتاب سر تقدم أوروبا ما يأتي (بعد أن أفاد معنى ما تقدم) وبمكنتي أن أصرح بأن صدى العبارات التي قالها الواحد منا يمكن أن يسمع بعد مرور الأعوام العديدة على موته ويبقى من بعده عظة لأولاده

ثم إن هذه الصور والآثار التي أشار إليها د. بير قد تظهر بهيئة أفكار تطرأ على الأذهان فكل فكر من أفكارنا وحركة من حركاتنا وعمل من أعمالنا يترك حتما أثرا لا تمحوه الأيام . ثم قال وأنا أصرح بأن البارع في هذا العلم يمكنه إذا سئل أن يصف عيشة أي إنسان بمجرد ما يرى أثرا من آثاره أو يسمع بعضا من أقواله أو يتأمل في مكان يقيم فيه أو يتردد فقط عليه

وقد كان الاستاذ دانتون زوجته وأولاده وأخته جميعهن بارعات في قياس الأثر فتي أعطاهن شعرا من شعرا إنسان أو أي شيء من آثاره قصوا أثره وقد أثبتوا أن في كل عشرة من الرجال وفي كل ست من النساء واحدا يقدر أن يتعلم هذا العلم بسهولة ثم العالم دانتون وثق بهذا العلم بعد أن جرت به مثلا أعطى قطعة من حجر من الأشجار الساقطة من الجوّ إلى حافته فقالت اني أرى أشياء تشبه النجوم والندى ويخيل لي أني صاعدة إلى فوق ثم أعطاهم لزوجته في مكان آخر وهي لا تعلم فقالت مثل ما تقدم ثم وضعه في صندوق مع أحجار كثيرة وأمر زوجته أن تلتقط كل حجر وتصفه فصارت تصف كل حجر ومدر وتقول هذا من بلدة كذا وحصل عنده كذا وكذا وهذا من المكسيك وهذا من رومه وهكذا ومنها حجر من جبل الزيتون فوصفت أورشليم وصفا جيدا ولما وصلت إلى الحجر الذي سقط من الجوّ وصفته كما وصفته أولا اه

انظر إلى هذه المسائل الثلاث بعقلك وتفكر فيها ألست ترى أن المسألة الأولى هي التي تحقق اقرار الانسان على نفسه وعلى أبويه وتكون الأمم أقرب إلى السعادة منها الآن وإذا كان هذا الكشف الحديث يعم العالم ويظهر صدقه أفليس ذلك يكون مما يجب علينا الأخذ به متى تحققنا أن ما يقوله الفرنجة حق لا خطأ فيه فلما نحن نأخذ بقولهم بل نجرب تجاربهم ونعمل بها بعد التحقق وإذا كان النوع الانساني ليس عنده من الصدق والأمانة ما يحمله على الاقرار على النفس والأهل أفلا يكون أمثال هذا المصل (إذا صح ما يقال) من أوجب الواجبات على أمة الاسلام . بل أقول فوق ذلك انه يجب على أمراء الاسلام والمجالس النيابية أن يظهروا رجالا في العلوم ويمدوهم بتقونهم حتى يكشفوا ويخترعوا وينظروا وكفانا نوما فقد نامت عقول المسلمين آمادا طويلة

﴿ اعترض على مؤلف هذا التفسير ﴾

ولما وصلت إلى هذا المقام حضر أحد العلماء وأبلغ على ما كتبت فأظهر أشد الاستياء وقال ياسبحان الله كيف تجيز أن تأخذ بقول من حققوا بهذا المصل وكيف تأخذ بأقوال من فندوا الارادة إن هذا القول هراء عجيب لك كيف تقول ذلك والله عز وجل يطلب أن تقر على أنفسنا وأهلنا بمحض ارادتنا وأما أنت فانك تقول يكفي أن يسلبوا عقولهم كالجانين ثم يقرّون وهذا لا يقرّك عليه العقل ولا الجهلاء وهو أشبه بالخرافات وأقرب إلى الضلالات

﴿ الجواب ﴾

فقلت له حيالك الله وبياك فهل إذا أثقت لك دليلا على ما أقول من كتاب الله تعمل به فقال بشرط

أن يكون مقنعا . فقلت له ألسنت ترى أن الله أحكم الحاكمين قال بلى قلت أفلمست ترى أنه مطلع على ما في ضمائرنا قال بلى . فقلت لقد قبل هو الشهادة من الأيدي والأرجل وحكم بها فمن باب أولى الدين هم ليسوا بأحكم الحاكمين وهم قضاة البشر ألم تر إلى قوله تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون - وقوله أيضا - حتى إذا ما جازوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون - وقالوا جلودهم لم تشهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون - وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون - وفي آية أخرى - اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم الخ - فإذا كان الله قبل هذه الشهادة من الجلود والجوارح بالرغم من أصحابها وهم يعاتبون أعضاءهم على ذلك صريحا فكيف لا تقبل من يحقن بالمصل ويشهد بالحق ويكون حكم النضاة حقا لازلا فيه بخلاف الأحكام الحاضرة فانها ظنية لأن الشهادات لا تثبت الحقيقة أو ليس الاستدلال بأثر الأقدام وآثار أصابع الأيدي في أيامنا الحاضرة هو نفس الذي صرح به القرآن وإذا كان الله يعلم ما في البواطن بل هو القائل للانسان - كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - والقائل - بل الانسان على نفسه بصيرة -

أفلا يكون ذكر الأيدي والأرجل والجلود وشهادتها يوم القيامة ليلفت عقولنا أن من الدلائل ما ليس بالبيّنات المشهورة عند المسلمين وإن هناك ما هو أفضل منها وهي التي يحكم بها الله فاحكموا بها ويكون ذلك القول ليذهبنا ويفهمنا أن الأيدي فيها أسرار وفي الأرجل أسرار وفي النفوس أسرار فالأيدي لا تشبه والأرجل لا تشبه فاحكموا على الجانين والسارقين بآثارهم والألسنة تنطق بالحق متى أمنت البصيرة انامة بهذا المصل أو بغيره . أو ليس في الحق أن أقول ان هذا من معجزات القرآن وغرائبه والا فلماذا هذه المسائل التي ظهرت في هذا العصر تظهر في القرآن بنصها وفحصها والمسلمون كانوا غافلين عنها كما غفلوا عن منع الخمر والزنا وقامت الأمم الغربية بهذا خير قيام

أو ليس قوله - قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء - يشير إلى ما كشفه علماء أوروبا وأمريكا في علم (السيكومتري) المتقدم وأن كل فكر من أفكارنا وقول وعمل يرسم بهور غير محسوسة على الحيطان والأبواب والأشجار ويقرؤه قوم بعد آلاف السنين ويفهمون حوادثنا التي فعلناها . أليس هذا من معاني النطق التي جعلها الله في كل شيء أو ليس ذلك يفسر لنا كثيرا من أسرار ديننا مثل ان المؤمن يشهد له ما حوله إلى غاية ما وصل إليه صوته . ولقد علمنا أن أستاذنا في المدرسة الأمريكية معه آلة لها مفتاح فإذا تكلم فتحها وبعد انتهاء المجلس أو الخطبة يستمع لتلك الآلة فتلقى له القول كما قاله فإذا وجد خطأ في الحديث أرسل لأصحابه ما يكمله وهذا موجود في زماننا الحاضر بل المدرسة قريبة من بيتي الذي أسكنه بينهما نحو كيلومترين وهذه الآلة استحضرتها من أمريكا وهو أمريكي الجنس

وأقول لعل هذا العلم هو الذي ورد في حديث الترمذي عن أبي سعيد الخدري وان لم يرد في الصحيحين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى تكلم الرجل عنده سوطه وشراك نعله وتنجبره نخده بما أحدث أهله بعده ومعنى عذبة سوطه المعلق في طرفه اه

ومعلوم أن الآلة التي تسترق السمع المذكورة يمكن أن تسمع كل شيء حولها في المكان حتى الهمس الذي يهمس ثم يكبر الصوت كما يكبر المبصر سواء بسواء اه

فعلى المسلمين أن يفتحوا أعينهم فليس لهم أن يقيموا على الجهالة البتراء وليعلموا أن دين الاسلام فيه أبواب واسعة ما طرقتوها وعرفها الغربيون والطرفان يجهلان أن تلك الأبواب في القرآن

﴿ الفصل الرابع ﴾

(يأيها الذين آمنوا آمنوا) خطاب لجميع المؤمنين (بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والذي أنزل من قبل) أي انبتوا على الإيمان بذلك ودوموا عليه وتوافق قلوبكم ألسنتكم فإن منكم من لم يثبت إيمانهم لأنه لا علم لديهم يثبت عقائدهم وهذه العقائد المنزللة هي التي جعلتهم معرضين عن خلق السموات والأرض التي تقدم الكلام عليها فزلزلت نياتهم وذلك يؤول إلى انقراض تلك الأمم الرائقة كما تقدم في الآيات السابقة وهؤلاء هم المنافقون الآتي بيانهم فيما سيأتي من الآيات فلذلك أتبعه بقوله (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) أي ومن يكفر بشئ من ذلك (فقد ضلّ ضلّالا بعيدا) عن المقصد بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه لأن اتحاد العقائد يدعو إلى اتحاد القلوب فتتحد المشارب فتكون الحياة الدنيا منظمة وتتبعها الأخرى والإيمان بجميع الأنبياء بدعوى الاتحاد ولو أننا كفرنا بنبي من الأنبياء السابقين لكان ذلك مورثا للتقاطع والتدابير مع الأمم المنتسبة إليه ولو بحسب الظاهر ولكن احترام الجميع أدعى للوئام فما بالك فيما بين المسلم وأخيه فليكن اتحاد العقائد والاضلّ الانسان وحاد عن الجادة فبتر من مجموع الأمة وسلك مفازة فغاب عنهم في الأخلاق والطرائق هذا هو الاسلام أما الفرنجة فانهم استبدلوا بالدين الوطنية وجعلوا الأمة مرتبطة بالوطن لا الدين وقالوا الوطن يوجب الاتحاد وهناك جامعات أخرى كاللغات والملك الجامع والاشتراف في ملك واحد وما أشبه ذلك فليكن كلامنا في الجامعة الدينية التي نحن فيها وهي ترجع إلى الاتحاد في العقائد واعلم أن هذه الآية تمهيد لك المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ولذلك أتبعه بقوله (إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا يهديهم سبيلا) وهؤلاء هم المنافقون كفروا في العمر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وعلى التمداد في افساد الأمر على المؤمنين ثم رب عليه قوله (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما) وضع بشر موضع أندر لالتهم بهم * قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل * تحية بينهم ضرب وجيع

ثم وصف الأعمال المترتبة على تزلزل العقائد فقال (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتبعون عندهم العزة) أي أيتعززون بموالاتهم ومودعاتهم (فإن العزة لله جميعا) لا يتعزز إلا من أعزّه الله وقد كتب العزة لأوليائه فقال - ولله العزة ورسوله وللمؤمنين - فعزة غيرهم لا يؤبه لها ثم زاد تفصيلا لهذه المخالفة المبينة على زلزلة العقائد فقال في سورة الأنعام (وقد نزل عليكم في الكتاب) أي القرآن وأنتم بمكة لما كان المشركون بها يستهزؤن - وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره - فلما هاجرتهم إلى المدينة أخذ اليهود يستهزؤن كما استهزأ أهل مكة فكيف لا تعرضون عنهم إذا خاضوا وهذا قوله تعالى (أن) أي انه فهي مخففة من الثقيلة (إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم) في الاثم لأنكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم أو في الكفر اذا رضيت بقولهم وطعنهم في الاسلام وهذا هو النفاق (إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) فالتقاعد والمقعود معه في النار مجموعين (الذين يترصون بكم) ينتظرون وقوع أمر بكم وهو صفقة المنافقين (فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم) مظاهرين لكم فأسهموا لنا فيما غنمتم (وإن كان للكافرين نصيب) من الحرب التي تكون سجالا عادة (قالوا ألم نستحوذ عليكم) أي قالوا للكافرين ألم نغلبكم وتتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم والاستحوا اذا استيلاء (ونمنعكم من المؤمنين) بأن خذلناهم ونوانينا في نصرهم والتعبير بالفتح في جانب المسلمين والنصيب في جانب الكافرين إشارة لشرف الأول وخسة الثاني لأنه أمر دنيوي (فإن الله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله لكافرين على المؤمنين سبيلا) أي حجة يوم القيامة على قول علي وابن عباس رضي الله عنهم وقال كثير من العلماء في الدنيا فلا تنفي دولة الاسلام بحيث تمنح من الوجود بالكاية فيستبيحوا

بعضهم فلا يبقى منهم أحد وقد قال بعض العلماء ان معنى ذلك أن شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة وفرعوا على ذلك مسائل فقهية مثل ان الكافر لا يرث المسلم واذا استولى كافر على مال مسلم لا يملكه وان الكافر ليس له أن يشتري عبدا مسلما وأن المسلم لا يقتل بالذمى على رأى وأنت تعلم أن قول على وابن عباس أنسب لسياق الكلام ثم أخذ يصف النفاق في العبادات بعد النفاق في السياسة فقال (ان المنافقين يتخادعون الله) يعاملونه معاملة المخادع (وهو خادعهم) يحجزهم (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) متناقضين إذ لا يرون لها ثوبا فكيف يتعبون أنفسهم فكأنهم مكرهون على الفعل (يرادون الناس) ليخالوهم مؤمنين والمرآة مفاعلة (ولا يذكرون الله إلا قليلا) فان المرأى لا يفعل إلا بحضرة من يرأيه والمراد بالذكر ما يشمل الصلاة والذكر في غيرها فهم يصلون ويدكرون بحضرة من يرأونه حال كونهم (مذبذبين بين ذلك) متحيرين مترددين (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين (ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا) الى الحق والصواب ثم أمر المؤمنين أن لا يضاعوا مثل ما فعل المنافقون من موالة الأعداء فان هذا يضع البلاد فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) وكيف تفعلون ذلك (أتريدون أن تجملوا الله عليكم سلطانا مبينا) حجة بينة فيعاقبكم اضياع دولكم وهذا العقاب طبيعي لأن موالة الأعداء تترق شمل الدولة وهو الحاصل الآن في الأمم الاسلامية فلمعرك لتجذأة فرنجية احتلت بلادا اسلامية إلا باتحادها مع بعض أفراد أهل البلاد ولن يقدر الفرنجة أن يعيشوا يوما واحدا في الشرق إلا بمساعدة أهل البلاد فلذلك ابتلعوا ثروتنا وأخذوا ممالكنا فهذا هو السلطان المبين والحجة الظاهرة ولما كان ذلك خلق المنافقين أردفه بانذارهم وتخويفهم فقال (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) وهي الطبقة التي في قعر جهنم والدرك يسكون الرء وفتحها قراءتان (وان تجد لهم نصيرا) يخرجهم منه (إلا الذين تابوا) عن النفاق (وأصلحوا) ما أفسدوه من أحوالهم في حال النفاق (واعصموا بالله) واثابوا به وتمسكوا بدينه (وأخلصوا دينهم لله) لا يريدون بطاعتهم الاوجه الله (فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين أجرا عظيما) فيساهمونهم فيه . ثم أفاد أن كل ما ذكر من عقاب المنافقين والكافرين ليس تشفيا من غيظ ولا انتقاما من عدو (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا) مثيبا يقبل اليسير ويعطى الجزيل (عالما) بحق شكركم وإيمانكم وكيف يكون ذلك والناس جميعا مخوفون له تعالى وانما ينزل الكتب السماوية ويسلط الآفات الحيوية والحوادث السماوية والأرضية بحسب النظام العام لاستخراج ما كمن في النفوس من الغرائز والعجائب الحكيمة حتى تخلص من الطبيعة وترقى الى عالم الجمال وتبتعد عن المادة هذا هو العقاب وكما أن من الأجسام ما لا يذوب الا على درجة ١٧٧٥ من الحرارة كالبلاتين ومنها ما يذوب على درجة الصفر كالماء المقطر هكذا النفوس الانسانية منها ما لا يظهر ما فيها من الجمال الا بعد عفا وتعذيب ومنها ما يظهر بأدنى التفاته اليها فهو هؤلاء المنافقون وكثير من العصاة أشبه بالبلاطين فيعذبون في الدنيا بالانذار والتخويف وفي القبر وفي جهنم ثم يخرجون منها كما في الحديث الآتى ومنهم من لا يحتاج الى شئ من ذلك ويكفيهم أدنى اشارة كالصديقين وعظماء الأمم فهم كالماء المقطر به الحياة وليس البلاتين مع صلابته عديم المنفعة بل له مصالح نشاهدها كذلك أصحاب هذه القلوب الجاحدة الفاجرة خلقوا للنظام العام فليس الله مبغضا لأحد فيعذبه بل هو مربب العالمين ومصلح خلقه فليس يعذب انتقاما بل يصلح الناس لإصلاحا . ولما أن عمل ذلك أيضا بقابلية توصيل المعادن للحرارة أن الأجسام على قسمين أجسام موصلة للحرارة توصيلا جيدا وأجسام رديئة التوصيل للحرارة فالمعادن موصلة جيدة للحرارة بل هي أكثر الأجسام الصلبة توصيلا للحرارة وغير المعادن كالخشب والزجاج والقمح والصوف والحرير وجميع الأجسام العضوية رديئة التوصيل للحرارة . والمعادن درجات بعضها فوق بعض في توصيل الحرارة فاذا فرضنا توصيل النضة للحرارة مائة فان البزموت (هو أحد المعادن) يكون ١٨٨

والبلاتين ٨٠٤ وهكذا . ولأرسم لك الجدولين جدول الصهر والتدوبان وجدول توصيل الحرارة

جدول التدوبان

درجات الانصهار	الأجسام	درجات الانصهار	الأجسام
٤٤ ر ٢	الفسفور	٦٢٥	الالمنيوم
٩٥٤	الفضة	١٧٧٥	البلاتين
٢١٠	القصدير	٧٠	حوض الستياريك
١١٤ ر ٥	الكبريت	٤١٥	الخارصين
٢٢٥	ماء البحر	١٠٧٥	الذهب
٠	الماء المقطر	٢٢٦	الرصاص
١٠٥٤	النحاس	٣٩٠	الزئبق

جدول توصيل الحرارة في المعادن باعتبار أن توصيل الفضة لها معتبر مائة درجة وهي مرتبة فأعلاها توصيل الفضة وأدناها البزموت

الدرجة	المعدن	الدرجة	المعدن
١٤٠٥	القصدير	١٠٠	الفضة
١١٠٩	الحديد	٧٣٠٦	النحاس
٨٠٥	الرصاص	٥٣٠٢	الذهب
٨٠٤	البلاتين	٢٣٠٦	الشبه
١٠٨	البزموت	١٩	الخارصين

واعلم أن الناس يشاهدون بعض مافي هذه الجداول ولا يفكرون فيها فانهم يصنعون مقابض للقدر وأواني الشاي وغيره من كل ما تغلي فيه السوائل من خشب لأن الخشب موصل رديء للحرارة أي ان الحرارة لا تسري فيه بسرعة ولو كانت تلك المقابض من نفس المعدن اسرت الحرارة فلم يمكن التصرف فيها بالقبض عليها واستعمالها فالخشب خير وقاية لتلك فالموصل الرديء للحرارة نعمة علينا كما أن الموصل الجيد كالخشب والنحاس نعمة علينا فلهذا علينا الفضل في الخشب الموصل الرديء للحرارة وفي المعادن الموصلة الجيدة فكلاهما نعمة وكلاهما لا بد منه لحياتنا وتروى الناس يفعلون أنابيب المياه الحارة وأنابيب البخار وجميع الأجزاء التي قد تكون معرضة للهواء من مراحل بعض الآلات البخارية بغلف من الفلين أو خليط من طين بتيين أو طين بشعرا ونوع من طوب قد صنع من فئات الفلين كل ذلك لان هذه موصلة رديئة للحرارة أي الطين المخاوط بالطين والطين المخاوط بالشعر مثلا يمنعان ويحسان الحرارة في المراحل فلا تتبعثر في الخارج فهذه الأجسام الرديئة التوصيل الحاسبة للحرارة أشبه برعاة الغنم والأمراء والحكام والوعاظ الذين يحافظون على الأمم

واعلم ان نعمة العلم والحكمة أجل من الدنيا ومن فيها وأي خير في الحياة اذا لم نطلع على هذه الحكم والهجائب فالجاهل يتعثر في الأوهام والعالم يرى العالم كله جمالا وكلا فاذا رأى جسمًا يذوب سريعا كما البحر وجسمًا يحتاج لزمان متوسط كالفضة وآخر يحتاج الى زمن أطول كالبلاتين وهكذا في توصيل الحرارة أدرك بعلمه وعلمه بظننه في العالم المشاهد أن البلاتين والفضة والنحاس لو ذابت سريعا ما أمكننا الانتفاع بها ولم تصبر الفضة على الحرارة الجوية التي نعيش فيها وهي تختلف من صفرا الى ٥٠ ر ٥ وهكذا النحاس لو أنه يذوب سريعا ما أمكننا

عجبا أيها الناس عجبا أيها المسلمون ما لنا نعيش في جو مملاء من الحكمة ونحن نساخون لاهون يا قوم أليس العلم نعمة بأيدينا ونحن نأثون حقا أن الانسان لظالم ككفار حقا أن الانسان لجهول حقا أن المسلمين في المستقبل خير من كثير من الأمم السابقة انهم سيطلعون على ما أذكركه الآن ويبرعون ويعرفون عجائب هذه الدنيا التي غفلت عنها الأمم السابقة التي نزل اليها القرآن وهم نائمون بعد الاصل الأول الذين اشتعل الايمان في قلوبهم فطاروا الى الأقطار وسيدشعل العلم في قلوب أبنائنا بعدما فيطرون الى عوالم الجمال والكمال ويقرؤون عجائب ما حولنا والله اننا لفي جو من الجمال والحكمة - وكأين من آية في السموات والأرض يبرون عليها وهم عنها معرضون - فهل لك أن اسمعك الحديث الذي رواه مسلم ويذكره المفسرون عادة في الآية المتقدمة في هذه السورة - وان تلك حسنة ايضا فيها - ولكن أذكركه الآن لترى ان نظام الله في أحوال النفس الانسانية أشبه بنظامه في أحوال المخلوقات الطبيعية سواء بدواء - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - ولا اختلاف بل هو عالم متجانس متحد الوجهة العالم الروحاني أشبه بالجسماني في النظام والترتيب فالذين اسمعهم عصاة لم يخرجوا عن كونهم قوما لهم درجات مختلفة كاحتراف المعادن انصهارا بالحرارة وتوصيلا لها، وذلك لمنافع كثيرة فلو كان الناس كلهم على نسق واحد لاختلت أمور هذه الحياة فاذن لا تجزع ولا تتألم لما ترى من الاختلاف، واذن اسمعك الحديث بعد أن اطلعت على الطبيعة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل ثم يضرب الجسر على جهنم وتحمل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض منزلة فيه خطايف وكلايب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فجاج مسلم ومخدرش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لآخوانهم الذين في النار وفي رواية يقولون ربنا كانوا يصومون معتنا ويصاون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتمحرم صورهم على النار فيخرجون خفا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقيه واني ركبته ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد من أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذرفيها أحدا ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذرفيها ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذرفيها أخيرا فيقول الله تبارك وتعالى شئعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا جما فيلقهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كمن يخرج الحبة في حبل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر ما يكون الى الشمس أصفر أو أخضر وما يكون منها الى الظل يكون أبيض فقلوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملهم ولا خير قد وه ثم يقول ادخلوا الجنة فإرايتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطينا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون ربنا أي شيء أفضل من هذا فيقول رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدا لفظ مسلم وهو بعض حديث

ألمست ترى أن اختلافهم في مذهبهم على المصراط ما بين طرفة العين والريح وأجاويد الخيل أشبه بما ذكرناه وإن نفس النبوة قد جعلت الحركات الطبيعية واختلافها كاختلاف الخلوص من الذنوب والعروج إلى مستوى

السعادة فلم يكن هذا العذاب اللاتهنديب وإذا كانت شناعة الشافعين المذكورة في الحديث بعدما فهمتها في سورة البقرة بما يناسب رقي الأمة الإسلامية هناك توجب خروج طوائف كثيرة من العصاة من جهنم ورفيقهم فان الله بما أودع في هذا العالم من النواميس الطبيعية يهذب كثيرا من النفوس بالحوادث الطبيعية ويتقيها بما يصيبها من الأوجاع والأمراض والأحزان فتتخف الأرواح وتطير الى العلاء فالعلوم مهنات والديانات مهنات والحوادث مهنات والمقصود التام خلوص النفوس من عالم الطبيعة قال تعالى - اتركبن طبعنا عن طبق - الى عالم السعادة والهناء والحياة الروحية فاذا كان البلاطين والماء لاسبيل الى ذوابنهما أو غلبت عليهما الا بالحرارة فاسبيل الى رقي النفوس الانسانية متشعبة فتارة تكون بالدين وأخرى بالعلوم التي يطلبها الدين وأخرى بالمصائب والحوادث وما أشبه ذلك هذا هو السر المصون في حكمة العذاب الذي قد تجلى الآن بأجلى بيان وبه تعلم معنى هذه الآية التي نحن بصددتها - ما يفعل الله بعنا بكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا علما - فانه لم يخلق الخلق ليفرح بغيظهم أو يشمت في مصائبهم كلا بل هو الله الرحمن الرحيم الذي خلق الخشب الذي لا يوصل الحرارة ليكون واسطة تمسك به الاناء الذي فيه الشاي كما خلق الغلاظ الجناة من الرجال الأقوياء البنية ليقوم بهم نظام الحياة فتارة يهذبون بالديانات وتارة يهذبون بالحوادث وتارة يهذبهم عذاب بعد الموت أو في جهنم وإذا خفت نفوسهم خرجوا كما يخرج الفرخ من البيضة والجنين من بطن أمه في أمد معلوم وكما يخرج النبات من الحب والبزور هذا في المؤمنين معلوم أما في عذاب الكفار الذي يكون مخلدا فاعلمك تقول لم يعذبهم وهم عباده • وإذا قلت لنا ان الله لا يعذب عنده وإنما هو إضاح وطبخ وصهر وترقية فأين الترقية في عذاب الكافرين • أقول لك كفك ما ذكرته الآن ولا أزيد فكفي ولكن أشير عليك بقراءة كتاب في فصل التفرقة بين الاسلام والزندقة للامام الغزالي • واعلم أن أكثر الناس عن العلم محجوبون وبالله جاهلون وعن الطبيعة التي خلقها غافلون

وإذا كان أهل أمريكا قد جعلوا السجون مواضع للتهذيب ويحيطون المسجون بجميع أنواع الرأفة حتى اذا ظهرت عليه علامات الكمال أخرجوه وهكذا نرى الناس قد عرفوا أن الذنوب لم تكن الامن فعل البيئة والتربية والأحوال المحيطة بالانسان وأنه لا موجب للتعذيب فلذلك جعلوا المسجون يغتسل ويتنظف ويتعلم صناعة لانه ثبت عندهم كما قاله بنتمام أنه لا يقترب الذنوب الا الذي لا عمل له أو الذي لا نظافة في جسده فلذلك ترى السجون في بلادنا المصرية تعمل بعض هذا نقلا وتقليدا لأهل أوروبا اذا كان هذا كله حاصل في النوع الانساني فما بالك بالله تعالى • أفلا ترى أن يكون فعله تهديبا لا تعديبا وأن يكون قول نبينا صلى الله عليه وسلم فيلقينهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة رمزا لخال يراها الناس بعد هذه الحياة وتكون تلك أشبه بمدرسة يترى فيها الجاهلون الذين لم تهذبهم الحياة الدنيا وتكون سلسلة الحياة كسلسلة المدارس المنظمة درجة بعد أخرى وتكون كباب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فالحياة في الدنيا ظاهرها عذاب وباطنها رحمة وهكذا تلك الحياة التي يحياها العصاة بعد الموت وهم ناقصون وأن الى ربك المنتهى

هذا ولما كان ذكر المنافقين وذمهم في الآيات السابقة تعريضا لاتصريحها أردفه الله بما يفيد أن الجهر بالسوء من القول لا ينبغي ولكن من ظلم بالبناء للشاعل يفعل ما لا يحبه الله تعالى فيجهر بالسوء من القول وقرئ بالبناء للجهول بمعنى أن من ظلمه أحد فظلم منه لمن يدفع عنه الظلم فلا عقاب عليه ولا ذنب ثم قال (وكان الله سميعا) لكلام المظلوم (علما) بالظالم (إن تبدوا خيرا) طاعة وبراً (أو تحضوه) أو تفعلوه سرا (أو نغصوا عن سوء) لكم أن تؤاخذوا عليه (فان الله كان عفوا قديرا) يكتر العفو عن العصاة مع كمال قدرته فلتتقوا به ولا تجهروا بالسوء من القول وان كنتم مظلومين وقد رخصت لكم في الجهر فان ذلك من مكارم الأخلاق ولقد فعلت ذلك مع المنافقين فلم أصرح بأسمائهم في الآيات السابقة لعفوى عنهم ولا استجلاب قلوبهم الى المودة الدينية (ان الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله) بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسوله (ويقولون

نؤمن ببعض ونكفر ببعض) تؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) طريقا وسطا بين الإيمان والكفر والواسطة إذ الحق لا يختلف فالإيمان بالله لا بد معه من الإيمان بالرسول وتصديقهم فيما بلغوا (أولئك هم الكافرون) هم السكامون في الكفر (حقا) مصدر مؤكد لغيره (وأعدنا للكافرين عذابا مهينا) ثم ذكر أصدادهم فقال (والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم) ودخول بن على أحد مع أن بين يقتضى متعددا لأن أحدا وقع في سياق النفي فصار عاما (أولئك سوف يؤتوهم أجورهم) الموعودة لهم (وكان الله غفورا) لما فرط منهم (رحيما) عليهم فيضعف حسناتهم انتهى المقصد الثامن

(المقصود التاسع)

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْيَسِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا * وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا * فَمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَكُفِّرْهُمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتِّلْهُمْ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * وَبِكَفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا * فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخَذْنَاهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا * إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا *

لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا *
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَنُّوا
 أَنَّهُمْ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَرْسِلَنَّهُمْ نَارِيًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ
 ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ
 وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
 لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ
 وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ
 إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ
 وَكِيلًا * لَنُيَسْخِفَنَّ الْمَسِيحَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ
 عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
 أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ
 رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي
 رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ
 إِنْ أَنْزَلْتُمْ هَٰذَا لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ
 فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ
 حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *

﴿ في هذا المقصد ثلاثة فصول ﴾

الفصل الأول . تقرير اليهود على الطامات التي ارتكبوها وهي قريب من ١٦ ذنبا من قوله - يسألك
 أهل الكتاب الى قوله أجزا عظيما -

الفصل الثاني . في بيان أن الرسالة الملاحقة كالسابقة كلها بالروح وتعداد بعض الأنبياء والوعظ باتباعهم
 من قوله - إنا أوحينا اليك الى قوله وكان الله عليما حكيما -

الفصل الثالث . في خطاب النصارى وتقريرهم على ضلالتهم في شأن المسيح وأنه ليس ثالث ثلاثة وفي
 خطاب المسلمين أن يعطوا كل ذي حق حقه في الميراث من قوله - يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الى
 آخر السورة -

﴿ الفصل الأول ﴾

هذا الفصل فيه الذنوب التي ارتكبتها اليهود قديما ولقد تقدم كثير منها في سورة البقرة ولكن ذكر هنا

نحو ١٦ ذنبا لتعنت الأحيار منهم على النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أن كعب بن الأشرف وفتحاص بن عازوراء من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا فاذننا بكتاب جلة واحدة من السماء كما نرى موسى بالتوراة فقال الله لا نظمعن في إيمانهم يا محمد فانهم من فرط جهلهم واجترأهم على الله لوأتينهم بكتاب من السماء ما آمنوا بك وكيف يؤمنون وقد أتى موسى منهم مالتى والذي لفيه أشد مما لقيت منهم (١) فهم قالوا له (أرنا الله جهرة) عيانا وتقدم هذا في سورة البقرة (فأخذتهم الصاعقة) وهى نار من السماء فأهلكتهم

(٢) (ثم أخذوا الحجر من بعد ما جاتهم البينات) المعجزات والحجرات كان من ذهب صنعه لهم السامري فعبدوه وتركوا عبادة الله (فغفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا) حجة واضحة تدل على صدقه (٣) (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) أى رفعنا الجبل المسمى بالطور فوق رؤسهم لما لم يقبلوا التوراة حتى يخافوا فقتلوه وهذه الأمور كلها لا ينكرها اليهود فهى حجة عليهم (٤) (وقلنا لهم) وانظروا بظاههم (ادخلوا الباب سجدا) أى ادخلوا باب البلياء مطأطين عند الدخول رؤسكم خالفوا ودخلوها وهم يزحفون على أستاههم

(٥) (وقلنا لهم لا تعدوا في السبت) أى وقلنا لهم لا تجاوزوا في يوم السبت الحد إلى ما لا يحل لكم فلا تعملوا عملا فيه لا صيد سمك ولا غيره فاصطادوا السمك فيه (٦) فنقضوا ميثاقهم ففعلنا بهم ما علمنا (فبما نقضهم ميثاقهم) ما زائدة للتأكيد والقدير فعاقبناهم بنقضهم ميثاقهم

(٧) (وكفرهم بآيات الله) فى التوراة والقرآن

(٨) (وقتلهم الأنبياء بغير حق)

(٩) (وقولهم قلوبنا غلفت) أى على قلوبنا أغشية وغشاوات فهى لا تفقه ما تقول

(١٠) (بل طبع الله عليها بكفرهم) فجعلها محجوبة عن العلم بكثرة الذنوب والكفر فأصبح ذلك كالطابع يختم على القلب فلا يدرك له شئ (فلا يؤمنون الا قليلا) كعبد الله بن سلام

(١١) (وبكفرهم) بعيسى بن مريم معطوف على كفرهم فهو من عطف الخاص على العام

(١٢) (وقولهم على مريم بهتان عظيم) إذ رموها بالزنا

(١٣) (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) ادعت اليهود أنهم قتلوا عيسى وصدقهم النصارى على ذلك فكذبهم الله قائلا (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) ولقد تقدم إيضاح هذا المقام فى سورة آل عمران بما لا مزيد عليه فارجع إليه إن شئت تر أن انجيل برنابا قد تكفل بهذه المسألة ونقلنا النصوص هناك وأن يهوذا هو الذى ألقى عليه شبه المسيح وصلب وقتل وقد كان هو التلميذ الذى خان نبيه وأستاذه (وإن الذين اختلفوا فيه) فى شأن عيسى (لنى شك منه) فهذه الأناجيل قد اختلفوا فيها حتى كانت المجامع التى أقيمت قديما وهناك حصل حذف وإثبات كما تقدم (ما لهم به من علم الا اتباع الظن) بسبب ان المسيح اختار رسوله من الشعب الهادى قوما كانوا صيادى سمك فى بحيرة طبرية ليفهم الناس أن دينه لا يحتاج إلى ذكاء خارق للعادة فجاء بواص وهو (فريسي) ويعرف اللغة اليونانية وادعى أنه هو المختص بالمعرفة الحقيقية لدين المسيح وأخذ يخاصم بطرس فتألف بعد رفع المسيح صنفان من النصارى صنف يتبع بقية أتباع المسيح وصنف يتبع بولص المذكور ثم نشبت الحرب بين الدولة الرومانية فى زمن نبرون بقيادة فسباسيانوس الرومانى وبين اليهود ولما مات القائد الرومانى تولى القيادة ابنه طيطس وفتحت أورشليم عام ٧٠ وضرب الهيكل ففرق اليهود فى كل واديهيون وانحلت الرابطة وكان كل أسقف يعلم جماعته بما يطلب

على عقله مع الحكمة الماثورة عن المسيح ثم اختلطت التعاليم بالفلسفة اليونانية لاسيما في مدارس الاسكندرية وغلبت الفلسفة على تلك التعاليم البسيطة لجهل القائلين بها وقوة الفلاسفة فنشأت في آخر الجيل الأول الأنجيل المنقولة في الأصل عن الرسل وقد أحصى فابريسيوس منها ٣٥ أنجيلا فهذا العدد كان بعض ما في الجيل الأول والثاني وبقى الأمر على هذا المنوال الى سنة ٣٨٤ لما رأى البابا داماسيوس ما في الأنجيل المنتشرة من الاختلاف والتناقض فأمر مارايرو نيموس أن يحرق ترجمة لاتينية جديدة وذلك لان الملك تيودوسيوس ضجر من المخاصبات وصدر الأمر بأن يكون الأسقف في رومة هو الذي له الحق وحده أن يتبعه عموم النصارى وهذه الترجمة ثبتها المجمع التريدينتي سنة ١٥٤٦ وخطأها سيستوس الخامس سنة ١٥٩٠ ونقحها بنسخة جديدة وخطأ هذه كمينيوس الثامن وطبع نسخة جديدة بترجمة جديدة وهي الباقية الى الآن عند الكاثوليكين . فهذا هو معنى قوله تعالى - وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن - أي لكنهم يتبعون الظن فلا يستثناء منقطع (وما قلناه يقينا) أي قتلا يقينا (بل رفعه الله اليه) رد وانكار لقناله واثبات لرفعه (وكان الله عزيزا) لا يغلب على ما يريد (حكيا) فيما دبر لعيسى (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) يعني ومامن أحد من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى بل أهل الملل جميعا الا والله ليؤمنن بعيسى حتى ينزل من السماء ويقتل الدجال فيهلكه حتى تكون الملة واحدة وهو الاسلام وتقع الأمة في الأرض حتى تراع الأسود مع الابل والنور الخ هذا ما جاء في كلام علماء التفسير وسأوضح هذا المقام مع بعض التحقيق (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) فيشهد على اليهود بالكذب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله

(١٤) (فبظلم من الذين هادوا) أي فبسبب ظلم منهم (حرمنا عليهم طبييات أحلت لهم) أي ما حرمنا عليهم الطبييات التي كانت حلالا لهم الا بظلم عظيم ارتكبه من نقضهم الميثاق ونحوه وتلك الطبييات التي حرمت ستأتي في سورة الأنعام بأن حرم عليهم كل ذي ظفر الخ

(١٥) (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) ناسا كثيرا

(١٦) (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل) قد كان الربا محرما عليهم فأحلوه هم وحرمت عليهم الرشوة فأخذوها بالباطل (وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) دون من تاب وآمن (لكن الراسخون في العلم منهم) عبد الله بن سلام (والمؤمنون) منهم كأصحاب عبد الله بن سلام (يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك و) أمدح (المقيمين الصلاة و) هم (المؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما) وجاء أمثال ذلك في كلام العرب قال الشاعر

لا يبعدن قومي الذين هم * سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك * والطيبون معاقدة الارز

أي أذكر النازلين وهم الطيبون فالنازلين كالمقيمين هنا والطيبون كالمؤتون الزكاة وبعضهم جعل المقيمين معطوفا على قوله بما أنزل اليك أي يؤمنون بالكتاب وبالأنبياء الذين يقيمون الصلاة وهذا لا يحتاج الى تبين انتهى التفسير اللفظي

﴿ لطيفة لشرح مسألة المسيح وكيف ينزل في آخر الزمان وما المقصود من هذا ﴾

اعلم أن العالم الانساني قد سئم الصراع والتزال والجدال والحروب والمدافع والبارود والسفن والطائرات والقنابل والغواصات الغائصات فالعالم الانساني في هرج ومرج مسكرين دائبين فكأن الانسان حكم عليه أن يكون شقيا أبدا الأبدين ودهر الداهرين . فبالت شعري ماهذه المدارس والديانات المشروحة والعلوم المفقعة والآداب العامة والعالم الانساني أجمع في الشرق والغرب يقول نحن في عصر المدنية والعرفان مع أنهم

لا يزدادون الاطغيا ما لم تزدهم العارف الابهتيا فالناس في الشرق والغرب مخادعون كاذبون دجالون يخادعون كل أخاه وهم يخدعون أنفسهم كيف لا وضعف أمة واحدة يضعف المجموع وقتل ذكاه فرد واحد يدعو لقتل ذكاه المجموع فكيف يقتل ذكاه أمة بتمامها ذلك هو الدرس السائد الآن فان علماء أوروبا وحكماءها ومدرسيها سلطوا بحالهم نوابها وجيوشها الجرارة على أهل الشرق فأخذوهم وقتلوا ذكاهم وجردوهم من السلاح العالمي كما سلبوا منهم السلاح البري والبحري وهكذا الإنسان قديما وحديثا فهو في الصورة إنسان وفي الحقيقة العنمية نعبان أو شيطان ولقد ألفت كتابا في ذلك سميت به «أين الإنسان» وأرسلته الى مؤتمر الأجفاس في انكيترا قبل الحرب العظمى بنحو ثلاث سنين فنع علماء أوروبا بالحقد والحسد أن يترجوا الكتاب بعد ما وعدوني بترجمته ولكن جاء العلامة ستلان الطلياني وقرظه في مجلته وقال ان هذا الكتاب ظاهره خدمة المجموع الانساني وباطنه احتجاج على أوروبا لجشعها وابتلاعها الشرق وبالاختصار ان هذا الإنسان اليوم حائد عن الصراط السوي ولكن يدور على الأسفة وتشقاق النفوس الى يوم يكون الناس فيه أسرة واحدة وإذا كان الناس يشاهدون خلية النحل فيها نظام جيل ولها ملكة ونحل شغال وآخر لأجل النسل ثم ان النحل يجتمع على ما لا عمل منه فيقتله والنظام سائد فيها المربيات للأولاد ومنها الجامعات للشمع ومنها الجامعات للعسل ومنها الحافظات الحارسات فلا يدخل غريب عليها وهكذا مما لا يحصره المقام فاذا كان هذا في خلية النحل فأين مزية الإنسان نعم يقال ان كل أمة من الأمم كخلية النحل وما أكثر الخلايا ونحن نقول أين مزية الإنسان إذا كان طوائف كطوائف النحل وأين مزيته التي يمتاز بها على الحيوان ليس في قدرة نحل البادة الواحدة أن يكون خلية واحدة ليس في طاقته ذلك ولكن الإنسان الذي سخره البحر والبر وذلل له السهل والجبل وخطب شرقه غربه وغربه شرقه قادر اليوم أن يكون كخلية نحل واحدة لها نظام خاص بحيث تكون كل أمة منه أشبه بعضو في الجسم الانساني وكل فرد من الأمة أشبه بالأعضاء الداخلة في تكوين ذلك العضو وبعبارة أخرى ان اليد مركبة من عضد وساعد والساعد من عظمين وعظام في الرسغ وعظام في اليد والأصابع فاليد الواحدة في الجسم تشبه الأمة من أم الأرض والأعضاء الداخلة فيها كأفراد تلك الأمة

ولا تأمن أن هذا العلم حديث بل هو قديم اقرأ كتاب (آراء أهل المدينة الفاضلة) للفارابي فانه جعل المدينة الفاضلة أن تكون الأمة منتظمة تنظم الجسم الانساني ويجعل الأفراد في الأمة في المراتب التي تناسبهم فكما ان المدة لا تصلح للتفكير والسكبد لا يصلح لطعم الطعام هكذا لا يصلح أصحاب العقول المتوسطة للحكمة العالية وأصحاب العقول الكبيرة لا يجوز أن يتنزلوا لما هو أقل من مراتبهم بل يوضع كل في مرتبته وزاد على ذلك فقال وقد يقال معمورة فاضلة أي ان الأمة من الأمم تكون أشبه بعضو في جسم الإنسان العام وتجعل في مركزها الخاص بها وبناء على هذا يصبح الإنسان كله أسرة واحدة ولهم مجلس عام وهو الذي يخصص لكل طائفة من الأمم أعمالها ويقرر على كل أمة مقدار ما يلزمها من العمل العام للانسانية على مقدار طبيعة أرضها ونسبة عدد سكانها وقدرتهم ويلزمون بذلك قسرا إن لم يقيم التعليم العام بالشرح الصدور لذلك وإذا حصل هذا أعطيت كل أمة ما تحتاج اليه من المال العام للأمم بنظام خاص فتوزع نتائج الصناعات والمزارع على الأمم ومعنى قصرت أمة منها تقابل وتؤدب كما ان الفرد اذا قصر حركم بالقتل كما كان قديما المصريون يفعلون ذلك

هذا هو النظام العام الممكن في مستقبل الأمم . هذا هو الأمر المحبوب من جميع العقلاء في العالم وجميع المصلحين عنه يجهلون فهل هذا الخيال الذي ذكرته لك الآن ممكن أم ذلك خرافة فقال وتبين في المقال فانتظر في الآيات التي نحن بصدها الآن * عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم والذي ننسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم المسيح ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد زاد في رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه اقرؤا ان نشتم - وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية - وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن فيكم ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله أحد أخرجاه في الصحيحين

فياليت شعري كيف يترك القلوص من الابل وعلى أى دابة يركب ولعله يركب القطار والطيارات وكيف يقول خذوا المال فلا يأخذه أحد وما هذه الثروة العظيمة في الأرض بل ما هذا الصلاح العظيم وكيف يكون الناس أمة واحدة وما هذا التضامن وما هذه العفة يقول خذوا المال فيقولون لا تأخذ كأن المال حجارة أو حديد أو أنفغال شاقة

اعلم أن هذه الحال حال أخرى من أحوال الانسانية لا تأتي فجأة فلا بد لها من مقدمات وليس في عمل هذه الطبيعة المسخرة بأمر الله من طفرة أو طفرة محالة فلا بد من مقدمات تتقدم هذه الأحوال المستقبلية واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخبرنا بهذا إلا للاستعداد لذلك اليوم الذي يرتقى فيه الانسان ويكون جميع الناس اخوانا كأنهم خلية نحل واحدة. وانظر الآن أأست ترى أن الانسانية تغالت في الآلات المهلكة والماتكة والغازات الخائفة والدول الآن تزيد في المهلكات والدولة الألمانية المغلوبة اليوم على أمرها تدبر في السر من المهلكات ما لم يحلم به البشر. بل يقال انهم يقدرون أن يجعلوا في الجو سما يهلك من في الأرض جميعا ويهلكون مع الناس أنا لا أقول لك هذا سيحصل وانما أقول هو ممكن وما في الامكان في هذه الأيام سريع الوجود . سريع الظهور . سريع العمل . كثير الأثر . وهذا زمن العجائب الذي أخبرت به الأنبياء

فالمستقبل أحد أمرين اما أن الأمم يهلك بعضها بعضا وهذا على ما أظن لا يكون واما أن تغلب أمة قوية على البقية وتجبرها على اتباع النظام العام الذي ذكرته لك ويصبح هذا النظام خلقا للناس ينقادون اليه وتكون هناك ألفة جامعة . أنا لا أقول ذلك سيكون ولكن أقول انه محتمل فاذا حصل هذا ودام أجيالا ألف الناس العمل ونبتوا الكسل وظهرت المحبة والمودة وجاء يوم الانسانية الجديدة وظهر الانسان بأوفى معانيه وحينئذ ما فائدة المال ولم يخزن الانسان المال ما فائدة النقود ولا نقود . النقود للتعامل بها ولا تعامل اذن بل هي المبادلات واذن تبطل البنوك (المصارف) فلا ربا ويبطل الخمر وأبشرك اليوم بأن الخمر أبطلته أمريكا والترك والربا أبطله أهل روسيا وهم الباشقيي وبعض ما ذكرته لك يفعلوه الروسيون فالنقود عندهم أوراق وقيمة تبطل في أمد معلوم والخبز والملبس يأخذهما الناس في مقابلة العمل . ولست أقول ان هذا هو الذي سيكون ولكن أقول ربما أن يكون هناك عمل يشبه هذا في المستقبل ويطرق لأني اليوم أجهل ما في تلك البلاد

فاذا ارتقى النظام على هذا المنوال على توالي الزمان فلا يمضي زمان قليل حتى يكون الاتحاد العام وحينئذ يفسر الحديث الشريف الذي روى في البخاري ومسلم وعلى المسلمين إذ ذاك أن يتأهبوا لذلك اليوم فلا يأخذون جزية لأن الجزية تكون حيث لم يكن هناك اتحاد عام فاذا حصل فعليهم أن يكونوا مع الأمم بدا واحدة

يقول بعض المفسرين ان أخذ الجزية مقيد بزمن نزول المسيح عليه السلام فلا جزية إذ ذاك وسيأتي في سورة محمد صلى الله عليه وسلم عند قوله تعالى - فاما من أبدا وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها - أن

ذلك حين نزول عيسى أي أن وضع الحرب أوزارها أيام عيسى عليه السلام

﴿ كيف ينزل المسيح ﴾

وعنا نقول هل ينزل المسيح بنفسه أم ذلك رمز لنزع الغلّ والحق من القلوب واتحاد الأمم وتعاونها وتصالحها

اعلم أن أتباع كل دين في الأرض لا يصدقون بغير دينهم ولو أن المسيح اليوم جاء للنصارى لقالوا له كذبت وكذلك نحن معشر المسلمين لو جاءنا أي انسان وقال أنا عيسى أو موسى أو محمد لقلنا أنت مدّع . ألا ترى أن اليهود وعدوا بمجيء المسيح فلما جاء كذبوه والنصارى لما أرسل سيدنا محمد كذبوه إلا قليلا منهم . فهكذا نحن معشر المسلمين إذا جاء لنا أي انسان مهما كان شأنه فإن الجمهور لا يصدقونه وإنما يفعلون معه ما فعلته الأمم مع الأنبياء فيتبع قوم ورفض آخرون . هذا هو الأمر الذي يمكن وقوعه فإذا نزل المسيح فلا ينال من النصارى واليهود والمسلمين إلا ما ذكرته لك فيتبعه قوم ويخذه آخرون ويقولون أنت لست الموعود به فأين الهناء وزوال التحاسد والتباغض وثبوت المحبة في الأرض اللهم إلا أنه يحصل في عقول النوع الانساني حال غريبة غائبة ثم ما فائدة هذا الزمان القليل أي زمان رجود المسيح في الأرض وللاهم أعمار طويلة فإذا تهنأت الأمم كلها عدة أعوام وذهب المسيح من بينهم فهذا أمر لا تكون فائدته تامة . ومالي أذهب معك بعيدا أنظر الى الأمم الآن أليست ترى في الهند من قام وقال اني أنا المسيح ومات في زماننا وجاء بتعاليم اسلامية ونهى عن الحرب والحكومة الانجليزية ساعدته وله أتباع هناك في الهند أولاترى الى طائفة البهائية ببلاد الفرس فانهم قاموا بتعاليم عاتمة من القرآن ونشروها في أمريكا وأوروبا واتبعهم أناس كثيرون وأخبرتني سيدة انجليزية من أتباعه أنه هو المسيح ومع ذلك لا يزال التحاسد في الأمم كما هو والحرب والضرب والتخريب وهم يقولون ان هذه الشريعة تعلو على الأديان كلها وأكثر المتبعين لهذا الدين من أمم الفرنجة وقليل من المسلمين اتبعوه وهم يجعلون شرعهم هذا هو شرع المسيح الموعود به وقد اتبعهم ملايين كثيرة وربما جاء كثير يقولون بهذه الدعوة فأبهم يتبعه الناس وأعمل مقدمات عيسى المذكورة في الحديث هي الحال التي سيعبر اليها البشر من الاتحاد والأخاء والأعمال النافعة العامة الموافقة لروح الاسلام ثم يأتي هو ويظهر أن الزمان المستقبل يكون مداره على الحقائق لاعلى الظواهر فيكون الدجال رمزا لما عليه الأمم الآن من الدجل والكذب والنفاق والجهالة والعمى والمسيح اشارة لما تستأهل له الأمم في المستقبل من ظهور الحقائق وتقارب الأمم واتحاد الأعمال والنظام العام وربما كان ذكر أنه لا يركب الا بل في الحديث الشريف الاشارة الى أن زمان ذلك الحب قد قرب فان الناس أخذت تتركب القطار والطيارات فإذا عمّ هذا يكون قد اقترب زمان التعاون بين الأمم لأن سرعة النقل بين الشرق والغرب تقرب وجهة النظر فأما تباعد المسافات فانه يورث الاختلاف في الغايات ولا نظن اني أقول بمنع وجوده في الأرض ولكني أقول ان المهم في الأمر ليس شخصية المسيح ولا وجود ذاته وإنما المهم السلام العام والصدق والاخلاص هذا هو الذي نشد اليه الرجال ويعتني بشرحه أكابر الرجال فليس القصد من المسيح ذاته سواء حضر بنفسه أم كانت المحبة الأخوية بين الجامعة الانسانية فالمقصد سعادة الأمم لا حضور الأشخاص فلينزل المسيح فهو أمر ممكن ولكن المدار على الاخاء العام فأما البيانات فان الكتب تنتشر في أنحاء المعمورة كما هو حاصل اليوم . ألا ترى أن دولة انكرا قد أخذت تعتنق الاسلام وأبتدأ بذلك عظمائها الأغنياء وذلك للدراسة فنشر الدين اليوم يسير بطريقة غير طريقة السيف بل بالاقناع فالمدار على الحقائق فإذا وجدنا أن ديننا ينتشر بطريقة الاقناع وسيتم ذلك في زمان السلام العام بنزول المسيح فلننفع ذلك كما يفعل الفرنجة في دينهم فلانحارب ولا نقاتل لأن المقصود هو الايمان والايمان يحصل بلا حرب ولا ضرب ونحن ليس عندنا مبشرون فما بالك لو كان هناك مبشرون

دينون مسلمون • وسترى كلام المفسرين في سورة محمد صلى الله عليه وسلم وانهم يقولون بمنع الحرب أيام نزول المسيح • واعلم أن الأرض كانت منذ مئات (الملايين) من السنين عبارة عن كرة نارية وبتوالي الأزمان برد سطحها شيئاً فشيئاً وبهذا التبريد المستمر تكوّنت طبقات بعضها فوق بعض وعدّوا أزمته ستة أعصر تسمى (الأعصر الجيولوجية) وهي العصر الأصلي والانتقالي والثانوي والثالثي والطوفاني واللاحق للطوفاني وهو الحال وتري أن الأرض ترتفع حرارتها درجة واحدة في كل ثلاثين متراً من العمق ففي عمق ثمانمائة متر عشر درجات وفي عمق ثلاثة آلاف متر مئة درجة وهي درجة الماء المغلي وفي عمق ثلاثين كيلومتراً ألف درجة وفي عمق مائة كيلومتر أكثر من ثلاثة آلاف وثمانمائة درجة وهي حرارة تذوب فيها الجوامد كلها وقطر الكرة الأرضية نحو ثلاثة عشر ألف كيلومتر فتكون الأرض بعد ذلك كلها مواد سائلة

فانظر كيف كان سكان الأرض قبل هذا العصر وكيف كانت الحيوانات والنباتات وكيف كان الانقلاب ان الانقلاب كان عظيماً وقد جاء العصر الطوفاني وهو الخامس وزلزل الأرض زلزلاً شديداً واستدارت الأرض في غمضة عين وحدث انفجار هائل فانقلبت كلها حتى ان القطبين اللذين كانا بخط الاستواء حارة انقلبا فجأة وأصبعا في برد قارس وتلج متراكم كأنه الجبال الشاهقات على ظاهرها والدليل على ذلك ما وجدناه في باطن الأرض من الفيئة العظيمة التي لا تكون إلا في الأقطار الحارة فكأن الزلزلة والطوفان لما جاء لم يجد ذلك الحيوان ملجأ للفرار فانظمروا هلك • كل هذا يريك أن الأرض كلما كان سطحها أكثر حرارة كان الساكنون عليها أقرب للفجآت كما هو معقول وكلما كان سطحها أقرب للاعتدال كان الحيوان عليها أقرب الى البقاء والسكون والهدوء • ألا ترى أن العصر الطوفاني المنتفضي أعقبه العصر الحالى ولم يحصل فيه إلا بعض الزلازل المعروفة والا الطوفان الاسيوى المذكور في القرآن والتوراة وكتاب القيدا وهو الكتاب المقدس الهندي وما ذلك إلا ما حصل من انقلاب البحر العظيم الذى كان يمتد قديماً من البحر الاسود الى الاوقيانوس الشمالى فترى من آثاره بحر الخزر والأزوف والبحيرات المالحة المنتشرة في سهول التتر ومفاوز روسيا فلما ارتفعت جبال القوقاس اندفع قسم من المياه الى الاوقيانوس الشمالى والقسم الآخر انقلب في الاوقيانوس الهندي ففرق بلاد ما بين النهرين وكل البقاع التي يسكنها أسلاف الشعب العبراني

هذا هو تاريخ الأرض الذى مضى والأرض لها عمر محدود ودورات محدودة وهي بدوراتها حول الأرض جارية على مدى الزمان تزيد كلما كالانسان يكون في أول حياته بنشوة الصبوة والفتوة ثم يصير كهلاً ثم شيخاً وقوراً • هكذا أرضنا الآن استقرت أما سكانها ونوع الانسان على الخصوص فانهم يفعلون اليوم ما حصل للأرض وقد اضطربوا في أخلاقهم والحروب قائمة بينهم لأنهم من الأرض خلقوا والأرض نار خارجة من نار وسطحها مكّون فوق النار ولا تزال البراكين تخرج كل يوم من باطنها نارا فتري جميع أفعال أهلها نارية من فرح وحزن وغم وحيرة وعشق وغرام وحقد ورجمة وغيظ وطمع • كل ذلك حرارة في النفوس كالحرارة التي في النبات والاعشاب فهذه في القلوب معنوية وهذه في الأجسام حسية وهذا الانسان أخذ الآن يرتقى ويتقارب فاستخرج الفحم الذى تكوّن من ملايين السنين وها هو ذا ينتفع به ولا بد بعد اجتياز هذا الدور الذى نحن فيه من بلوغ دور الكمال كما كملت الأرض التي نحن عليها شيئاً فشيئاً فالأرض تزيد في الثبات والانسان لابد يوماً ما يصير أكمل منه الآن وتتغلب الحكمة على الشيطنة التي غلبت عليه الآن وبوادى ذلك ظاهرة اليوم فانهم يقولون جمعية الأمم وتنقيص السلاح وما أشبه ذلك وذلك هو اليوم الذى قيل فيه ان المسيح يرسل لأهل الأرض ويزول الحقد والحسد من أهل الأرض ويعيش الناس بسلام ويصبح الناس اخواناً ولا يأخذ المسلمون الجزية بل يعيشون بسلام مع الأمم وهذا هو مقصد الحديث النبوى يستعد المسلمون لذلك اليوم ولا ندري أقرب هو أم بعيد اه

وكل هذا ذكرته للتقريب وليس على ذلك برهان عقلي

﴿ لطيفة في تعاليم الأرواح وكيف كانت أخلاق المسيح وأعماله موافقة لذلك الحديث النبوي المتقدم ﴾
قد قلت لك قبل هذا الفصل ان العقل ليس له منفذ لاستطلاع المستقبل وليس يمكنه أن يعرف هل الناس في مستقبل الزمان يكونون سعداء وليس لدينا من الدين ما يدل على نزول المسيح إلا الأحاديث المذكورة والقرآن ليس فيه نص على ذلك وعلى هذا قال بعض علماءنا إن هذه المسألة ليست من العقائد اليقينية لأن العلماء يجعلون الأحاديث الصحيحة كالتى فى البخارى ومسلم ظنية لا يقينية كما فى فتح البارى على البخارى والعقائد عندنا هى اليقين لا الظن وغاية الأمر أن صحاح الأحاديث يعمل بها فى الأحكام الشرعية ومخالفتها فاسق لا كافر . هذا ما كان من أمر شريعتنا الاسلامية الغراء .

فلننظر الى ما وصل الى علماء الجمعيات النفسية فى أوروبا وهل عندهم من هذا القبيل شئ . نقول قد اطلعت بعد ما كتبت ما تقدم على أن بعض الجمعيات فى أوروبا استحضرت روح غاليلى الفيلسوف فأجابها قائلاً ما مختصره

لا بد للأرض أن تزول يوماً ما وتمضى من سفر الحياة ويمكن تقسيم حياة العوالم الى أدوار ثلاثة دور الطفولة إذ يتم تجمع مادة الكواكب الحديثة كالأرض فى أول وجودها

الثانى دور الكهولة وفيه يتم تجمد القشرة وتتكامل الحياة حتى يظهر المثال الأكمل

الثالث دور الانحطاط وفيه يفقد الكوكب مادته بسببين الأول الاحتكاك والثانى تحلل أجزائه كما ينحل الحجر الى حصى ورمال . وفى هذا الدور يزيد سكانه ارتقاء فى الكمال العقلى والروحى وكلما نقصت مادة الكوكب أثر ذلك فى دورانه فيحصل هناك تغير فى الدورات ويصبح النظام بالتدريج غير النظام المعتاد فى الأيام والأشهر الخ

هذا ملخص ما قيل فى ذلك عن الأرواح

إذا علمت هذا فانك تجده يطابق الحديث بعض المطابقة فان المروى فيما تقدم أن الناس يكونون غير متحاسدين ولا متباغضين ويكونون أسرة واحدة وهذا هو المناسب للدور الثالث المذكور إذ ترتقى الأرواح فتكون أرضنا شبيخة كبيرة ونحن عقلاء كاملون وكأن هناك تناسباً بين أخلاقنا وحياة أرضنا وأن حياتنا مرتبطة بأخلاق أرضنا وعمرها وكميتها ودورتها ولذلك تجد فى بعض الأحاديث ان أيام آخر الزمان تكون غير أيامنا هذه مغايرة لها بعض المغايرة

وإذا ارتقت الأرواح كانت الحياة قائمة بالمحبة . وعليه نذكر كيفية حياة المسيح فنقول اعلم أن قوما يسمون (الاسونيين) كانوا عائشين فى فلسطين حتى وادى النيل حافظين تقاليد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأخلاقهم وكانت مهنتهم فى الظاهر الطب وفى الباطن نشر المحبة والاخلاص بين الناس وروى عنهم المؤرخ يوسفوس وفيلون وبلينوس انهم كانوا أفضل قوم على وجه الأرض وتعليمهم أشبه بتعليم فيثاغورس فيقولون بخلود النفس وانها كانت فى الأقطار الشفافة العلوية المضيفة وقد ربطت فى الجسد لترتقى ومنى انطلقت منه ترجع الى عالمها وكانت أرزاقهم شائعة بينهم يأكلون على مائدة واحدة ويتعامهم زهيد ولا يذوقون اللحم إلا نادراً ولم يستخدموا الأسرى لاعتقادهم أن هذا حرام ومخالف لطبيعة العامة لأن الناس جميعاً أحرار ولباسهم كان عبارة عن حلة بيضاء برمزون بها الى تقاوة النفس وصفائها وفوقها عباءة بيضاء ويقسمون أوقاتهم ما بين الصلاة والعمل والتأمل والدرس

أما الأساتذة فكانوا متفرغين للفلسفة والطب يبحثون فى خواص النبات والمعادن ويستعملون الطريقة المغنيطيسية فى شفاء الأمراض وقد تحقق اليوم عند العلماء الباحثين أن المسيح كان مختلطاً بهؤلاء القوم

سنين طويلة وإن لم تذكر ذلك الأناجيل وثبت ذلك عند هؤلاء المؤرخين أن تعليمه مشابه لهذه التعاليم فكان يأمر بحب القريب والمساواة بين الناس ولا يقر إلا بالله واحد يسمى (الأب) ولا يقدم له ذبيحة في هيكل وهيكله هو هذا السكون فلا حاجة للعبادة في مكان محدد ومكان عبادة الحقيقي المقدس هو القلب وكان يحقر الكذب والانتقام والحرب وكان يحب لوداعة ودماثة الأخلاق والتواضع والسهولة واحتقار المال والتجرد من حطام الدنيا وكان شعار المسيحيين (السلام عليكم) والنصارى الأولون اخلطوا مع الاسونيين فكانوا شعبا واحدا اه

هذا هو الدين المسيحي الذي كان عليه المسيحيون الحقيقيون وإذا كان كذلك وقد قررت الأحاديث نزول المسيح فهل هكذا سيكون الناس جميعا اخوانا في سائر الأرض ويكون المسلمون هم أصحاب هذا الرأي إذا تم هذا فهو نفس الاسلام يقول الله تعالى - ليظهره على الدين كله - ويقول - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - هذه هي الرحمة المحمدية التي رمز لها في الحديث انها عيسوية فدين عيسى داخل في الدين الاسلامي فالاسلام ظاهره تشريع وباطنه حب وسلام . وباليات شعري ما المقصود من الحدود والأحكام ليس لها والله معنى ولا مغزى ! . السلام في الأرض ومعنى حصل السلام بالتعاليم فقدت الشرائع والأحكام سلطانها لأنه لا سلطان لها إلا على الخطائين فإذا زال الخطأ واصطلح الناس وتقدمت العقول فأى داع لقطع اليد والصلب وشهادة الشهود بل كل ذلك يقل ويحل محله الحكم والعمل . أيها المسلمون اعملوا أن نبينا صلى الله عليه وسلم ينهنا أنكم مستعدون للرقى والسعادة مستعدون للسكالم النفسى وإذا تكلمت سويسرا النصرانية أصبحت ولا يسمع فيها بخائنين ولا سارقين ولا قاتلين ولا ظالمين إلا قليلا فما بالناس عن السكالم ناعمين . ولقد سأل المرحوم محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى المصرى فتاة ترعى بقرا كثيرا فى المراعى الواسعة فى سهول سويسرا قائلة كيف تنامين ألا تخافين من اللصوص فما فهمت مايقول بل قالت وهل أحد يأخذ مال غيره وترى الرجل لا يأخذ تذكرة للقطار اذا سافر فيه انكالا على أمانته وهو الذى يضع النقود فى الصندوق بذمته وأمانته . ولقد سأل المرحوم محمد بك فريد أيضا عن قاض من القضاة متى يحضر المحكمة فقالوا له ليس يحضرها إلا فى أول كل شهر فتوجه اليه فوجده يخطب النعال ليقتات بصناعته فقال له أليس لك مرتب فقال المرتب على قدر العمل ولا عمل لى إلا ثلاثة أيام فى أول الشهر لقلة القضايا اه

أفليس الاسلام أحق بهذه الفضيلة ألا فليحول الناس وجهتهم الى الفضيلة وهى مقصد الاسلام يامعشر المسلمين هل قصرت أنظارنا أن نكون كهؤلاء يامعشر المسلمين وياعلماء الأئمة اقتصاركم على الأحكام الشرعية جهالة عمياء ونذالة جماء افتحوا عيون الشعوب للججمال الالهى والأخلاق والفضائل ولقد فتح لكم الباب نبينا صلى الله عليه وسلم فأراكم انه سيأتى زمان تكونون فيه كالمسيحيين الأولين الذين كانوا على الحق فيرشدكم بطريق الإشارة الى أن تكونوا أمة أرقى من هذه الأمة . إن نبينا جاء للهدى فلنكن هداة وهاهوذا يقول لنا ان ذلك الزمان لا يؤخذ فيه الجزية وأن الحسد ينزع بجدوا فى العلوم بهذا جاء الدين - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - اه الفصل الأول

(الفصل الثانى)

اعلم أن هذا الفصل متصل بالفصل الذى قبله لأن ذلك كان فى ذكر ذنوب اليهود وهى ١٦ ذنبا دالة على أنهم كانوا مجرمين من قبل فاذا اقترحوا أن تنزل عليهم يا محمد - كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك - الخ

ثم أخذ يجيب بنوع آخر من العلم فاذا قال أولا ان اليهود اذا اقترحوا عليك أن تنزل عليهم كتابا من السماء فهم قوم غلاظ القلوب وحق لهم كذا وكذا فانه يقول فى هذا الفصل - وهل كنت بدعا من الرسل -

وأى نبي نزل عليه الكتاب جملة واحدة من السماء وإن اليهود يعترفون بالأنبياء السابقين ولم ينزل على واحد منهم كتاب مرة واحدة فكيف يريدون مخالفة سنة الله في أنزال الكتب السماوية فمن أشهر الأنبياء نوح وإبراهيم وإسماعيل الخ وهم اثنا عشر نبيا هذا هو قوله تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) أى قوله (وآتيناه داود زبوراً) أى كتاباً من زبور أى مكتوباً و يصح أن يكون الزبور بالفتح اسم للكتاب الذى أنزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل تسبيح وتقديس وتمجيد وثناء على الله ومواعظ (ورسلاً قد قصصناهم عليك) أى قصصنا رسلاً الخ من باب الاشتغال (من قبل) من قبل هذه السورة (ورسلاً لم نقصصهم عليك) أى لم نسهمهم لك ولم نعرفك أخبارهم (وكلم الله موسى تكليماً) وكلم الله أقصى مراتب الوحى ثم قال امدح (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً) لا يغلب على أمره (حكياً) فى تخصيص كل نبي بنوع من الالهام وإذا كانوا نعتوا عليك ولا يشهدون بنبوتك فعليهم وزرهم (لكن الله يشهد بما أنزل إليك) من القرآن الدال على النبوة (أنزله بآياته) أى متلبساً به الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم معجز مشغل على ما يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم (والملائكة يشهدون) بنبوتك (وكفى بالله شهيداً) أى كفى بما أقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد غيره (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً) ذلك لأنهم جمعوا بين ضلالتهم واضلال غيرهم (إن الذين كفروا وظلموا) محمداً بانكار نبوته وصد الناس عن الاسلام (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً) إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً لا يعسر عليه ولا يستعظمه ولما قرر أمر النبوة ورد دعوة المعترضين دعا الناس دعوة عامة فقال (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا) إيماناً (خيراً لكم وإن تكفروا) فهو غنى عنكم (فإن الله مافى السموات وما فى الأرض) لا يتضرر بكفركم ولا ينفع بإيمانكم (وكان الله عليماً حكماً) فيما دبر لكم . انتهى

الفصل الثانى

﴿ الفصل الثالث ﴾

يقول الله (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) يخاطب النصارى (ولا تقولوا على الله إلا الحق) أى المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم) أوصالها اليها وحصلها فيها (وروح منه) وذو روح صدر منه فذلك يحى الأموات والقلوب (فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة) أى الآلهة ثلاثة أو الله ثلاثة أولائه ثلاثة أقانيم الأب والابن والروح القدس فالأب الذات والابن العلم وروح القدس الحياة (انهموا) عن التثليث انتهى (خبركم أنما الله إله واحد) بالذات لا تعدد فيه بوجه ما (سبحانه أن يكون له ولد) أى أسبحة تسبيحاً من أن يكون له ولد فإن الولد يكون لمن ينفى فيكون بقاء له كره بعده إلى أمد معلوم وينفع والديه فى كبرهما والله ليس كذلك فهو باق (له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلاً) والحاجة إلى الولد ليكون وكيلاً عن أبيه قائماً بمظالم بيته والله هو الوكيل فأين الحاجة للولد إذن هذا من جهة الله أما المسيح فلن يأنف أن يكون عبداً لله بل الملائكة المقربون لا يأتقون من ذلك ولذلك قال (لن يستنكف المسيح) لن يأنف من نكف الدمع إذا نحيت بأصبعك من (أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) أن يكونوا عبيداً لله (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) ومن يرفع عنها (فسيحشرهم إليه جميعاً) فيجازيهم (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفى بهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعدنهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً) تفسيره ظاهر ثم خاطب الناس قائلاً (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبيناً) البرهان المعجزات والنور القرآن (وأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه) فى ثواب (ويهديهم صراطاً مستقيماً) هو

للاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة * يروى أن جابر بن عبد الله كان مريضاً فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتى كلاله فكيف أصنع في مالي فنزلت هذه الآية وهي آخر ما نزل من آيات الأحكام (قل الله يفتيك في الكلالة) تقدم تفسيرها في أول السورة (إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك) الأخت هنا من الأبوين أو أب لأن أختها عصبة وابن الأم لا يكون عصبة وقوله - ليس له ولد - يعنى ولا والد فالأخت المذكورة لها نصف المال ان انفردت والبقى لبيت المال على مذهب زيد والشافعى فأما أبوحنيفة وأهل العراق فانهم يردون الباقي اليها أما اذا كان للبيت بنت فانه تأخذ النصف بالفرض وتأخذ الأخت النصف الثانى بالتعصيب لا بالفرض لأن الأخوات مع البنات عصبة (وهو يرثها ان لم يكن لها ولد) أى والرجل يرث أخته ان كان الأمر بالعكس فإذا ماتت الأخت وترك الأب والأم أو من الأب فانه يستغرق جميع ميراث الأخت اذا انفرد ولم يكن للأخت ولد فأما الأخ للأم فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) فمن مات وترك أختين وأخوات فلهن الثلثان مما ترك فالمراد بالاثنتين هما وما فوقهما (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين) أى وان كانوا اخوة وأخوات فغلب المذكر على المؤنث أى وان كان المتروكون من جهة الاخوة رجالا ونساء فللذكر منهم نصيب اثنتين من أخواته الاناث (يبين الله لكم) الأحكام والفرائض كراهية (أن تضلوا والله بكل شئ عليم) فهو عالم بمصالح العباد في الدنيا والممات

﴿ لطيفتان ﴾

﴿ اللطيفة الأولى في شرائع الأنبياء - اللطيفة الثانية في المسيح ﴾

اللطيفة الأولى ارجع الى شرائع الأنبياء في سورة آل عمران وكيف نرى أن الدين واحد بما قلناه هناك في مسألة المسيح فقد ذكرنا نبذا من ديانات كثيرة

اللطيفة الثانية قد كتبت في مجلة الملاحة العباسية تفسير آيات المسيح المتقدمة بانساع أشمل وموعظة أكل فلاقلها هنا الآن يرمتها فأقول - قل يا أهل الكتاب - الى قوله - فسيحشرهم اليه جميعا -

الانسان أرقى من الحيوان تتمتع بالحرية وهو مع ذلك ضعيف الارادة خامل العزيمة تتجاذبه الأهواء وتنفذ به في هوان الجهالة وترديه في أسفل سافلين

يطغيه المال حتى يستعبده وبه يتعالى على أخيه واذا تولى أمر الناس سعى في الأرض ليفسد فيها بالظلم والعدوان واذا اتبع ديناً أعظم كبيراً تعالى في وصفه وغفل عن تعاليمه وأدبه واذا أعرض عنه أساء وصفه ووسسه بأنسج السمات

عجب أمر هذا الانسان ان كان غنيا طغى وأقاربا بأمر الناس بنى أومتديفا بدين غلا وزل وحاد عن التصديق العقيدة ومن عجب أن أولئك المتغالين يسحرون الناس ويسخرونهم فيستذلون للظالمين ويخضعونهم ويتبعون أهواء أهل الغلو من رجال الدين • ألم تر الى لويس الرابع عشر كيف كانت تقام حفلاته لاستيقاظه كل صباح وكيف كان يتولى خدمته جوع لوصرف ذكاؤهم العجيب في الأعمال النافعة لكان خيرا للانسان وكيف كان لبعض ملوك الاسلام عند الصلاة عساكر يصفقون وجيوش بالسلاح مدججون • الانسان حر لكنه كالفراس يتساقط في النار الغنى يحبس ماله والمالك يذله ملكه وذوالعلم أول الدين كثيرا ما يتبع أهواءه بلا هدى ولا كتاب منير

من ذلك ما قصه الله في هاتين الآيتين من تعالى اليهود في التشهير بالسيد المسيح عليه السلام وبعض النصارى قديما من اتخاذ الهما

فقال - يا أهل الكتاب (اليهود والنصارى) لا تغلوا في دينكم - لانجاوزوا الحد فيه إذ يقول اليهود

انه عليه السلام ولد لغير رشدة وبعض النصارى انه إله (ولا تقولوا على الله إلا الحق) وكيف ينزله بعضكم الى أسفل الدرجات وآخرون يرفعونه الى ما فوق السموات ونهاية الغايات . فهلا انتهجتم سبيلا وسطا لا شطط فيه ولا خطل فلا تنزلونه الى أسوأ المراتب ولا ترفعونه الى رتبة لا تليق إلا للمخلوق . إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم . أوصلها اليها وحصلها فيها بلا توسط مادة على خلاف العادة المألوفة والسنة المعروفة وهذا مفاد قوله . وروح منه . وقوله (فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة) انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد (ظاهر معروف . سبحانه . تنزيها له أن يكون له ولد ولا يولد إلا لمن يعتربه العناء ويحل به الفناء ليقوم الولد بأعبائه ويخلفه بعد فوائده وكيف يصطفى الله ولدا مما خلق و . له ما في السموات وما في الأرض . ملكا وخلقاً وعبيداً وهل احتياج الناس للولد إلا ليخلفهم ويكون وكيلاً لهم والله عز وجل قائم بنظام العالم حافظ لكل شيء . وكفى بالله وكيلاً . فكفى الله من جهة قيامه بالأشياء وحفظه لها فالولد له ضرب من المحال . ليس التغاى في الدين قاصراً على أمة دون أمة ولا طائفة دون طائفة جهل الانسان وطمع قديماً وحديثاً . اقرأ تاريخ الأمم أمة أمة وابحث أخلاقها وأسرارها وتاريخ دينها تر التعصب في الأمم والجلود في القرائح سارياً في أكثر البشر . ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم . ان الانسان لني خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر . الحق والصبر سعادة الانسان وماعداهما فاما هو الضلال والطيش أو الباطل والرعونة . ينزل الله الدين على لسان رسوله فيستمسكون بقشوره وينبذون العمل به وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ولقد أخذ المسلمون حظهم من الخلاف واقتربوا نيفاً وسبعين فرقة خلقتها وساوس الشيطان وانصبتها أيدي الشهوات واغتر كل قوم بعصبيتهم واعتزوا بجيوشهم وفرحوا بما عندهم من العلم . وحق بهم ما كانوا به يستهزئون .

ما كادت شمس الذات المحمدية تغرب من سماء هذا العالم حتى اتبع كل فريق أحد كبار هذه الأمة ففرقوا حزائق وتفرقوا طرائق وكان منهم من عبد سيدنا علياً كرم الله وجهه في حياته فقاتلهم عليه السلام وهزمهم ومنهم من اعتمد العصمة في رجل وقال بالامام المعصوم حتى ان الحاكم بأمر الله لا يزال يعظم الى اليوم ولقد كثروا المغترون في هذه الأمة فالعالم يفتخر بعلمه والعابد بعبادته وكثير من الناس يغترون بطاعة فعلوها ثم يتبعونها بالمخزيات والذنوب وقد يعتز الشريف بنسبه والتعليم الذي اتخذه شيخاً بشيخه فأنزل الله هذه الآية ليعرف الناس منازلهم ويقفوا عند حدتهم ومن العجب أن المبتدعين من المسلمين انتهجوا سبل الضلالة وانصبوا أشراك الغواية واستحبوا العمى على الهدى وعظموا أناساً ليأكلوا باسمهم ويظلموا الناس بالانتساب اليهم ألا وان أثر تلك السببة ظاهر في الأمة الآن

وكم مرید قنع بما تلقاه من شيخه وهو عن الدين والقرآن غافل واني وان كنت أقول لكثير بالأدب والعلم والاصلاح فلا يزال آسى على هذه الأمة لما تسلط على أفتتها كثير من لاخلق لهم فيوحدون الى الناس ما يوحون من الزور والبهتان حتى لم يبق في الأرض ملك في بحبوحة العيش ونعيم الحياة الا بعض أولئك الرؤساء الذين تسلوا لواذا من الجامعة القومية والتف حولهم أشياعهم وأغسقوا عليهم النعم وجبس أولئك السادة عنهم العلم والحكمة ومعجائب القرآن وزهدوهم في العلوم وأناموهم على مهاد الراحة فاحيط بهم من كل جانب وهم لا يشعرون واذا قلت يا أيها المرید لم غفلت وعصيت وجهات يقول ان صلة شيخى بالله تشفع لى واني بتعظيمى له والتجاني اليه تغفر ذنوبى فاذا أجبتاه انه لا يملك لك من الله شيئاً . ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . امتعض وقال لقد حططت من قيمته وأنزلت من قدره وذلك كما جاء وفد نجران للنبي صلى الله عليه وسلم وقالوا لم تعيب صاحبنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحبكم قالوا عيسى عليه السلام قال وأي شيء أقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار أن

يكون عبد الله ورسوله فنزل قوله تعالى - لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون -
نكف عنه كفرح ونصر كاستنكف يقال نكفت الدمع اذا نجبت بأصبعك أى لن يأنف وهذا كقوله لم أصبح
لا بخالفه رئيس ولا مرؤس مبالغة في التستير والاستعمال شائع عربى

واذا كان السيد المسيح عليه السلام لا يستنكف أن يكون عبدا لله وهو من أولى العزم فكيف يضل فريق
من أمتنا ويتغالون في الطرق التي يسلكونها ويعولون على شيوخهم الأحياء والأموات في مغفرة ذنوبهم
ولن يصل شيوخهم الى رتبة المسيح عليه السلام وانى للولى أن يصل مرتبة النبي صلى الله عليه وسلم . أقول
ذلك وقد أيقنت بأن طائفة تغاث من الأمة فظنوا أنهم يصلون الى حال تصلهم بالله يرفع عنهم بها التكليف
ولقد سمعت مریدا يقول ان شيخى هو الله . ومن هذا علمت أن التعاليم الباطنية القديمة العهد بمواثيقها
وعهودها لا تزال تتوالى في الأمة يتلقاها الأبناء عن الآباء . وأنا أقول أيها المسلمون وجب علينا الآن أن نبين
للأمة عيوبها وحق علينا نصحتها وارشادها

يا أيها الناس انى في وجل أن تضيع الأمة وتذهب ريحها يقول العاصى انى من أمة محمد صلى الله عليه
وسلم وكفتنى هذه النسبة

وقد ضرب الامام الغزالى لهؤلاء الجهال مثلا فقال مامعناه من المغترين بالله من يعظم الدين وهو مقيم على
معاصيه فتأثم كمثل رجل أمسك بذقن آخر وضربه على وجهه وقال ان أباك كان عظيما شريفا
قال لى رجل فى محفل فى بلاد الفلاحين بالشرقية ان الله يغفر بالحج الذنوب الكبار فقلت له يا هذا اذا
أرسلت الاصوص فسر قوا ألف جل وقتلوا مائة رجل واسترقوا عشرين ألف جنيه ثم حججت بمائة منها فاذنا
ترى أفتري أيها الرجل أنك أدخلت الحيلة عليه ومكرت به وهو سرع الحاسبين

يا أيها الناس اتقوا الله واعلموا أن نبينا أفضل الأنبياء فشرعه أنسب للأمة وهل يليق بكرامته أن يكون
تابعوه أقل الناس أدبا وأكثرهم ذنوبا وأجهلهم صناعة وأضلهم سياسة وأبعدهم عن الفضائل وأقربهم
الى الرذائل ويتبعجحون بقولهم (انما أتباعه) وهل هذه النسبة اللفظية تقنع الجاهل فضلا عن العالم
لقد قال اليهود والنصارى قديما مثل ذلك فنزل دما لهم قوله تعالى - وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء
الله وأحباه قل فلم يعد بكم بذنوبكم - بالقتل والهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة - بل أنتم بشر من خلق
يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله مالك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير - وقال قبل ذلك - قل
فمن يملك من الله شيا أن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا والله مالك السموات
والأرض وما بينهما - ما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير - هنا جاء الحق وزهق الباطل وبطلت حجة الجهال
المتعين أنهم أحق بالله من غيرهم

واذا كان المسيح عليه السلام عرضة هلاكه هو وجميع من فى الأرض فأى حجة يأتها الناس للتواكل
الأنبياء جرى عليهم القانون والناموس يقول الله عز وجل على لسان نبيه - ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مسنى السوء - ويقول الله عز وجل على لسان نبيه أيضا - وما أدري ما يفعل بى ولا بكم -
يا أيها الناس إياكم والشك فى كلام الله أن يقول امرؤ هذا ظاهر وله باطن . يا قوم انا نظرنا فى طرق هذه
الأمة فرأيناها مزقت كل عرق . يا قوم لاسبيل لأن يزول الضلال الا بالعلم والحكمة . يا قوم ديننا ناموس
عام لا يستثنى شريفا ولا وضيعا وليس عند الله عظيم ونسيب . يا قوم ليس لى من هذا القول كلمة واحدة انما
هذه آراء أسلافنا وعظمائنا

يا قوم ان هذا رأى الامام الغزالى وشيوخ الصوفية أنفسهم فاحذروا بعض رجال العصر الحاضر فأكثرهم
لا يعلمون وإذا كان الله عز وجل يخاطب نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله (وان كان) يا محمد (كبر عليك

اعراضهم فان استطعت أن تدنني نقفاً) منقاداً تنفذ به (في) جوف (الأرض أو سما) مصعداً تصعد به الى (السما فتأتيهم بآية) مما يقترحون عليك فافعل ذلك أي أنت لا تقدر عليه (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) فانذرهم واصبر (ولا تكونن من الجاهلين) الذين يحزءون في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلاء

ويقول سبحانه إذ جاء ابن أم مكتوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوه الى الاسلام فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالفوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزل قوله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) وأي شيء يجعلك دارياً بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك (وما يدريك لعله يزكى أو يذكر) ينعض (فتنفعه الذكرى) * أما من استغنى فأنته تصدى تتعرض بالاقبال عليه وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على الاسلام الى الاعراض عمن أسلم (وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى) يسرع طالباً للخير (وهو يخشى) كبوة الطريق لأنه أعمى لا قائد له (فأنت عنه تلهى) تشاغل فانظروا يا رجال الاسلام خطاب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولعيسى ولأهل الأرض قاطبة

انظروا يا أهل العلم كيف عتب الله على نبيه ان أعرض عن رجل أعمى وقد تصدى لدعوة عظماء قريش وهو يطمع أن يعز الله بهم الاسلام لانكبرا عليه * ولقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يكبره ويقول اذا رآه مرحباً بمن عاقبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين

ولقد روى أن عتبة بن أبي وقاص شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرر باعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهم أن يدعوا عليهم فنزل قوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء) ويقول صلى الله عليه وسلم لو سرفت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ويقول يافاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً • يا أمة الاسلام هذا كلام ربكم وهذه حال نبينا والأنبياء والمسيح عليه السلام الناس أجمعون عبيد لله

فانظروا من أين دخلت الغفلة على المسلمين • يا قوم من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره • دين الاسلام أخلاق فاتقوا الله أيها الناس واعلموا أن الاسلام • دين الفضيلة • دين الحكمة دين العلم • دين الأدب

واذا اكتفى الحاج بحجته والمصلى بصلاته والمريد بشيخه والفقير بفقيره والأديب بأدبه اللفظي فلمن أنزل القرآن وآدابه • يا رجال الاسلام أنذركم علاك العدد وقطع الممد ورق الولد وضياع البلد أنذركم اقتراب أجل الأمة المحمدية أنذركم صاعقة العذاب الهون • لم يبق الا أيام قلائل فان لم ترجعوا الى الجادة هلكت الأمة وصاروا كأهل الأندلس قديماً • لقد أطلت في هذا المقام وشرحت حال المسلمين الحاضرة بعد أن أطلت فيها التفكير فأيقنت بما كتبت

هذا المناسبة السيد المسيح عليه السلام ولعمرك لم يسمعن الله ذلك الا لندكر ونعتبر • ولنرجع الى بقية الآية (ومن يستكف) يترفع عن عبادته (ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً) فيجازيهم والاستكبار دون الاستكاف حيث لا استحقاق وقديدون الاستكبار عن استحقاق

يا أيها المسلمون ما أكثر الغرور وما أجهل الغرورين • دين الاسلام أخلاق وفضيلة ولقد عيرنا سائر الأمم بهذا الفقص المشين فان لم نرجع عن عيبنا فأننا في عذاب الخزي واقعون • اللهم ارزق أمتنا رجالاً مصلحين وقفهم في أخلاق دينها انك سميع قريب

هذا الذي شرحناه اليوم في الآيتين من سورة النساء بعض ما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم وانظروا الى عمر رضى الله عنه وقد تلقى الشريعة عن صاحبها وشاهد كسرر باعيته في أحد والدم يسيل على وجهه وسمع آية الوحي

- ليس لك من الأمر شيء - أنظروا كيف علم أن الناس كلهم خاضعون لناموس واحد في الدنيا والآخرة فقال لابن القبطى اضرب ابن عمرو بن العاص كما ضربك بمحض من الصحابة وكيف يقول له كيف تستعبدون الناس وقد ولدوا أحرارا وكيف جعل الأمر شورى عند موتهم • تأملوا يا قوم في الأمر فإني أخاف أن يضع من أيدينا فالوقت قصير حتى لي أن رجلا هو لاند يا قال إن دين محمد صلى الله عليه وسلم فهمه أصحابه في القرن الأول ثم تولى شأن دينه شعوب حقيرة ونفوس صغيرة وعقول قصيرة فرجعوا التفهقروا وتفهقروا إلى الورا وصاروا عبرة للورى
(تم تفسير سورة النساء)

﴿ سورة المائدة مدنية • وآياتها مائة وعشرون آية ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(تقسيم سورة المائدة)

- (١) الحلال والحرام في الصيد ونحوه من أول السورة إلى قوله الخاسرين
- (٢) طهارة الجسم بالماء وطهارة القلب بالصلاة وبالعدل وشكر النعمة من قوله - يا أيها الذين آمنوا - إلى قوله - وعلى الله فليتوكل المؤمنون -
- (٣) أخذ العهد على بني إسرائيل بالصلاة والزكاة والإيمان فنقضوا عهدهم وكذلك النصارى وتوبع الطائفتين وتقرى بهم وقصة دخول بني إسرائيل بيت المقدس من قوله - ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل - إلى قوله - على القوم الفاسقين -
- (٤) قصة بني آدم وكيف كان الظلم قديما كما صار حديثا من قوله - وائل عليهم - إلى قوله - فأصبح من النادمين -
- (٥) حكم القاتل وقاطع الطريق والسارق من قوله - من أجل ذلك - إلى قوله - والله على كل شيء قدير -
- (٦) أحكام التوراة والإنجيل والقرآن وأن أهل كل كتاب يحكمون به من قوله - يا أيها الرسول لا يحزنك - إلى قوله - يوقنون -
- (٧) أمر الله للمؤمنين أن لا يتولوا اليهود والنصارى وأن لا يرتدوا وتقرىع اليهود والنصارى على ذنوبهم من قوله - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى - إلى قوله - وكثير منهم ساء ما كانوا يعملون -
- (٨) أمر الله للنبي صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الرسالة ووعده له بحفظه من الناس وإن يجاهر اليهود والنصارى بأنهم ليسوا على شيء من دينهم وذ كرفريقين من النصارى هادين وضالين وذم اليهود من قوله - يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - إلى قوله - أولئك هم أصحاب الجحيم -
- (٩) الحلال والحرام في الصيد وذ كراخر والميسر ونحوهما من قوله - يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم - إلى قوله - فينبشكم بما كنتم تعملون -
- (١٠) نوع من الشهادات من قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم - إلى قوله - لا يهدي القوم الظالمين -
- (١١) خطاب الله لعيسى ابن مريم يوم القيامة وجوابه من قوله - يوم يجمع الله الرسل - إلى آخر السورة

﴿ مقدمة ﴾

نزلت سورة المائدة بالمدينة الاقوله - اليوم اكملت لكم دينكم - فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة وقال يا أيها الناس ان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها * قال البغوي روى عن ميسرة أن الله تعالى أنزل في هذه السورة ثمانية عشر حكما ينزلها في غيرها وهي قوله تعالى (١) والمنخنقة (٢) والموقوذة (٣) والمتردية (٤) والنطيحة (٥) وما أكل السبع الا ما ذكيتم (٦) وما ذبح على النصب (٧) وأن تستقسموا بالأزلام (٨) وما علمتم من الجوارح مكلبين (٩) وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم (١٠) والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب (١١) وتام بيان الطهر في قوله - اذا قمتم الى الصلاة - (١٢) والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما (١٣) ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم (١٤) ما جعل الله من بحيرة (١٥) ولا سائبة (١٦) ولا وصيلة (١٧) ولا حام وقوله (١٨) شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت * أقول وهذه تنقسم الى ثلاثة أقسام • الأول ما حرم وكان حلالا عند العرب وهو سبعة • والثاني ما أحل وهو سبعة • والثالث أربعة أقسام ما يفيض الى تنزيه الجسم من الأقدار الحسية والمعنوية وهي النجس والحدث والى تنزيه النفوس من الخيانة في الأموال بالسرقات والى عدم قتل الحيوان في أحوال خاصة والى العدل في الشهادة فهذه هي ١٨

فلنشرح (١) أولا هذه الأقسام الثلاثة (٢) ثم لا بين كيف أباح الله قتل الحيوان مع انه رحيم وكيف اجتمعت الرحمة والايلام في عالمنا الأرضي (٣) و بيان الحيوانات الآكلة والمأكولة (٤) وكيف كان النظام يطلب ذلك (٥) وكيف اختلف نوع الانسان باختلاف الحيوان وكيف كان الاسلام وسطا وكيف كان الله هو الملهم والمعلم بالالهام تارة والاختبار تارة أخرى (٦) وتحريم أكل الطيور النافعة للانسان شرعا (٧) وكيف سمى الله هذه السورة مائدة وبسط فيها الحلال والحرام (٨) وكيف كانت هذه السورة هي مفتاح لباب العلوم الحيوانية حتى يبلغ منه المسلمون فيعرفوا الضار والنافع بتعليم الله لهم والهامه سبحانه وتعالى واختبار الضار والنافع فيحفظون ما ينفعهم ويحرمون أكله وفي ذلك باب واسع لدرس الحيوانات كلها ولست ارمي في الأرض وهذا بحر مستهد من قوله تعالى - هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا - فلا بد من دراسة العالم الذي نحن فيه

فأما البقاء على الجهالة العمياء في الاسلام فذلك باب يجر الى فناء هذه الأمة وقيام غير هاهما فليس علم الفقه المعروف كل شيء بل هو جزء قليل جدا من الدين والدين لا يزال بحاله فليقيم في الاسلام عقلا وليفكروا فهذا موسمهم والله قد أذن بذلك • فهذه ثمان مسائل فلنبتدى بالمسألة الأولى فنقول

(١) شرح هذه الأقسام الثلاثة ذات المسائل الثمانية عشرة

القسم الأول منهما ما كان حلالا وحرم بالقرآن وهو ٧ خلاف الأربعة التي حرمت قبل هذه السورة في القرآن وهي الميتة والدم والخنزير وما أهل لغير الله به فيكون هذا بما أضيف اليه أحد عشر محرما

(١) أحدها الميتة كانت العرب تقول انكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله • ان تحريم الميتة موافق للعقل لأن الدم جوهر لطيف فاذا مات الحيوان حثف أنفه احتبس الدم في عروقه وتعفن وفسد وحصل من أكله مضار

(٢) ثانيها الميتة كانوا يملئون المعى من الدم ويشوونه ويطعمونه الضيف فحرم عليهم ذلك وقال الأعشى

فيايك والميتات لا تقربن بها * ولا تأخذن نصلا حديدا لتفصدا

ولا تنكحن جارة ان سرها * عليك حرام فانك كحن أو تأيدا

يقول مفسر وهذه الآيات ان العرب كانوا اذا أجذبوا جرحوا ابلهم بالنصال فنزل الدم فشر به

(٣) الثالث لحم الخنزير لأن الخنزير أضرى الحيوان على الطعام والشهوات وأشمره فأكله يورث الأخلاق

التي عليها ذلك الحيوان كما ان الحيوان المريض يورث آكله مرضا • واقد ثبت في العصر الحاضر أن الدودة الوحيدة

لا تكون الامن كل لحم الخنزير فلهجوم الناس وعظامهم تابعة لأغذيتهم وهذا باب واسع في العلم يجب النظر فيه طويلا
والبحث في الحكمة والعالم المشاهد

(٤) الرابع - مأهل - غير الله به - الاهلال رفع الصوت يقال أهل فلان بالحج إذا لبي به ومنه استهل الصبي وهو صراخه إذا ولد وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى فخرتم الله تعالى ذلك وانما حرم ذلك لتصان العقائد عن التفرق والاختلاف فان ذكر اسم الأصنام عند الذبح مشعر بتفرق الوجهة وتفرقها داع لتفرق الأعمال والأحوال فلا يكون نظام للأموال الحيوية ويتبعها أن يخسر والآخر والآخر انما هي نتيجة الحياة الدنيا تنظيما واختلالا في العقيدة والعمل

(٥) الخامس المنخنة يقال خنقه فاختنق وخنق والاختناق انصار الخلق . فهذا الخنق بأي وجه موجب للتحريم فنه انهم كانوا في الجاهلية يخنقون الشاة فإذا ماتت أكلوها ومنها ما يخنق بحبل الصائد ومنها ما يدخل رأسها بين عودين في شجرة فتختنق فتموت . وهذه المنخنة بأي وجه من جنس الميتة لأنها لما ماتت لم يسئل دمها فكانت منها

(٦) السادس الموقوذة وهي التي ضربت إلى أن ماتت يقال وقذها أو وقذها إذا ضرب بها إلى أن ماتت ومن الموقوذة مارمى بالسندقات وهي من الميتة لأنها لم يسئل دمها

(٧) السابع المتردية والمتردى هو الواقع في الردى وهو الهلاك قال الله تعالى - وما يغني عنه ماله إذا تردى - أي وقع في الردى وهو في الآية النار ويقال فلان تردى من السطح فالمتردية هي التي تسقط من جبل أو موضع مشرف فتموت . وهذه أيضا من الميتة لأنها ماتت وبسال منها الدم . وكذلك ما تشابه أمرها فلم نعلم أمتردية هي أم مصابة بالسهم بأن وقعت من فوق الجبل وقد أصابها سهم فلا يدري أيها ماتت أم بالسهم أم بالتردى

(٨) الثامن النطوحة وهي المنطوحة إلى أن ماتت كشاتين تباطحتا إلى أن ماتتا أو ماتت احدهما وهي من الميتة لأنها ماتت من غير سيلان الدم واعلم أن فعيل بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث إذا كان الموصوف مذكورا فإذا لم يكن الموصوف كاهنا دخلت التاء فارقة

(٩) التاسع - مأ كل السبع الا ما ذكيتم - السبع يقع على ماله ناب ويعدوبه على الانسان والدواب ويفترسها مثل الأسد وما دونه . وكان أهل الجاهلية إذا جرح السبع شيئا فقتله وأكل بعضه أكلوا ما بقي فخرمه الله تعالى وتقدير الآية - وما كل السبع منه - لأن مأ كل السبع قد نفد وقوله - الا ما ذكيتم - أصل الذكاء اتمام الشيء ومنه الذكاء في الفهم ويقال ذكيت النار أتممت أشعها فقوله - الا ما ذكيتم - أي الا ما وجدتم له عينا تطرف أو ذنبا يتحرك أو رجلا تركض فله بحقوقه فانه حلال فاندلوا بقاء الحياة ما حصلت هذه الأحوال ويكون هذا الاستثناء مما تقدم من المنخنة إلى قوله - وما كل السبع - والتذكية هنا هي التي أجهزت على الحيوان لا الخنق ولا الوقذ الخ وهذا قول علي وابن عباس والحسن وقتادة ويقول بعضهم كلا بل هذا راجع لما أكل السبع والقول الثالث انه استثناء منقطع أي - الا ما ذكيتم - من غير هذه فأما هذه فلا تحل ذكيت أو لم تذك

(١٠) العاشر - وما ذبح على النصب - وهي أحجار كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها للأصنام وكانوا يلطخونها بتلك الدماء ويضعون اللحوم عليها فقال المسلمون يا رسول الله كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن أحق بأن نعظمه وكان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكره فأنزل الله - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم - والنصب جمع نصاب كحمار وجر أو نصب كسقف وسقف أو النصب وهي العلامة تنصب للقوم أي وما ذبح على اعتقادة عظيم النصب أو للنصب

(١١) الحادي عشرة وله - وأن تستقسموا بالأزلام - كان أحدهم إذا أراد سفرا أو غزوا أو تجارة أو نكاحا أو أمرا آخر من معارف الأمور ضرب بالقدرح وكانوا قد كتبوا على واحد منها أمرني ربي وعلى الثاني

نهاني ربي والثالث لاشئ عليه فان خرج لأمر أقدموا على الفعل وان خرج النهي أمسكوا عنه وان خرج الذي لم يكتب عليه أعادوا العمل مرة أخرى فغنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ما قسم لهم من الخير والشر بواسطة ضرب القداح والأزلام القداح واحد زلم وسميت الاقداح بالأزلام لانها زلمت أى سويت ويقال رجل مزلم وامرأة مزلمة اذا كان كل منهما خفيفا قليل العلائق ويقال قدح مزلم اذا ظرف وأجيد قدح ومنعته وانما حرم ذلك لأنهم كانوا يحملون تلك الأزلام عند الأصنام ويعتقدون أن ما يخرج من الأمر والنهي على ذلك الأزلام إنما يكون بإرشاد الأصنام واعانتها فلهذا السبب كان فسقا وحراما

واعلم أن الله عز وجل منع علم الغيب عنا لحكمة وهي الجد ولو أننا عرفنا الغيب ما عملنا عملا بل كان الانسان ينام منتظرا ما يجي به القدر وهذا تعطيل لمصالح الدنيا فلذلك منع الله علم الغيب عن الناس وجعل الرؤس وغيرها فيها الحق والباطل والصدق والكذب ليحترس الناس وليفكروا بعقوبتهم ولا يتكلموا إلا على ربهم الذي تجزيهم برحمته عن معرفة الغيب إلا بما شاء لحكمة . اهـ القسم الأول من الأقسام الثلاثة وهي السبعة التي حرمت في هذه السورة مضافا لها الأربعة التي معها وكانت محرمة قبل نزول هذه السورة

القسم الثاني ما أحل وهو سبعة (١) ما صدناه بالجوارح المعلمة (٢) وطعام الذين أوتوا الكتاب (٣) والمحصات من الذين أوتوا الكتاب (٤) بيان الطهر والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام

(١) ما صدناه بالجوارح المعلمة - وما علمتم من الجوارح مكابين - والجوارح جمع جارحة وهي الكواكب من السباع والطيور كالنمر والكلب والبازي والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانه يجرح الصيد عند امساكه ويصح أن تسمى جوارح بمعنى كواكب من جرح واجترح بمعنى كسب واكتسب ومعنى مكابين معلمين والمكاب هو الذي يغري الكلاب على الصيد أو هو مؤدب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له الاسم من الكاب لأنه أكثر احتياجا الى التعليم هكذا قالوا وأقول بل هو أقرب الى الائتناس بالناس وأدنى الى طاعتهم بخلاف الطيور . ثم قال تعالى - تعلمونهم مما علمكم الله - من الحيل وطرق التأديب فان العلم بها الهام من الله أو مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه سبحانه وتعالى ومنه أن يتبع الصيد اذا أمره صاحبه وان ينزجر عنه اذا أنجز . ينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه ولا ينفر من صاحبه اذا أراد . وأن يجيبه اذا دعاه فهذا هو تعليم الجوارح فاذا وجد منها ذلك مرارا كانت معلمة وأقلها ثلاث مرات عند أبي يوسف ونحوه ومرتان في رواية عن أبي حنيفة وعند أحمد أيضا ومرة واحدة عند الحسن البصري ويعتبر العرف عند الشافعي وأبي حنيفة في أظهر الروايات عنه . قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن أبي حاتم اذا أرسلت كلبك المعلم وذكر اسم الله فكل

(١) فاذا كان الكلب معلما وصاد صيدا وجرحه وقتله وأدركه الصائد ميتا فهو حلال لأن جرح

الجارحة كالذبح

(٢) الجوارح المعلمة حكمها حكم الكلاب

(٣ و ٤) والسهم والرح كذلك . فاذا صاده الكلب وجثم عليه وقتله بالسم من غير جرح ففيه قولان

(١) انه ميتة لا يؤكل (٢) يحل لدخوله فيما أمسكن عليكم وهذا كله ما لم يأكل منه فان أكل منه فقد

اختلف العلماء فيه فمن قائل لا يحل وهو قول ابن عباس وطاوس والشعبي وعطاء والسدي وأظهر أقوال الشافعي

مستدلين بقوله تعالى - فكلوا مما أمسكن عليكم - وهذا قد أمسكه على نفسه وفي الحديث ان النبي صلى الله

عليه وسلم قال لعدي بن أبي حاتم اذا أرسلت كلبك فاذا كرا اسم الله فان أدركته ولم يقتل فاذبح واذا كرا اسم الله عليه وان

أدركته وقد قتل ولم يأكل فكل فقد أمسك عليك وان وجدت قدأكل فلا تطعم منه شيئا فانما أمسك على نفسه

. ومن قائل يحل وهو قول سلمان الفارسي وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم . فهو لاء

يقولون يحل وإن كل منه وهو القول الثاني للشافعي

(٢) الثاني من السبعة التي تحل طعام الذين أوتوا الكتاب في قوله تعالى - وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم - فطعام الذين أوتوا الكتاب هنا هي الذبائح التي يذبحونها وأما المجوس فلا تأكل ذبائحهم ولا تتزوج نساءهم ولأن كل ذبائح أهل الشرك من العرب وعبدة الأصنام ومن لا كتاب لهم فأما غير الذبائح فلا كلام فيها لأنها محللة قبل أن كانت لأهل الكتاب وبعد أن صارت لهم لا يبقى لتخصيصها بأهل الكتاب فائدة ولو ذبح اليهودي أو النصراني على غير اسم الله (١) قبل لا يحل ذلك وهو قول ربيعة (٢) ولكن أكثر أهل العلم أنه يحل وهو مذهب الشعبي وعطاء قالوا لأن الله أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون (٣) وقال الحسن إذا ذكرنا غير اسم الله وأنت تسمع فلا تأكل كل وإذا غاب عنك فكل فقد أحله الله (٤) وزعمت طائفة أنه يحل مطلقا ولو ذكرنا اسم غير الله وأما قوله - وطعامكم حل لهم - أي يحل لكم أن تطعموهم من طعامكم وكأنه لما كانت المناكحة غير جائزة من بعض الوجوه بأن يتزوجوا نساءنا ليه بهذا على أنه يجوز أن نطعمهم من طعامنا وإن لم يجوز أن نزوجهم من نساءنا

(٣) الثالث من السبعة التي تحل - والمحضات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم - أي وأحل لكم المحضات من أهل الكتاب اليهود والنصارى وهل يراد بالمحضات الحرائر ممنق

(١) وهذا قول ابن عباس فلا يتزوج بالأمة الكتابية من اليهود والنصارى لأنه اجتمع في حقها نوعان من النقص الكفر والرق وهو مذهب الشافعي (٢) وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك المحضات العفيفات من أهل الكتاب فيجوز التزوج بالأمة الكتابية وهو مذهب أبي حنيفة لعموم هذه الآية فزواج الكتابيات الذميات جائز وقد تزوج عثمان بن عفان نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية وطلحة بن عبيد الله تزوج يهودية وقد كره ابن عمر ذلك وكان يحتاج بقوله تعالى - ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن - وقال الجمهور هذه الآيات التي ذكرها عامة وخصت بهذه الآية لجميع المشركات محرمات مالم يؤمنن إلا الكتابيات فذلك عام وهذا خاص فحلت الكتابيات وبقي تحريم غيرهن من المشركات . وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزوج بالذميات والخريجات من أهل الكتاب لعموم الآية والجمهور أنها خاصة بالذميات دون الخريجات * قال ابن عباس من نساء أهل الكتاب من تحل لنا فنهن من لا تحل لنا وقرأ - قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله - إلى قوله - حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون - والمراد بهم أهل الذمة دون أهل الحرب من أهل الكتاب وقوله - إذا آتيتموهن أجورهن - أي مهورهن وهي العوض الذي يبذله الرجل للمرأة - محصنين غير مسافحين - أي مستعفين بالتزويج غير زانين - ولا متخذين أخدان - يعني ولا منفردين بمعنى واحدة قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده . حرم الله الجماع على جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الخدن واحله على جهة الاحصان وهو التزويج بعقد صحيح (ومن يكفر بالإيمان) ومن يحد ما أمر الله به من توحيد ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله (فقد حبط عمله) بطل ثواب عمله الذي عمله في الدنيا وخاب وخسر في الدنيا والآخرة (وهو في الآخرة من الخاسرين) إذا مات على ذلك

الرابع والخامس والسادس والسابع من التي تحل هي المذكورات في قوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) إذا تنجست الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذن أي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب فهذه هي البحيرة . وأما السائبة فإن الرجل منهم كان يقول إن شئت ففاقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها . وأما الوصيلة فقد كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن نظروا فإن كان السابع ذكرا ذبحوه وأكل منه الرجال والنساء وإن كانت أنثى تركوها في الغنم وإن كانت ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت

أخاها واستحيوا الذكر فلم يذبجوه من أجل ذلك وأخاها هو الفحل إذا اتفق له أحد أمرين إما أن يركب ولد ولده أو ينتج من صلبه عشرة أبطن فيقولون حي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا من مرعى فإذا مات أكله الرجال والنساء وقوله - ما جعل الله - ما شرع الله - من بحيرة الخ -

القسم الثالث وهو ما يشير إلى تنزيه الجسم عن الأفعال الحسية والمعنوية وهي الحدث والنجس وإلى تبرة النفس من الخبائث في الأموال بالسرقات وإلى عدم قتل الحيوان في أحوال خاصة وإلى العدل في الشهادة وأدائها

المسألة الأولى - نظافة الجسم

(يأيتها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة - فاغسلوا وجوهكم - من منابت شعر الرأس إلى منتهى الذقن طولا ومن الأذن إلى الأذن عرضا مع وصول الماء إلى ماتحت الحاجبين وأهداب العينين والعدارين والشارب والعنققة وإن كانت كثة وأما اللحية فإن كانت كثة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل ماتحتها ويجب غسل الخفيفة ولم يوجب أبو حنيفة مرور الماء على ما نزل من شعر اللحية عن حد الرأس ويجب إمرار الماء على ظاهره عند غسبه - وأيديكم إلى المرافق - المرفق بالكسر هو من الإنسان أعلى الذراع وأسفل العضد ومذهب جمهور العلماء دخول المرفقين في الغسل الواجب ونقل عن مالك والشعبي وأبي بكر بن داود الظاهري أنه لا يجب وكذا ابن جرير الطبري وحجة الجمهور أن إلى معنى مع وحجة غيرهم أن الغاية للشيء لا تدخل فيه وأخذ غير المحدود - وامسحوا برؤوسكم - أي رؤوسكم أو الصقوا المسح برؤوسكم فالباء أما زائدة وأما أن يكون الفعل تضمن معنى الإصاق والمسح عند الشافعي أقل ما يقع عليه الاسم . وعند أبي حنيفة ربع الرأس . وعند مالك جميع الرأس - وأرجلكم إلى الكعبين - بالنصب عطف على وجوهكم أو بالجر للجوار (وفرض الرجلين)

(١) أما المسح عند ابن عباس وقنادة وعكرمة والشعبي والامامية من الشيعة (٢) وأما المسح بالقرآن والغسل بالسنة عند أنس (٣) وأما الجمع بين الغسل والمسح عند داود الظاهري (٤) وأما التخيير بين الغسل والمسح عند الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري (٥) وأما الغسل فقط عند جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة الأربعة وأصحابهم وهذا الخلاف كله راجع لقراءة الجر والنصب والأحاديث الواردة بطرق مختلفة ولاستنتاج كقول الشعبي إنما المسح على الرجلين ألا ترى أن ما كان فيه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح أهمل وقال ابن عباس الوضوء غسلتان ومسحتان وهكذا وقوله - إلى الكعبين - الخلاف في دخول الكعبين كالخلاف في دخول المرفقين والكعبان هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم عند جمهور العلماء في اللغة والفقه وشذت الشيعة والقائلون بمسح الرجلين إذ قالوا الكعب عظم مستدير على ظهر القدم فيكون في كل رجل كعب واحد

كيفية الوضوء

فروض الوضوء . اعلم أن فروض الوضوء التسمية وتقديم غسل اليدين والمضمضة والسواك والاستنشاق والنية عند غسل لوجه وغسل الوجه وادخال العين مع مقدم الأذن وغسل اليدين وتقديم اليمنى ومسح الرأس وغسل الرأس مع المسح وغسل الرجلين والترتيب والفور ويكون لكل صلاة والتدليك فالتسمية عند أحمد وإسحق وتقديم غسل اليدين عند بعض الفقهاء كفي الرازي والمضمضة والاستنشاق عند أحمد وإسحق في الوضوء والغسل . وعند أبي حنيفة في الغسل دون الوضوء والسواك عند داود . والنية عند الشافعي والترتيب عنده أيضا والفور وهو الموالاة عند مالك وما قبل من الأذن مع الوجه غسلا وما أدبر مع الرأس مسحا عند الشعبي وادخال الماء في العين عند ابن عباس وتقديم اليد اليمنى عند أحمد ومسح الرأس مع غسلها عند داود الظاهري ويجب الوضوء لكل صلاة عنده أيضا والتدليك عند مالك

وأبو حنيفة لم يوجب منها إلا أربعة وهي المذكورة في الآية وزاد الشافعي خامسا وهو النية وزاد الشافعي أيضا وأحمد سادسا وهو الترتيب كالأية وأوجب مالك الموالاة والتدليك فالاتفاق على أربعة والاختلاف في اثني عشر **(فائدة)** قال الأوزاعي والثوري وأحمد يجوز مسح العمامة بدل مسح الرأس وخالفهم الجمهور والمسح على الخفين أجازاه الشافعي وأبو حنيفة وأكثر الفقهاء وذلك للمسافر ثلاثة أيام بلياليها من وقت الحدث بعد اللبس وأنكره الشيعة والخوارج وأما قوله تعالى - وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم - فقد سبق تفسيره في سورة النساء ولكن لنوضح الطهارة من الجنابة فنقول . للجنابة سببان التقاء الختانين والانتزال وقال زيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري لا يجب الغسل إلا عند نزول الماء وختان الرجل موضع قطع جلدة الغائقة وختان المرأة موضع قطع الجلدة الرقيقة القائمة مثل عرف الديك بين الشفرين وتحتها مجرى البول وهو ضيق وتحت هذا ثقب يخرج منها الحيض والولد وهي مدخل ما يجب به الغسل والتطهر الاغتسال وهو أن يعم الجسد بالماء وأوجب مالك ذلك وأوجب أبو ثور وداود تقديم الوضوء وأوجب أبو حنيفة المضمضة والاستنشاق . ثم إن شعر الرأس إن كان مفقولا مشدودا ببعضه ببعض ومنع وصول الماء إلى البشرة لم يوجب مالك تقضيه - ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج - أي ما يريد الله بالطهارة للصلاة ولا بالأمر بالنهي تضيقا عليكم - ولكن يريد أيطهركم - لينظفكم والنظافة ظاهرة داعية للباطنة ومن اعتاد نظافة الظاهر صار سجية له يعتادها وملازمة الاعتدال والجمال تؤثر في نفس الملازم وأقد بينا هذا في سورة البقرة عند قوله تعالى - إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين - وأفدنا هناك أن النظافة والعمل برفعان النفوس الإنسانية والقذارة والبطالة بوجبان تقصها فارجع إليه إن شئت - وليتم نعمته عليكم - بالطهارة والنظافة وما يترتب عليها من صفاء القلوب وإخلاص السرائر وصفاء النيات - لعلمكم تشكرون - نعمته

﴿ المسألة الثانية ﴾

- والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما - حد اليد من رؤس الأصابع إلى الكوع أي فيما يتلى عليكم حكم السارق والسارقة وهذه جلة وقوله - فاقطعوا أيديهما - جلة أخرى - جزاء بما كسبا - مفعول لأجله - نكالا من الله - أي عقوبة مفعول لأجله أيضا - والله عزيز حكيم - عز خكم فقطع ولا تقطع اليد إلا إذا كان المسروق يساوي ربع دينار وسرق من حزم مثله وقال مالك وأحمد وأصحابهم يقطع في ثلاثة دراهم أو قيمتها وعن أبي هريرة أنه خمسة دراهم وقال قوم لا بد من دينار أو عشرة دراهم وهذا مروى عن ابن مسعود وسفيان وأبي حنيفة وابن عباس ويروى عن ابن الزبير والحسن أن القدر غير معتبر في قطع على القليل والكثير ولا يشترط أن يكون من حزم مثله وهو مذهب داود

وتقطع يده اليمنى من الكوع فإن سرق ثانية قطعت رجله اليسرى * وهنا قال سيدنا علي أنى استجى أن لا أدع له يدا يستنجى بها ولا رجلا يمشى بها فلا يقطع اليد الثانية ولا الرجل الثانية بل يحبس وهو قول الشعبي والمنخعي والأوزاعي وأحمد وأصحاب الرأي وذهب غيرهم إلى أنه تقطع يده اليسرى في المرة الثالثة ورجله اليمنى في المرة الرابعة

﴿ التخفيف فلا قطع في حالين ﴾

الحال الأول . إذا سرق مالا له فيه شبهة كالولد يسرق مال والده والوالد يسرق مال ولده والعبد يسرق مال سيده والشريك يسرق مال شريكه بل إن مجرد الانكار عند بعضهم كالشافعية يمنع القطع فلو قال لم أسرق وقد سرق كان شبهة تمنع القطع ويكتفى بالعقوبة (التعزير)

الحال الثانية . أن يتوب كما قال الله تعالى - فمن تاب - من السارق - من بعد ظلمه - بعد سرقته

- وأصلح - أمره بالتفصي عن التبعات والعزم على أن لا يعود إليها - فإن الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم - يقبل توبته فلا يعذب في الآخرة ولا تقطع يده عند بعض العلماء بدليل قوله تعالى - غفور رحيم -

﴿ المسألة الثالثة ﴾

- يأبها الذين آمنوا لا تملوا الصيد وأنتم حرم - محرمون جمع حرام أو داخلون الحرم فيحرم على من أحرم بالجمع أو العمرة وعلى من دخل الحرم وان لم يكن محرماً أن يقتل الصيد وهو كل حيوان متوحش مأكول اللحم أو غير مأكول كالفزال والأسد واستثنى من ذلك خمس الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور - ومن قتله منكم متعمدا - ذاكر الاحرامه علماً بأنه حرام عليه قتل ما يقتله - جزاء مثل ما قتل من النعم - أي فعلية جزاء بمثل ما قتل من النعم * روى أنه عن لهم في عمرة الحديبية حار وحشى فطعن أبو اليسر برحمه فقتله فنزلت هذه الآية

واعلم أن من تعمد قتل الصيد وهو ذاكر لاحرامه فان ذنبه أكبر من أن يكون له كفارة ولكن ابن عباس والجمهور يحكمون عليه بالجزاء * ومن تعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام أو قتل الصيد خطأ بأن قصد غيره بالرمي فأصابه فهو كالعمد فعليه الجزاء فالقرآن نزل في العمد والسنة جرت بالخطأ

﴿ المثل الواجب ﴾

أبخالفة هو أم بالقيمة والجمهور على الأول فقد حكم الصحابة رضي الله عنهم في النعامة ببذنة وهي لا تساوي بذنة وفي حار الوحش ببقرة وهو لا يساوي بقرة وفي الضبع بكبش وفي الظبي بشاة وفي الأرنب بسخل وفي الضب بسخلة وفي اليربوع بجفنة ويجب في الجمامة وكل ما عب وهدر كالقواخت والقمرى وذوات الأطواق شاة وما سوى ذلك من الطير ففيه القيمة في المكان الذي أصيب فيه * وروى عن عمر أنه قضى في الضبع بكبش وفي الغزال بنز وفي الأرنب بعناق وفي اليربوع بجفنة

وقال أبو حنيفة يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت القيمة من هدى خير بين أن يهدى ما قيمته قيمته وبين أن يشتري به طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام والصوم قال تعالى - يحكم به ذوا عدل منكم - أي يحكم بالجزاء في قتل الصيد رجلا ن صالحا ن عدلان من أهل ملتكم ودينكم وينبغي أن يكونا فقيهين فينظران الى أشبه الأشياء به من النعم فيحكمان به - هديا - حال من الهاء في به - بالغ الكعبة - وصف به هديا ومعنى بلوغه الكعبة انه يذبح في الحرم ويتصدق به ثم قال أبو حنيفة يذبح في الحرم ويتصدق به حيث شاء - أو كفارة طعام مساكين - عطف بيان أو بدل من كفارة والمعنى عند الشافعي أن يكفر بالطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدى من غاب قوت البلد فيعطى كل مسكين مئدا - أو عدل ذلك صياما - أو ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وانما كان عليه الجزاء أو الطعام أو الصوم - ليندق وبأن أمره - قتل فعله وسوء عاقبته بهنكه لحرمه الاحرام أو الثقل الشديد على مخالفة أمر الله وأصل الوبال الثقل ومنه الطعام الوابل - عفا الله عما سلف - من قتل المحرم الصيد في الجاهلية أو قبل التحريم أو في هذه المرة - ومن عاد فينتقم الله منه - مع أن عليه الكفارة - والله عزيز ذو انتقام - ممن أصر على عصيانه ثم أخذ يشرح صيد البحر فقال - أحل لكم صيد البحر - ما صيد منه مما لا يعيش إلا في الماء وهو حلال كله

وقال أبو حنيفة لا يحل منه إلا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البحر - وطعمه - ما قذفه ورمى به الى الساحل أو نضب عنه - متاعا لكم - تمتيعا لكم - وللسيارة - أي وللسياراتكم يتزودونه قديدا أي يتمتع به المسافرون والمقيمون

﴿ ايضاح هذا المقام ﴾

الحيوان البحري إما سمك وإما غير سمك فجميع السمك حلال وقال أبو حنيفة لا يحل إلا أن يموت بسبب

وماعدا السمك فهم قسمان قسم يعيش في البر والبحر كالضفدع والسرطان فلا يحل أكلهما • وقال سفيان أرجو أن لا يكون بالسرطان بأس

والجراد وطير الماء من صيد البر فان أصاب جرادة فعليه صدقة • وقال أحمد يؤكل ما في البحر إلا الضفدع والتمساح قال لأن التمساح يقتل ويأكل الناس • وقال ابن أبي ليلى ومالك يباح كل ما في البحر وقال بعضهم السكاب والخنزير في الماء وكل ماله نظير لا يؤكل في البر لا يؤكل هو والبقر البحري والجاموس يؤكل لأن له نظيرا في البر يؤكل اه

﴿ المسألة الرابعة من هذا القسم - يأبى الذين آمنوا شهادة بينكم - الآية ﴾

اعلم أن تمما الدارى وعبدى بن بداء خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسامحا فلما قدموا الشام مرض بديل فدون مامعه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به وأوصى اليهما بأن يدفعوا متاعه الى أهله ومات فتشاه وأخذوا منه إناء من فضة فيه ثمانية مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فأصاب أهله الصحيفة فطالباوهما بالإناء فجحدا فترافعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر كما هو نص الآية ثم خلى سبيلهما ثم وجد الإناء في أيديهما فأتاهما بنوسهم في ذلك فقلا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن عليه بيعة فكرهنا أن نقر به فرفوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل بقية الآية وهي تفيد أن يقوم اثنان من أولياء الميت ليحلفا بدل هذين الوصيين النصرانيين فقام عمرو بن العاص ومطلب بن أبي رفاعة السهميان فقاما مقام النصرانيين فأقسم أن شهادتهما أحق من شهادة الوصيين المذكورين بالقبول وهذا هو قوله تعالى - يأبى الذين آمنوا شهادة بينكم - أى الاشهاد في الوصية وإضافه الى بينكم توسعا - اذا حضر أحدكم الموت - أى شارفه كما اتفق لبديل ظرف لشهادة حين الوصية بدل منه - اثنان - فاعل شهادة - ذوا عدل منكم - وصف لاثنان - أو آخران من غيركم - عطف على اثنان أى من غير دينكم وملتكم - إن أتم ضربتم في الأرض - أى سافرتم - فأصابكم مصيبة الموت - أى قاربتم الأجل - تحبسونهما من بعد الصلاة - وكأنه قيل كيف نفعل بهما ان ارتبنا قال تحبسونهما وتقنونهما من بعد الصلاة أى صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس - فيقسمان بالله ان ارتبتم - أى ارتاب الوارثون منكم والمقسم عليه قوله - لا تشتري به - أى لا تستبدل بالمقسم أو بالله - ثمنا - عرضا من الدنيا أى لا تحلف بالله كذبا لمطمع - ولو كان - المقسم له - ذا قربي - قريبا منا - ولانكم شهادة الله له - أى الشهادة التى أمرنا باقامتها - إنما إذن لمن الآمين - ان كتمنا - فان عثر - اطلع - على أنهم - أى النصرانيين - استحقا إثما - خيانة - فآخران - أى وليان آخران من أولياء الميت وهو بديل وهما هنا عمرو بن العاص ومطلب بن أبي رفاعة يقومان مقامهما مقام النصرانيين - من الذين استحق عليهم الاوليان - أى من الورثة الذين استحق عليهم أى الأوليان أى الأحقان من بينهم بالشهادة فيصطفيهما الورثة ليظهرا كذب هذين الوصيين فالورثة يختران اثنين يكونان أحق بالميت وأولى به فيقسمان بالله أن شهادتهما أحق من شهادة الوصيين وذلك لأنه قد ظهر للناس خيانتهم

﴿ قضاء شريح بهذه الآية وانها ليست منسوخة وقضاء أبي موسى الأشعري ﴾

قال شريح من كان بأرض غربة لم يجد مسلما يشهد وصيته فليشهد كافرين على أى دين كانا من أهل الكتاب أو من عبدة الأصنام فشهادتهم جائزة في هذا الموضع ولا تجوز شهادة كافر على مسلم بحال إلا على وصية في سفر لا يجد فيه مسلما

وعن الشعبي أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقاء هذه ولم يجد أحدا من المسلمين حضر يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدا الكوفة فأتيا أبا موسى فأخبراه وقدا بتركته ووصيته فقال

أبوموسى هذا أمر لم يكن بعد الذى كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها وصية الرجل وتركته فأمضى شهادتهما

ومذهب الشافعى ومالك وأبى حنيفة والحسن والزهرى وعكرمة عدم جواز شهادة الكافر ولا فى هذه المسألة وانما أجاز أبو حنيفة شهادة أهل الفقة فيما بينهم واحتج آخرون بأن هذه السورة ليس فيها منسوخ ألبة وأيضا ماذا يفعل المسلم الذى حضرته الوفاة فى المال اذا لم يجد مسلما فهذا مضطر أن يشهد أى كافر كان اه ثم قال الله تعالى - فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما - أصدق من شهادتهما وأولى بأن تقبل - وما اعتدينا - أى وما تجاوزنا فيها الحد - إنا إذن لمن الظالمين - الواضعين الباطل موضع الحق وهذا المقام من المواضع التى ردت فيها اليمين الى الورثة لظهور خيانة الوصيين - ذلك - الحكم الذى تقدم - أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها - على نحو ما جملوها من غير تحريف وخيانة فيها - أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم - أى ترد اليمين على المدعين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة كما فى مسألة بديل - واقنوا الله واسمعوا - ماتوصون به مماع اجابة - والله لا يهدى القوم الفاسقين - فان لم تتقوا وتسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين

وإذا فرغت من المسائل الثمانية عشرة وهى التى قسمتها ثلاثة أقسام وهى المروية عن مبسرة فلا شرع فى الكلام على أن الله عز وجل (١) كيف أباح قتل الحيوان مع أنه رحيم وكيف اجتمعت الرحمة والإيلاء فى عالمنا الأرضى (٢) وبيان الحيوانات الآكلة والمأكولة (٣) وكيف كان النظام يطلب ذلك (٤) وكيف اختلف نوع الانسان اختلاف الحيوان (٥) وكيف كان الاسلام وسطا (٦) وكيف كان الله هو الملهم والمعلم بالالهام تارة والاختبار والعقل تارة أخرى (٧) وتحريم أكل الطيور النافعة للانسان شرعا (٨) وكيف سمى الله هذه السورة مائدة وبسط فيها الحلال والحرام وكيف كانت هذه السورة هى مفتاح للعلوم الحيوانية حتى يلج المسلمون منه فيعرفوا الضار والنافع بتعليم الله لهم والهامه سبحانه وتعالى واختبار الضار والنافع فيحفظون ما ينفعهم ويحذرون ما يضرهم

﴿ كيف أمر الله بذبج الحيوان وهو أرحم الراحمين ﴾

اعلم أيها الذكى العاقل الفطن أن هذا التفسير قد جعل بابا من أبواب الحكمة وبه سيصير المسلم القارى له من الذين دخلوا للحكمة من بابها . ذلك انك ستجد الاجابة على أسئلة كثيرة ترد على العقول ولقد ضل بها كثير من الناس . ولتعلم أن الانسان لا يصل الى السعادة والصفاء والجمال إلا اذا وقف على الحقائق ولكن مادام واقفا على شاطئ الحقيقة لم يهجم عليها ولم يركب سفن النجاة الجارية فى بحارها عاش جبانا جاهلا ومات غير متزود من هذه الدنيا زادا يسير به فى الحياة العقلية فى العالم الكامل بعد خروجه من السجن الأرضى الذى حكم عليه بالبقاء فيه أياما وأعواما

فمن الأسئلة التى ترد على قلوب العقلاء والفضلاء هذا السؤال . كيف يؤلفنا الله وهو أرحم الراحمين فاما أن يكون ليس أرحم الراحمين واما أن لا يؤلم من لا ذنب له وقد رأينا يؤلم الصبيان والبهائم والمجانين فأصبح الشك محصورا فى الرحمة . فأين الرحمة إذن

﴿ الجواب ﴾

اعلم أن الرحمة التى بمعنى رقة القلب مستحيلة على الله تعالى . بل الرحمة التى هى الرقة ناقصة . ألا ترى أن الطبيب يعطى المريض الدواء المر ويسقيه كل ما يكرهه ويقطع عضوه وهذه الرحمة خير من رحمة أم المريض وصاحبه التى لا ترضى له بالألم الذى يكون نعمة عليه . ولا جرم أن رحمة الأب الممزوج رقتها بشدتها خير من رحمة الأم القصيرة النظر المنعمة لابن

ولقد رأينا في أهل الأرض حالا مطردة وهي أن من صبروا على ما جاءهم من صروف الدهر وذاقوا المرّ والنصب والتعب فإن هؤلاء يسودون ولذلك رأينا الأنبياء والحكماء وهكذا عظماء الأمم في الوقت الحاضر هم الذين قاسوا ما هو مرّ المذاق والصاب والمعلم وأنواع الآلام والسجون والمشقات وأن المترفين المنعمين هم أهل الكون في هذه الدنيا الذين يسقطون في أيام امتحان نواب الدهر وحدثانه فيسقطون ويعاود عليهم سواهم من المجدين الكاملين . ذلك هو الفاموس والصراط المستقيم

ويوضح هذا قوله تعالى - فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربني أكرم من وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربني أهانن كذا الخ - ولقد تقدم تقرير هذا المقام في تفسير آل عمران عند قوله تعالى - لتبطلون في أموالكم وأنفسكم - وقرأ إذا شئت كتابا حديثا يسمى ﴿ السكوخ الهندي ﴾ ألفه أحد الفرنسيين وهو وكتاب ﴿ لفر قابس ﴾ الذي شرحته في البقرة من واد واحد وهو أن المنعمين لا سعادة لهم في هذه الدنيا وأن الذين يصيبهم النصب والتعب هم الذين ينالون حظهم وكما لهم ﴿ الحيوان منه آكل ومأ كول ﴾

اعلم أن الحيوان ينقسم قسمين قسم يأكل الحشائش والنبات وأوراق الشجر والزهر والحب كالأنعام والبهائم والغزلان والأرانب وما أشبه ذلك . والقسم الثاني لا يأكل إلا اللحم وهي الأسود والنمور والضباع والسباع فهذه الحيوانات حرم عليها أن تأكل شيئا غير اللحم وترى هذه الطائفة منها ما في الجو من الصقور والشواهي . ومنها ما على الأرض كالآساد . ومنها ما في القرب كالحيات . ومنها ما في البحر كالتماسيح والتنانين . وهذه الأقسام الأربعة هي التي تتولى نظام الحيوان ولا علم لها بهذه الولاية

وايضاحه أنك ترى أن الحيوانات التي تأكل الحشائش تنكأ وتتناسل على وجه الأرض فلو تركت وشأنها لملأت السهل والجبل ولكانت رملها تملأ الأودية والسهول فتعفن فيحصل الهلاك لها ولغيرها . لذلك خلقت الحيوانات الآكلات التي حكم عايمها أن لا تكون بلونها إلامقابر لهذه الحيوانات ومتى كانت مقابر لها أصبحت داخله في دماغها مختلطة بلحومها منقلبة إلى أجزائها صالحة للحياة لا ضرر منها على سكان الأرض اعتبر ذلك في كل ما تراه . ألا ترى أن الذباب لا يرى إلا في محال الرطوبة والأمكنة الرطبة وعند اللبائين وبائعي السمن والعلس وما أشبه ذلك لأنها تتعاطى العفونات من تلك الأماكن وتصبح أجسادها مأوى لتلك العفونات التي لو بقيت لسكان منها المضار في الهواء فيفسد وتكون الأمراض الويلة الفتاكة . وذلك الذباب وما أشبهه كالبق والفاموس يصطاده العصفور والعصفور يصطاده الخفاف والخفاف يصطاده ما هو أقوى منه وهكذا إذا مات الباز والشاميين وكل ما تصطاده ما هو أدنى منها أكلها الدود والدود يمتص الرطوبات فهي دائرة وأنها آخرها ولولا هذه الدائرة يبق حى في عالمنا الأرضي . هكذا ترى الآساد والنمور وبني آدم جميعا أكل الضأن والمعز والابل والبقر وما أشبه ذلك . ثم إن بني آدم والاسود والنمور إذا ماتوا أكلهم الدود

﴿ الأمراض العامة في الإنسان والحيوان ﴾

ثم أنك في الحياة الدنيا ترى أن الإنسان تنغبه الجي والجدرى والتيفوس والحصباء وأكثر الأمراض إنما تكون من حيوانات لا تعد لها هكذا الحيوانات الأخرى ويعرف ذلك البيطرة للحيوان والأطباء للإنسان

﴿ القاتل للإنسان نوعان من الحيوان ﴾

والذي يقتل الإنسان من الحيوان نوع ظاهري ونوع باطني . فالنوع الظاهري الآساد والنمور والذئاب والحيات وما أشبه ذلك . والنوع الباطني حيوانات صغيرة جدا تسمى (المكروبات) وهذه الحيوانات تدخل أجسامنا وتغول فيها وتحدث فينا أمراضا مختلفة بما تثير في داخل أجسامنا من الحرارة بالثورات الداخلية ويكون اختلاف الأمراض باختلاف أنواع تلك الحيوانات فها حيوانات للوباء العام ومنها حيوانات

لا أحداث مرض البول (البلهارسيا) ومنها ما تحدث الحى ومنها ما تحدث الجدرى وما أشبه ذلك وكل هذه الحيوانات تؤلمنا شدة الألم ولا يخلصنا منها ولا من أضرارها بنا إلا أحد أمرين • إما الأدوية القوية كذلك التى اخترعوها لمرض المسمى بالزهرى وتسمى دواء (٦٠٦) لأنه نتج من ٦٠٦ تجربة وإما الموت الذى يكون أرحم من الحياة معها • ثم ان الحيوانات الظاهرة القاتلة للانسان تنقسم قسمين ناطقة وغير ناطقة فغير الناطقة قد تقدمت والناطقة هى الانسان يقتل الانسان وتساعد على ذلك دياناته فانك لا تجد ديناً فى الأرض إلا حرض على حفظ النفس وحفظ الوطن وحفظ الشرف ومن الديانات ما منعت المقاتلة كالدين المسيحى ولكن الفطرة الانسانية أثبت أن تسكت على ذلك فأصبح هؤلاء المسيحيون رافعى لواء القتل والاهلاك والابادة فى الجنس البشرى • فدلنا هذا أن الحيوان والانسان ودياناته غالباً متعاونون على تطهير الأرض من ازدحام الأحياء

﴿ ولعلك تقول لماذا يكون هذا الاهلاك والقتل ﴾

أقول أعلم أن الأرض التى نحن عليها ليست أرقى عالم فى هذا الوجود بل الظاهر انها عالم متأخر بدليل أن المكشف الحديث دلنا أن هناك ما يقرب من ثمانية مليون أرض وتلك الملايين بعضها عوالم أوسع من أرضنا وألطف وأجل وأبهى وأعظم مما لاحد له • وإذا كنا نرى أن أرضنا مع ضيقها وصغر حجمها قد حوت من أنواع الحيوان ما لا حصر له فنه الدود الذى ليس له إلا حاسة واحدة ومنها القروذ المنقعة بجميع مواهب الحواس ومنها الانسان وفيه الأنبياء والعلماء وأنت لو نسبت الدود الى الانسان لم تجد هناك أى مناسبة بل وجدت بينهما بونا شامعاً عظيماً متوالياً فإذا كانت أرضنا مع ضيقها قد حوت ما بين العقارب التى تسكن التراب وبين الانسان الذى يقطن فى الأرض ويركب متن الهواء ويستخدم البخار والكهرباء فما بالك بتلك العوالم الشاسعة • تلك العوالم التى لا يعرف مدى كمالها وجلالها • أفليس من المعقول والمقبول أن يقال ان هناك حياة تكون نسبة حياتها اليها كنسبة حياة الدود اليها • أوليس ذلك أقرب لعقولنا • أوليس العقل بطريق القياس يرى أن هناك من الارتقاء ما لاحد له فإذا كان الارتقاء فى أرضنا بلغ حداً عظيماً جداً • فبالت شعري أين الدودة التى فى الصخرة وأين الانسان وبمثل ذلك نقول أين حياة هذا الانسان التى هى أشبه بالدود بالنسبة لحياة أخرى فى عالم أرقى من عالمنا فالعقل يرى أن أرضنا عبارة عن مزرعة تزرع فيها أنواع الحيوان ثم ترتقى تلك المزارع انتقالاً مجهولاً لنا وغاية الأمر أن نقيسه على ما نفعل بالزرع فان الناس يزرعون البزور ثم ينقلونها كما ترى فى الأشجار عند رجال الحدائق والبستانيين الذين يزرعون البزور فى مواضع خاصة ثم ينقلونها فتزرع زرعاً أرقى ويكون اللاحق على مقتضى السابق والآخرة كالأولى فهكذا هذه الحيوانات خلقت فى الأرض خلقاً مؤقتاً لننقل الى حال أرقى ونحن هنا لا ندري الى أى جهة تصدر تلك الحيوانات

﴿ فطرة العامة والنبوات ﴾

وهذا القياس الذى يخطر بالنفس هو بعينه ما جاء على قلوب الأنبياء وما غرس فى فطرة البشر فانك لا تدخل أرضاً ولا تاتى مملكة إلا سمعت صدى صوت هذا الموضوع والاخبار بما هو غائب عن العيون فتري كل أمة تؤمن أن بل نفوس حالاً غير هذه الحال ولم يشد عن هذا إلا أفراد فى كل أمة خلقوا للبحث فتجسروا وهؤلاء لا يؤثرون فى المجموع وإذا وجدنا قوماً زهدوا فى الطعام تديننا وتزهدنا فذلك لا يندح فى الفطرة العامة التى تطلب الطعام لبقاء الأشخاص

وليس وجود أناس يحرّمون النساء من أهل الديانات بمؤثر فى الفطرة العامة الانسانية فان فطرة اقتراب الجنسين دقة لبقاء النوع • هكذا هنا ان الفطرة قاضية ببقاء الناس بعد الموت وأن هناك حقائق لا بد منها

وأن أعمالنا تؤثر في ذلك المستقبل ضعة وشرفا . هذه عقيدة عممة في البشر كعقيدة الطعام والشراب فانكارها مكابرة والنظرة العامة قط لا تكذب هي أبدا صادقة . وإنما الخلاف في تأدية العبارات والصور الظاهرة والقشور أما الحقائق فانها لا تتغير فالطعام والشراب واقتراب الجنسين والاعتقاد بحال بعد الموت كل ذلك لم يتغير ولن يتغير والفلسفة تقول كذلك . فياليت شعري أى فائدة من هذا الوجود ما لم يكن هناك ارتقاء وحال غير هذه والا كان ذلك كله ضلالا ووبالا

﴿ أنى الاعدام رحمة ﴾

ولما كان الأمر على ما ذكر وكانت الحياة الدنيا مؤقتة وكان التناسل يوجب أن يبقى الأبناء ويعدم الآباء وأن كل جيل يحل محل الذى قبله كان الاعدام حتما لازما . ان الحياة رحمة حياة الحيوان وحياة الانسان ولكن لو عاش الانسان ٥٠٠ سنة لكانت الحياة وبالا والعيش نكدًا وأصبح على القدم ألف قدم وأصبحت الحياة لا تطاق . هذا من جهة ومن جهة أخرى نقول اذا كانت هذه الحياة مؤقتة في عالم غير متقدم بل هو متأخر فالبقاء فيها أذى وشر بل يجب الرحيل منها فكان من الرحمة والحكمة أن يساعد الأحياء بعضهم بعضا على التفانى والخروج من هذه الحياة بعد اكتساب الفضائل والتجارب فكفى أن الحيوانات قد تربت وجريت على مقدار طاقتها وهكذا الانسان بالآلام والامراض والديانات والتجارب يستعد حياة أخرى فيخرج من الأرض فكما أن كل واحد يحافظ على صحته وحياته هكذا يقوم غيره فيقتله ويفنيه لرحته ولرحمة أهل الأرض لتخلو لمن يأتون بعدنا

﴿ عقائد الانسان في أكل الحيوان وتحريمه وعاداته في ذلك ﴾

واعلم أن الانسان منه مالا يأكل إلا اللحم كقوم في الأقطار الشمالية وهؤلاء يسكنون في أما كن ثلجية ولا يعيشون إلا على حيوانات البحر وليس لديهم نبات فمائلهم إلا كمثل الاسود والنمور . ومن الانسان من لا يأكل إلا نوع النبات ولا يذوق غيره . ومنه ما يأكل الحيوان والنبات معا كأكثر أهل الأرض ولما كانت الديانات لا تخرج غالبا عن مجازاة العادات كان منها ما يحرم اللحم كالبوديين وعكسهم أهل الصين . وجاء في بعض الجرائد في ٢٢ مايو سنة ١٩٢٥ أن الصينيين يأكلون الديدان الصغيرة والنمل والضفادع يشوونها ثم يفرمونها والمفرومة منزلتها عظيمة جدا عندهم ولهم فيها صناعات تبلغ أربعين صنعة وكذلك الهرة والكلب والجرذان اه

ومنها ما يبيع لحم الانسان كبعض ديانات المتوحشين . ومنها ما يجمع بين الأمرين وجاء الاسلام بطريق وسط فلم يبيع أكل الانسان . ونظر في الحيوان فما رآه مخلوقا لا فائدة أهل الأرض كالاسود والنمور حرمه وما ليس كذلك حله فيقول - ويحل لحم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث - ويقول أيضا - اليوم أحل لكم الطيبات - فالطيبات حلال والخبائث حرام وقد جعل لذلك قانون عام وهو أن الطيبات ما استطابته النفوس الشريفة من المؤمنين أصحاب اللسان العربي ولا عبرة بأهل البادية الا ما ورد الشرع بتحريمه وما استخبثوه فهو خبيث إلا ما ورد الشرع بتحليله

وقد جاء في كتب الشافعية أنه يحرم من السباع كل ماله ناب قوى يعدو به وذكروا من ذلك الأسد والنمر والذئب والدب والقيس والفرد ومن ذى الناب الكلب والخنزير والفهد وابن آوى وهو فوق الثعلب ودون الكلب طويل الخالب فيه شبه من الذئب وشبه من الثعلب والهرة ويحرم من الطيور ماله مخلب قوى وهو للطير كالظفر للانسان يجرح به كالصقر والباز والشاهين والنسر والعقاب وجميع جوارح الطير

﴿ كيف وافق الاسلام الطبيعة ﴾

انظر أيها الذكي كيف وافق الاسلام الطبيعة وكيف حرم من الحيوان ما كان نافعا بقاؤه ايطهر الأرض

من الرمم والعفونات وأباح ذبح ما ليس كذلك كالبقرة والجاموس . أفلا تعجب معي كيف اتفق الشرع والطبع وكيف أصبحنا في زمان تظهر فيه مخبات الحقائق وتنبجلى للناظرين

يحرم الطيور الجوارح وتحرم الاسود . لماذا لأنها جارحة ثم لماذا هذا . يكون الجواب السكوت . ونحن نقول لا سكوت إن هذه الحيوانات نافعة لازالة الجراثيم والحيوانات ورعها من وجه الأرض . هذا هو السبب فثبت إذن أن ذبحنا للحيوان ليس مخالفا للطبيعة بل هو مساوق لها فان الانسان يذبح والحيوان يذبح الانسان يذبح بالحيوانات التي تدخل جسمه فتفتقرسه وتدخل فيه الأمراض وليست الآلام التي يتحملها الانسان بأقل من الآلام التي يتحملها الحيوان . الانسان لابد أن ينال حظه من الآلام أكثر من الحيوان . الحيوان يذبح مرة والانسان يذبح كل يوم بأمراضه وهمومه وأفكاره

ولذلك تجد بعض الناس يقتلون أنفسهم ومن بقي اجتمعت عليه الحيوانات من داخله فخربت هيكله تدريجيا وكل يوم تذيقه أنواع العذاب وتقطع لحمه وعروقه وتؤلمه ألما شديدا ولكن ذلك كله رحمة واسعة لما قدمنا . ان المتاعب تقوى الروح فاما أن يتعب الانسان بالنظام العام ويتألم لحفظ الصحة والنظافة والافلا بد من تعب ونصب . فنحن والحيوان سيان في تحمل الآلام وحركات المذبوح من الحيوان ليست شيئا مذكورا في جانب آلام الانسان التي تعتريه كل آن . بل الحيوان متى قطعت أوداجه اعتراه الدهول فلا يحس بألم وإنما تلك الحركات عضلية لا أثر للآلم فيها وإنما يألم الأحياء منا

ليس من مات فاستراح بميت * إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كثيرا * كاسفا باله قليل الرجاء

(النتيجة)

ان الحيوان يألم والانسان يألم والذبح من آلام الحيوان أخف من آلام الانسان بما لا يقدر . وألم كل منهما نعمة عليه تقوى روحه ولا بد لهما من حال بعد الموت - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أُم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء - ولاندرى ما هي الا ما تصوره الديانات بصور عامّة . والحيوانات الجارحة تأكل التي تأكل الحشائش لتكون نعمة على سكان الأرض بمنع العفونات والناس اختلفوا في أكل الحيوان كاختلاف الحيوان في أكل اللحوم والاسلام عدل حرم ما جعله الله لأكل اللحوم لتطهير الجوّ من العفونات . فاذن يكون ذبح الحيوان غير خارج عن الطبيعة بل هو مساعد له على الخروج من الدنيا ومن هذه الحياة على الأرض وهي من العوالم المتأخرة

(البوذية والماتوية وأبو العلاء المعري)

ما أكثر الجهل في الأمم فيأليت شعري اذا كانت هذه هي الحقيقة الناصعة فأى حجة للبوذية الذين يحرمون أكل كل حيوان لأنه تعذيب لها . وانظر لما كان يقوله أبو العلاء المعري . عرض عليه الطبيب دجاجا فقال لماذا لم يصفوا لي شبل الأسد اطلقوا سراحه فوالله ما منعهم من وصف الشبل إلا قوته وضعفنا أفلمست ترى أن هذه النظرات ضئيلة فاسدة . فيأليت شعري كيف غفل هؤلاء عما نقتله من الحيوان كل يوم ونحن أمرنا طبيا ألا نشرب ماء النيل حتى نغليه لقتل الحيوانات التي فيه . أفليس هذا قتلا للحيوان فاذا كانت شربة الماء يقتل لأجلها مئات الالوف وألوف الالوف ولا ينكره أحد في الشرق والغرب فكيف تنكر القليل مما نأكله ان أكثر الناس جاهلون

(لم سميت هذه السورة باسم المائدة - وجوب درس علم الحيوان)

اعلم أن هذه السورة حقيقة مائدة نصها الله لعباده ليأكلوا منها ما يشتهون ويتزودوا ويتعلموا لقد جعل الله الحيوان فيها على ثلاثة أقسام . حيوان يحرم قتله وهو ما كان في الحرم وما كان له

مخلب من الطيور أو ناب من حيوانات البر . وقسم يحلّ أكله وهو ما استطابته الاعراف من هذه الأمة كالأبل والبقر والغنم . وقسم جاز قتله كالكلب العقور والفأرة وهكذا بقية الفواسق الخمس الواردة في الحديث فكأن الله جعل هذه المائدة منصوبة لنا ولم يترك الأمر سدى بل أبان ما يؤمننا وجوده كالغواسق الخمس الواردة في الحديث وما يؤمننا عدمه الذي سماه بالخبائث لأنه ينظف جوّنا ويظهر أرضنا وما ينفعنا أكله كالمهايم وبقية الطيور . أولست ترى أن هذه المائدة التي نصّها الله لنا لا يصح الأعضاء عنها وهل من الأدب أن ننظر إليها من بعيد كأنها ليست لنا

﴿ كيف ساغ للمسلمين أن يناموا بعد الأولين السابقين من الأئمة الأعلام ﴾
لقد ظنوا أن الأئمة رضوان الله عليهم ماتوا قولا للقاتل في جميع العلوم ولكن فانهم أن الأئمة اعتنوا أشد العناية بما هو أمسّ بالعبادة أكالا منهم على عقول الأمة في الباقي . وإذا كنا نرى الامام الشافعي رحمه الله تعالى يقول ان الترتيب واجب في الوضوء مستنتجا ذلك من ترتيب الأعضاء في القرآن ويوجب التيمم في الوضوء مستنتجا ذلك من آية في آخر القرآن - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - ونرى أبا حنيفة يقول لانية للوضوء لأنها لم تذكر في القرآن ونرى أنهم اختلفوا في اثنتي عشرة مسألة في فرائض الوضوء ومسحوا الوجه وجميع أجزائه قطعة قطعة فما تركوا شعرا ولا بشرة ولا جفنا ولا عينا ولا عنققة إلا بحثوا ودققوا فلماذا هذا كله . للطهارة والطهارة مقدمة العبادة

فانظر كيف كان جدّهم واجتهادهم وحرصهم على الدين وعلى ارتقاء الانسان في أموره الدينية . فهلا نظر المتأخرون فيما أودعه الله في القرآن وحققوا كما حقق آباؤنا وأجدادنا . وهلا نظروا فيما حوته هذه المائدة المنصوبة في الأرض فوفوها حقها كما كان الأئمة رضوان الله عليهم يفعلون . حرّضت السنة على قتل كل حيوان يؤذينا فليبحث علماء الأمة في أنواع المكروبات القاتلة لنا قياسا على ما علم من الكلب العقور والفأرة وأمناطما ولوانا وجدنا كل ما يعقر الناس لوجب علينا قتله . هكذا يجب علينا أن نبحث في الكلاب المستترّة تحت أجسامنا وهي المكروبات والحيوانات اللرية الصغيرة ولتخصص لها الأطباء وديننا يأمرنا بذلك كما أمر نبينا صلى الله عليه وسلم في الفواسق الخمس . وهكذا إذا وجدنا أنه أبقى بعض الحيوان في الحرم وغيره أبقاه في كل مكان . وظهر الآن أن بقاءه لتنظيف الجوّ فلنقم نحن بحراسة هذه الحيوانات ولنبحث على أمثالها في الأرض . لنبحث على كل حيوان نافع لزرعنا ولتبقية ولا نأكله

﴿ حكاية ﴾

قد ذكرت في هذا التفسير أن الحكومة المصرية قد بحثت في أمر الطيور ومنعت قتل كثير منها لنفعها في الزراعة . وسبب ذلك أن المصريين القدماء كانوا قد درسوا أنواع الحيوان وجعلوا بعضها محفوظة لأنها قاتلة للحشرات الآكلة للزرع فلما دار الزمان دورته وتقلب الغرب والشرق وجاء أهل أوروبا إلى بلادنا أنسوا المصريين أخلاقهم وعوائدهم فأنهالوا على الحيوانات التي كانت نافعة فقتلوا صيدا ليتزينوا بربيشها فلما تنهت الحكومة المصرية إلى ذلك أمرت باحصاء الحيوانات الآكلة للحشرات وأمرت بحفظها وهي هذه

(١) عصفور سكسيكولا . هو عصفور ملوّن بالزرق والصفرة والسواد

(٢) العصفور المغني . هو أصغر من العصفور السابق

(٣) أبوفصاده . هو كالسابق حجما

(٤) عصفور يديت . تغلب على لونه الصفرة مع السواد

(٥) عصفور آكل الدباب

(٦) الوروار . هو في حجم الحمامة ذو منقار طويل تغلب على لونه الخضرة

(٧) الهدد . هو معروف

(٨) الكروان . هو كبير الحجم كالدجاجة ملون بلون الشفق مع السواد

(٩) الزقراق الشامي . أصغر مما قبله قليلا لسكنه جيل الشكل

(١٠) الزقراق البلدي . يقرب من السابق وللاول غرة ممتدة خلفه وتغلب عليه الخضرة من ظاهره

والبياض من باطنه . وعلى الثاني لون مختلط بياضا وصفرة من ظاهره والسواد في أسفله

(١١) القنابر وهي معروفة تقرب من شكل صغار العصافير

(١٢) أبو قردان . وهو معروف أبيض اللون طويل الرجلين والمتقار كبير الحجم

﴿ الدليل على أن هذه الحيوانات محرم أكلها ﴾

هذه الحيوانات هي التي يجب حفظها ليحفظ الزرع . ولعلك تقول هل كل هذه الحيوانات نص على تحريمها القدماء . أقول اعلم أن هذه الحيوانات مني ثبت نفعها للزراعة صارت محرما أكلها وإن لم تكن مما استخبثته الطباع . ألا ترى إلى قوله تعالى - ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما - في سورة النساء وقد قدمنا أن هذه الآية تحرم علينا أخذ التجارة الفرنجية إلا ما عجزنا عن عمله - وإلا كان ذلك قتلا لنا ومما مثل التجارة الفرنجية إلا كمثل الخوى تعطى للأطفال وفيها السم فيموتون أو كمثل الحب يرمى تحت الشبكة والشبكة تقتنص الطير بسبب هذا الحب أو كالصائد يحفر حفرة في الجبل ويغطيها بشئ من الحشائش والأعشاب فيمر عليها الأسد فيسقط فيها . فهذا معنى قوله تعالى - ولا تقتلوا أنفسكم - في مسائل التجارة هكذا هنا في الزراعة لو أننا تركنا تلك الطيور يفتك بها الجهال بعد أن ثبت لنا نفعها لأنها تأكل الحشرات فإن قتلها إبقاء للحشرات وإبقاء الحشرات موت لزرعنا وهلاك زرعنا هلاك لنا فكأننا باباحة قتل الحيوانات أبحنا قتل أنفسنا وهذا هو الجهل المبين

فليقم في الأمة الإسلامية أقوام يخصصون بالعلوم المختلفة كل فيما يناسبه وليكن للحيوان علماء من حشرات وأنعام حتى نعرف ما يضر وما ينفع فهناك من المنافع والمضار ما تجهله جهلا قاصحا وديننا يأمرنا بالبحث في ذلك ألا ترى إلى قوله تعالى هنا - تعلمونهم مما علمكم الله - وقال علماءنا تعلم الله لنا بالالهام وبالعقل فدل هذا على أن هناك علماء في الحيوان سيعرفه المسلمون . وباليث شعري لماذا يقول هنا - مما علمكم الله - فكأن هذا تنبيه على أن الله سيعلمنا في الحيوان ما لم نعلم الآن ومن ذلك التعليم ما نعلمه للحيوان الذي به نطاد غيره . فليكن في أمة الاسلام القائمة الآن علماء للحيوان وعلماء للنجوم فانا لنعيش على هذه الأرض ونحن جاهلون ما فيها

﴿ هذه المائدة حسية ومعنوية ﴾

فعلى هذا تكون المائدة التي نصبها الله للمسلمين ليست قاصرة على التزوج والتناسل والمسا كل وما أشبه ذلك فإنه لو كان الأمر كذلك لم يكن فرق بيننا وبين الحيوان . اننا خالقنا على الأرض ليكون التفاعل والتدخل بيننا وبين بعضنا وبيننا وبين الحيوان موجبا لظهور ما كمن في نفوسنا من الفطر والغرائز والأخلاق . وليس يمكن أن يتم هذا إلا بالاحساس بما هو مؤلم وبالأحاساس بما هو مستلذ فيكون ألم وتكون لذة وكلاهما ليس مقصودا لذاته . كلا

وكما ان الفتى والفتاة يقترنان لداعى الشهوة ثم يظهر في آخر الأمر أن تلك اللذة غير مقصودة وانهما معا يتحdan ويتعاونان ويجهدان في تعليم الولد وتربيته والقيام بواجباته وحبه وينسيان تلك اللذة ويفرغان من تلك الطفولية وهما مدفوعان بحب الولد وبقائه وكلاهما محب في التفرغ لسعادته وبقائه حتى يصين على تقدمه وارتقائه ويعطيانه ما يملكان ويورثانه ما يكسبان . فهكذا هذه المائدة التي أنزلها الله لنا في القرآن

وأبرزها في هذه الدنيا للعيان وفيها المآكل الحيوانية واللذات الحسية من اقتران الجنسين في أول هذه السورة لم تكن مقصودة لذاتها بل يراد النظر في دقائقها والتحقق من عجائبها والفهم لبواطنها ودرس العلوم التي أدمجت في أسرارها ويرمز لذلك بقوله - مما علمكم الله -

ولما أتم الكلام على الحيوان وآكله والنساء والتزويج بهن من المحصنات شرع يطهرنا بالوضوء ويفتح لنا باب الصلاة وكأنه يقول ان الصلاة بعد النظافة معراج تخرجون عليه لأفتح لكم كنوز هذه الأرض فارقدض عقولكم بالبحث في مآدني والتفرج على أنواع حيوانها وأسرارها وعجائبها فتعرج أرواحكم إلى وأنتم في الدنيا بالعلوم وإذا صرتم إلى كنتم في جوارى لأنه لا يجاورني إلا العلماء ولا يصل إلى ملكوتي إلا الفضلاء فإذا وقفت عند المآكل والنساء المذكورات في أول السورة وغفلتم عن العروج إلى بالنظافة والصلاة لتساروا نعمتي بمعرفتها إذا فعلتم ذلك فأى فرق بينكم وبين الحيوان

﴿ العلماء الذين سيكونون في أمة الاسلام في مستقبل الزمان ﴾

سيكون هناك طوائف لدراسة المخلوقات . واليك بيانها

- (١) علم طبقات الأرض لدرس علوم كثيرة أخصها التاريخ الطبيعي للحيوان
- (٢) علم النبات
- (٣) علم الحشرات
- (٤) علم الأنعام والآساد والطيور
- (٥) علم الانسان
- (٦) علوم السياسة
- (٧) علوم المعادن
- (٨) علم الكواكب والفلك . وهكذا
- (٩) علم الطب

وسيكون هناك مجلس عام من هؤلاء العلماء ويكون قرارهم معمولاً به في شؤون الأمة

مثال ذلك (١) ان الحيوان النافع يحرم قتله (٢) وان الحيوان الضار يجب قتله (٣) وتكون الأحكام الصادرة من هذه المجالس واجبة التنفيذ

يا علماء الأمة الاسلامية ويا أمراءها لقد أيتم في هذه السورة أن هذه العلوم أصبحت واجبة ودين الاسلام لا يزال بكراً ولم يدرس منه إلا القليل . يارجال الأمة ان آباءنا ورحمهم الله قد أدوا ما عليهم في ألف وثمانئة سنة فما نحن أولاء قد جئنا اليوم فلتكن الألف والثلثمائة سنة المستقبل للبحث في حقائق الكون التي سترت وكنت وحفظت لكم . حفظها لكم الآباء حفظوا القرآن لكم حفظوا في المصاحف كما تحفظ الأم الجنين في البطن وتخاف عليه ويزعجها أن يمس بسوء . هكذا آباؤنا حافظوا لنا على أمرين . أمر القرآن حتى سلموه لنا وأمر التحقيقات الدينية فأرونا كيف كانوا يحققون . ولقد بينت لكم هنا كيف كانوا يحققون وكيف كانوا يدققون في أقل المسائل في غسل أنف أو غسل عين أو غسل جفن كل ذلك لحرصهم وفضلهم في العلم وفي الدين . كأني بكم وقد صار فيكم محققون وأئمة في الفلك والنبات والحيوان وفي العلوم التي ذكرتها لكم انظروا كيف كانوا يستدلون . انظروا كيف كانوا يبحثون . أن الأوان وجاء الزمان وظهر الحق وسيكون الجيل المقبل من خير الأجيال علماً وعملاً

أيها الأبناء الذين ستكونون بعدنا انظروا كيف اختلف آباؤنا في آية واحدة وهي آية الوضوء وكيف وصلت فروض الوضوء إلى ١٦ فرضاً وكيف أتوا بالأدلة والبراهين والأحاديث . فكيف إذا جئتم أيها الأذكى

وبحثهم في أمر الجلال الإلهي في الأرض والسماء كعلم الحيوان الذي ذكرته لكم من سورة المائدة وكيف ترتقي العقول بارتقائه وكيف تكون في الكرة الأرضية أمم عظام . إذا كان ذلك الخلاف كله في آية في الوضوء والوضوء مقدمة العبادة فما بالك إذا عرف المسلمون في أقطار الأرض أن العلم والفكر في مصنوعات الله عبادة حقة وهي أرقى من العبادة العملية . العبادة العملية مشرفة للنفس فالصلاة معراج والوضوء مفتاح لذلك المعراج ولكن به يكون العروج . يكون بالعلوم . فإذا نصبنا سلمها وجعلنا له بابا فالسلم هو الصلاة والباب هو الوضوء ولكن العروج على ذلك السلم لا يكون إلا بدرس العلوم من القادرين والدراسة أما أن تكون للنافع كالتى قدمناها لمقتضى هذه السورة . وأما أن تكون لارتقاء الروح مع المنافع كما في قوله تعالى - إن الله فائق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي - ذلكم الله فأتى تؤفكون * فائق الاصبح وجعل الليل سكونا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم الخ - ألم يقل الله لنا - هو الذي خلق لكم ما فى الأرض - فلماذا لا تبحث ما فى الأرض جميعا لماذا لا تبحث بحثا تاما فإذا كان الله خلق لنا هذا كله فلماذا تركناه وأضعناه وعقولنا نامت جميعا نومة واحدة حتى ملكنا الفرنجة فليستيقظ المسلمون وليتعلم الخاضعون فإذا تعاون آباؤنا على آية الوضوء فلنتعاونوا على ما هو أشرف من الوضوء وما هو المقصود الأكمل وهو المعرفة وعروج النفس إلى مقامات الكمال . إن الله لا يجلس على مائدته إلا الأكبر ولا الأكبر إلا المفكرون ابتداء سورة المائدة بالحيوان وحله والنساء وحلتهن وختمها بمائدة عيسى ابن مريم وأن الحوار بين اطمانت قلوبهم بها لما أكلوا منها

إن الملك إذا مد سباطه لرعيته فتناولوا الطعام فالعامة يفرحون بما أكلوا والخاصة لا يبالون بالطعام وإنما يتعرفون بمجلس الوزراء وخواص الدولة وأكابرها ولأن أحد الفضلاء أكل على سباط الملك وحرم من التشرف بلفائه والتمتع بالشرف العظيم لرجع كليل الطرف حسيبا لعلمه أن الملك معرض عنه فويل لمن ظن أن المائدة طعام وشراب وفاكهة وحسان وإنما المائدة الحقيقية شرف العلم والوقوف على أسرار هذا الوجود لا سيما الحيوان وأنواعه لا انتفاع به - فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون - فويل ثم ويل لشيوخ حصروا تلاميذهم في دائرة ضيقة وويل ثم ويل للتالين لكتاب الله وهم به جاهلون وويل ثم ويل لشيوخ جهلوا وعلموا تلاميذهم أنواع الجهالات فصددوهم عن العلم وأنكروهم فليبك على نفسه من أضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم

﴿ اعتراض على المؤلف وجوابه ﴾

قال لى عالم فاضل لما اطلع على هذا . ان من اطلع على كلامك هذا يرى انك تحترض على أكل اللحم والا كشار منه لأنك جعلت أن الحيوان ان تألم من الذبح فألمه أقل من ألم الانسان وأبنت أن الحيوانات النورية تقتك بأجسامنا فتميتنا وجعلت ان نوع الانسان وأنواع الحيوان خلقوا في نصب وتعب للارتقاء وتقوية الأرواح وأن هناك عالما أرقى وأبنت أن الأحياء على الأرض مختلفون جميعا من أضعف حياة إلى أقواها ولا تكاد تحصى تلك الأنواع من الحياة وأن العوالم التى نراها لا بد أن تكون فيها عوالم أوسع وأعظم وأشرف درجات كثيرة كل هذا لا غبار عليه إنما افاضتك القول في اللحم وأكله يناهى ما ذكرته في سورة البقرة وأن أكل اللحم والا كشار منه مضر بالصحة فأين هذا القول من ذاك المقال

الاجابة . اعلم انى الآن أبحث في نظام هذه الدنيا وقراءة حيوانها واختلافه وأن بعض المخلوقات يأكل الآخر فأما كون اللحم مذموما أو ممدوحا فشيء آخر وهذا يرجع إلى أحوال الشخص فإن أراد صفاء النفس وقلة الأمراض فليقلل من اللحم فأما المكثرون منه فهم معرضون للأخطار كما قدمنا وإذا ترك اللحم كان خيرا وأحسن تأويلا

واعلم أن الناس إذا أكلوا اللحم فإن البهائم المذبوحة المأكولة تتحول دائما أجسامها إلى عفونات

وتلك العفونات تنقلب في الأجسام ذرات قتاله وطلا حياة فتفتك بالناس وتقتلهم - ولكن أكثر الناس لا يشعرون -
ان أكثر الأمراض في الطعام وأضر أنواعه اللحم فانه هو الذي يورث في الجسم العفونة التي تنقلب حيوانات
فاسكة تفسد هياكلها

﴿ هذا من العجائب ﴾

أليس من عجب أن نرى الحيوان يذبحه فينبينا على ذلك باعدام حياته بعد دفنه في أجسامنا • نرى بالذبح
ونأكله وهو يرى نحن بأن يكون سببا لأمراض تورث الموت أو تقربه لنخرج من هذه الأرض • وبعبارة أخرى
نعذب الحيوان يذبحه ونقطع حياته فيفعل معنا ما فعلنا معه حذوا القذة بالقذة وجزاء سيئة سيئة مثلها أفلا ترى أن
كل جزء من جنس العمل • يا عجباً كل العجب نفى الحيوان فينبينا ونذبحه فيمرضنا ونقتله فيقتلنا هو الذي
يدخل في الأجسام فيضع فيها أنواعا من الأمراض كما نص عليه الأطباء في عصرنا الحاضر ودلت عليه التجارب • ان
العذاب بعد الموت يكون بنفس العمل ونفس العمل هو الذي يفتك بنا اذ ذاك كما فتك بنا لحم الحيوان
انتهى الكلام على المقدمة في تفسير آيات الأحكام الواردة في حديث ميسرة وانما جمعناها هنا تيمنا بالحديث
الشريف وتسهيلا للمراجعة وسأحيل عليها عند ذكر آياتها فيما سيأتي في تفسير السورة • فلنبدا في تفسير مقاصد
السورة فنقول

(المقصد الأول)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ
مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا
الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا
وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ
تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ
وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذَبَحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ
تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ لِلْيَوْمِ يَعْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا
فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ
قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ
فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ *
الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ

أمر الله سبحانه وتعالى أن نفي بالعقود ونقوم بها والعقود ما يعقده الناس بينهم من عقود الأمانات والمعاملات
ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن وكذلك ما عقده الله من عهود الأيمان فيما أحل وحرم وهكذا عقد الجمين وعقد
النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة

(١) مسألة . لو نذر أن يصوم يوم العيد أو يذبح ولده وجب عليه الوفاء به عند أبي حنيفة لأجل هذه الآية
- أوفوا بالعقود - ولكن يصوم غير يوم العيد ويذبح غير ولده حلالا والشافعي يمنع ذلك ويقول لا يعقد النذر
(٢) خيار المجلس في البيع عند أبي حنيفة غير جائز لقوله - أوفوا بالعقود - فأين الوفاء مع الخيار والشافعي
يقول بخيار المجلس للحديث المخصص للآية . وهذا تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) اعلم
أن الأبل والبقر والغنم والمعز والظباء وبقر الوحش وحمر الوحش ونحوها وهي بهيمة الأنعام حلال لنا والبهيمة اسم
لكل ذي أربع من الحيوانات وإضافتها إلى الأنعام كشوب خز للبيان أي البهيمة من الأنعام . وحل هذه البهائم
إذا لم تحرم لأسباب الآنية في قوله - حرمت عليكم الميتة الخ - وإذا لم تكن الوحشية منها كالظباء وبقر الوحش
والحمر قد صدقوها وأنتم محرمون والاحرام كما اتضح في المقدمة . هذا معنى قوله تعالى ميثاق بعض العقود التي
يجب الوفاء بها (أحللت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم) أي إلا محرم ما يتلى عليكم في قوله - حرمت عليكم
الميتة - حال كونكم (غير محلي الصيد وأنتم حرم) أي غير محلي صيدها وأنتم محرمون في حال الاحرام كما تقدم
(إن الله يحكم ما يريد) من تحليل وتحريم . ثم إن الله حرم علينا أن نتهاون في الشرائع التي سنها وهي المسماة (شعائر
الله) جمع شعيرة فالشعائر والشعائر بمعنى ومنعنا أن نصنع الناس عن الحج في أشهر الحج (ولا الشهر الحرام) وأن
لا نتعرض للهدى جمع هدية وهو ما يهدي إلى الحرم من الفسائل فلا نعصيه ولا نمنعه أن يصل إلى محله وكذلك لا نتعرض
إلى الأبل والبقر والغنم التي اعتاد العرب أن يشدوا في أعناقها فلأن جمع قلادة من نعال أولياء شجر أو غيرهما يعلم به
أنها هدى فلا تعرض لها وكذلك لا نتعرض لقاصدي البيت الحرام وهي الكعبة يطلبون فضلا من ربهم ورضوانا
وهذا معنى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلاند ولا آمين)
قاصدين (البيت الحرام) الكعبة (يبتغون فضلا من ربهم) بالتجارة حال من الضمير في آمين (ورضوانا)
وإن برضى عنهم أي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم . ثم إذا كان الصيد حراما وقت الاحرام فإن الحرمة
تزل متى حل وانتهى أمر الاحرام هنا معنى (وإذا حللتم فاصطادوا) فهذا إذن لا أمر للوجوب وإنما علم أن أهل
مكة صدقوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن الوصول إلى مكة عام الحديبية لأداء العمرة فأراد المسلمون الانتقام منهم
فقال الله (ولا يجرم منكم) أي لا يحمل منكم (شنان قوم) شدة بغضهم (أن صدقكم عن المسجد الحرام) عام
الحديبية (أن تعتدوا) عليهم بالانتقام أي لا يحمل منكم بغض أهل مكة على أن تعتدوا عليهم لصدقكم عن المسجد
الحرام (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والأغضاء (ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) والبر حسن الخلق
والأثم ما حاك في الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس (واتقوا الله إن الله شديد العقاب) فاتقاهم أشد من انتقامكم
من أهل مكة وقوله (حرمت عليكم الميتة) إلى قوله (ذلكم فسق) قد سبق تفسيره في المقدمة . ونزل يوم الجمعة
بعاء العصر في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تنشق وبركت من
شدة الوحى في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة آية - اليوم ينس الدين كفروا من دينكم - إلى قوله - ورضيت

لكم الاسلام ديننا - يقول الله (اليوم) في هذا الزمن وليس يوما بعينه كما يقال يوم لنا ويوم علينا (يئس الذين كفروا من دينكم) يئسوا من رجوعكم عن دينكم ومن تحليل هذه الخبائث كما يحللونها ومن أن يغلبوكم (فلا تخشوهم) فلا تخافوا الكفار أيها المؤمنون أن يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم (واخشون) وخافوا مخالفة أمرى ولقد كنت أنزل لكم الأحكام لأوقات خاصة فكان كما لها وقتيا (اليوم) كملت لكم دينكم بحيث يصلح الى آخر الزمان بما فيه من الفرائض والسنن والحدود والأحكام والحلال والحرام وبأنه لم يحج معكم في هذا العام مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وبأنى أظهرت دينكم على الأديان وبأن دينكم لا ينسخ ولا يزول وأنه باق الى يوم القيامة وبأنكم آمنتم بكل نبي بخلاف الديانات كلها وبأنكم سلمتم من عدوكم (وأتمت عليكم نعمتي) بالهداية والتوفيق وإكمال الدين وفتح مكة وهدم منار الجاهلية (ورضيت لكم الاسلام ديناً) الاسلام الانقياد لطاعتي فيما شرعت لكم من الفرائض والأحكام والحدود

قال أصحاب الآثار انه لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم لم يعمر بعد نزولها الا احدى وعثمانين يوما أو اثنين وعثمانين يوما ولم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ ولا تبديل البتة وكان ذلك جاريا مجرى اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن قرب وفاته وذلك اخبار عن الغيب فيكون معجزا * ومما يهدد ذلك ما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على الصحابة فرحوا جدا وأظهروا السرور العظيم الا أبا بكر رضي الله عنه فإنه بكى فسل فقال هذه الآية تدل على قرب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه ليس بعد الكمال الا الزوال فكان ذلك دليلا على كمال علم الصديق رضي الله عنه حيث وقف من هذه الآية على سر لم يقف عليه غيره . ومن عجب أن خطبة الوداع كانت معترحة بهذا المعنى ألم ترالى قوله فيها ليلبلغ الشاهد منكم الغائب قرب مبلغ أوعى من سامع وقوله لعلى لألقاكم بعد عامي هذا وأخذ يوصي بالنساء وبالارقاء وغير ذلك فقوله لعلى لألقاكم بعد عامي هذا أشبه بما في الآية وقد روى أيضا أن عمر رضي الله عنه بكى بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية وفهم كما فهم أبو بكر رضي الله عنه وتوفي صلى الله عليه وسلم لاثني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة

وروى البغوي بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما يحبوه وهذا كقوله تعالى - شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم * إن الدين عند الله الاسلام - ولقد فتح الكسافي همزة - ان الدين - وجعل البصريون ذلك بدلا مما قبله كقولك ضربت زيدا نفسه فيصير التقدير هكذا شهد الله والملائكة وأولو العلم انه لا اله الا هو العزيز الحكيم قائما بالقسط ان الدين عند الله الاسلام فعلى هذا كون الدين عند الله الاسلام هو عين ان الله واحد حين كونه قائما بالقسط في تدبير ملكه وأصل الدين الجزاء وتسمى الطاعة ديناً لأنه سبب الجزاء والاسلام أصله اما الانقياد واما الدخول في السلم وهو السلام واما الاخلاص . وللآية وجه آخر في الاعراب وهو ان الدين مفعول شهد وقوله انه لا اله الا هو أى لأجل انه لا اله الا هو فيصير نظم الآية هكذا شهد الله والملائكة وأولو العلم أن الدين عند الله الاسلام بسبب انه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله حال كونه قائما بالعدل في الخلق كلها فتصير وحدانيته وتوحيد أفعاله بالعدل في هذا النظام سببا في أن الله شهد بأن الدين انما هو الاسلام وأن العلماء والملائكة شهدوا بذلك أى لأنهم شهدوا الوحدة في هذا الوجود والوحدة يصحبها العدل لأن العدل وحسن النظام أثر وحدة الخالق جل وعلا فلما علموا ذلك شهدوا أن الدين انما يكون الانقياد والاخلاص من نظم هذه الوحدة العجيبة والعدل المنتقن والنظام الكامل الذي يراه العلماء كأنه شخص واحد منتظم كامل فاذا لم يعرف علماء الأمة ذلك فشهادتهم أن الدين هو الاسلام فقدت سببها وهو معرفة حسن النظام في الطبيعة والفلك ونحوهما . ولما كانت الآيات السابقة على هذه قد ذكر فيها المحرمات خفها بقوله - ذلكم فسق - ثم أبان

بهذه الجمل الاعتراضية أن تجنب هذه المحرمات من جهة الدين الكامل . وهنا شرع يقرر أن تناول منها اضطرارا جائز بأن كان الانسان في مجاعة وليس ماثلا لاثم فلا هو آكل فوق الشبع كما قال فقهاء العراق ولا متعترض لمعصية وهو قول علماء الحجاز . وهذا معنى قوله (فن اضطر في شحمة) مجاعة (غير متجانف) غير مائل (لاثم) من أكل فوق الشبع أو معصية (فإن الله غفور رحيم) لا يؤاخذ به . ولما أتم الكلام على المحرمات أخذ يذكر ما أحل أكله فقال (يسألونك ماذا أحل لهم) فأجابهم قائلا (قل أحل لكم الطيبات) ما لم تستخبه الطباع السلية ولم تنفر منه ومنه قوله أن المستحبات حرام فالخلال والحرام تبع الاستحبات والاستطابة . وقد تقدم في المقدمة أنه يجب أن تكون لجنة اسلامية تبحث في جميع الحيوان فما نفعنا لزراعة حرثنا صيده كما حرثنا صيد الحرم وما يضرب أكله طبيبا منعناه وما خلق للنفعة العامة تركاه كما أوضحناه وإذا كانت الاستطابة والاستحبات يرجعان الى طبائع أفضل رجال العرب فلان يكونوا أطباء خير وأبقى وأمنع وأما قوله تعالى - وما علمتم من الجوارح مكابدين - الى قوله - وهو في الآخرة من الخاسرين - فقد تقدم تفسيره في المقدمة

﴿ عجائب القرآن ﴾

(زيادة ايضاح - ورضيت لكم الاسلام ديناً -)

يقول الله فيما تقدم - ورضيت لكم الاسلام ديناً - ومعلوم هناك أن كون الدين عند الله الاسلام سببه انه قائم بالعدل في الخلق والنظام فلا بقاء لأمة بلا عدل ولا نظام مؤمنة كانت أو كافرة والحيوان والمعدن والسموات والأرض لقيام لها الا بحسن النظام فأخذ يذكر هنا القسط والعدل في أفعال العباد ليكون على وفق نظام الله كما قال الله تعالى في سورة الرحمن - والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تظفروا في الميزان - فهو هناك يقول وزنت كل شيء ونظامته لأجل أن تعدلوا وتنظموا وهنا يقول - رضيت لكم الاسلام ديناً - فقوموا بالقسط والعدل الذي كان سببا في أني شهدت وشهد العلماء والملائكة ان الدين هو الانقياد والاخلاص لمن أبدع النظام فتنظموا كما نظم وتعدلوا كما عدل وتكونوا متخلقين بأخلاق الله

(المقصد الثاني)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ
مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا
صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ
وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ
عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَعَدَ اللَّهُ

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ
يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

فأما قوله (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) إلى قوله (وايتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) فقد
تقدم في المقدمة وأما قوله (واذكروا نعمة الله عليكم) من الصحة والمال والحياة وتسخير السموات والأرض
ومنها الطهارة والصلاة والأحكام الشرعية المذكورة فإن الله يذكرنا بذلك كله (وميثاقه الذي واثقكم به) يعنى
الميثاق الذى أخذه على المسلمين حين بايعهم النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العمر والميسر
والمشط والمدره (واتقوا الله) فيما أخذ عليكم من الميثاق فلان مقتضاه (ان الله عليم بذات الصدور) أى
بما فى قلوب عباده من خير وشر . واعلم أنه سبحانه ابتداء السورة بطلب الوفاء بالعقود وأخذ يذكر كثيرا
منها فمنها الحلال ومنها الحرام ثم ختمها بتذكيرهم بالميثاق مرة أخرى . ولما أتم الكلام على العهد والميثاق
فى الحلال والحرام فى بهيمة الأنعام أخذ يذكر معاملات الانسان مع الناس وأنه يجب أن يكون المرء عدلا
فى شهادته فلا يشهد لقريبه ولا على عدوه بل الشهادة تكون على وجهها . وهذا قوله (يا أيها الذين آمنوا
كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) أى ولا يحملنكم شدة بغضكم
للمشركين على ترك العدل فيهم فتعدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل ككثرة قذف وقتل نساء وصبيحة ونقض
عهد تشفيا بسبب ما فى قلوبكم (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أى العدل أقرب للتقوى وبهذا أمر بالعدل
واذا كان العدل يجب أن يكون مع الكافرين فكيف يكون الأمر مع المسلمين (واتقوا الله ان الله
خبير بما تعملون) والتكرار لزيد الاهتمام (وعسى الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر
عظيم) وقوله - لهم مغفرة وأجر عظيم - دال على المفعول الثانى لوعده ولما كان أحد الفريقين يذكر
بعد الآخر أتبعه بقوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) ثم أخذ يذكر المسلمين نعم الله
عليهم بالنجاة مما دبر لهم من الكيد . ذلك أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
قاموا بعسفان الى الظهر معا فلما صلوا ندموا على أنهم لم يفاجئوهم بالقتل مرة واحدة وهموا أن يوقعوا
بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله عليهم كيدهم . وأيضا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه خلفاؤه الأربعة
وقريظة يستقرضهم لدية مسلمين قتلها عمرو بن أمية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم وأكرموه ظاهرا
وعمد عمرو بن جحاش الى رضى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده فنزل جبريل فأخبره فخرج . وأيضا
نزل النبي صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاءه اعرابي فسل سيفه فقال
من يمنعك منى فقال الله فأسقطه جبريل من يده فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى
فقال لا أحد أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فنزل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة
الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون)
انتهى المقصد الثانى

(المَقْصِدُ الثَّالِثُ)

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ

لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ
بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ فَبِمَا نَقُضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَرَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا
قَلِيلًا مِنْهُمْ فَانْفَعْ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا
مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ، فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَسَوْفَ يُذَيَّبُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ
كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ، وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَقَالَتِ
الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ
خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَإِلَيْهِ
الْمَصِيرُ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا
مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَإِذْ قَالَ
مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَدْخُلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُمْ مُلُوكًا
وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُوتَ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ
لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا
لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ
يَخَافُونَ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ، فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ، وَعَلَى اللَّهِ
فَتْوَاكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ

وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ .

اعلم أن هذا المقصد ملأه بالعجب غاص بالحكم ذكر أخبار بني إسرائيل اذ خرجوا من مصر وكيف وعدهم الله أن يملكهم الأرض المباركة وقد أرسلوا اثني عشر رجلا منهم فرأوا الأرض المباركة فرجعوا وفي أيديهم التمر فلما رأوهم قد مدحوا تلك الأرض تركوا هذا الخبر وجبنوا وأصغوا الأقوال المرجفين المخوفين وقالوا لا طاقة لنا بقتال القوم فأبقاهم الله أربعين سنة كما سأنتقله لك من نفس النوراة فهو لاء بنو إسرائيل عصوا ربهم وجبنوا عن الحرب ولم يوفوا بالميثاق فلما عصوا أذلم الله فأبقاهم أربعين سنة ولم يدخل الأرض المقدسة إلا أبناءهم . هكذا يكون حال المسلمين الذين أعطوا ميثاق الله بقبول القرآن وأمروا في أول هذه السورة أن يفوا بالعهود فقبل لهم - يأيتها الذين آمنوا أوفوا بالعقود الخ - وسرد العقود والعهود ثم أخذ يذكر ما فعله بنو إسرائيل اذ أخذ عليهم العهد والميثاق فخالفوا العهد فخرجوا من الأرض المقدسة وهكذا النصراني لم يفوا بعهودهم فأوقع الفشل بينهم وجعلهم فرقاء تشاكسة وألقى بين دولهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وذلك لأنهم قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم مع ان المسيح وأمه وأهل الأرض قاطبة تحت رحمة الله فلو شاء لأهلك الأرض ومن عليها بأي علة من العلل السماوية أو كوكب يقترب منها فيهلكها ومن هو المسيح ومن هي أمه ومن هم أهل الأرض وما الأرض التي هم عليها إلا من المخلوقات المتأخرة التي ليست أعظم الخلائق ولا أكبر الأرضين وكما في الكون من شمس وأرض قد تبلغ ثلثمائة مليون أرض على حسب ما استتجه الانسان اليوم فكيف يكون عيسى ابن مريم الذي هو في أرض ضئيلة ضعيفة إلهما ان هذا العجب عجاب وجهل عظيم

هذه هي ذنوب اليهود والنصارى معا . ثم أخذ يقرعهم جميعا أي اليهود والنصارى ويقول أيها اليهود أيها النصارى كيف تدعون أنكم أبناء الله وأحبائه وبأي وجه تقولون هذا القول . خبروني اذا كنتم صادقين في قواكم . فلماذا يكون عقاب على الذنوب فالحبوبيون لا يعاقبون ولقد قلت لكم ان من في الأرض جميعا ليسوا شيئا يذكر في جانب السموات والأرض . أهل الأرض مغترون وأين أرضكم ومن عليها بل أنتم بشر من خلق فأغفر لمن أشاء وأعذب من أشاء . لقد طال عليكم الأمد وقست قلوبكم وطالت الأيام على أديانكم فها أنا ذا أرسلت لكم رسولا يبشركم وينذركم ثم ختم هذا المقصد بإتمام الكلام على عصيان بني إسرائيل لموسى ولم يشأ أن يطيل الكلام على النصارى لأن بني إسرائيل أصحاب التوراة وهم أصعب مراسا فقال اذكر يا محمد خبر موسى اذ قال لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أعطاكم نعماً لم يعطها أحدا من العالمين . كيف تجبنون وتخافون من دخول الأرض المقدسة فقالوا - ان فيها قوما جبارين - الخ الآيات . هذا ملخص موجز لهذا المقصد سأوضحه لك الآن من نفس التوراة ولعمرك ليس يريد الله من هذه الحكايات ولا الأحاديث سرد تاريخ اليهود ودخولهم الأرض المقدسة

ولم يرد قط سبحانه وتعالى أن يفهمنا ما فعله النصارى مجرد أخبار فلم يقصد إلا أمر المسلمين تذكريا لهم بقول الله تعالى . أيها المسلمون انظروا في أمر بني إسرائيل كيف جبنوا عن قتال الجبارين فحرمتمهم الأرض المقدسة وتمتع بها أبناءهم الشجعان ويقول كيف نظر الناس إلى المسيح نظرا لاله فمن هو المسيح وما هي الأرض

ومن أتم • يقول الله جعلت النصارى فرقا بينها حرب شعواء وقد حصل ذلك في أوروبا فقد اقتتلوا أجيالا وتحاربوا أعواما لأجل الدين والعقائد • وهذا معنى قوله • فألقينا بينهم الداوة والبغضاء • يقول الله إذا اختلف الناس في الأمور العظيمة والعقائد العالية أوقعت الحرب بينهم • كما فعلت في النصارى وإذا عصوا ربهم وجبنوا حرمتهم التمتع بالسعادة في الدنيا كما حصل من اليهود خافوا دخول الأرض المقدسة جبنًا فأوقفهم بطور سيناء مدة طويلة لا ريبهم هكذا المسلمون لما اختلفوا في العقائد ودخلت الشكوك بينهم ذاق بعضهم بأس بعض واقتتلوا على الخلافة والامامة ولما جبنوا سلطت عليهم الفرنجة لأهدبهم كما هدبت بني إسرائيل بالقيس وبقاتهم به أربعين سنة

فلمعرك لم تكن هذه القصص مجرد التاريخ وماذا يهم المسلمين من ذلك لا يهم المسلمين إلا التعقل والتفكير • أيها المسلمون كفوا عن السير الذي أنتم عليه • إن هذه القصص جاءت لكم أنتم فليقم منكم علماء وليتركوا تلك البدع والجهالات فلقد ظن قوم أنهم وصلوا للالوهية من طوائف المتصوفة وآخرون أخذوا يتفاخرون بالدين أو بالطرق التي اتبعوها وكل يدعى أنه أولى بالله ولكن الله يقول على رؤس الأشهاد إني لا أعبد بأرضكم ومن عليها فاتركوا هذه الدعاوى واعلموا أنكم عبيد خاضعون فاعملوا صالحا ودعوا الكبرياء • وإذا عرفت المقصود من هذا المقصد فتعال أسمعك ما جاء في التوراة في هذا المقام قال في سفر العدد • الأصحاح الأول • وكلم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع في أول الشهر الثاني في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلا • احصوا كل جماعة بني إسرائيل بعشائرهم • وهنا ذكر تعدادهم سبطا سبطا قبيلة قبيلة ثم قال هؤلاء هم المعدودون الذين عدتهم موسى وهارون ورؤساء بني إسرائيل اثني عشر رجلا رجل واحد لبيت أبائهم فكان جميع المعدودين من بني إسرائيل حسب بيوت آبائهم من ابن عشرين سنة فصاعدا كل خارج للحرب في إسرائيل كان جميع المعدودين ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين ثم لم يعد اللاويين منهم

وقال في الأصحاح الرابع والثلاثين • وكلم الرب موسى قائلا أوص بني إسرائيل وقل لهم انكم داخلون إلى أرض كنعان هذه هي الأرض التي تقع لكم نصيبا أرض كنعان بتخومها الخ ثم سمي في هذا الأصحاح الرجلين اللذين يقسمان الأرض بين بني إسرائيل وهما (ألعازار الكاهن ويشوع بن نون وهكذا رئيس واحد من كل سبط وذكر من سبط يهوذا (كالب بن يفتة) وقال في الأصحاح الذي قبله إن هارون مات في السنة الأربعين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر في الشهر الخامس في اليوم الأول من الشهر وكان هارون ابن مائة وثلاث وعشرين سنة حين مات في جبل (هور) وقال في سفر (الثنية) • قال في الأصحاح الأول في السنة الأربعين في الشهر الحادي عشر في الأول من الشهر

كلم موسى بني إسرائيل حسب كل ما أوصاه الرب إليهم بعد ما ضرب سيحون ملك الأموريين الساكن في خشبون وعوج ملك باشان في عبر الأردن في أرض موآب (قد جعلت أمامكم الأرض ادخلوا وتملكوها الأرض التي أقسم الرب لأبائكم إبراهيم واسحق ويعقوب أن يعطيها لهم وأنساهاهم من بعدهم) وهنا ذكر لهم أنه جعل منهم قضاة يقضون بينهم الخ • ثم أخذ يوبخهم بكلام طويل ما خصه أن الرب قال لا تخف ولا ترتعد وادخل أرض كنعان فلما سمعتم ذلك مني قلتم نرسل منا ١٢ رجلا ليدخلوا تلك الأرض ويتجسسوا فصعدوا الجبل وأتوا إلى وادي (أشكول) وتجسسوه وأخذوا في أيديهم من أثمار الأرض ونزلوا به إلينا وردوا لنا خبيرا وقالوا جيدة هي الأرض التي أعطانا الرب إلهنا لكنكم لم تشاؤا أن تصعدوا وعصيتم قول الرب إلهكم وتمررتم في خيامكم وقلتم الرب بسبب بغضته لنا قد أخرجنا من أرض مصر ليدفعنا إلى أيدي الأموريين

لكي يهلكنا . الى أين نحن صاعدون لقد أذاب اخواننا قلوبنا قائلين شعب أعظم وأطول منا مدن عظيمة محصنة الى السماء وأيضا قد رأينا بني عناق هناك فقلت لكم لا ترهبوا ولا تخافوا منهم وهكذا أخذ موسى يذكرهم أن الرب قد نظر لكم نظر رحمة في مصر فهو لا يذساكم فلم يفد الكلام فيكم فسخط الرب عليكم وأقسم قائلا لن يرى انسان من هؤلاء الناس من هذا الجيل الشرير الأرض الجيدة التي أقسمت أن أعطيها لأبائكم ما عدا (كالب بن يفتة) وعلى أيضا غضب الرب بسببكم قائلا وأنت أيضا لا تدخل الى هناك يشوع ابن نون الواقف أمامك هو يدخل الى هناك فشده الخ وأما أطفالكم الذين لم يعرفوا الخير والشر فهم يدخلون الى هناك وهم يهلكونها وأما أنتم فتحولوا وارتحلوا الى البرية تلى طريق بحر سوف

ثم ذكر هذا أن موسى رحل بهم وبقي في البرية ثمانيا وثلاثين سنة حتى فنى كل الجيل وحينئذ أمر موسى بالحرب ففعل وقابلهم ملك يقال له عوج وهو ملك باشان فغلبه موسى وأخذ أرضه لبني اسرائيل

ثم قال في الاصحاح الثالث من التثنية . وتضرعت الى الرب قائلا يا سيد الرب دعني أعبر وأرى الأرض الجيدة التي في عبر الأردن هذا الجبل الجيد وابنان لكن الرب غضب على بسببكم ولم يسمع لي بل قال لي الرب كذاك لا تعد تسكنني أيضا في هذا الأمر . الى أن قال لا تعبر هذا الأردن وأما يشوع فأوصه وشده لأنه هو يعبر أمام هذا الشعب وهو يقسم لهم الأرض التي تراها

(تذكيرهم بالنعم)

ثم قال فاسأل عن الأيام الأولى التي كانت قبلك من اليوم الذي خلق الله فيه الانسان على الأرض ومن اقضاء السماء الى اقضاءها هل جرى مثل هذا الأمر العظيم أو هل سمع نظيره أو هل شرع الله أن يأنى ويأخذ لنفسه شعبا بتجارب وآيات وعجائب وحرب مثل كل ما فعل لكم الرب إلهكم في مصر أمام أعينكم انك قد رأيت لتعلم أن الرب هو الاله ليس آخر سواه الخ وهذا كله هو وغيره تذكير بالنعم وهو ما يقوله الله هنا - اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وأما كم مالم يؤت أحدا من العالمين -

(حكمة هذه التجارب)

(في الاصحاح الثامن من التثنية)

أفاد في هذا الاصحاح أن الأربعين سنة التي قضوها في القفر لينظم بالجوع والعطش وليأكلوا الملق الذي لم يأكله آبائهم وذلك لفائدة بن الأولى انهم يعرفون انه ليس يعيش بالخبز وحده بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيي الانسان . وقال فيه فاعلم في قلبك انه كما يؤدب الانسان ابنه قدامك الرب إلهك . ثم وصف الأرض التي وعدهم بها وذكر جنتها وأعنائها وزيتها وعسلها وحديداتها ونحاسها ووصى أن لا يندس الرب وحذرهم من نسيانه اذا شعبوا وليتذكروا أن الله هو الذي أخرجهم من أرض مصر في ذل العبودية وحكم عليهم بالعطش والجوع في البرية وسقاهم من الماء النابع من الحجر

ثم قال (لكي يذكرك ويذكر بك لكي يحسن اليك في آخرتك ولئلا تقول في قلبك قوتي وقدرتي يدي اصطنعت لي هذه النعمة بل اذكر الرب إلهك) اه ما خلا مختصرا من التوراة

لنظهر لك مقصود هذه الآيات من التوراة فلا ذكر لك تفسيرها اللفظي ومطابقتها للحقائق فأقول قوله (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل) أي كما أخذ الميثاق على المسلمين فأولئك بالتوراة وهؤلاء في القرآن كما في أول السورة فهذه سورة العهود والمواثيق (وبعثناهم اثني عشر نقيبا) شامعاهم الذين أرسلوهم لينقبوا ويفتشوا في أرض كنعان من كل قبيلة واحد وهكذا في كل أمر كان يؤخذ من كل سبط واحد يقوم مقام اخوانه وهذا شرحناه فيما تقدم من نفس التوراة (وقال الله اني محكم لئن قمتم الصلاة) الى قوله (فن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) وهذا الميثاق وأمثاله أخذ على المسلمين وفي هذه السورة ١٨ ميثاقا جديدة لم

تكن في السور السابقة وقوله (فبما نفضهم ميثاقهم) مارائدة للتأكيد (لما هم وجعلنا قلوبهم قاسية) ولذلك
 (يخرفون الكلام عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به) خرفوا الكلام المنزّل في التوراة وتركوا نصيبا
 مهما منها (خائفة) فرقة خائفة (إلا قليلا منهم) لم يخونوا وهم الذين آمنوا ثم قال (و) أئمتنا (من الذين قالوا أنا
 نصارى أخذنا ميثاقهم فذسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا) من غري بالشئ لصق به (بينهم العداوة والبغضاء
 إلى يوم القيامة) بين فرق النصارى ومنهم اسطورية ويعتقوية وما كانية وفرق أخرى كالبروتستانت والارثوذكس
 اللتين ظهرتا بعد نزول القرآن ومن المسيحيين من ينكر وجود المسيح ومنهم من يرى أن هذه روايات وأباطيل وكل
 هؤلاء من نفس النصارى اتصلوا من الذين وقوله (لما كنتم تخفون من الكتاب) كمنعت محمد صلى الله عليه وسلم
 وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم في الإنجيل برابا وقد أخفى ذلك الإنجيل عمدا كما
 وضعناه في سرورة البقرة (ويعفو عن كثير) فلا يفضحكم باظهار ما كتموه عن شعوبكم (قد جاءكم من الله نور
 وكتاب مبين) هو القرآن (سبل السلام) طرق السلامة من العذاب (الظلمات) الكفر (والنور) الاسلام
 (بأذنه) بأمره (صراط مستقيم) طريق هو أقرب الطرق (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم)
 هم الذين قالوا بالانحاد منهم يعني أن الله قد حل في بدن عيسى ويقولون لأب والابن والروح القدس اله واحد وأنت
 تعرف أن هذه سرت للمسيحيين من الإنجيل الهندي فإني رأيت بعيني رأسي وقد وازن المسيحيون بينه وبين بعض
 الأنجيل فلم يجدوا إلا فرقا يسيرا بل انصرف فيه وفيه التثليث والصلب وقد كان تاريخه قبل المسيح بنحو أربعة
 آلاف سنة وستراه مفصلا في آخر هذه السورة وقوله (قل فمن يملك من الله شيئا) أي فمن يمنع من قدرته وإرادته بهذا
 بين عجز البشر واعتقارهم بأنبيائهم وأن الله من في السموات ومن في الأرض وقد تقدم ثم أخذ يوضح الطائفتين اليهود
 والنصارى إجمالا بعد التفصيل فقال (وقالت اليهود والنصارى الخ) يقول إن اليهود قالوا إن الله أوحى إلى إسرائيل
 أني أدخل من ولدك النار فيكونون فيها أربعين يوما حتى تطهرهم وتأكل كل خطاياهم ثم ينادى مناد أن اخرجوا
 كل محتون من ولد إسرائيل فيخرجون وقال النصارى إن المسيح ابن الله والمسيح منهم فقالوا نحن أبناء الله لهذا
 السبب والمسيحيون أيضا لما سمعوا قول المسيح أذهب إلى أبي وأبيكم وأيضا يقرؤون في صلاتهم يا أبانا الذي في
 السماء ليتقدس اسمك ظنوا أن البنوة كفوة الناس وأن الأب يقيمهم على فراش الراحة فقال الله لهم . كلا
 هذه ديانات تغيرت (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) أي جاءكم على حين فتور من
 الارسال وانقطاع من الوحي كراهة (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير الخ) * وقد قيل كان بين موسى وعيسى
 ألف وسبعمائة سنة وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة ثم قال (وإذ قال موسى لقومه) شرع يكمل
 قصص بني إسرائيل إذ خرجوا من أرض مصر (يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء) فأرشدكم
 وشرفكم وقد تقدم ملخصه من التوراة منقولاً من سفر التثنية (وجعلكم ملوكا) أي وجعل منكم ملوكا (وأتاكم
 ما لم يؤت أحدا من العالمين) كما قال في سفر التثنية المتقدم من اليوم الذي خلق الله فيه الإنسان على الأرض ومن أنصاء
 السماء إلى أقصائها هل جرى مثل هذا الأمر العظيم وهل سمع نظيره الخ فهذا هو معنى الآية هنا (يا قوم ادخلوا
 الأرض المقدسة) ولقد عرفتها وهي ما بعد نهر الأردن التي منع موسى من دخولها ووعد بها قاه (التي كتب الله
 لكم) قسمها لكم (ولا تردوا على أدياركم) ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة (فتنقأوا خاسرين) ثواب
 الدارين (قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين) لا تنأى مقاومتهم وقد تقدم إيضاحه في التوراة (وأنا لن ندخلها
 حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون) * قال زجلان من الذين يخافون) أي يخافون الله تعالى وهما
 كالب ويوشع (أنعم الله عليهما) بالايان والثبات (ادخلوا عليهم الباب) باب قريتهم (فإذا دخلتموها فاندكروا غالبون)
 كما جاء في الوحي لموسى

وأما قوله (وعلى الله فتوكوا وإن كنتم مؤمنين) إلى قوله (إنا ههنا قاعدون) فهو مفهوم ويقصدون من

قولهم - اذهب أنت وربك - الاستهانة بالله ورسوله فبث شكواهم إلى الله و (قال رب انى لأملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين * قال فانها) أى الأرض التى وعدوا بها (محرمه عليهم أربعين سنة) لا يدخلونها حتى ينفى هذا الجيل الجاهل الشرير (ينهبون فى الأرض) يسبرون فيها متعبرين (فلاتأس على القوم الفاسقين)

لقد فسرت لك الآيات فى هذا المقصد تفسيراً ينطبق على الحياة الاجتماعية الإسلامية وقلت ان المسلمين عاهدوا الله وبنو اسرائيل عاهدوه أيضاً . فأما بنو اسرائيل فانهم خالفوا موسى وجبنوا عن محاربة الكنعانيين فخرمهم الله ولم يدخل البلاد إلا أبناءهم . وهكذا النصارى تغالوا فى الدين وتفاخروا بقربهم من الله فجعلهم فرقا متمسكين بالح . وأزید الآن ایضاً للمقام فأقول

أيها المسلمون فى أقطار الأرض لم ينزل القرآن لمجرد التلاوة . احذروا احذروا وهذه القصص لا تقصد لغیرنا مالنا وللأمة السابقة انما قصصهم عبرة والعبرة هنا أن بنى اسرائيل قست قلوبهم وهكذا المسلمون قست قلوبهم وغلظت نفوسهم فانسكبوا على الفقه عاكفين وظنوا أن مذاهبهم هى كل شئ فى الدين ففسدوا بحال الله فى الأرض والسموات وجهلوا خلق الكائنات فأذلتهم الفرنجة لأنهم جاهلون وقتلوهم لأنهم نائمون ولما طغوا فى العقائد وتفرقوا فرقا أوقع العداوة فيما بينهم كما حصل للنصارى ثم زاد المسلمون المتأخرون فتغالوا فى الاسلام وجعلوا أن كل من انتسب اليه فهو ناج ففعلوا كما فعل اليهود والنصارى وكأنهم أيضاً يقولون نحن أبناء الله وأحبائه وهذا هو الغرور الباطل كما تقدم فى سورة النساء - ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب - فهذه الآية التى هنا وهى آية المسيح يراد بها أن لا يتغالى المسلمون فى الاغترار بالدين وانما لكل امرئ ما كسب وعليه ما اكتسب . هذا هو المقصد من هذه الآيات

وأیضا يفيدنا الله قائلا . أيها المسلمون اذا رأيتم الأعداء حلوا بإساحتكم فاعلموا أن الذى يخرجهم انما هو الصبر والقوة والجلد والعزيمة وأن يظهر جيل جديد يخرجهم وأن من يعيشون فى نعيم ونرف أحكم عليهم بالهلاك والدمار . أما أولئك الذين يعيشون فى شطف العيش فانهم أقوياء البنية يجتهدون نشاطهم ويرجعون مجدهم ويرفعون لواءهم . وكأنه يقول أيها المسلمون اذا رأيتم هذا الجيل خاضعا للفرنجة فربوا أولادكم على الشهامة والمروءة كما ربيت بنى اسرائيل فى الصحراء تقوية لأبدانهم وتعويدا لهم على الاحتمال والصبر . وان شئت فاقرأ هذا المقام فى سورة البقرة عند قوله - أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير - ثم ذكر انهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة فاقرأ هذا الموضوع هناك فانه مستوفى ولكن هنا بعض زيادات نافعة فافهم اه المقصد الثالث

(انْقِصِدُ الرَّابِعُ)

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ ، إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ، فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا ، وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنَ الْآخَرِ ، قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ، قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَآءَ بِأُخِي وَإِيَّكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى

سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ * مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَثَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ .

﴿ التفسير اللفظي لهذا المقصد ﴾

يقول الله (واقل عليهم) يا محمد (نبأ) قابِل وهايِل (ابنِ آدم) اللذين أوحى الله إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأم الآخر أي التي ولدت معه من بطن حواء وكانت حواء تلد في كل بطن اثنين ذكرًا وأنثى أما هايِل فراضى وأما قابِل فسخط لأن توأمه كانت أجَل من توأم هايِل التي حكم عليه أن يتزوجها فحكم عليهما آدم أن يقربا قربانا فنزلت نار من السماء فأحرقت قربانه فهو المقبول وهو الذي يزوج هذه الجميلة فقبل الله قربان هايِل فابتلغته النار فازداد قابِل سخطا * ويقال إن ابنِ آدم رجلان من بني إسرائيل وسواء كان هذا أو ذاك فإن الله أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتلو علينا نبأهما (بالحق) أي تلاوة ملتبسة بالحق (إذ قربا قربانا) الطرف متعلق بنبأ * وكان قابِل صاحب زرع وقرب أردأ الفصح وهايِل صاحب ضرع فقرب جلا سميئا (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) لأن قابِل غير مخلص النية (قال لأقتلك) حسدا لقبوله عند الله وزواجه بالحسنة (قال) في جوابه (إنما يتقبل الله من المتقين) فأنا بتقواي قبل قرباني فلتمجهد مثلي ليتقبل قربانك ولا تقول على إزالة النعمة عني لأن الله جعل الدنيا دار جهاد فكن مثلي ولا تعزم على اهلاكي وأنا قادر على اهلاكي ولكني لا أفعل امتثالا لأمر الله والله (لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بيأسط يدي اليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين) فأنا وإن كنت أقوى منك يمنعني خوف الله تعالى من الاقدام على قتلك فلاضعف عندي وإنما هو ديني (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) أي ترجع بعقاب ذنبي بقتلك لي وعقاب ذنبك بمعاصيك (فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فطوعت) سهلت ووسعت من طاع له المرتع إذا اتسع (له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) دينا ودنيا ولما قتله تحير في أمره ولم يدر ما يصنع به فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر بمنقاره ورجليه فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة (ليريه كيف يواري سواء أخيه) ليري الله والغراب قابِل كيف يواري جسد أخيه هايِل ولما رأى ذلك (قال يا ويلتا) كلمة جزع وتحسر (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواء أخى) أي فأستر جيفته وعورته عن الأعين (فأصبح من النادمين) لأنه ندم على قتل أخيه لأنه لم ينتفع بقتله وسخط عليه أبواه (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس) أي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص (أو فساد في الأرض) أو بغير فساد في الأرض كالشرك أو قطع الطريق (فكأنما قتل الناس جميعا) من حيث أنه هتك حرمة الدماء وأنه سق القتل وجرا الناس عليه (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) أي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع عن القتل أو استنقاذ من بعض أسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعا (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون) أي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من أجل أمثال تلك الجناية وأرسلنا إليهم الرسل بالآيات الواضحات لكي يخافوا . أسرف كثير منهم في القتل وتباعدوا عن الاعتدال فيه * سئل الحسن عن هذه الآية أهى لنا كما كانت لبني إسرائيل فقال أي والله الذي لا إله غيره ما كانت دماء

بنى اسرائيل أكرم على الله من دماننا . اه التفسير اللفظي

﴿ التفسير الحقيقي على مقدار الطاقة ﴾

بينما أكتب هذه الكلمات إذ حضر عندي فاضل من الأذكياء واطلع على ما كتبتة فقال . لم أورد الله هذه القصة وأنت تعلم أن عقول الناس ليس عندها متسع لمثل هذا وما المناسبة بين ما تقدم وبين القصة ومالنا ولآدم وبنيه ونحن في القرن العشرين فما فائدتنا والمدنية الحاضرة قد رقت الأمم ونحن نرجع إلى أشياء كانت في القرون الأولى ولا ندري ماذا فعل الزمان بها وما فائدة ذكر الغراب وحسد ابني آدم إن الشك والكفر يفرقان على عقول جميع المتعلمين الأذكياء في البلاد الإسلامية فإن لم تأت بجواب شاف فاني قلت لك الحقيقة ناصحة بيضاء . وأنت تعلم أن ديننا هو آخر الأديان والله يظهره على الدين كله . أمثل دفن الغراب يظهره على الدين كله وهذا عصر الكهرباء والبخار والطيارات والمجاثب والكشف الحديث فأين العلوم وأين المعارف وأين عجائب القرآن

فقلت له . لو لم يكن في القرآن سوى هذه القصة لكفت في الاعجاز والسوق إلى ما فوق المدنية الحاضرة إن هذه القصة لا تنفع بالمدنية الحاضرة أنها ترمي إلى أشياء لم يعلمها البشر هي تشير إلى أن الناس نائمون وبالفكر في أمثال هذا القول يستيقظون . هذه الآية فتحت باب السعادة الإنسانية والمحبة الأخوية والمودات الآدمية والاخلاص واشراف القلوب ونزع ما في الصدور وارتقاء سائر نوع الانسان مسلمين وغير مسلمين ولكنها في الوقت نفسه توجب المسلمين أشد توبيخ وتقرعهم أعظم تقرع وتطلب من النوع الانساني أن يصل إلى منتهاه وأن يرقى إلى أقصى مداه . فقال ذلك الفاضل إن ما تقوله لي الآن أشبه بأقوال الصوفية في هذا العصر الذين يحذون الدين ولا يأتون سرًا من أسرارهِ ولا نبأ من أحواله وانما هي كلمات يتلفقونها وأقوال يزخرفونها ككبرا عن كابر وإذا سألتهم . أين تلك العجائب ظهر عجزهم وضلوا سواء السبيل فافصح ما قلت . فقلت

﴿ الاجابة عن السؤال ﴾

ألم يتقدم في هذه السورة الصيد حلاله وحرامه وحل النساء قال بلى قلت ألم يذكر فيها اليهود والنصارى وكيف تغالوا في الدين وأن الاسلام قد جاء لاصلاح ما أفسده الزمان من العقائد والمغالات في الدين بألوهية الأنبياء أو بغفران الذنوب مجانا لا تنساب الناس إلى الدين قال بلى . قلت أولم أقل ان المسلمين لم يذكر لهم هذا إلا ليحترسوا من ذلك التفرق وقد وقعوا فيه فتفرقوا واقتتلوا كما اتت بل النصارى ورجعوا إلى اتوا كل واعتقاد الغفران لأجل الدين كما فعل أهل الكتاب قال بلى . قلت له إن الله جاء بهذه القصة التي هي من جملة القرآن لتكون بلسم يداوي به جراح الأمم الإسلامية في هذا الزمان وفي مستقبل الزمان . هذه القصة قصها الله لهذا . فقال وكيف ذلك . قلت أنت تعلم أن الفطرة الإنسانية فيها غريزتان لا ينفك الانسان عنهما ولا يعيش الا بهما . احدهما انه يحب أن يختص وحده بكل مكرمة ونعمة فهو أبدا يحب أن يكون له السبق والفضل في كل شيء . في المال . في الجمال . في العلم . في الملك . في الشهرة . في الجنة في عالم الملائكة . في كل ما يسمعه أو يقرؤه . وثانيهما انه يحب من حوله ويود لو يكون معه قوم كثيرون ليساعدوه في أموره فهو اذن بين متناقضين في الغريزة أولا الاختصاص وثانيا الاجتماع ولا اجتماع الا حيث يكون الناس لهم حياة والحياة ذات مزايا كثيرة . فالانسان لما كان روحا عالية شريفة أحب الانفراد بالعلو ولما كانت تلك الروح تنزلت إلى عالمنا الأرضي الضعيف المتأخر وسكنت هذه البنية احتاجت البنية إلى المساعدة من الأهل والأقارب وأهل الوطن وسائر أفراد الأمة وجميع الأمم ومئات الغريزتان أبدا تمجدان لان في الانسان فان غلبت الأولى وقع الانسان في الظلم والحسد والكبر وأمثالهما وان غلبت الثانية ربما أضرت

بنفسه وتترك الى المذلة والصغار واستسلم للفقر والاحتقار فان اعتدلا اعتدل الانسان وسار سيرا حسنا في حياته مع الناس أجمعين

فالحاجة الى اجتماعه بأبناء جنسه حتمت على مزايها شريفة كثيرة كالندم على ما يفرط منه لهم والحزن والسكابة عليهم ومساعدتهم في السراء والضراء وما أشبه ذلك . فهذه المزاي مغروسة في نفوسنا ثابتة لا يزحزحها فلسفة ولا يبعدها زخرف من القول زور

والعقل الانساني هو الذي يتصرف في هاتين الغريزتين ببصيرته حتى لا تطفئ إحداها على الأخرى فلاحب الانفراد يعمينا عن المساعدة الأخوية ولا المحبة الأخوية تصدنا عن حفظ أنفسنا والعمل لاسعادها قال بلي ثم ماذا قلت وأنت ترى أن هذا العقل المتصرف في هاتين الغريزتين ينظر فيما حوله ويتعرف عجائب هذه الدنيا فيدرس نظامها ويتخذ لنفسه من كل شئ أحسنه فاذا رأى النبات زرعه وجد في انماؤه أو الحيوان اجتهد في تدليله وتعلم من صناعته فنسج كالغسكبوت وطار في الطيارات كالطيور وسبح في البحر كالسمك وصنع القناطر على البحار كما تصنع القروء من أنفسها بحيث تجتمع تحت شجرة على شاطئ النهر ويأتي أحدها ويتعلق بالشجرة ويمسك به آخر وهكذا يمسك بعضها ببعض فيصير منها شبه جسر طويل متصل ببعضه ببعض ثم يأتي أسفلها ويمتد رأسه الى جهة الشط الآخر وتتجه جميع القردة المتصلة بعضها ببعض الى الشط الآخر فما أسرع أن يصل القرد الأسفل الى شجرة من الجهة الأخرى من النهر ويمسك بالشجرة ذلك القرد الذي كان أدنى وهذا تمت القنطرة التي تصنعها القردة محبة بوضع هندسي ثم تمر القردة الصغار على هذه القنطرة وهم يتغامزون ويضحكن ويحجرين فوق تلك القنطرة القردية فاذا انتهى المرور ثبت القرد الذي في الشط الآخر في مكانه فوق الشجرة متمسكا بها وأزل يديه القرد الذي تمسك بالشجرة الأولى في الشط الأول ومتى ترك الشجرة رأيت هذه القنطرة كلها أصبحت صفا واحدا في الشط الثاني معلقا في القرد الذي استمسك بالشجرة الثانية . حينئذ ما أسهل أن يجري كل واحد في الأرض الفضاء آمن مطمئنا

واذا رأى الرياح والتمل والحشرات تلحق الزرع ولا علم لها به فليقم هو باللقاح ليزيد النماء والخير والبركات . واذا رأى الشمس والكوكب أضاءت له السبل فانه يقلد الطبيعة ويأتي بالسرجه التي توقد في منزله وهكذا يتعلم الانسان مما حوله كل ما استعنت له نفسه من السعادة . أليس كذلك قال بلي قلت لننظر في الآية الآن أليست هذه الآية جاءت للبحث في الفطرة الانسانية الخاصة من كل شائبة . أليس قتل قابيل لهابيل راجعا للغريزة الأولى قال بلي قلت أليس استسلام هابيل لقابيل راجعا للاستسلام للعاطفة الثانية وانكار الذات كل الانكار قال بلي واني معجب بهذا القول وأول مرة سمعت هذا في تفسير هذه الآية . قلت أليس هابيل لما استسلم للعاطفة الثانية كان جزاؤه القتل من أخيه قال بلي وهذا لا يرضاه ديننا وان كان دين المسيح يرضاه ومع ذلك نرى المسيحيين تركوا هذا كله . قلت أليست ترى أن الغريزة والفطرة قد أوجبت عليه أن يقدم ويحزن وقد حار في أمره قال بلي . قلت ولما لم يهتد الى مسألة الدفن جاء له الغراب فأراه الدفن قال بلي . قلت أليس هذا هو فعل العقل وأنه يجب أن يسيطر إما بالتعليم وإما بما يحدثه الله للانسان من الحوادث التي توقعه في النكبات فتنتفع ببصيرته للفهم والتعقل فيدرك الحقائق . واذا رأى قابيل غرابا يبحث في الأرض وقت حزنه فقلده ودفن أخاه فكأن رأى من غراب وحية وأسد ونملة ونحلة وهو يطالع على عجائبها كل يوم ولا يفكر ولا يعقل ما تفعل ولكن لما وقع في النواذب استعمل عقله فتعلم مما حوله وهو الغراب . قال هذا كلام حسن وجيد . قلت له فانك قال الله إن عاطفة الانفراد لما تغلبت على عاطفة الاجتماع وأصبح الناس يقتل بعضهم بعضا وغلب الظلم عليهم قديما وحديثا حتى نسوا عقولهم ولم يفكروا في أمرهم كتبنا فيما شرعنا في كل دين من الديانات أن القتل آثم عظيم وأن حياة الانسان شريفة

قال لم يقل الله ذلك فأوضح . قلت ألت تعلم مما ذكرناه في أول سورة النساء أن الناس على وجه الأرض كأنهم شخص واحد وأن بنى آدم على ظهر الكرة الأرضية متضامنون وإن لم يعلموا متعاونون وإن لم يعرفوا . وعندى أنه لا فرق بين النحل وتلقيحها الأشجار وهي تجهل ذلك أثناء شربها العسل من الزهرات وبين الإنسان فإن كل أمة تخص سائر الأمم وهي غالة عما تفعله بل تحارب كل أمة الأخرى وهم جميعا غافلون نائمون لا يعلمون أنهم بهذا يتقصون الثمرات التي هي خير للجميع . قال أوضح قلت انك ترى أن القطن في بلادنا المصرية لو حصل في بلاد الصين أو اليابان نسكية وفقر ولم تأخذ من قطننا أفليس ذلك يكون نسكية علينا قال بلى . قلت إذا لم تأخذ نحن معاشر المصريين الشئ الوارد من الصين أو البن الوارد من اليمن أو الثياب المصنوعة في أوروبا . أفليست كل تلك الأمم تتأثر وتنقص ثمراتها بنسبة عدم شرائنا قال بلى . قلت أفليست ترى هذا الإنسان المسكين تحارب كل أمة منه الأخرى وتقتل رجالها وهم لا يحفلون بتلك المساعدة الخفية قال بلى . قلت فالفيلسوف في الصين والهند وفي أوروبا والمخترع من هذه الأمم يؤثر في أمة مباشرة وفي الأمم الأخرى اما مباشرة واما بالواسطة . قال وكيف ذلك قلت فالذي اخترع قطار السكة الحديدية والتلغراف والكهرباء وأمثالها أثر في أمة وفي الأمم الأخرى فعلا قال نعم . قلت لكن العالم والمدرس والمهندس وأمثالهم يؤثرون في أمتهم فينفقونها وأمتهم عضو من سائر الأمم تفيد في المجتمع قال نعم . قلت إذن العامل الصغير والفلاح والمزارع كل له عمل في أمة وأمة لها فائدة في جميع الأمم اجمالا . قال هذا حق . قلت هذا معنى الآية

يقول الله لما نحلى الإنسان عن عقله وترك الكبرياء والحسد يطغيان عليه تارة فيقتل سواه وتارة أخرى يقع في الهلكة ولا يستطيع عقله للتفكير إلا بعد ما يذوق الشدائد كما اتفق لقابيل . أرسلت رسلا وعلمت الإنسان بواسطتهم لأن غريزة الإنسان قد يتركها لهواه وتقوم الشهوات عقوله تنويعا مغناطيسيا فلا يستطيع للتفكير إلا بعد حاول التوائب وما قلته في ذلك التعليم - أن من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا - لأن الإنسانية متضامنة وهو عضو منها - ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعا - ومثل هذا يظهر في النابغين والمخترعين الذين يظهر فضلهم لسائر الناس وينفعونهم جميعا ولكن غير النابغين لا يتقطن لمنفعتهم للإنسانية إلا الاقلون

فعلى ذلك يكون كل من قتل من الناس تعطلت منفعته عن العموم وكل من بقي فنفعته للعموم . قال هذا حسن ولكنه خفي على أكثر العقول

قلت فإذا قال الله في أول السورة أن من الصيد ما هو حلال ومنه ما هو حرام وقال أحلت لكم صنف كذا من النساء فقرر قال هنا . أيها الناس أنتم أخلقكم لأجل اللذات ولم تحموا للشهوات وإنما هذه مقدمات يراد بها الحياة فإياكم أن تشغلكم شهوات الصيد عن عجائب الطبيعة وغرائب الطبيعة كما ترون في غرائب الغراب من آيات الله والحكمة وكيف تعلمتم منه ومن غيره من الحيوان فاحذروا أن يلبيكم أكل الحيوان وصيد عن الحكمة والعلم فيه وكيف يهيككم هذا وقد قلت لكم أن ابن آدم دعا بالويل والثبور وقال كيف جهات علم الطيور ولم أعرف حفر القبور فعلى عقولكم فلتبكو وعلى ضياع غرائزكم فلتحزنوا وكأنه يقول إذا أحلت لكم النساء فليس معناه أن تغفلوا عن العدل كما غفل قابيل فقتل أخاه لأجل امرأة ولكن اعدلوا في أعمالكم فتنظم جماعاتكم وادرسوا علوم الطير والأنعام لتنالوا سعادة الحياة والمات

وإذا قال الله ن اليهود والنصارى أفرطوا وأسرفوا في عقائدهم وقلنا نحن أيضا إن المسلمين قد لحقوهم فيما وقعوا فيه فقلوا فقد قال الله هناك أيها الناس ارجعوا إلى العقل والتفكير وليرجع الناس لعقولهم وبفكروا

وكما أن قابيل تنبه إلى فعل الغراب بعد الآلام والندم . هكذا من أصابهم العطب ونزل بهم الشقاء من الأمم فليفرعوا لعقولهم وليفكروا فيما حولهم وليتأملوا فيما خلقته لهم . إن المسيحيين لما مسهم الضرر بسبب عقائدهم العتيقة جاء الاسلام ففث وفعل واستنارت عقولهم بسببه فأما الاسلام فإن أهله أصابهم الغرور

وناموا نوما عميقا فنبههم الله بالمصاب والكوارث وقد جاء دورهم فلينبهوا

﴿ نداء لأمة الاسلام ﴾

هذا هو الذي انشرح له صدرى يا أمة الاسلام . أقول لكم وأنا ملزم أن أقول لكم . أقول لكم كيف يقول الله على لسان ابن آدم - يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب - كيف دعا ابن آدم بالويل والثبور لجهله وكيف يقال ذلك المجرد حكاية . كلا . هل يظن المسلمون أن القرآن يأتي لمجرد الفكاهة . كلا . ثم كلا وانظر كيف يقول الله - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه - الله هو الذي يقول بعث غرابا يعلم ابن آدم ويريه كيف يواري سوءة أخيه -

أيها المسلمون ان الأمر عظيم تضعع المسلمون وضعفوا وبانجياتهم إلا بهذه القصة وأمثالها . هذه القصة تقول ان ابن آدم لما ندم على تربيته عقل وفهم عن الطير وأنا أقول الله يريد أن يعلمنا علم مافى الأرض والسماء وما الغراب إلا ضرب مثل وما الحكاية إلا رمز . رمز حقا حقا وليس القصد منها لفظها وإذا كان شرّاح كتاب كذيلة ودمنه ولوزير الفارسي وكذلك ابن المقفع يقولون ان الحكايات الخرافية التي فيها تكون نسيمة للعامة وعلماء وحكمة وسياسة وفلسفة للخاصة أفلا يكون كتاب الله تعالى أولى بهذا فإذا كانت الخرافة تجعل رمزا للحكمة والفلسفة فما بالك بكتاب الله الذي قال انه سيظهره على الدين كله

إذن المسألة أكبر مما نظن وأعظم مما نفهم والمسلمون اليوم لهم حصن يلجؤون اليه وملجأ وهو التفكير والتعقل والفهم وجميع العلوم أصبحت هي نفس الدين ولم اختار الله الغراب في التعبير . الغراب من الحيوانات الفواسق التي ورد الشرع بجواز قتلها كما تقدم فإذا كان ابن آدم اذا أخطأت فكرته يرجع الى الحيوان بل الى أقل الحيوان احتراماً في الدين الاسلامي فكيف يكون الفكر في باقي الحيوان وفي علوم الأمم وصناعاتها . نحن أمرنا الله أن نعرف علم الحيوان بل أدنى الحيوان فما بالك بعلم الانسان

فلأقل أنا أيها الاستاذ لك ولتقل لي يا ويلتنا أعجزنا أن نعرف ما تعرفه الأمم التي حولنا فنواري سوءة أمنا الاسلامية فأصبحنا من الغادمين . أعجزنا أن ندرس جميع العلوم ونعرف كل ما خلق الله ليرينا الله ككمال غرائز الحيوان ولكن الانسان يخطئ ولذلك نرى الانسان يتعلم من الحيوان وتعلم ابن آدم من الغراب فالحيوان غريزة كافية لحياته والانسان تدنس الشهوات غريزته وبعد ذلك يتعلم من الطبيعة بتعليم الله . هكذا يقول الله - ليريه - فهو خلق لنا ما حولنا ليعلمنا ولم يخلق له لصطاد منه فقط بل خلقه للتعليم وكأن الله يقول هل ذكرت في هذه السورة أن ابن آدم قال يا ويلتنا على ضياع صيد أو ضياع الشهوات بل دعا بالويل للجهل بالامور الطبيعية . هكذا يعلم الله بالقرآن ويرشد أمة الاسلام . وإذا كان الله يعلمنا بالغراب أفلا يعلمنا بما هو أقرب اليها من الغراب وهم الأمم التي حولنا . هكذا يقول الله تعالى . يقول لا تجهلوا ما حولكم مما علمته للامم وما خزنته في الطبيعة ورمز لذلك بتعليم الغراب

قال صاحبى ولكن الناس يقولون ان غرامك بالطبيعة وعلومها جعلك قلح في هذه الآيات وتأتى فيها بما هو بعيد عن الآية فهل هذا كله يترتب على قول الله - ليريه كيف يواري سوءة أخيه - قلت فاسمع غيرها قال الله تعالى - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى ليكمل عبد منيب * ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقا للعباد - فانظر كيف ذكر أن هذه الأشياء تكون تبصرة وذكرى وتكون رزقا للعباد وقدم التبصرة والذكرى على كونها رزقا للعباد وهذا يدل على عناية الحكمة الالهية في القرآن أن يتفكر الناس في علوم الطبيعة والمخلوقات

فقال ولكن هذه الفكرة مفهومة من سبعة وخمسين آية كما قلت أنت فما الداعي إذن لاستخراجها من قصة كهذه

فقلت المجاز أبلغ من الحقيقة وهذه القصة متى عرفها المسلمون على الوجه الذي ذكرناه وبالشهج الذي سلكناه ثاروا في وجه الجهالة وقاموا للعلم قومة رجل واحد لأن الأمة ليست على بينة من هذا فهذا القصص دلالة أفصح ومنافعة أكمل وتأثيره أشد وفعله أوقع في النفوس وأذهب للبؤس وأجلب للفهم وأقرب للعلم وأدعى لرجوع الأمة الى كمالها ونهوضها الى شرفها العظيم

﴿ نداء الى علماء الاسلام ﴾

حرام على علماء الاسلام أن يذروا الأمة تتخبط في ديجورها وحالك ظلامها . ألم بأن لكم أيها العلماء أن ترشدوا الأمة لكمالها . ألم بأن لكم أن تهديهم الى الصراط المستقيم . انظروا كيف استنبط الامام الشافعي رحمه الله من آية واحدة من القرآن واردة في غزوة من الغزوات وهي - فاعتبروا يا أولى الأبصار - ربع الدلائل الفقهية وهو القياس وكيف جعل أبو حنيفة الاقتصار على الأعضاء الأربعة في آية الوضوء دليلا على أنه لا يجب على الانسان غيرها وكيف جعل الشافعي الترتيب فرضا لأن الآية ذكرت الأعضاء على هذا النمط . وانظروا كيف كانوا يدققون في كل صغيرة وكبيرة فهل نام الذين بعدهم وهل عموا وصموا فلم ينظروا في القرآن ليسدوا هذه الثلمة الاسلامية والحوادث الحربية والمصائب الأوروبية الواقعة على الأمم الشرقية فاذا كان أئمتنا بهذه الدقة . فما بالنا أصبحنا نأمن هل على الأعين غشاوة أم في القلوب مرض . عجب للمسلمين وأى عجب كيف تمرّ عليكم أيها القوم هذه الآية . يقول الله بعثت الغراب ليمحّث في الأرض ويعلمكم وأن ابن آدم تألم لجهله بما علمه الغراب فكيف يمرّ هذا القول عليكم وأنتم نائمون . أين أنت يا با حنيفة وأين الشافعي ومالك فليحضروا ليستفتحوا لنا من القرآن فقد فترت الهمم وماتت الأمم ولم يبق إلا الرم

لو كان الشافعي حيا وأبو حنيفة ومالك ورأوا ما نحن فيه لاجتهدوا لنا في الدين ولألزمونا بقراءة نظام العالمين كما عرفونا الصلاة والركوع والسجود والزكاة وأكثروا المعاملات لو كانوا يعلمون أننا سنكون على هذه الحال لألفوا لنا في هذه الأمور كتباً كثيرة ولكنهم ما كانوا للغييب بعالمين

نعم ألفوا لنا في العبادات لحفظوا أئمتنا في داخلها فجزاهم الله خيرا ولو أنهم اطلعوا علينا في هذا الزمان لأفهمونا أن علوم الكائنات أولى بالرعاية وأحقّ بالتعقل وأولى بالفهم والتوحيد أفضل من العبادات . نعم ورد عنهم مثل هذا ولكنه لم يكن له أبواب وفصول والحق أن علوم الكائنات أفضل من العلوم الفقهية لأنها دالة على الله عز وجل ولأن فيها نظام الأمم وحياتها فأصبح اليوم علم التوحيد مأخوذا من الطبيعة وحياتنا موقوفة على الطبيعة وتفسير قوله تعالى - فبعث الله غرابا يمحّث في الأرض - متوقف على الطبيعة فليقرأ المسلمون علم الكائنات ليقرّبوا من ربّ البريات فذلك خير لهم وأحسن تأويلا

﴿ الخزان الحديدية في القرآن ﴾

لقد خزن الله في باطن الأرض الفحم واستخرج به الانسان الآن وخزن البترول والنفط والحديد والذهب وخزن الكهرباء في الجو والماء والأرض وفي كل شيء وكذا البخار . كل ذلك خزّنه الله ولم يطلع عليه الناس إلا شيئا فشيئا وليس الخزن معناه الاختفاء . كلا بل يكون الشيء أمام أعيننا ولا نعقل له معنى . فالبخار كما نراه وأنه يعيل الى الصعود ولكننا ما فكرنا في منفعته والسّمك المسمى بلرّعاد كما نحسّ بكهر بائيته ولكننا كنا عنها غافلين . هكذا القرآن قد ظهر لعامة المسلمين والعلماء السابقين منه الأعمال الشرعية والتكاليف الدينية . أما الحكم الكونية والمعجائب الالهية فقد كان المسلمون عنها غافلين اللهم إلا أكابرهم وما كان المسلمون لهم بصغين ولا نقولهم سامعين . وهامى ذه آية الغراب وكيف ذكرها الله في القرآن وقال في

هذه السورة قولين في هذا المعنى . القول الأول - تعلمونهن مما علمكم الله - والثاني قوله - يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورى سواة أخى فأصبح من النادمين - فتارة يقول لنا علموا الحيوان مما تعلمتم من الله وكلوا مما أمسكن عليكم وتارة يقول قلموا من الطير ويقول ابن آدم يا ويلتا أبلغ الجهل بى والحق أن أكون أدنى من الحيوان علما وأقل منه فهما وأنزل منه شرفا

ألمست ترى أن هذه خزائن أودعت فى القرآن وأفظلها الله كما أقفل خزائن البحار والسكهرباء ونحن نراها فهذه الآيات تتلى والمسلمون يأمنون حتى إذا جاء الأوان وساعد الزمان وظهر نوع الإنسان وبرع فى الاتقان فتج الله هذه الخزائن المقتلة الحديدية وأرانا عجائبها وأطلعنا على جواهرها وقال قولوا لاخوانكم المسلمين ان هذه العجائب من دينكم والتفكر فيها من أعظم عباداتكم - وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - ولقد خزننا أمثال هذه القصة لأمثال المسلمين الآتين بعدكم وهذا أوان مجدمكم واشراق شمسكم

فيمتوا للناس تبيننا وزينوا لهم ما زيناه وأظهروا لهم ما خزنناه فهذا أوانه وليقم فى كل أمة مصلحون وفى كل إقليم مجددون فانثروا العلوم وأبرزوها للعموم وإذا كان بعض السابقين لم يكن لهم من هذا حظ عظيم فلقد أذن الله ببلوغ المسلمين درجة الايقان وارتفاع الشان وقد كانوا بالجهل كسفار الأيتام فلما أذن الله بانشرح القلوب للعلوم صاروا أهلا لنيل ما خبأ لهم واستعدوا لاستثمار ما غرسه لهم إذ صاروا بالفهم كالبالغين ان الله لا يعطى إلا المستحقين ويمنع من لا يشكرون النعمة وليس يشكرها إلا من يعقلها والله هو الولي الخيد ﴿ فتج الخزائن القرآنية والتفرج على عجائبها الحكيمية ﴾

(فى الطيور)

لقد كنت ألفت كتابا سميته (جلال العالم) منذ ٢٢ سنة وذكرت فيه من كل نوع من أنواع المخلوقات عجبا . فها أنا ذا أيها اللبيب أقص عليك منه ما يناسب المقام وأذكر عجائب بعض الطيور لتفترج على خزائن الله التى أذن باظهارها وفتحها لأبناءنا المسلمين الذين سيوقنون أن الدين الاسلامي جاء لكشف الحقائق واظهار الدقائق وابرار العجائب ولتعلم أن أعظم المخترعين وأكبر المفكرين وأهم الذين ينفعون النوع الانساني سيكونون من المسلمين لا يقانهم أن العلوم الطبيعية قربى الى الله وهى علوم ترفع فى الدنيا والدين وأن كل مخترع ومدقق وكاشف ونافع للأمم جميعها بالعلم خليفة الله وهم أولى بهذه الخلافة . فلا تسمعك ما جاء فى ذلك الكتاب

(الكلام على الطيور)

فقال صاحبي لقد اتضح لى السبب وعرفت الحكمة وفهمنا الحيوانات وعجائبها فأرجو أن تذكر كلاما على الطيور وغرائبها وما أودع فيها من الحكم فقال ان الله قسمها قسمة عادلة كقسمة الحيوانات التى على الأرض فجعل منها الآكلة والمأكولة وترى الصقور والشواهيى والبزاة واليوم والغربان قد خلقت لها المناقير الملتوية والمخالب المعقربة والريش الطويل فى الأجنحة والأذنان وهذا الأخير ليكون موازنا لأجسامها ليتمكنها أن تديرها كدفة المركب وذيل السمكة اذ لا يمكنها أن تستدير بمنة أو بسرة الا بتحريكه ضد ما تريد (أنظر كتابنا جواهر العلوم) وحذب مناقيرها لثلا تصادم الرياح فتعوقها عن الطيران اذا كانت عريضة وأعطيت حواس قوية حتى يمكنها أن ترى أقل شئ فى الأرض على بعد عظيم وتشم الرائحة من أبعد مكان ولها من السرعة ما لا يخطر بالبال حتى ان الصقر ليطير فى الساعة أكثر من مائة ميل وقد يحمل الأرنب أو الجمل أو الطفل وعلى ذلك ربما لا يزيد وزن الطائر عن نحو اثني عشر رطلا

(لطائف عن الطيور الجارحة)

ولندكر غرائب الخناش والغراب واليوم ليكون مجلسنا هذا جيلا فلانذكر فيه الا ما جل من الحديث وليكون تذكرة للعقلاء وسواة للحكماء وتنبها للنهباء ويرى الشبان الأذكياء ما لم يكن ليخطر على بالهم من

العجائب التي يراها أئمة الناس ولا يفقهون لها معنى وكيف جهلناها وأعرضنا عن العلم فأعرضت المدينة - ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا * ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى * وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى - فإذا قرأت ما يأتي من غرائب الطيور وفطنت الى ما سئد كره من الحكم ثم نظرت الأئمة حولك كيف أعرضت وجهك تعرف سرا من أسرار القرآن وكيف سمي هذا نسيانا وظن العامة منا وكثير من الخاصة أن المدار على أن يقول أعرف الله بلسانه وهو يجهل ما حوله من الكائنات ومنافعها - أفلم ينظروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض - ثم هتد فقال - ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء - إشارة الى الدلة التي تحيط بالجاهلين * وانشرع فيما وعدنا فنقول

﴿ الخفاش ﴾

لا يعد الخفاش من الطيور الا تساهلا اذ لا ريش له ثم هو لا يرى الا ليلا لقوة عينيه فيجهر بصره نهارا ويقوى ليلا ليكون لهذا وهذا النوع أعطى قوة على أن يطير فلا يسمع ويبصر ليلا وهو لا يبصر ومنه خفاش جثته كبيرة كالثعلب أو الكلب حتى يسمى الكلب الطيار فهذا وذاك كلاهما موجودان في العالم وشاهد هما أهل هذا العصر ووصفوهما في الكتب - وفي الأرض آيات للوقنين * ان في السموات والأرض آيات للمؤمنين * وفي خلقكم وما بين دابة آيات لقوم يوقنون * وكمن آية في السموات والأرض يرون عليها وهم عنها معرضون - ورب قارى اقرأ هذا ويقول أنا لا أصدق الا بما شاهدت وهذا انما هو من الغافلين فان هذا من آيات الله الدالة على صفته المشحونة بها الكتب في العصر الحاضر الآتية بها الأخبار من أقاصى المعمورة - أفن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامعون فاسجدوا لله واعبدوا - ونحن اذا تمادينا على الاستهزاء بهذه العجائب وأعرضنا عن ذكر الله بسببها ذهب منا مدينتنا مع ان علماءنا السابقين وآباءنا الأولين كانوا هم السابقين لها المعلمين لعلماء أوروبا الهادين لهم الى سبيل الفكر والعلم والقرآن هو الهادى الى ذلك

ومن الخفاش نوع يعيش على دم الانسان والحيوان فيشرب دم الخيل والابل والبقر والغنم فاذا رأى انسانا نائما جاء بلطف وخفة وروح على وجهه حتى يستغرق في نومه بتجدد النسفات عليه ثم يضع منقاره في موضع مكشوف من جسده ويمتص منه الدم ولا يزال كذلك حتى يموت ثم يطير بأسرع من لمح البصر ويترك النائم على شفا جرف هار من الموت أو المرض * وما أشبه هذا بالأم الفاتكة بغيرها بطرق الخداع واستهواء العقول فقلت صنعة الحكيم العليم الذي أنقن صنعه وعلم الحيوان فوق علم الانسان في كل فن من الفنون حتى السياسة عجب من هذا الصنع الباهر والحكمة الظاهرة فالى متى يا قوم لاتقرؤن علم الحيوان ولا تذكروا الله الا قليلا - ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين -

﴿ حكمة الله في اليوم ﴾

اليوم حيوان قوى جدا لا يظهر نهارا لأن له عينين كبيرتين واسعتين لا تقدر أن تحمل نور الشمس القوى وانما تقدر أن تنظر في الغلس وتبحث اذن عن الطعام * تعيش على الفيران الغيطية والمنزلية والسماك والحشرات فاذا جاءت ولم تجد شيئا من ذلك أكلت من الطيور * صنعت أجنحتها بحيث تطير بلا صوت ولها أذانان قويتا الاحساس جدا بحيث تسمعان أقل حركة من حيوان صغير كالفأر على الحشيش فاذا رأت فأرا على الأرض أو سمكة على سطح الماء أسرعته اليه في الحال نازلة في طبقة الهواء وحينئذ تنقض عليه وتقتنصه بمخالبها ثم تطير به وتردده كله عظاما ولحما فاذا هضم اللحم في فيها وتخلص من العظم لفظت العظم * اذا شاهدت عيش يوم في جوف شجرة أو خربة فلتعلم أنك ستري آكاما كبيرة من العظام التي أكل لحما اليوم بل نفس تلك الاعشاش انما هي آكام صغيرة من عظم يابس * اليوم نافع عظيم للفلاح فيأكل الفيران التي تضر بالزراع * وقد قيل ان بومة واحدة قد تأكل قدر هرة خمس أو ست

مرات * حكى أن رجلا له يمام مستأنس في برجه فوجده ناقصاً أخذ بندقيته وتربص ليلا حتى إذا جاءت بومة ودخلت
البرج ولما خرجت وفي فمها شيء ظنه الرجل يماماً وظنها سارقة له ولما ضربها ووقعت صريعة وجد ما في فمها الفأر التي
هي المفترسة على الحقيقة فندم ولات ساعة مندم . وفي بعض الجهات يستعملون اليوم لصيد الطيور وذلك أنهم
يأتون بأغصان ويدهنونها بصمغ يسمى صمغ الطيور يلتصق الشيء به كالغراء ثم يربط اليوم في جبل قريب من تلك
الأغصان حتى لا يتمكن من الفرار في الحقل ثم إن الطيور تكرهها كراهة شديدة لأنهم يعلمون أنها في بعض
الأزمان تفلق راحتهن وتحاول اقتناصهن فإذا رأوها مربوطة ولن تقدر على أن تلحق ضررا بهن يذهبن في
عدد كبير وجم غفير ويلتفتن حولها ليتقننها بالمناكير ويضررنها بأي وسيلة يقدرن عليها وفي الحال تثب تلك
الطيور على الأغصان المدهونة بالغراء أو تلمسها بأجنحتها فيمسكهن حالا ويقتنصهن الرجل سريعا ويضعهن
في القفص المعد لذلك ويذهب إلى حيث يريد

(الغراب)

هو من الملاحقات با كالة اللحوم وضعه الله في الأرض لمساعد الفلاح على عمله في الحقول ليأكل الدود
والجرذان وغيرهما من هوام وحشرات . ومن العجيب أنه يعرف الخطر فيتقيه الهاما من الله تعالى فينبئ
مساكن من الأغصان مجمعة على الأحكام والاتقان في أعالي الأشجار حتى لا يقدر الريح على إفساد أعشاشهن
أو إيقاعهن عن أماكنها ويخرجن لطلب الرزق زرافات فإذا وقعن في حقل ليلتقطن ما أودع الله لهن من
الحشرات والهوم جعلن واحدا منهن حارسا متربصا للأعداء محاذرا هجمات الفاتكين فإذا نعى (غاق)
علمن قرب خطر محقق بهن فطرن في الهواء . ومن العجيب أن الناس في بلادنا لا يفهمون لهذا الطير
معنى ويؤذونه وقد يضربونه بالبنادق وهم يجهلون أنه صديقهم قاتل عدوهم الدود فهو يحسن وهم يسيئون
وفي ظني أن كثرة الدود في بلادنا إنما جاءت من قلة الأشجار ولأن الناس غرسوا على الترع والجسور
والخلجان أشجارا لعششت فيها الطيور المختلفة وأبادت الدود والحشرات . إذ من المحقق أن الحشرات أصلها
الدود فكل حشرة تبتدى بيضة فتقلب دودة حتى إذا أكلت ونامت نسجت عليها نسجا حريريا فكوته
كتلة صغيرة أو كبيرة وتسمى بلسان علماء الحيوان (شرنقة) ويبقى فيها ذلك الحيوان نائما ثم تخلق له
الأجنحة والأرجل فيحرقها ويطير كما في دود القز ودود القطن الذي يخرج منه أبو دقيق وسفوفه في هذا
المختصر إن شاء الله تعالى وستقف فيه على أن الطيور وضعت لأكل الحشرات والدود الضارة بالزراعات
والأشجار في مساكنها فمن قطعها فقد جنى على الزرع جناية لا يكفرها إلا العلم بها

(الغراب والموازنة بينه وبين اليوم والخفاش والفلاح في الحقل وأن هذه ملكة سياسية)

لقد صدق علينا اليوم قوله تعالى - وكم من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون -
هذه آية هذا الغراب نشاهده كل يوم ونسمع ذكره في القرآن وأن بعض عباد الله تعلم عنه وقال - يا ويلتي
أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب - وكرم علينا أكله . فيا ليت شعري ما الذي فيه من المنافع وما الذي
أودع مديبر الكون فيه من الحكم والمصالح وهل له ارتباط بعمائشنا وأرزاقنا . نعم إني وربي أنه لحق وهل
يذكر في القرآن إلا ليفبه النفوس الغافلة والعقول الخامدة . اعلم أن الغراب من أعظم نعم الله على الفلاح
وزرعه فانه يأكل الحشرات الصغيرة والديدان من الأرض التي لو بقيت لأضرّت الزرع فهلك الحرث والنسل
فاظن كيف جعل الله هذا الحيوان مساعدا على نمو نباتنا وبقاء حياتنا كما جعل اليوم آكلا للفيران
ليبقى الزرع محفوظا إلى أجل مسمى . فانظر كيف سلطهما الله على تلك الحيوانات المضرّة بزرعنا وانظر
الحكمة في الشريعة المطهرة وكيف حرم أكلهما على الناس لطفًا من الله بنا وبقاء لزرعنا فضلا عن ضررها
بأجسامنا كما تشير إليه الآيات والأحاديث

﴿ مقارنة بين سياسة الله تعالى في العالم وسياسة الأمم وبرهان على وجوده وحكمته ﴾

هل لك أيها السيد الأخ أن تتأمل معي في أربع أصناف كونت محكمة واحدة

تصور الغراب والفلاح والبوم والخفاش يتعاونون على انماء الزرع فترى الفلاح يحرق ويبذر ويسقي ويحضر الآلات لتنقية الحشيش وهذا هو الوزير الأول لهذه المملكة وهذا الوزير يعجز عن اباداة الجفود المجنحة من الحيوانات التي تفتك بزعره صباح مساء فلما عجز عن ذلك أغاثه الله وأعانه بالبوم فقد جعل الله معيشته على الطيران والحشرات وأشياء أخرى مما يضر بالزرع فاذا أفلت شئ من هذه الحيوانات ولم يبدد البوم تلقاه الخفاش فانه مسوق طبعاً لأكل الفراش وغيره وهذا لو ترك وشأنه لوضع بيضا يبقى في الأرض زمنا ثم يخرج منه دود وهو في الغالب عند ابتداء خروج النبات من الأرض فيهلكه ومتى بقي شئ من ذلك وقد أفلت من البوم والخفاش سلط الله عز وجل حيوانا نهاريًا وهو الغراب فأكل ذلك الدود من الأرض فانظر كيف جعل كل صنف من هذه الأصناف الأربعة وهي الانسان والبوم والخفاش والغراب مساعدًا للآخر في انماء الزرع وهو لا يدري ما نتيجة عمله . ومن العجيب انك ترى أن الخفاش والبوم حيوان ليليان أعدهما الصانع الحكيم للهجوم على الحيوانات المبصرة السميعة القادرة على الطيران والجرى فوهبهما أعضاء وحواس تناسب الهجوم في الظلمة . وانظر كيف كان الغراب حيوانا نهاريًا لأن معيشته غالباً من أكل الدود وهو لا قدرة له على الجرى ولا سمع له ولا بصر فلم يكن من الحكمة أن يجعل ليليا وهكذا الانسان

وانظر كيف جهل كل صنف من هذه الأصناف عمل الآخر كما قدمنا . ولا جرم أن الذي علم النتيجة من هذه الأعمال الليلية والنهارية هو الصانع الحكيم الذي دبر الكون وأتقنه فظهر إذن أن الحقول كالممالك . فكما أن الملك أو الوزير يعطي كل عامل قسطه من العمل الذي يصلح له فهكذا نرى أن كل حيوان ناطق أو غير ناطق قام بعمل يصلح له في الزرع . وكما أن الملك أو الوزير يوزع إلى رئيس الأشغال أو الادارة أو الحقوق أو المعارف بما لا يوزع به إلى الآخر فهكذا نرى أن كل حيوان جبل على عمل برع فيه . وكما أن كل رئيس من رؤساء الحكومة يعلم ماتحت امرته تفصيلاً ويجهل سواه فهكذا تلك الحيوانات والانسان كل يعلم ما يستعد له ويجهل سواه . وكما أن نتيجة جميع نظام الأمة موقوف على ارادة الملك أو الوزير بحيث ينظران الأشغال والادارة وغيرهما وينسبان بعضهما إلى بعض ويلاحظان النتيجة ويزيدان ما نقص وينقصان ما زاد فهكذا الحكيم مدبر الكون رتب هذه الأصناف من الحيوانات وغيرها وعرف مقدار ما تخرجه المزارع بعد ترتيبها واحكامها فالميزان العمومي في يد الله تعالى يخفض ويرفع ويزيد وينقص على حسب ما أراد في اخراج النتيجة وثمرتها التي يختارها . وكما أن رؤساء المصالح في الحكومات اذا لم يكن لها رئيس أكبر يجمعها وينظر شؤونها مزقت كل ممزق ولم يكن لها نتيجة ألبتة فهكذا هذه الحيوانات ان لم يضع مدبر الكون لها حدوداً ولم يلهم كل ارشده لم تحصل الثمرة المطلوبة ومن هنا نفهم قوله تعالى - أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعون أم نحن الزارعون - يشير إلى أن الحرث انما قصد لانماءه والنبات يحتاج لأمرين جلب المصالح ودفع المضار فيفعل الانسان جلب المصلحة وبالحيوان دفع المضرة ولذلك قال - لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلمت نفوسهم * إنا لمغرمون بل نحن محرومون -

ولما بلغ بنا المقال إلى هذا المقام . قال صاحبي قد عرفت شيئاً من عجائب الطيور الجارحة وغرائبها فهل لك أن تذكر لي شيئاً من عجائب الطيور غير الجارحة ليعرف من يطلع على مقالنا هذا كيف حال الطيور غير الجارحة مع الجارحة ويقارنها بحال الحيوانات أكلة الحشيش مع المفترسة فقلت ان الكلام على هذه الطيور يطول ولنذكر كلاماً اجمالياً عليها فنقول

تقسم باعتبار الماء والأرض والهواء إلى ثلاثة أقسام كلها زينت بالريش القصير على أجسامها الطويل في

أجنحتها وذيلها ليكون كدفة السفينة يساعدها على الدوران بسرعة يمينا ويسارا في الهواء . هذا مع ما لها من الألوان المختلفة والأصوات العجيبة المتباينة

﴿ المائية ﴾

وانظر كيف ميز الله المائية عما عداها زيت وضع في ريشها طبيعيا ليقبها غوائل البلل وأرجل منسوجة نسجا عجيبا لتساعدها على العوم في الماء كمجاديف السمكة والسفينة . فانظر وتأمل كيف وضع الماء ما يناسبه من ذلك النسيج بين الأصابع ومن ذلك الزيت الدائم الذي يبقى من البلل . ولم تكن هاتان الخاصتان إلا في هذا النوع وحده والبط والاوز من هذا النوع

﴿ الهوائية ﴾

أما الطيور الهوائية فقد دبرها الله بصنعة تناسب الهواء والتسلق على غصون الأشجار لجعل أجسامها صغيرة وأجنحتها طويلة وصور الأصابع مستعدة أن تقبض بنحفة على غصون الأشجار حتى في أثناء النوم . والعصافير والغربان من هذا النوع . فانظر كيف صغرت الأحجام لتستقل بالطيران في الهواء . وكيف طالت الأجنحة لتقوى على ذلك . وكيف فصلت أظافرها وجعلت صالحة للقبض على الغصون كما نسجت في الطيور المائية لسهولة العوم في الماء

﴿ الأرضية ﴾

أما الطيور الأرضية فأجسامها كبيرة وأرجلها قصيرة قوية وأظافرها صالحة للبحث في الأرض والدجاج نوع من هذا . فتأمل ياسيدي كيف قويت أرجلها لكبر أجسامها وكيف كانت أظافرها غير منسوجة كالمائية ولا صالحة للقبض على الغصون كالهوائية بل مستعدة للبحث في الأرض لمناسبة المعيشة فيها . وهذه حكم عجيبة - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم -

﴿ عجيبة ﴾

ذكر علماء الحيوان عن هذه الطيور عجائب لا يسع المقام ذكرها نكتفي منها بمسألة واحدة . عن أحد العلماء صاد خطأ فاضربه بالبندقية فوق سطح البحر فوق وقع على الموج فانتظر ذلك العالم حتى يأتي به إلى الشاطئ وبينما هو كذلك إذا بأربعة من ذلك النوع أحرق اثنان منهم بالمجروح كل واحدة أمسكت بطرف جناح وطارنا به قليلا وتعبنا فنابت عنهما أختاهما فملتا أمتارا وهكذا مازلن يتناو بن الحل برأى

﴿ العصفور ﴾

وهل أتاك نبأ عصفور دورى أخبر عنه المستكشفون وذلك أن فيه حكما نخبرنا عن عجب الاتقان في ذلك الصنع الباهر والحكمة الظاهرة . وذلك أن هذا العصفور لا يبني له عشا وإنما يبحث عن أعشاش نوع آخر من جنسه يماثل حجما وينتهز فرصة غياب صاحب العش ويضع فيه بيضته فإذا رجع صاحب العش لم يعرف الفرق بين العدين فيحضن الجميع وأول فرخ يخرج من البيضة ذلك الفرخ الأجنبي فيفرح به صاحب العش ظنا منه أنه ابنه وقد جرت عادة الله أن من تعب في شيء مستحسنا له أحبه ثم يمر هذا العصفور بسرعة حتى يضيق المكان إذ ذاك وتبتسدي الفراخ التي في بيض صاحبة العش أن تنقر البيض بمناقيرها وتخرج واحدة بعد الأخرى . فانظر كيف وضع الله في فهم ذلك العصفور الأجنبي أن يساعده أمه الحنون الجديدة ويبني عشا آخر في أقرب زمن . وانظر كيف جعل الله في ظهره جوة أو حفرة فيها يضع اخوته الصغار واحدا بعد الآخر وينقلهم إلى العش الجديد فتأمل ثم تأمل كيف ساعد أمه الجديدة على تربية أبنائها مكافأة لها على حضنه ثم استيطانه المكان الذي بنته فلعلك إذا تأملت هذه الحكم العجيبة تسعى لنفع أمتك مثل ما علمك الأولون ونجدد مجدها . انتهى ما جاء في كتاب (جمال العالم)

الحيوان كتاب مفتوح للناظرين كتبه الله بيده وسطره بحروف بارزة واضحة بهجة تسمي الناظرين ولكن أكثر الناس لا يعلمون فدلهم على ذلك الكتاب المنظور بما أنزله في الكتاب المسموع الوارد من الوحي على قلوب الأنبياء فقال تعالى هنا على لسان ابن آدم (ياويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواء أخى) وقال في سورة النمل على لسان الهدد مخاطبا النبي سليمان عليه السلام - قال أحطت بما لم تحط به - وفي سورة البقرة يقول الله تعالى - إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها - ولقد سمى الله السور بأسماء الحيوانات كالأنعام والبقرة وبأسماء الحشرات كالغنكبت والنمل والنحل فانظر كيف يقول الهدد أحطت بما لم تحط به مخاطبا نبيا عظيماً مشيراً إلى أن الإنسان وإن عظم مقامه وارتفع شأنه جدير بأن يقرأ علم الحيوان وإذا كانت عناية الله عز وجل موجهة إلى أحقر الحشرات وهي البعوضة وما هو أدق منها فضرب بها الأمثال ولم يكتف بذلك بل سمى السور بأسمائها فلا جرم إن الأمر لعظيم

إن المسلمين بعدنا سيكونون أبعد مرمى مما نحن عليه إن المسلمين اليوم نائمون لا يعلمون مآل الحيوان وللحشرات من الأهمية العلمية ولم يوجهوا همهم إلى ذلك وكما للحيوان من حكومات منظمات فتري النمل يخدم كل واحد من الجماعة الآخرين وهكذا النحل ومثلها كلاب البحر والغرابان وغيرهما . إن دراسة الحيوان تفهمنا إلى أي اتجاه تتجه الحياة وإن نظام الحياة الفردية موجه للمجموع . إن سنة الله في الحيوان أن يخدم الفرد المجموع بل لاسعادة له ولا كمال ولادة الابحسب غيره والعمل له سواء أعلم ذلك أم كان من الجاهلين فإذا تربى المسلمون تربية فردية كما هي الحال اليوم قادتهم الأمم إلى أسفل سافلين وأصبحوا في العذاب المهين فليكن كل فرد عاملاً للمجموع قصداً ولتكن وجهة تربيته لذلك والاضمحل وتفرق المجموع وإن أردت زيادة التبيان فهناك حياة الحشرة المسماة فرس النبي وحياة العقرب

﴿ فرس النبي والعقرب ﴾

إن الحشرة المسماة فرس النبي التي ترى على الأشجار وبين الأوراق خضراء مشاكلة لما هي فيه من الخضرة والتي يغتر ظاهرها أنها أشبه بالصالحين من هيئة منظرها هذه الحشرة من الحشرات التي تعيش على صيد غيرها وتفتك بما يمر بها من الحشرات وصمتها وسكونها وهدوءها لأجل أن تغتر بما يمر بها من الحشرات فتلتقمه على حين غفلة هذه هي المسماة فرس النبي وطريقة تناسلها أن يقترب الذكر من الأنثى وتحصل عملية الالتحاق ولا يكاد الذكر يفرغ من تلك العملية حتى تنقض عليه الأنثى فتأكله وهو ساكن لا حراك له

﴿ العقرب ﴾

العقرب حيوان معروف يتغذى من العناكب والجراد والصراصير والذباب

﴿ تناسله ﴾

إذا أتى فصل الصيف خرج الذكر في الليل باحثاً عن الأنثى فإذا لقيها قبض بطرفيه المساكين على طرفي الأنثى المماثلة فتريد الأنثى أن تنخلص منه وتفر من الذكر فيذهب للبحث عنها ثم يسير بها مدة من الزمان لا ويا ذيله فوق جسمه المفرطح راجعاً القهقري جارا معه الأنثى حتى يدخلها معاً تحت حجر أو في شق في الأرض ولا يدخلان ذلك المضيق إلا بعد دوام الرياضة مدة ساعات كأنهما يتغازلان والذكر في أثناء تلك الرياضة يقرب فه من فها ومتى دخلا الشق أو المكان الخفي حصلت عملية الالتحاق ومتى تم التلقيح تنقض الأنثى على الذكر وتأخذ نهشه وهو لا يزال حياً حتى إذا أكلت الأعضاء العصبية الرئيسية مات وانتهى أجله وفي بعض الأوقات يفلت الذكر من الأنثى بخلاف فرس النبي فإن الذكر لا يفلت من الأنثى بل لا بد من موته هنالك ينمو البيض في رحم العقرب الأنثى ثم يبيض نحو أربعين بيضة وهي أشق غلاف كل بيضة تلدها فتخرج العقارب الصغار وتنام على ظهر أمها أسبوعاً كاملاً وهناك يتغير جلد الصغار وتعيش أيضاً أسبوعاً آخر على أمها وقد

صارت جلودها المتساقطة على أمها أشبه ببساط على ظهرها تنام الصغار عليه ومتى تم الأسبوعان استقلت العقارب الجديدة ومضت تطلب رزقها أما أمها فاتها غالباً تموت بعد مفارقة صغارها لها

﴿ دود القز وتناسله ﴾

ويمائل ما تقدم دودة القز فان الفراش الذي تنقلب اليه الدودة يتناسل بعد خروجه من الشرقة فيلقح الذكر منه الأنثى ثم يموت الذكر وتموت الأنثى بعد أن تبيض فهذه الحياة الطويلة للشرقة إن هي الا تحضير لهذا التناسل

﴿ طبيعة الانسان لا تخالف طبيعة الحيوان في أن التناسل مقدمة الموت وأن حياة الفرد حياة للجموع ﴾
قل لي بربك أيها الذكي المطلع على هذا الكتاب ماذا يراد بحياة الفرد الانساني إنه يراد بها أن تكون فداء للجموع وعضوا عاملاً فيها فالفرد غذاء للجموع ومقدمة له وهناك البرهان

لعمرك لئن رأينا ذكر العقرب وذَكَر فرس النبي بذهبان ضخمة الأنثى فتأكلهما عقب الجل بحيث يلتحق المأتم بالعرس واحتفال الجنازة باحتفال الزواج ليظهرن ذلك في الانسان أتم ظهور بعد البيان • فقل لي رعاك الله أي فارقة بين مغازلة الانسان ومغازلة الحيوان نرى الديك الرومي (المساطي) يظهر للأنثى جمال ريشه وهو منتفخ محجب بنفسه ليحجبها جماله وهكذا نرى الطيور المغردة يغرد الذكر للأنثى ليسرها صوته فتجبه ثم يكون الالتحاق وهكذا مامراً في العقرب الذكور مع الأنثى كل هؤلاء يحتمل ذكرانها على أنها المسألة الالتحاق هكذا نرى الانسان يغازل الحسان وينتهي الأمر بالزواج فإذا بعد ذلك لا يكون الامارأت في العقرب وفي فرس النبي أبناء يولدون وأم روم وزوج يكس ويكسح ليلاً ونهاراً الارضاء الزوجية وتربية أولادها وهو وهي معا قد أخذوا يقبلان الأطفال بعد تقبيل كل منهما صاحبه فأصبحا خاضعين خادمين لأولادهما لا يرضيها الا ما يرضي الأولاد ثم تتبرع الأم بمالديها من مال وحلى لابنتها والأب يخرج عن ماله بطيب خاطر في حياته وبعد موته لأولاده فلمعمرى أي فارقة بين العقرب وفرس النبي والانسان الذكر في الأولين افترسته الأنثى لما إذا لأجل أن يكون قوة عظيمة لتربية البيض في بطنها ثم ان العقرب تموت بعد استقلال صغارها فهي لم تعش بعد الذكر للحفاظ الأمانة التي استودعها اياها فهي تحافظ على البيض وتربيته ثم تموت والبيض في بطنها نماً وكبر بفضل جسم الذكر الذي تحلل في بطنها وامتزج بجسمها • أفلا نرى أن الرجل كذلك • جاد ذكر العقرب وذَكَر فرس النبي بجسمه لنمو أولاده وهو ما يملك أما الانسان فانه يجود بماله وكسبه وكدحه وكده مدة حياته ولا يزال جسمه في ضمور وولده في ظهور وهو فرح بخوربه حتى يزول هو من الوجود ويبقى ابنه بعده الى حين هذه قضية الانسان وقصته • مغازلة وعرس وزواج فولد فموت • يظن الرجل أنه تزوج المرأة بحظ نفسه وهي تظن كذلك ولكن خاب فألها ففاهما في ذلك الاخدوعان كما خدع العقرب وفرس النبي اللذين يجيء الموت للذكر بن عقب الجل وهنا يكون الموت تدريجياً ويبتدىء بأول مولود فتري كلا من الأبوين يحنوا عليه ويحببه ويودّ لو يقدم له كل ما يملك ومهما طالت الزمن فان المسألة ترجع الى فقد الأبوين وحلول الولد محلهما العرس واحتفال الزواج أشبه بالمأتم لانهما اخوان فالعرس يعقبه التناسل والنسل يحل محل الاصل في حياته وبعد موته • ان من احتفل بالعرس فقد أخذ بهيئ الأسباب للجنازة يتزوج ليولد والولد يحل محل الوالدين فلاحتفال بالزواج احتفال بالموت في الحقيقة مضار الانسان في ذلك كالعقارب أو فرس النبي كل يحتفل بالقران وبعد ذلك احتفال الموت غاية الاسرائته في الانسان بلوى وفي الحيوان سريع تغنى المغنيات في العرس وما هن الا ادعيات للغادات الصارخات بعد حين على العروسين ذلك هو المبدأ والختام

﴿ نتيجة ذلك كله ﴾

ان الانسان مخلوق للجموع لانفسه ومن خلق لمنفعة غيره فلاحظ له الانما خلق لاجله فاذا رأينا المرأة

نحنو على ولدها فذلك أغريزة حيوانية وإذا نظرنا إلى ما هو أعلى من ذلك وجدنا القواد والامراء والملوك يسهرون على الرعايا ووجدنا الحكماء والعلماء يؤلفون لمن بعدهم ووجدنا فوق ذلك الأنبياء يأتون بوصايا وشرائع لمن بعدهم هؤلاء هم الذين فهموا الوجود . طبيعة الوجود أن الفرد للمجموع فمن كان للمجموع أشبه بالأم لأولادها فذلك الذي هو جار على سنن الفطرة ومن ليس كذلك فهو فاسق هذا هو دين الاسلام وهذا هو الحق . وباليست شعري أى كارثة حلت بالاسلام وأى مصيبة أصابته كيف تقاعدوا وتباعدوا فأخذتهم الأم من كل جانب ذلك لجهلهم بالقرآن وبنن الله في الوجود وبترية الأم . مات الذكر والأنثى من فراش دود القز بعد عملية اللقاح والبيض كأنهما قد أتما ماعليهما في الوجود هكذا يموت العالم فرحا إذا أتم ماعليه للأمة من الإصلاح وهكذا الحكماء والأنبياء يقول الله تعالى - إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا - نزلت هذه السورة فعرفوا منها أن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انتهت لأنه خلق للدعوة وقد تمت فإذا بعد ذلك الموت

كل ذلك جار على هذا الناموس في الوجود فالفرد خلق للمجموع فالحيوان والنساء من نوع الانسان يعملون للأبناء بالغريزة والأنبياء بالأطام يعملون للأمر والعلماء والحكماء بالتعليم على هذا فليكن تعليم الاسلام وبهذا ارتقت أم في الوجود . ولأذ كر لك نموذج التعاليم الألمانية

﴿ حكاية اليمامة ﴾

يمامة باضت في عشها في قصر بيرلين ثلاث بيضات فخرج لها منها ثلاث أفراخ فاحترق القصر فأخذت تحوم حول النار ثم انقضت على أفراخها فاخطفت منها واحدا ثم وضعت بجانب شجرة ثم رجعت كرة أخرى وخرجت ظافرة بالثاني بعد أن احترق بعض ريشها وقد كان القوم من منظرها بأسيين فلما رجعت فالثالثة لتأخذ الثالث وقد اشتد طلب النار لم ترجع وماتت ضحية انقاذ الثالث من أفراخها ذلك هو نوع الحكايات التي يربون بها تلاميذهم ليعلموهم أنهم خلقوا للمجموع والله يقول في القرآن على لسان ابن آدم - يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب - والهدهد يخاطب سليمان عليه السلام بقوله - أحطت بما لم تحط به -

هكذا يجب أن يكون التعليم في الاسلام

﴿ اعتراض على المؤلف وجوابه ﴾

ولما وصلت إلى هذا المقام حضر عالم من أصدقائي واطلع عليه وقال أهكذا تكتب في التفسير وهل هكذا سبرك فيه فقلت نعم قال إن هذا الأسلوب مخالف للحقائق بعيد عن الصدق والصواب . فياليست شعري أى مناسبة بين الانسان في الزواج والموت وبين العقرب وكيف تدعى أن احتفال الزواج مقدمة لاحتفال الموت وكيف تقول ان مغازلة ذكر ان العقارب لاناثها الذي جعل مقدمة لموت الذكر هو بعينه مغازلة الرجال للنساء في الانسان ويتبع ذلك الموت . ان هذا القول أشبه بشعر أبى العلاء المعري القائل وشبيه صوت النعي اذا قيس بصوت البشير في كل ناد

ولعمرى لئن صح هذا في الشعر لا يصح في تفسير القرآن المبني على الحقائق . فقلت ليس ما قلته شعريا بل هو حقائق ثابتة فقال وأين هي . قلت اعلم رعاك الله أن الحيوانات على ثلاثة أقسام قسم يذري بيضه في العراء ويتكفل الله بترييته وأخرجه الفرية منه وذلك كالذباب والناموس والجراد وما أشبه ذلك ومن هذا دود القز . والقسم الثاني ما يحافظ على صغاره ويتعهدا زمنا ما وذلك في الطيور الجارحة وغير الجارحة فانها أرقى من الذباب فترى العصافير والحمام وجوارح الطير تحضن بيضها وتربي أولادها . والقسم الثالث ذوات اللبن من الباع والأنعام والقرود والانسان . فكل هذه تربي أولادها بعد حملها في بطنها مدة ما

ثم انظر الحكمة العجيبة . انظر وتعجب كيف رأينا الموت يتبع طريقة التفاسل

(١) فان كان الحيوان من أدنى الطبقات بحيث لا يقدر على تربية صغاره ولا حضن بيضه كالجراد وكدود القز فهذا لا يبقى لتربية صغاره لأن الفرع يقوم مقام الأصل ولا حاجة للأصل في التربية واعتبر هذا في فراش دود القز الذي يموت الذكر والأنثى منه عقب البيض وترى أمثال الجراد والناموس ليس عندها غريزة حفظ الولد ولا حضن البيض فلذلك ماتت وتركت بيضها والله سبحانه وتعالى تولى تربيته فيه لك أكثره وما بقي على السهل والجبل

(٢) وان كان الحيوان أرقى قليلا كالعقارب فانا نرى الذكر عقب حفلة الزفاف تنهشه الأنثى لبقائها وبقاء أولادها وهذه هي الثروة التي يملكها الذكر فقدمها لنفسه ولزوجها فأما الأنثى فلا بد من بقائها حتى يستغنى عنها أولادها فلذلك تبقى حتى تبض وتعيش أربعة عشر يوما ويستغنى عنها صغارها ثم تموت . ذلك لأنها لا حاجة لبقائها . أليس هذا يدل على أن بقاء الأصل إنما يكون لمصلحة الفرع

(٣) فاذا كان الحيوان أرقى كالجمام وكواسر الطير فانه يعيش ليحضن البيض ويعلم الولد ويلد مرارا وتكرارا ولا يموت عقب عملية البيض لأن الحاجة ماسة لبقائه هكذا الأنعام والدواب والقرد والانسان . كل هؤلاء يعيشون متمتعين بالحياة . أليس ترى أن القاعدة العامة أن الأصل إنما يكون لبقائه لاحتياج الفرع اليه وأنه لو كان الانسان واخوته من الحيوان لاحتاج الذرية الى حياتهم معاش انسان بعد وجود الذرية وأن حياته لا بد منها لتربية الذرية وأن ذكر العقرب اذا مات عقب ساعة العرس يشبه الانسان غاية الأمر أن موته بطيء وبقاءه مدة لحفظ ولده . هذه هي القاعدة العامة بقاء لحفظ الولد وموته للاستغناء عن الرعاية

ولا يضر هذه القاعدة أن من الناس من لا يلدون ومنهم من يموتون وقد تركوا ذرية وقد يموت الرجل والمرأة عن طفل صغير وما أشبه ذلك فان هذه أحوال عارضة وقد جعل الله الناس أشبه بجسم واحد فاذا مات الأبوان فهناك مجموع الأمة يقومون بذلك النقص . فتبين من هذا أن حياة الرجال والنساء بعد حصول الذرية بماركزي نفوسهما من القدرة على التربية وأن الحكمة الإلهية اقتضت أن لا تكون حياة الإلعمل ومن خالف هذه الحكمة ضلّ وغوى . واذا أعطى الغل قوة الادخار وهكذا النحل فلذلك لأنه في حاجة اليها فألهم ذلك مع تربية الذرية وحرم من ذلك الجراد فلا ادخار ولا تربية للولد . فاذن لم يعط هذه الغريزة لعدم الحاجة اليها . هذا هو الصراط المستقيم فبنو آدم خلقوا متضامنين وفيهم غريزة حفظ الولد وحفظ المجموع كما في جملة النمل والنحل والغراب ونحوهما فن عرض عن فطرته ولم يعمل للمجموع فهو ضالّ جهول لم يجر على فطرة الله التي فطر الناس عليها . ففطر الله الناس على حب التربية للذرية وعلى حفظ المجموع ومساعدته ولا معنى لبقائهم في الدنيا إلا لمساعدة الذرية ومساعدة المجموع ولولا هذا لم يكن لبقائهم فائدة كما لم يكن لفراش دود القز ولا لذكر العقرب بعد الالتحاق ولا لانشاء بعد استقلال الصغار فائدة في الحياة

إن المسلمين اليوم قد خالف كثير منهم فطرة الله ففترى قوما يحاربون مع أهل أوروبا ضد اخوانهم كما نراه في شمال أفريقيا . يحارب قوم بدراهم معدودة مع الظليان وآخرون مع الأسبان والفرنسيين ضد اخوانهم في الدين . وهكذا ترى التربية والتعليم في نقص مسفر . لذلك سلط الله على أكثر المسلمين غيرهم فأذلّوهم حتى يستيقظوا وهذا الكتاب إن شاء الله وأمثاله سيكون من أسباب استكمال النهضة الإسلامية الحالية . وهذا كله داخل في قوله تعالى - قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي - . كل ما ذكرته في هذا المقام من سرّ هذه الآية وكيف أصبح بعض المسلمين الآن لا يصنع ما صنعه الغراب الذي يوارى سوءة أخيه . أما المسلم الساذج فانه يكشف سوءة أخيه ويحارب مع عدوه فاذن صار الغراب أشرف وأرقى من بعض المسلمين اليوم . إن في القرآن لمرآة سيكشفه علماء بعدنا وهذا من

مبادئ الكشف

فقال صديقي ولم خص الله الغراب بالذكر هنا • قلت الغراب حاز الفضيلتين فضيلة تربية الولد وفضيلة خدمة الجمهور فليس كذكر العقرب ولا كالجراد فهو لا تربي صغارها ولا كالحمام والدجاج اللذان وان ربت الصغار لا تحتاج الى جماعة تعيش معها فالغراب يربي الأفراس ويتصل باخوانه إن هذا هو الذي تضمنه قوله تعالى - ليواري سواة أخيه - فان وارة سواة الأخ لا تكون إلا بعد المحافظة على الذرية فهي تكون في الحيوانات الراقية والانسان أرقى الحيوان فليكن نافعا لنفسه ولولده ولأهل وطنه وأهل دينه ولسائر الناس ان كان من المفلحين

إن المسلم الصادق هو الذي يكون خليفة الله والناس جميعا عباده فهو لهم خادم أمين
﴿ خاتمة هذا المقال وجماله في السفينة والسمة والمنطاد والمراكب الهوائية التي تعلمها الانسان من الطير

حوالى أوائل هذا القرن وأواخر القرن الماضي ﴾

ذلك كله في عجائب قوله تعالى - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سواة أخيه قال يا ربني أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخى الخ - أى عجائب الآية التي نحن بصدد الكلام عليها والتي قد ذكرنا عجائب الطيور بصدها وغرائب الحيوان وكيف يموت اذا استغنى عنه ويعيش اذا كان له منفعة وكيف كان الحيوان عبرة للانسان يريه ما استقر في نظرنه وكن في خائفته وعجائبه • أقول هذه الآية الآن وسأسمعك عجبا فيها وأى عجب ذلك أن الله سبحانه وتعالى عبر فيها بلفظ بعث وقال ان الغراب يرينا كيف يواري سواة اخواننا فندفن الموتى كما دفن

التعبير بلفظ البعث عجب وأى عجب • بعث الله الأنبياء وبعث الله الطيور التي منها الغراب • ان لهذا التعبير رمزا • الله بعث الطيور قبل بعث الأنبياء إن الله بعث كل مخلوق في الأرض من طير وأنعام وشجر وشجر

بعثت هذه العجائب لنا قبل بعث الأنبياء • بعثت لنا فهي لنا مبعوثه وأعمالها وأحوالها هي كتبها التي نقرؤها فأعمالها صحف منشورة يراها الناس ولكن أكثر الناس لا يعقلون ولما جهل الناس ما يرون بأبصارهم لأنهم في هذه الأرض من عالم منحط الإدراك ضعيف ميز الله منهم أناسا اصطفاهم فبعثهم ليسمعوا أقوالا والأقوال معبرات عن المعاني والمعاني هي المقصودة والناس للأقوال أفهم منهم للحسوسات • الأبصار ترى العجائب ولكن العقول غافلة أما الأسماع فانها تلتقي اليها تلك المبصرات بعبارات سهلة فتفهمها اجالا • أنزل الله الكتب السماوية لتنبه الناس الى ما يشاهدون ليتعقلوه ولأن الناس جميعا واعون فاهمون لم يحتاجوا الى الرسل فالرسل أرسلوا ليسمعوا الخلق الوحي ومتى سمعوا تيقظوا فأدركوا ففكروا ففهموا فاستخرجوا المجهول • إن الله بعث لنا هذه العجائب التي رمز لها بالغراب وبعث لنا الأنبياء ليدلونا عليها • بعث الله هذه المخلوقات من طير وذر ونجم وشمس كلها مبعونات كما انها مسخرات كلها منافع لنا وكلها كتب مقروءة كل هذا نفهمه من آية الغراب فالغراب وماشا كاه كتاب نقرؤه والعوالم المشاهدات كتب نقرؤها والقرآن هو الذي يدل على ذلك يقول - ليريه كيف يواري سواة أخيه - الغراب يواري سواة أخيه والمسلم والانسان عامة عليه أن يواري سواة أخيه بل عليه أن يجد حتى يجد للانسان مقاما في الهواء ومنفذ من هذه الأرض الضيقة ضاقت الأرض بأهلها فاذا أرانا الغراب انه له مدينة وجماعة يعيش معها وانه يربي أولاده وانه يحافظ على جماعته وانه يهيمن على الجمهورية الغرابية واننا ان قصرنا في دولتنا وجماعتنا فقد أصبحنا أقل من الغراب وأمثال الغراب من كل جماعة تعيش في الهواء أو على الأرض أو في البحر • ففي البر الفيلة وحمار الوحش وأنواع كثيرة تعيش جماعات وهناك الحشرات كذلك مثل النحل والزنبور والنمل فهذه كلها تعيش

جماعات وكلها ترينا كيف نحافظ على الجماعة والجمهورية كلها تعلمت ذلك بفطرتها الغريزية ونحن نتعلمها منها بالسكر والعقل . حكم الله علينا أن لا يكون رقيتنا إلا بالسكر وحكم على تلك الحيوانات أن يكون ارتقاؤها بالغريزة فهي تعلمنا أن ننظم جماعاتنا ونرقبها . هكذا نرى جماعات من السمك كالحيوان المسمى (بالنمر) في البحر وهو قد يكون طوله ثمانية أمتر فانه يعيش جماعات ومثله الحيوانات السمكية (بحوت العنبر) وهو المسمى (كشالو) الذي يبلغ طول بعضه نحو ٣٠ متر ثم ينقض على النمر المتقدم ذكره فيأكله وهذا النمر المسمى كور شرس الطباع جدا فتاك كالنمر المعروف فيكون طعاما لحوت العنبر ذلك الحوت الذي تتغذى المواد التي يأكلها من أنواع السمك في بعض أجزاء الأمعاء فتصير عنبراً ثم ان سلسلة الظهر المستطيلة تحيط بها مواد شمعية كثيرة بيضاء تقرىبا تتجمد في الهواء ممتدة على جانب العمود الفقري وعند الرأس فهذه المواد هي المسماة (من القييطس) وهي تستعمل في معاجين الزينة وفي صناعة اللؤلؤ الصناعي ومن الواحد منها يستخرجون نحو عشرين طنًا ومعلوم أن أكثر من عشرين قنطارا فانظر كيف كان هذا الحوت عظيم الجثة وعظيم المنفعة وكيف استخرج منه العنبر ان كان مريضاً وللمن يوزن بمئات القناطير وهذا الحيوان يعيش جماعات قوية البأس شكسة الطباع وهي كلها تنفس بالهواء ثم ترجع الى قاع البحر مدة طويلة وهي لا تترك ثأرها اذا قتل أحدها فتكسر أعظم السفن

فها أنا ذا ذكرت لك الجماعات في الجو وعلى الأرض وفي البحار وكلها تعلمنا مما علمها الله . تعلمنا علما أعظم من العلم الذي نعلمها إياه فنحن نعلمها كيف تصيد لنا فئاً كل واحدة هي تعلمنا كيف تعيش جماعات ونحب أبناء جنسنا وهذا هو السر في أنه قال - فبعث الله غراباً - ولكن لم يقل إني بعثتكم لتعلموها بل قال - تعلمونها مما علمكم الله فكلوا الخ - فهي مبعوثة لتعلمنا ونحن لسنا مبعوثين لها بل نعلمها لنا كل ما تحضره لنا . تبين لك أن تعليم النظام المدني والحب الأخوي ليس خاصاً بالغربان ولا بالطيور

﴿ فلم اختصت الطيور بأنها ترينا ﴾

علمت أن الجماعات والجمهوريات ليست خاصة بالطيور التي منها الغربان بل رأيت أن الحيتان فيها الجماعات والحشرات والدواب والأنعام كلها ذات جماعات ونظام عجيب جعله الله بفطرتها الغريزية . فياليت شعري لم يقول الله ذلك في الطيور وحدها ويجعلها ترينا حفظ الأخ مع ان حوت العنبر والنمل والنمل كل هذه لها جماعات منتظمات وكلها ترينا حفظ الأخ ومنفعة الأخ والمحافظة على الأخ . فلم خص الطيور

(أقول) جواباً على ذلك اعلم أن هذا السر لم يظهر إلا في هذا الزمان . هذا هو الزمان الذي تظهر فيه العجائب والغرائب . هذا هو الزمان الذي أذن الله فيه باظهار الأسرار وجمال الأنوار والمناطيد والمراكب الهوائية خص الله الغراب وهو من أنواع الطيور بأنه يرينا كيف يوارى سوءة أخيه . وقال في سورة تبارك الملك - أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن - فهنا يقول - ليريه كيف يوارى سوءة أخيه - وهناك يقول - أولم يروا الى الطير فوقهم صافات - فالطير هنا يرينا وهناك يوبخنا الله فثلاً - أولم يروا الى الطير فوقهم صافات الخ - فهنا الاراءة وهناك التوبيخ على عدم الرؤية فالطيور أرتنا ونحن يجب علينا أن نرى . أي نرى عجائب صنع الحكمة الالهية ولا جرم أن الذي نراه قسماً قسم يختص بالنظر في العجائب الالهية إذ قال هناك في موضع آخر - ما يسكنهن إلا الرحمن - وقسم يختص بالمنافع الدنيوية كما قال هنا - ليريه كيف يوارى سوءة أخيه - فاذن الطيور تنفعنا في علم معرفة الله تعالى لأنه رحيم وعليم وتنفعنا في أن تنفع الناس كما ستر الغراب على أخيه وكما فعل الله ذلك في الغراب والطيور فعل في الزرع والشجر فقال تعالى - والأرض مددنا وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - الى أن قال - والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقا للعباد - فاذن الله خلق النبات والشجر لأمرين التبصرة والرزق وهكذا يقول في النار - نحن جعلناها تذكرة

ومتاعا للمقوين - فالنار تذكرة والطير تذكرة والنار متاع للمقوين والغراب يرى مناافع اخوانه فننظر في أمر الطير فإذا نجد

نجد أن الأمم التي حولنا نظرت في أمره فصنعت المراكب الهوائية والمناطيد بتعليمه . اذا قرأت أيها الذكي هذا سياتخذك أعظم الشك في قولي وتقول أي مناسبة لهذا الكلام أقول لك اعلم أنه لولا الطير ما طارت المراكب الهوائية في الجوّ بين لندن وباريس أثناء طبع هذا الكتاب . الكتاب الآن يطبع والجرائد تقول ان المراكب الهوائية تجري الآن بين باريس ولندن في زمن قليل وقد جرت الطيارات بين طهران وأنقرة في اثنتي عشرة ساعة . كل ذلك في هذين اليومين وهكذا قد عولوا على انشاء محطة في بلادنا المصرية لتكون نقطة الاتصال بين بلاد الشرق وبلاد الغرب للسفن الهوائية . الطيارات ملأت أقطار الأرض . الطيارات كثيرة في اليابان والصين وتركيا والعراق وأوروبا

إن الله عز وجل بعث الحرب الكبرى التي ابتدأت سنة ١٩١٤ وانتهت سنة ١٩١٨ بعثها راحة بالعباد . هذه الحرب قد نهت الأمم للطيارات لتفنعهم في الحرب . إن الناس على الأرض أطفال جهال مغمورون في العداوات والشهوات . فهذه الحرب التي هي مشقة لهم كانت هي أكبر عامل في ارتقاء الطيارات وهاتحن أولاء اليوم نحصد مازرعنا . النوع الانساني ابتكر الطيارات للحرب ولكن الله يعلم انها ستكون من أكبر نعمة في السلم . في زمن قريب جدًا سيكون الجوّ محل السفر وتخلو الأرض للزراع . في زمن قريب جدًا سيكون الانتقال في الجوّ بالمراكب الهوائية ويحتقر الناس ما على الأرض من القطرات والسيارات والمركبات التي تسير بالكهرباء كل هذا ستقوم مقامه السفن الهوائية ويشارك الناس الطير في الهواء ويتمتعون بنعم لم يحلم بها السابقون . أتدري لم كل هذا لقوله تعالى - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض -

وإيضاح ذلك أن علماء القرن التاسع عشر كانوا يطيطون بالمناطيد والمناطيد ما هي الا على قاعدة السفن وبيانه أن كل ما هو أخف من الماء يعوم فوقه وما هو أثقل منه يغرق فيه فجميع السفن التي تجري في البحر لو انك وزنتها لوجدتها تساوي وزن الماء الذي أراحته من البحر فلذلك تعوم وكما انك ترى الفلين وأمثاله من الخشب يعوم على وجه الماء هكذا تعوم السفن وتعوم السمكة . إن السمكة لها في باطنها منفاخ فإذا أرادت أن تعوم نفخته فصارت أخف من الهواء فتعوم وإذا أرادت أن تغوص في الماء قبضته فصرح حجمها فغارت فهي دائما في عوم وغوص كل ذلك بهذا المنفاخ الذي هو آلتها الرافعة الخافضة المتحركة على القاعدة التي شرحها (أرشميدس) فكل ما خف علا وكل ما ثقل سقط فالسفينة والسمكة اختان متشابهتان السفينة كالسمك . السفينة لولا خفتها لغرقت ولولا انهم يحسبون حجمها ووزنها ومقدار الماء الذي تزيحه حتى تكون أشبه بالسمكة في حال انتفاخ منفاخها لولا انهم يفعلون ذلك لغرقت ولم تم وسواء في ذلك المراكب الشراعية والأساطيل الحربية

﴿ المناطيد ﴾

سترى في سورة الملك بإيضاح هذا المقام وتري أن المناطيد عبارة عن مراكب هوائية جارية بحري السفينة والسمكة فكما أن السفينة والسمكة لا تعومان إلا اذا كانتا أخف من الماء هكذا هذه المناطيد لا تطير في الجوّ إلا اذا كانت فيها غازات أخف من الهواء فتفرعها كما رفعت السفينة والسمكة ولولا انها كانت في ثقل الهواء أو أثقل منه لم تطر ولم ترتفع فاذن لا فرق بين المناطيد والسفن فهذه سفن في الهواء وتلك سفن في الماء وتكون القاعدة واحدة فلهذا ما أجل العلم والحكمة . إن المناطيد أشبه بالكرات التي يلعب بها الأطفال أيام الأعياد والمواسم . هذا هو سرها وعلمها إن المناطيد لم تخرج عن كونها أشبه بالريش الطائر في الجوّ وبالذرات الطائرات في الكوى كل هذه انما ارتفعت في الجوّ بسبب خفة اجرامها لا أقل ولا أكثر

أنا في هذه الساعة أعتقد أنك فهمت المناطيد وهذا الفهم توطئة لما هو أشرف وهو المقصود
﴿ المراكب الهوائية ﴾

وهنا يظهر سرّ القرآن فأقول لك لقد عرفت المناطيد . عرفتها لأنها ظهرت لك ظهوراً تاماً وإن لم تكن اطلعت على أصول هذه العلوم فهذا أناذا الآن أنقلك إلى المقصود فأقول
إن المناطيد جرت في الهواء وأدرك الناس أمرها ولكنهم بعد ذلك أنكروا وقالوا لماذا نرى الطيور تطير ياويلتي أعجزنا أن نكون مثل هذه الطيور . نحن الآن تعلمنا علم السفن من السمك وتعلمنا المناطيد من طيارات الأطفال التي هي على قاعدة السفينة والسمك فياويلتي أعجزنا أن نطير كما تطير الطيور . إن الطيور أثقل من الهواء لو وزنا العصفور لوجدناه أثقل جداً من الهواء الذي أراحه بحجمه بخلاف السفينة فإن وزنها كلها بجيوشها وسلاحهم ودروعهم ومدافعهم ومافيها من حديد وفولاذ وذخائر كل هذه إذا وزناها لا تزيد عن ثقل الماء الذي أراحته السفينة أما العصفور وأما الغراب وأما الحمامة فأننا نرى كلا منها أثقل مئات المرات من الهواء الذي أراحه . الطير أثقل من الهواء فكيف يطير فيه عامت السفينة وعامت السمكة لأنهما أخف من الماء وهكذا المنطاد لأنه أخف من الهواء أما الغراب وأما الحمام وأما العصفور فأنها أثقل من الهواء الذي حلت في مكانه أضعافاً مضاعفة . هنالك قام أحد العلماء في هذا القرن أي القرن العشرين أيام تأليف هذا التفسير وقبله بقليل . قام هذا العالم بعد أن مات عشرات الرجال في التجارب التي جربوها فلم تغن فتيلة إلهة تجاربهم وأعمالهم أدرج الرياح ويئس الناس في أوروبا وأمريكا أن يلحقوا الطير في طيرانها فإن هذا شيء خاص بها والناس مستحيل عليهم أن يصلوا لمستواها ولكن الفطرة الانسانية توافقه للعلامات معطشة للعلم والنظر فقام العالم الذي سيأتي ذكر اسمه وأعماله مفصلاً في سورة تبارك الملك وراقب الطيور وطيرانها وبحث ودقق وعرف بأي الأساليب قدرت الطيور أن تطير في الهواء وهي أثقل منه وخالفت سنة السمكة والسفينة والمنطاد

وهناك أظهر تجاربه ونجح قوم ومات آخرون وانتفع الناس ببعضها في الحرب وهاهي ذه آثارها ملأت الأفطار وأصبحنا نرى عالماً جديداً طائراً كما تطير الطيور . هذا هو السرّ في قوله تعالى - فبعث الله غرباً يبحث في الأرض ليريه - إن الله بعث الطيور إلينا فأرثنا علماً جديداً لم يكن قبل تعليمها ما كنا فعلم قبل الآن إلا السفن ولكن الطيور فتحت للإنسان أيام هذا التفسير علماً جديداً وهو علم الطيارات التي لم تكن من قبل ولم تكن مقيسة على السمكة والسفينة ولا على المنطاد الجاريات على قاعدة (أرشميدس الفياسوف) بل على قاعدة الطير المعروف الذي أرانا مالا يرينا الحوت في بحره ولا الفيل والغزال على الأرض الحوت وإن عاش جماعات ونظمها وربى أولاده وعام بمفاحه لم يعطنا درس الطير الذي هو أثقل وأثقل من الهواء ثم هو يطير فيه والفيلة لا تعوم في البحر ولا تطير في الهواء فلا تعطينا إلا نظم للسياسة وأما الغربان فأنها تربى أولادها وتنظم جماعتها وتحافظ على جمهوريتها وهي فوق ذلك تطير وأجسامها أثقل من الهواء ففاقت السمك وحيوان البر فلذلك أرثنا وعلمتنا فعلاً

يأليت شعري من ذا كان يظن أن الطير يعلم الناس علماً فوق علم السفن الهوائية من ذا كان يعقل هذا الطيور نراها ولكن أين البصائر . أين العقول حتى قبض الله من عباده من فهموا أن الحيوان خالق ليرينا قدره وخبره لا بكتاب نزل ولا بوحى ولكن درسه بعقولهم والمسلمون نائمون أجمعون أكتعون أبصعون ثملون

﴿ لطيفة ﴾

لما وصلت إلى هذا المقام اطلع عليه أحد الأصدقاء ذوى الفكر والفهم فقال لقد أحسنت من وجه وأسأت

من وجه . فقلت وكيف ذلك قال أما الاحسان فظاهر فانك ذكرت أن الحيوان الذي لا يربى أولاده يموت لأنه لا معطل في الطبيعة وأن الذي يربى أولاده يبقى كالندجاج والحمام وفوق هذين ما يعيش جماعات كالخيتان وفوق هؤلاء ما تقتدى به في أن تطير في الجو بطياراتنا مع قتل الطيارات وأن القرآن جاء بهذه المخلوقات لنستفيد منها في حياتنا ولنعرف بها ربنا كل ذلك فهم من كلامك موضحاً بأدلة ساطعة فهذا وجه الاحسان أما وجه الاساءة فانك في كل مادب ودرج وبأى مناسبة وفي أى حال تلصق بالقرآن وبالدين الاسلامى ما ليس منه فلا تذر طيارة ولا منطادا ولا برقاً (ناغرافاً) ولا كهرباء ولا صناعة ولا علماً إلا ألصقته بالقرآن والاسلام في نظرك سفينة نوح تأخذ من كل زوجين اثنين ان هذا ما هو منك إلا تطرف وزيادة تريد رقى المسلمين فتفسب كل شئ للدين . هذا فن المركبات الهوائية حديث العهد فما للاسلام ولهذا انك في هذا مغال كثير الغلو طويل النجاد

﴿ الجواب ﴾

فقلت له ان ما قلته انما جاء من وجدانك لا من عقلك قال وكيف ذلك انك أنت تحكم بوجودك فانك لشغفك برق المسلمين تحشر كل شئ في دينهم ولست على حق فيما تقول . فقلت - أولوجئتكم بشئ مبين * قال فأت به ان كنت من الصادقين - وبين لى ذلك بطرق العاوم الدينية . فقلت أو تسكن للحقيقة اذا ظهرت قال نعم أسكن لها وأنشرها فقلت إذن أبين ما تقول باختصار يكفيك فروض الكفايات أيها المفضل أليست الواجبات قسمين واجبات عينية واجبات هي فروض كفايات قال بلى . قلت ليس فرض العين كالصلاة والصيام اذا تركه الانسان أثم قال بلى . قلت أوليس فرض الكفاية كالصلاة على الميت وتجهيزه الخ اذا تركه أهل القرية أثموا جميعاً واذا قام بذلك جماعة سقط الأثم عن الباقيين قال بلى قلت ألم يقل بعض العلماء كامام الحرمين ان فرض الكفاية أفضل من فرض العين لأنه أعم نعماً قال بلى قلت أفليست جميع العلوم والصناعات من فروض الكفايات قال فى أى كتاب هذه . قلت فى جمع الجوامع قال الكلام هناك ليس مفصلاً بل هو مجمل . قلت ما تقول فى الذى ذكره الامام الغزالي فى الاحياء قال ماذا قال . قلت عقد فصلاً هذا عنوانه (بيان العلم الذى هو فرض كفاية) وذلك فى الجزء الأول فقال لا أتذكر هذا فاذا كرى ما فيه . قلت يقول ان فرض الكفاية هو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا ومثل بأعلى ذلك كالسياسة وبأوسطه كالحياكة والخياطة والفلاحة وأدناه كالنجامة وذكر الطب والحساب قال زدنى . قلت وقال بعد ذلك مانصه بالحرف الواحد (الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين توأمان) وقال أيضاً (واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم على الدين أعظم من الشيطان إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج الى انتزاع الدين من قلوب الخلق)

وقد شنع أيضاً على العلماء بكثرة المجادلات والمشاحنات لاسيما بين الشافعية والحنفية وزعموا أنهم ينصرون به الدين ورتبوا فى ذلك أنواع المجادلات قال وهم مستفرون عليه الى الآن ولسنا ندري ما الذى يحدث الله فيما بعدنا من الأعصار اه

فقال صاحبي ما ملخص ما يقصده الامام الغزالي . قلت ملخص ما ذكره أن علم الدين الحقيقى هو معرفة السموات والأرض وجمال الله تعالى وعجائبه مثل ما كتبنا فى هذا التفسير وأيضاً قراءة العلوم التى هى فرض كفاية وانما ذم علماء زمانه لاقتصارهم على علم الفقه وقال انما انكبوا عليه وتركوا ماعداه لأنهم به يتوصلون الى تولى القضاء والوصية على الأيتام والتصدىر والعظمة فى الدنيا ولا يبالون بهتذيب النفس ولا بما ذرأ الله فى الأرض والسموات فلا يهتمون بأمر المصالح العامة والصناعات التى تحتاج اليها الأمة ولا يكملون أنفسهم فهذا هو السبب فى أنه جعلهم شرّاً من الشياطين

فقال عجباً ذلك كان في زمان الدولة العباسية والاسلام قوى الشوكة فما بالناس الآن ونحن على ما كان عليه أسلافنا فلا علوم ولا صناعات . فقلت له إذن أنت اقتنعت بهذه الأدلة ووافقتني . قال نعم انك بنيت القول على أساس متين من كلام الأئمة . قلت ومن قول الله تعالى - فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون - كما فصلته في بعض المقالات فلا أطيل به ثم قلت أليس ترى معي أن علم المراكب الهوائية وغيرها من علوم الكهرباء والمغناطيس أصبحت اليوم لا بد منها للناس قال بلى . قلت إذن هي فرض كفاية قال بلى . قلت إذن فهم الناس أن القرآن ورجال الاسلام يجمعون على أن هذا وأمثاله فرض كفاية وأنا وأنت مسؤولون وجميع الأئمة عن كل صناعة وعلم حظى به قوم في أوروبا وهو نافع ثم جهلاء نحن . هذا هو الذي يجب نشره الآن وتعميمه في أنحاء المعمورة وأنا لم أقل إن أهلى أوروبا استنجدوه من القرآن بل استنجدوه بعقولهم ولقد بعث الله الغراب وغير الغراب لهم كما بعث لنا وأراهم الغراب وغير الغراب كما أرانا ولكن هم رأوا ونحن مارأينا وهذا عار على أئمة الاسلام أن تجهل عقلها وتجهل دينها فأنا لم ألصق بالقرآن يا صاحب علما ولا صناعة وإنما أنا متبع لا مبتدع . فقال لقد أحسنت كل الاحسان وأجبت بما شفى صدرى وعامت اليوم أن الذين يقولون فيك ما قلته الآن جهال لم يقرأوا مقالة تامة من كلامك . فقلت الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . فهما نحن ذكرنا الطيور والحيوانات بمناسبة الغراب وجماعاتها وارتفاعها في الجو وتعلم الانسان منها في أيامنا الحاضرة . فقال لم أعقب الله مسألة ابى آدم والغراب وحديثه بمسائل السرقة والقتل والافساد فى الأرض وما أشبه ذلك . قلت الأمر واضح فان القصة مسوقة لتعلم الانسان من الحيوان العطف على الاخوان وهؤلاء السارقون والقاتلون ضارون بالمجموع ومثلهم الكاسلون والجاهلون فكل هؤلاء يعاقبون بما فى الآيات ويعاقبون أيضا بالذل فى الدنيا والعذاب الشديد فى الآخرة . تم الكلام فى هذا المقام والحمد لله رب العالمين اه المقصد الرابع

(المقصد الخامس)

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَدِّرُوا عَلَيْهِمْ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَالِ الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ * وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *

ذكر الله في المقصد السابق أنه من قتل نفسا فقد آذى الناس جميعا ونقص مجموع النوع الانساني لأنهم متضامنون على اختلاف أجناسهم وأديانهم وأوطانهم - فهم أمة واحدة كما قال في معنى آية أخرى - كان الناس أمة واحدة ففسقوا فأرسلنا لهم الأنبياء - هكذا هنا قال من قتل نفسا بلاسبب فقد جنى على بني آدم كله ومن أحيا نفسا بشفاعته أو عفو أو نفع الأمم بعلمه أو صناعاته فقد تعدى عمله ونفعه للناس أجمعين فعمل الفرد نافع للمجموع وشره راجع للمجموع والرسول قد جاء للناس بالبينات ولكن أكثر الناس لا يزالون سفاهة كين للدماء قطاعين للطرق مسرفين في القتل والنهب فإذا كان هذا النوع الانساني هذا دأبه لا يرجع كثير منهم عن التقى بالحكمة والعلم والموعظة الحسنة وهي هنا المحبة العامة والمنفعة لسائر الناس وغفل أكثرهم عن هذه الحكمة العالية وأخذ كل محارب أخاه جهلا وغفلة وتباعدا عن طرق العقل والفهم فلم يبق إلا العقاب الدنيوي فلذلك أعقبه بقوله (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) بالمخالفة والاسراف في القتل والنهب والسلب وقطع الطرق والاموصية ولو كانت الاموصية في بلاد كبير ومصر عظيم وقوله (ويسعون في الأرض فسادا) أي مفسدين أن يفعل بهم واحد من أربعة اما القتل وحده واما القتل ثم الصلب بعده تشهيرا لهم وأما أن تقطع أيديهم - ثم البني مع أرجلهم اليسرى وأما أن ينفوا من الأرض . هذا كله إذا لم يتوبوا قبل القدرة عليهم فإن تابوا قبل القدرة عليهم فالعفو عنهم حسن . فهذه خمسة أمور العفو إذا تابوا قبل القدرة والقتل أو القتل مع الصلب أو قطع أيدي الأيدي والأرجل من خلاف أو النفي من الأرض وأعلم أن الحاكم مخير بين هذه الأربعة بفعل ما يراه أصح . وقال أبو حنيفة النفي من الأرض المراد به السجن . وبعض العلماء يقول القتل إذا قتلوا قصاصا والقتل مع الصلب إن قتلوا وأخذوا المال وقطع الأيدي والأرجل إن أخذوا المال ولم يقتلوا والنفي من الأرض إذا أخافوا الناس . وفي هذا المقام أحاديث كثيرة وردت بسبب نزول هذه الآية ولكن نذكر منها ما رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك . ذلك أن أناسا من عكل وعريثة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا أهل ضرع (يعني أهل ماشية) ولم نكن أهل ريف (أي لسنا من أهل الأرض التي فيها زرع وخصب والجمع أرياف والمعنى انهم قوم يعيشون في البادية ويشربون ألبان المواشي) واستوخوا المدينة (أي لم توافق أمرجتهم) فأمر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بذود (الذود من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة) وراع وأمرهم بأن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة (وهي أرض ذات حجارة سود وهي هنا اسم لأرض بظاهر المدينة معروفة) كفروا بعد الاسلام وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في أثرهم فأسر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على خالهم اه وقد اختلف العلماء في هذا الحديث خلافا كثيرا ورجح بعضهم أن هذا حصل قبل نزول الآية فلما نزلت ظهر الحكم الذي يعمل به النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون

والحاصل أن هذه المسألة محل اجتهاد ينظر القاضي ما هو أصح . هذا كله في قطاع الطرق من المسلمين أما الكافر فإنه متى أسلم سقط عنه كل شيء قبل القدرة عليه وبعدها وأعلم أن الأمم الأوروبية اليوم قد ذهبت في التعذيب والتنكيل حدا بعيدا جدا فهم لأجل السياسة والجشع يرسلون الطائرات لقتل الأنفس البريئة وينزلون الصواعق على الأطفال الصغار والشيوخ الكبار كما حصل في العراق والهند وبلاد الغرب لا لذنوب جنوه ولا لاثم اقترفوه بل لدرهميات يطلبونها بما يقتضيه أمر الحكومات الفرنجية فيشتوهون الوجوه ويفقون الأعين ويعملون ما لا يخطر على بالنا . وترى أهل اسبانيا وفرنسا ينصبون المشانق ويصلبون الناس عليها ظلما وبهتاننا واذلالا وتعذيبا ولقد أخبرني أحد شبان المغاربة المراكشيين أن اسبانيا تأتي الى جهة من جهات البلاد هناك وتحضر عشرات الرجال من رؤساء العشائر وتذبحهم ذبحا سريعا فيقال لها لماذا تفعلين ذلك فتقول لأن بلادكم فيها قوم يكرهوننا ليدلوا النفوس ويخيفوا الأمة . هذا عمل الأوروبيين

فأما الاسلام فهو الذي حدد العقاب وحرم الظلم وآخر عقاب لأعظم جان أن يصلب هو أو يقتل أو تقطع يده ورجله أو يعفى عنه فأما قتل الأطفال والمجانز والنساء كما يفعل أهل أوروبا فذلك شرّ مستطير وجهل كبير ولا بد أن الله سيغير هذه الأمم بأمر أشرف منها فكفى فقد عمرت الأرض بالاختراعات واكثرت فيها الفساد بالظلم ولا يبقى في الأرض إلا المصلحون فإذا كان شرّهم أكثر من خيرهم فلا بد من زوال مجدهم بالتدريج أولعل الله يهديهم على أيدي الحكومات الشرقية الراقية المستقبلية فيعبدون معهم بسلام ولذلك قال بعدها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) أي ماتقوسلون به إلى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وصل إلى كذا إذا تقرب إليه (وجاهدوا في سبيله) بمحاربة أعدائه الظاهرة والباطنة فتدودون عن بلادكم كل غاصب ومحارب من أوروبا مثلاً وتعذبون وتذلون كل مفسد في بلادكم من الاصوص والحكام المرتشين وتعلمونهم وهكذا يجب أن تهذبوا أنفسكم فتصلح الأفراد وتصلح الأمم (لعلكم تفلحون) بالفوز والكرامة والوصول لله تعالى لأن ما في الأرض من المواد الجسمية والأعمال الدنيوية والصناعات الانسانية والأموال الذهبية والفضية وكل ما اقتناه الانسان من الأحوال المادية لا ينفع الانسان إذا اعترته المنيّة واقبعت عليه القضية ولوقدم الفساد أولاً بالشفعاء وكيف يكون ذلك وأتم أيها الناس في الأرض هكذا تصنعون . أليس الذي قطع الطريق وأخاف الناس هكذا عاملتموه فيقتل وليس له شفيع ويصلب وماله من مغيب وتقطع الأيدي والأرجل وهو حسير ويحبس أو يغرب من البلاد وهو ذليل . كل ذلك يلقاه وماله لا ينفيه وأهله وأصدقائه وشفعاؤه عنه لا يدفعون . كل هؤلاء لا ينفعون ولا يشفعون ولا فدية بمال مقبولة ولا رجة عليه ملموسة

هكذا أيها الناس أفعل يوم القيامة فلا ينفع المال ولو كان ملء الأرض ذهباً وكيف يقبل عندي وأنا لم أرد إلا تهذيب النفوس وارتقاؤها إلى مقام الصدق وموقف الحق والشرف الأسمى والمقام الأعلى كما تفعلون في حكوماتكم ونظام مدنكم وهذا قوله (إن الذين كفروا لو) ثبت (أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) والمقصود من هذا أن تعذيب الأجسام سواء أكان في الدنيا أم في الآخرة يقصد منه تهذيب النفوس فأما الفدية ونحوها فأنها لا تؤدي إلى الغرض المقصود من السكال . فحكومات الآخرة والدنيا على طراز واحد فالحكومة الفاضلة العادلة هكذا تفعل وحكومات الله المستقبلية هكذا فعلها ولا يقصد منها كلها إلا تهذيب النفوس فإذا قام المسلمون وهذبوا النفوس بالعلم والعرفان قام التهذيب مقام التعذيب والتعليم مقام الإيلاء والحكمة مقام المحكمة والعلم مقام الألم واعلم أن الذين لم يتهذبوا في الدنيا يحسون بألم في نفوسهم فترى من اعتاد كثرة الكلام أو شرب الخمر يريد كل منهما أن يخرج من عادته وأن يسلم من خلقه فيرى نفسه عاجزاً عن الانسلاخ بأئسا يائسا حزينا يقول مالي وللخمر ومالي ولكثرة الكلام ومالي ولعداوة الناس ومالي وللتفاخر والزينة وهكذا ما يحس به كل امرئ على وجه الأرض وهكذا هذه الأخلاق تلازم الروح بعد فراقها الجسد وتمنى لو تخلص من الأخلاق التي لازمتها والأحوال التي لصقت بها هذا هو قوله تعالى (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) أي مقيم مع نفوسهم لا يفارقها كما لا يفارق الظل الشخص فالأخلاق هي منشأ العذاب في الدنيا والآخرة والتهذيب يمنع التعذيب فالعذاب من الصفات التي لصقت بنفوسنا من سوء الأخلاق ولذلك نرى الزاهدين في الدنيا تجلبهم جميع الشعوب من أهل الأرض فافهم

ولما كان قطع الطرق والسرقة متشابهين في أن كلا منهما شرّ صادر من النفوس الانسانية الصغيرة الضعيفة المتأخرة التي لم تعرف أن الانسانية كلها يؤذيها ما يؤذى واحداً منها وأن عيونهم في غطاء عن الذكر أردفه بقوله (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) إلى قوله (فإن الله غفور رحيم) وقد تقدم

تفسير هذه الآية في المقدمة . ثم أردفه بأن ملك السموات والأرض قائم على النظام التام فيعذب من لا يعقل ليصل الى العقول والحكمة ويغفر لمن أقاع عن المعاصي وهو قادر على كل شيء وبهذه القدرة التامة يصرف العوالم وينقلها من حال الى حال تارة باللين والسكرام العذب وحكمة وديننا وتارة بالقمع والقهر والشدّة ويجعل النشأة الآخرة منظمة نظاما بديعا متتابعاً كما يشاهد في نظام الدنيا . ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - فهو يأمر بعقاب من لا يعقلون فاذا ماتوا يوضعون في المراكز التي استعدوا لها خفضاً ورفعاً وهذا قوله (لم تعلم أنّ الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير)

﴿ لطيفة ﴾

ذكر السموات والأرض في كل مقام حكمة بالغة فتارة يذكران لمعرفة الله وتارة للوحدانية وتارة للعلم وتارة للقدرة وهكذا ذكرناه سابقاً وتارة يذكران كما هو النظام للخلوقات وتدرجها في سبل السعادات وطرق الوصول الى المعالي كما نشاهد في الدنيا ان الأعلى يرى الأدنى أنه في عذاب كما يرى الناس أن الحيات أدنى منهم والدود فتكون كل مرتبة بالنسبة لما هو أرق منها معذبة مثالة وترى الزبالين والكناسين يرون أنفسهم في عذاب بالنسبة للولوك والأمراء ويقول الأمراء انا منعمون وهم معذبون ولكن هؤلاء أيضاً بالنسبة لعوالم أرق منهم كالود بالنسبة للإنسان فهذه المراتب نشاهدها في نظام السموات والأرض ونراها عدلاً . يقول الله هذا ان عذابي في الآخرة أشبه بهذا تقريباً لعقولنا وتدريباً لنفوسنا على التفكير والحكمة والعلم والنظر وأن ترى أن الحيوانات الدنيئة كالديدان والمكروبات بالنسبة للإنسان ذليلة حقيرة ويراها الانسان معذبة بهذه الحياة

هكذا تكون الحياة الأخرى فعذابها أشبه بما نراه من الدرجات فاذا كان الذرّ والحيوانات الدنيئة نراها معذبة مهانة في القاذورات في قاع البحار وفي أقصاها محرومة من الهواء اللطيف والزرع والشجر والجمال والحواس الباهرة الظاهرة ونراها نحن في ضوء الشمس وحولنا الشجر والزهر والزرع والحدايق والفواكه والأنوار والجمال والبهجة . لاشك اننا أسعد منها حالاً بل نحن في جنة وهي في نار وأرى زمهرير أشد من هذا فهنا ظهر العذاب ورتبت الدرجات سواء أكان بين الناس أنفسهم أو بينهم وبين الحيوانات ولكن جميع الناس على وجه الأرض غافلون لا يرقبون أنفسهم ولا يفقهون هذه النظرية المحسوسة المعقولة المفهومة فالعذاب والدرجات موجودتان في الدنيا ويريد الله منا أن نفهم درجات الآخرة من درجات الدنيا وهذا معنى قوله تعالى في سورة أخرى - قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق - نقول قد سرنا ونظرنا فرأينا درجات لا تعد ولا تحصى بين الأحياء من أقل ذرة الى أعلى نبي وكل واحدة أقل مما بعدها وأرق مما قبلها وشاهدنا سعادة وشقاء بنسبة بعض الدرجات الى بعض قال الله بعدها - ثم الله ينشئ النشأة الآخرة - فاما معنى ينشئ النشأة الآخرة معناه على مقتضى النظام والدرجات فينقلنا في درجات من كشافه الى لطافة فيكون أعلانا عند ملك مقتدر وأدنانا لا يزال في الأخريات عند الحيوان ومجاورا للمادة وهو محروم من الصعود الى العلا أشبه بالعقارب والحيات الملازمة للتراب المحروم من الصعود الى الهواء كالطير أو من العقول والحكمة والبصيرة العالية كالانسان

﴿ استبصار ﴾

اعلمك يصعب عليك ماذا كرته فإياك أن يصعب عليك فهمه فالقرآن هو الذي أوضحه ألم يقل - أفأنتم ماتمون أم أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون * نحن ننزلنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين * على أن نبذل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون * ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون - فاما معنى قوله - ولقد علمتم النشأة الأولى - ان النشأة الأولى منظمة مرتبة درجات بعضها فوق بعض في المولدات وفي نشأة الانسان

هكذا يقول - أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً - فكأنه يقول إن الآخرة درجات كالدرجات التي تنظرونها في هذا العالم ولكنها أوسع نطاقاً لأنه عالم لطيف واللطيف يسع ما لا يسع الكثيف ويقول - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - فعلى ذلك يكون عالم الآخرة على نظام الدنيا ترتيباً وترقية وإن خالته حياة وجمالاً • فعالم الآخرة والدنيا نظام واحد ودرجات متناسقات * قال الشاعر

الجهل لا يلد الحياة موته * إلا كما تلد الرمام الدود

لم يخل من صور الحياة وإنما * أخطاه عنصرها فمات وليداً

فانظر لدود خلق من الرمم فإن له حياة على مقدار ما خلق فيه فإذا وازتها بعوالم السباع والضباع والإنسان لم تعترض على الحكيم في صنعه فهو جواد أعطى على مقدار الاستعداد • هذا هو الوجود وهذه هي الدنيا وكذلك الآخرة فهي تناسق ونظام واستعداد وحكيم يعطى على مقدار الاستعداد والجنة والنار على هذا المنوال

هذا هو معنى ذكر السموات والأرض في هذا المقام فلهما في كل مقام تفسير • بهذا فليفسر القرآن للمسلمين في مستقبل الزمان والقرآن جاء لشرح الطبيعة التي خلقها الله قبل أن ينزل القرآن • أن شرح الطبيعة هو كل شيء فياليت شعري لماذا يذكر الله السموات والأرض بالتكرار • أقول لهذا يكرر ولهذا يذكر وهكذا فليفهم المسلم في المستقبل هو الذي يدرس هذه الكائنات ويدرك هذه الدرجات ويعرف هذه الحكمة ويصير طرق السعادات • أما المسلمون النائمون فانهم في الجهالة هائمون وعلى الدعوات متكئون وبالغرور يعيشون وخلقوا وكأنهم ما هم مخلوقون - إنا لله وإنا إليه راجعون - انتهى المقصد الخامس

(المقصد السادس)

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ
وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ يُتَوْهُ فَاحْذَرُوا
وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ
لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ
فَإِنْ جَاؤُكَ فَاخْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ
حَكَمْتَ فَاخْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ
التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ
فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُخَكِّمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ بِمَا
أَسْتَحْفِظُوا مِنَ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي
ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يُخَكِّمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ

النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ *
 فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفَّيْنَا
 عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى
 وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلَيَحْكُمَنَّ أَهْلُ
 الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنْزَلْنَا
 إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى
 اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنْ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ سَمَوَاتٍ
 آيَاتٌ فَإِنْ يُبْدِ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ أَنْ يَقُولُوا هَذِهِ نِسَابُ اللَّهِ وَإِنَّ لَكُم مِّنْهُ أُمَّةً مُّسْلِمَةً
 لَّأَنْتُمْ بِالْمُقِيمِينَ * وَأَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْزَلَ اللَّهُ
 إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ *
 الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ *

هذا المقصد فيه حكم أهل الكتاب اذا تخالفا كوا الينا وهل نحكم عليهم وبماذا نحكم وهل نخبر بين أن
 نحكم وبين أن لا نحكم أم نحكم ولا نثريث وفيه أيضا الوعيد الشديد والدم والتفريع والاهانة لمن يأخذون الرشوة
 في الأحكام وفيه أيضا توصية القضاة والحكام وتوجيههم إلى العدل والانصاف لأنهم آمناء الله في الأرض
 فلا يخشون شريفا لشرفه ولا يستهينون بضعيف لفقره بل يكمون بالحق ولا يخافون لومة لائم وكل ذلك
 في هذا المقصد مذكور لأسباب أوجبه وأحوال ألزمتة وحوادث لأجلها نزلت هذه الآيات وسيقت مع آي
 التنزيل وذكر فيها أحكام التوراة والإنجيل وأن اليهود أعرضوا عنها اعراضا لأغراض شهوية وأمور دنيوية
 وأحوال جاهلية وأن الأنبياء ينزلون إلى أهل الأرض رقباء على عبادته فرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه
 السورة أخذ بحاسب اليهود على تعطيلهم أحكام التوراة وتجاهيلهم عما أمروا بإقامته من الأحكام وآذوا بمخالفته
 الأنام . فهناك ما روى في هذا المقام

ذلك أن رجلا وامرأة من أشرف اليهود بخبر زنيا وكانا محصنين وكان حدّهما الرجم عندهم في التوراة
 فسكرهت اليهود رجهما لشرفهما فأرسلوا رهطا منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم
 ان فيها الرجم فاثبوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له
 عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم فرجا . اه المقصود
 ويروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم إني أول من أحيا أمرك اذ أماتوا . ومعنى هذا أن اليهود كانوا
 يجلدون الزاني أربعين جلدة بحبل مطلي بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ورجوعهما من قبل

دبر الحمار ويطاف بهما أنحاء البلد وقد جعلوا ذلك مكان الرجم المذكور في التوراة . وهذا كله بسبب أنهم كانوا إذا زنى شريف تركوه وإذا زنى وضع رجوه فاصطلحوا على أمر يجري على الشريف والوضيع لأن الزنا بسبب ذلك التهاون كثر في الأشراف ففعلوا ما تقدم . هكذا قال ابن صوريا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو من أحبار اليهود وأعلمهم

ولقد كان أهل خير لما أرسلوا قومهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصوهم فقالوا لهم إن أمركم بالجلد والتعقيم فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا والتعقيم هو تسويد الوجه كما تقدم بالجلم وهو الفحم وهل يجب علينا الحكم بين أهل الكتاب

(١) من العلماء من أوجب الحكم بينهم إذا ترفعوا إلينا ومنهم ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدي (٢) ومنهم من قال نحن نحيرون إذا ترفعوا إلينا بين الحكم وعدمه وهذا رأى الحسن والشعبي والنخعي والزهرى وبه قال أحمد

(٣) وقال الشافعي يجب الحكم بينهم ولا تخير وإنما التخيير في الحكم بين المعاهدين الذين بينهم وبين المسلمين عهد إلى مدة فتكون الآية الآتية الدالة على التخيير مخصوصة بالمعاهدين أما إذا كان المترافعان ذميين أو أحدهما ذمى فالحكم بينهما واجب لأننا مكلفون بالمحافظة عليهم والذب عنهم وكل ذلك منشؤه آيتان . الآية الأولى - فإن جاءك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم - والآية الأخرى هي - فاحكم بينهم بما أنزل الله -

وروى أيضا أن أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد لعننا نفقته عن دينه فقالوا يا محمد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعك اليهود كلهم وإن بيننا وبين قومنا خصومة ففتحناكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت - وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك الخ -

وروى أيضا أن بني قريظة والنضير وهما حيان من اليهود كان بينهم دماء قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر إلى المدينة تحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت بنو قريظة إن بني النضير يعطوننا سبعين وسقا من تمر في القليل منا وإذا قتلنا منهم أخذوا منا الضعف وهكذا أرش جراحاتنا على النصف من أرش جراحاتهم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعدل وأن لا فضل لأحدهما على الآخر فغضبت بنو نضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك لنا عدو وانك ما تألو في وضعنا وتصغيرنا فأنزل الله - ألحكم الجاهلية يبغيون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون -

هذه هي أسباب النزول التي وردت في هذا المقصد وآياته المختلفة . والمهم في هذا المقام كله الحكم بالعدل في سائر الأحوال وعدم التحيز لفریق دون آخر والرشوة والمحابة ولو كانت المحابة أمرا عظيما كدخول أمة بأسرها في الاسلام فإن اليهود حاولوا أن يفهموه صلى الله عليه وسلم أنهم يدخلون الاسلام إذا حكم لهم فلم يرض وعلى حكام المسلمين أن يقتفوا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالوا بأمر بل يكونون خلفاءه ويحكمون على البر والفاجر . والعالم والجاهل . والغنى والفقر . والشريف والوضيع . هكذا يجب أن يكون الاسلام والمسلمون والآيات لهذا أنزلت فالقرآن اليوم لنا نحن . أما رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الود وبني قريظة والنضير فانهم في العالم الباقي والقرآن اليوم يقرأ لنا والأوامر لنا والعلم لنا فلنأخذ به ولننفعه . ولنفسر الآيات فنقول

(يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) أي لانهم بموالاة الكفار ولانبال بهم فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم . واعلم أن الآية المتقدمة ذكر فيها أن الله له ملك السموات والأرض فله تعذيب

من يشاء والمغفرة لمن يشاء وقد قلنا ان ذلك على حسب المراتب والأحوال والاستعداد فلا عذاب ولا نعيم إلا على مقتضى الدرجات - وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أنصبرون - فالناس فتنة لبعضهم كل لسكر فتنة والله بهذا يختبر العباد ويرقيهم الى مقام الاسعاد فلذلك ذكر عقبها الأمر بعدم الحزن مراعاة للراتب والدرجات الخلقية فكأنه يقول يا محمد أنا رتب الدرجات وهذه الدرجات لا محالة تجمع بين الأشقياء والسعداء فمن عرف الحقائق لا تخفى عليه هذه الدقائق فكيف تحزن على المنافقين أو تأسى على القوم الكافرين فاذا رأيت المنافقين يخادعون واليهود جهورهم للكذب سماعون فلا تحزن عليهم ولا تهتم بشأنهم فقد أربناك نظام الدرجات • فكيف تحزن لهؤلاء المنافقين المسارعين في الكفر من المنافقين (الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا) وهم اليهود (سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) لم يحضروا مجلسك وهم أهل خير الدين تقدم ذكرهم في الأحاديث السابقة (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أي يميلون الكلام الذي وضعه الله في التوراة عن مواضعه تارة باهماله وتارة بتغيير وصفه وتارة بحمله على غير المراد منه (يقولون) لمن جاؤا يتحاجكون عند النبي صلى الله عليه وسلم منهم (ان أوتيتهم هذا) أي ان أفتاكم محمد بالمحرّف وهو الجلد والفضيحة للزاني والزانية (نخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا) قبول ما أفتاكم به لأننا أرسلناكم ليسهل الأمر عليكم اتباعا للأسهل من الأحكام لاطلبا للحقيقة مراعاة لدوى الوجاهة عندنا وضنا بحياتهم (ومن يرد الله فتنته) ضلّاته أو فضيحتة (فان تملك له من الله شيئا) فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) لأن درجاتهم النفسية في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى غير صالحة للرفق كما تقدم عند قوله - ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض - مرتب الدرجات فيعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء فهؤلاء من الذين لم يصلوا للدرجة الكمال النفسية (لهم في الدنيا خزي) هو ان بالجزية والخوف من المؤمنين على حسب درجاتهم في الحياة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو النار (سماعون للكذب) أي اليهود وكرره للتأكيد (أ كالون للسحت) الحرام كالرشا من سحته اذا استأصله لأنه مسحوت البركة مثل كعب بن الأشرف ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم • وفي الحديث لعن الله الراشي والمراشي أخرجه الترمذي وأبو داود • قال الحسن ذلك في الحاكم اذا رشوته ليحق لك باطلا أو يبطل عنك حقا (فان جاؤك) يعنى اليهود (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا) وهذا إما وارد في اليهوديين الزانيين وإما في الرجلين من قريظة والنضير وقد تقدم كل ذلك (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل (ان الله يحبّ المقسطين) فيحفظهم ويعظم شأنهم ثم أخذ في التعجيب منهم فقال (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) بالرّجم وانما طلبوا ذلك فرارا من الحق وعدولا عن العدل وتجاوزا عن النصفة والا فكيف يحكمونك فتحكم بينهم على مقتضى التوراة (ثم يتولون) يعرضون عن حكمك (من بعد ذلك وما أولئك) اليهود (بالمؤمنين) بكتائبهم باعراضهم عنه أولا وعمّا يوافقه ثانيا (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) يهدى الى الحق (ونور) يكشف عما أشبههم من الأحكام (يحكم بها النبيون) يعنى أنبياء بنى اسرائيل (الذين أسلموا) هذه صفة مدح بها النبيين تنويها بشأن المسلمين وتعرضا لليهود الذين حادوا عن جادة أسلافهم في أخذ الربا وقد نهوا عنه وأكلوا أموال الناس بالباطل - كشأن المسلمين اليوم - وكثير من قضائهم وحكامهم فلا فرق بينهم وبين أولئك اليهود في شئ ولذلك مرّت البلاد شرّ ممزق ألا لافرق بين حكام المسلمين في العصور المتأخرة في قضائهم الغاش وأفعالهم المنكرة وأحوالهم المحزنة وبين أولئك اليهود في بلاد العرب الذين دالت دولتهم - وخزّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون - أقول هذا وأنا أعتقد أن هذه الآيات أنزلت لأجلنا نحن فأولئك اليهود قد ماتوا وخلفهم قوم آخرون ولا يدينون بكتائبنا وانما ذكرهم الله عبرة لنا وتعلينا وتنبيها والا فما معنى قوله - والنبيين الذين أسلموا - فكان أنبياء

بنى إسرائيل لما كانوا على الهدى مسلمين . فأما الأمة الإسلامية اليوم وقد حاد انقضاه عن الحق والعدل وتنكبوا طرق الشرع القويم وزاغوا عن الحق فيؤلا انقضاه فيها ليسوا على سنن الاسلام ولا طريق الهدى ولا جارين على منهج الاسلام

وعلى ذكر القضاة أذكر هنا حادثة واحدة نقضاة مصر . جاء أحد نولاة في مصر وقال لمن له الأمر الشرعي في البلاد أنكم تفتنون بذهب أبي حنيفة والفتاوى يناقض بعضها بعضا فهل لنا أن نجعل لنا قانونا واحدا مناسبا لأحوال الأمة من المذاهب الإسلامية كما فعل المسلمون في الاستانة وفيها خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذلك الشيخ . كلا افعلوا ما تشاؤون فاضطر النواي أن يأتي بالقانون الفرنسي بجملة شاملا عاما في جميع البلاد وذلك بفعل هذا الشيخ المشهر لأن هذا الشيخ خاف أن يشترك مع مذهب أبي حنيفة الذي هو يعرفه مذاهب أخرى وهذا مما يجعل علماء المذاهب الأخرى يشركونه في الصيت والذكر والشهرة والفتوى وتزول تلك الأبهة والعظمة والهيبة الكبرى من النفوس ويقاسمه العلماء سطوته ومجيبته ونفوذه ونقوده . ان ذلك هو التلاعب بالدين وهو أشبه بما جاء عن اليهود وأهم - يترفعون الكرام عن مواضعه - فهذا أنكر مذاهب ثلاثة لأجل خبز يأكله ومال يكثره . فهذا الشيخ وأمثاله ذهبت هيبة الاسلام وضلت الأحكام . وأنا لا أحدثك عن شهادة الزور الذين يقبلونهم بغير علمون أنهم منقرون ولا عن الرشا ولا عن التهاون في الأحكام فذلك شائع ذائع . فهل هذه صفة علماء المسلمين الذين هم كانباء بنى إسرائيل الذين كانوا يحكمون بالتوراة (للذين هادوا والرازيون والأحبار) الزهاد والعلماء السالكون طريق أنبيائهم وعطف على النبيون (بما استمحفظوا من كتاب الله) بسبب أمر الله إياهم بأن يحفظوا كتابه من التضييع والتحرير (وكانوا عليه شهداء) رقباء نملا يبدل كما فعل كعب بن الأشرف ومن حاد حنوه الذين لم يحفظوا كتاب الله وليسوا عليه رقباء فذلك يبدل ويمكننا أمر بعض علماء الاسلام لما تقبعت الأمم الإسلامية فانهم قد زاغوا عن طريق الجادة وأجازوا الفتاوى المتناقضة على مقتضى الأقوال المختلفة والله لا يرضى ذلك لأنه صادر عن هوى . فليس هؤلاء شهداء على القرآن ولا رقباء فكأنهم غيروه وليس التغير للفظ بل التغير في مقصود الأحكام وذلك يؤدي الى انهيار الأمة وضياعتها بما تهانونوا في الدين القويم . ثم خاطب الله الأحكام قائلا (فلا تخشوا الناس واخشون) يقول للأحكام لا تخشوا غير الله في حكوماتكم وإياكم والمداينة فيها خشية ظالم أو مراقبة كبير (ومن لم يحكم بما أنزل الله) مستهينا به منكرا له (فأولئك هم الكافرون) لاستهانتهم به وتمردهم بأن حكموا بغيره فكفروهم لأنكارهم وفستهم بالخروج منه وظلمهم بالحكم على خلافه والظلم والفسق قد ذكرنا في الآيات الآتية هنا . ثم أخذ يمدد أحكاما من التوراة فقال (وكتبنا عليهم فيها) في التوراة (أن النفس بالنفس) أي ان النفس تقتل بالنفس (والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن واللسن باللسن) أي ان العين منقوعة بالعين والأنف مجروح بالأنف والأذن مصاومة بالأذن واللسن متواصلة باللسن (والجروح قصاص) أي ذات قصاص أي حكومتهم عدل وهذه قاعدة عامة ذكرها بعد الأربعة التي خصصها بالذكر يقول ليس هذا خاصا بالأربعة فالجروح على وجه العموم قصاص فإما نحن أن يقتل منه قاتل والرجل بالرجل والله لا يدين فإما مالا يمكن القصاص فيه كرض في لحم أو كسر في عظم أو جراحة في بطن يخاف منها التلذذ فيها لأرض والحكومة العادلة

﴿ لطيفة ﴾

هذه شريعة التوراة وردت فيه وقد أجمعت الأمة على صحته الاستدلال بقوله - وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس الخ - على هذه الأحكام ولا جرم أن هذا من شريعة من تقدم من الأمم فنحن لأن متعبدون بشريعة من قبلنا أي أننا متعبدون بما صح من شرائع من قبلنا بطريق الوحي لا من طريق كتبهم المبدلة ونفل أربابها

وهذا مذهب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي وعن أحمد في إحدى الروايتين عنه . وقال قوم كابن الحاجب من المتأخرين أننا متعبدون بما لم ينسخ من الأحكام الباقية قبل شريعتنا لكنهم لم يعتبروا قيد الوحي فإن الوحي واجب التنفيذ سواء وافق شرع من قبلنا أم لم يوافق

وقال آخرون كالشاعرة والمعتزلة والآمدى ليس شرع من قبلنا شرعاً لنا . وهذا الخلاف بينهم لا يتناول هذه الأحكام التي أجمعت الأمة عليها وهي أن الجروح قصاص مع التفصيل المتقدم (فن تصدق به) أي القصاص أي فن عفا عنه (فهو) أي التصديق (كفارة له) للتصدق بكفر الله به ذنوبه (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون * وقفينا على آثارهم) وأتبعناهم على آثارهم (بعيسى بن مريم) مفعول ثان عدى إليه الفعل بالباء (مصدقاً لما بين يديه من التوراة) وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور (هذه الجملة حال (ومصدقاً لما بين يديه من التوراة) عطف عليه وهكذا قوله (وهدى وموعظة للمتقين)

ثم قال (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) عن حكمه وعن الإيمان به ان كان مستهيناً به وهذا يدل على أن الانجيل قد نسخ أحكاماً في التوراة وهو بهامستقل ويجب العمل به على متبعيه (وأزلنا اليك الكتاب بالحق) أي القرآن (ومهيئنا عليه) ورقبنا على سائر الكتب المنزلة لأن القرآن مصدق لجميع الكتب السماوية وفي قراءة بالبناء للمجهول أي هو من عليه وحفظ من التحريف والحفاظ هو الله والحفاظ في كل عصر (فاحكم بينهم بما أنزل الله) اليك (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) بالانحراف عنه إلى ما يشتهونه (لكل جعلنا منكم) أيها الناس (شريعة) شريعة وهي الطريق إلى الماء شبه به الدين لأنه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية (ومنهاجاً) طريقاً واضحاً في الدين من نهج الأمراء إذا وضع

واعلم أن هذه الآيات أبانت أن شريعة محمد وشريعة موسى وشريعة عيسى عليهم الصلاة والسلام متباينات وهناك آيات أخرى تقدمت وستأتي أن الشرائع متفقات كما في قوله تعالى - شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا إلح - فآيات الاتفاق راجعة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وفعل الفضائل العامة واجتناب الرذائل . فأما الاختلاف بين هذه الديانات في الفروع كطرق العبادات وبعض الأحكام التي تتغير بتغير الأزمنة لأن الله جبل هذا العالم على الاختلاف (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه (ولكن) أراد أن يختبركم فكما غير بين صوركم وأخلاقكم وأوطانكم وأحوالكم غير بين شرائعكم (ليبلوكم) يختبركم (فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة هل تعملون بها أم لا وهل تدعون لها معقدين أن اختلافها مقتضى الحكمة الإلهية بنظركم الثاقب وفهمكم لما تشاهدون من نظامنا العجيب الدال على الحكم في الاختلاف في المشاهدات الحسية التي يترتب على اختلافها الآثار النافعة (فاستبقوا الخيرات) فاستبقوها انتهزاً للفرصة فلا تشغلوا الفكر فيما يوقعكم في الشك والريب كالاختلاف المذكور فلا تقولوا لا نبأ بالشكوك التي تجول بخواطرنا ولنسر في ديننا ولا نسأل عن هذا الاحتراق في أفئدتنا لناجم من الشكوك المؤلمة بل يجب الفكر في أسبابه لأننا إنما نختبركم لتظهر آثار قواكم الفكرية وعجائب عقولكم فعلى أولى الأبواب منكم أن يعكفوا على الفكر في كل ما اشتبه لأننا خلقنا عقولكم لهدايتكم فالكتب السماوية جاءت لفتح باب الفكر وبالفكر فيما التبس تكون الهداية (إلى الله مرجعكم جميعاً) وكيف ترجعون إليه ناقلين بها متحيرين فهو عليم بالمقصرين منكم والمبادرين (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) فينزل المقصرين عن درجة المبادرين (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) أي أنزلنا اليك الكتاب وأن تحكم بينهم أي والحكم بما أنزل الله (ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) أي يضللك أخبار اليهود فتحكم لهم وتقضى على خصومهم من اليهود على أن يؤمنوا بك فيتبعك عامة اليهود كما

تقدم (فان تولوا) عن الحكم المنزل وأرادوا غيره (فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أي ذنب
 القول عن حكم الله الذي هو بعض ذنوبهم الكثيرة (وان كثيرا من الناس لفاسقون) مقرّدون في الكفر
 (أحكم الجاعلية يبعثون) وهو الميل والمداينة في الحكم ومتابعة الهوى كما يريد بنو النضير وقد تقدم هذا في
 مقدمة هذا المقصد (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) يعني أي حكم أحسن من حكم الله ان كنتم
 موقنين أن لكم ربا وأنه سبحانه عدل في أحكامه اه المقصد السادس

(المقصد السابع)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ
 مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
 يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ
 فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ
 إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ، حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ
 عَنْ دِينِهِ ، فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ، أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ
 يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
 عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
 رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ * يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ
 وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوعًا
 وَلَعِبًا ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ
 وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ * قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ
 ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ، وَجَمَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ
 الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ * وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا
 بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ * وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ
 فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * لَوْلَا يَنْهَاهُمْ رَبَّانِيُونَ
 وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ ، وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ

يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَمْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ
كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ، وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْجَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَلَدْخَلْنَاهُمْ
جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ
فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ *

(التفسير للنظمي)

يروى أن عبادة بن الصامت قال إن لي أولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم واني أبرأ إلى الله
ورسوله من ولايتهم ولا مولى لي إلا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي بن سلول للنبي لا أبرأ من ولاية اليهود
فاني أخاف الدوائر ولا بد لي منهم

وأيضاً لما اشتد الأمر على طائفة من الناس في وقعة أحد وتخوفوا أن يدال عليهم الكفار فقال رجل
من المسلمين أنا ألقى بفلان اليهودي وأخذ منه أماناً اني أخاف أن يدال علينا اليهود وقال رجل آخر أنا
ألقى بفلان النصراني من أهل الشام وأخذ منه أماناً

وأيضاً كان أبو لبابة بن عبد المنذر قد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة حين حاصروهم
فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع بما إذا زلما فجعل أصبعه في حلقه مشيراً إلى أنه الذبح وأنه يقتلكم

هذه هي الأسباب التي ذكرها المفسرون الأجلاء لنزول هذه الآية التي تتراد للتهديدنا اليوم وتعلمنا كيف
نكون أمة عزيزة الجانب موفورة المنزلة باتحاد السكامة وهي (يأبها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
أولياء) أنصاراً وأعواناً على أهل الإيمان بالله ورسوله . ألا ترون أيها المؤمنون أن بعض اليهود أعوان بعض
عليكم وبعض النصارى أعوان بعض عليكم فكيف تتخذون منهم أولياء . ان من يتخذ منهم أهواناً فإنه
منهم وهو يكون ظالماً لنفسه ولأئمة بملونه أعداءهم وهذا هو قوله (بعضهم أولياء بعض) إلى قوله (والله
لا يهدي القوم الظالمين) ثم أخذ يفصل ذلك بنحو ما تقدم في الأحاديث فقال (فترى الذين في قلوبهم مرض)
تفاق (يسارعون فيهم) أي في موالاتهم (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) من دوائر الزمان بأن ينقلب الأمر
وتكون الدولة للكفار (فعمى الله أن يأتي بالفتح) لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وظهر دينه
على الأديان كلها وظهر المسلمين على أعدائهم من الكفار واليهود والنصارى وفتح مكة وفتح قري اليهود
كخبر وفدك ووهام من بلادهم (وأمر من عنده) مثل أن يقطع أصل اليهود من أرض الحجاز ويخرجهم
من بلادهم بلا كلفة وأب كما ألقى الرعب في قلوبهم فأخلوا ديارهم وخرّبوها بأيديهم وحملوا إلى الشام
(فيصبحوا) أي يصبح المنافقون المذكورون (على ما أسروا في أنفسهم نادمين) على ما أبطنوه من الكفر
والشك وعلى موالات هؤلاء ولذلك تحقق ما ذكر

واعلم أن عسى من الله واجب لأن الكريم إذا أطمع في خير فعله وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به
ورجائها له وهنا يخطر سؤال فيقال ماذا يقول المؤمنون حينئذ فقال (ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا
بالله جهد أيمانهم أنهم لمعكم) أي يقول المؤمنون بعضهم لبعض تعجباً من حال المنافقين وفرحاً بما من الله

عليهم من الاخلاص (حبطن أعمالهم) أى بطل ما كانوا يعملون من الخيرات لأجل ما أظهروه من النفاق وموالة اليهود (فأصبحوا خاسرين) دنياهم باقتضاحهم لموالاتهم من هزمهم الله وفي الآخرة أيضا باحباط ثواب أعمالهم

﴿ الكلام على الردة ﴾

اعلم أنه قد ارتدت من العرب في أواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنو مدلج وبنو حنيفة وبنو أسد . وسبع فرق في عهد أبي بكر رضى الله عنه فزارة وغطفان وبنو سليم وبنو يربوع وبعض نعيم وكندة وبنو بكر بن وائل وفرقة واحدة ارتدت في خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الأيهم هؤلاء هم الذين ارتدوا من العرب في زمان النبوة وبعدها الى زمن عمر رضى الله عنه

﴿ قتال أهل الردة ﴾

أما الفرق التي ارتدت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن بنى مدلج كان رئيسهم ذا الجار الأسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فبرز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها وأخبر الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون وأتى الخبر في أواخر ربيع الأول

وأما بنو حنيفة فهم أصحاب مسيامة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيامة رسول الله الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد فإن الأرض نصفها لى ونصفها لك

فأجاب من محمد رسول الله الى مسيامة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين خاربه أبو بكر بمحمد من المسلمين وقتل كما سيأتى

وأما بنو أسد فهم قوم طليحة بن خويلد واقعد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدًا فهرب بعد القتال الى الشام ثم أسلم وحسن اسلامه . هذه هي الفرق التي ارتدت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أما الفرق السبع التي ارتدت في زمن أبي بكر رضى الله عنه فاعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتدت عامة العرب إلا أهل المدينة وأهل مكة وأهل البحرين من بنى عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين

ولما ارتدت من ارتدت من العرب ومنعوا الزكاة هم أبو بكر بقتالهم وكره ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم منى ماله ودمه إلا بحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لومنعوني عنها أوقال عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . وقال أنس بن مالك كره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال مانعي الزكاة وقالوا هم أهل القبلة فتقدم أبو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على أمره . وقال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء ثم جئناه في الانتهاء . واثني أبو حصين على أبي بكر لبسالته وقال انه أفضل من ولد بعد النبيين لقتاله أهل الردة

ولقد أرسل خالد بن الوليد في جيش كثير الى بنى حنيفة باليامة وهم قوم مسيامة الكذاب فأهلك الله مسيامة على يد وحشى غلام مطعم بن عدي الذى قتل حمزة

والفرق السبع التي ارتدت في زمن أبي بكر لما حاربها رجعت الى الاسلام بجيوش من الصحابة ومن معهم

وأما التي ارتدت في زمن سيدنا عمر فهي غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصروا وساروا الى الشام

﴿ من هم القوم الذين يحبون الله ويحبهم الله ﴾

هم الصحابة الذين قاتلوا أهل الردة وأهل اليمن وقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل اليمن كما أثنى على الصحابة إذ قال أئمتكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وكذلك الأنصار الذين هم قسم من الصحابة وقوم من اليمن منهم ألفان من النخع وخمسة آلاف من أهل كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أخلاط الناس جاهدوا يوم القادسية مع عمر وكذلك الفرس لأنه عليه السلام سئل عن القوم الذين يحبهم ويحبونه فصر يده على عاتق سلمان وقال هذا وذوره

هؤلاء هم الذين وردت الأحاديث المختلفة بأنهم الذين يحبهم الله ويحبونه وأن ذلك معجزة فان ردة العرب ورجوعهم للإسلام ونصر الله للمسلمين بمجنوده . كل ذلك كان مغيبا واعلم أن ما في هذه الأحاديث ليس حاصرا لمن يحبهم الله ويحبونه فان معنى حب الله العبد ارادته الهدى والتوفيق له في الدنيا وحسن الثواب له في الآخرة ومعنى محبة العباد له ارادة طاعته والتحرز من معصيته وليس ذلك خاصا بهؤلاء بل ان الأمم الإسلامية كلما خدت أمة جاءت أمم حتى انك ترى التتار الذين جاؤا من بلادهم وأزالوا الدولة العباسية على يد أبنا جنكيزخان وقتلوا الخليفة العباسي وحكموا الاسلام هم الذين أسلموا بعد ذلك وهم في بلاد روسيا الآن وعلى نهر فولجا وغيره و يبلغون عشرات الملايين وكذلك يوجد أمم أسلمت في جزائر الهند الشرقية نحو ٦٢ مليوناً من جاوه وما والاها من البلدان وكذلك في الصين وفي السودان ولا يزال الاسلام ينتشر للآن أفليس هؤلاء من الذين يحبهم الله . نعم يحب الله من صلح من هذه الأمم وقام بالأمر خير قيام وكذلك أسلم في زماننا من عظماء الانجليز اللورد هدي وقد قابلته فرأيت رجلا عظيما بعد ما قرأت رسالته في الاسلام خصوصا بعد ما زار الأقطار الحجازية وأدى فريضة الحج فكل هؤلاء داخلون في المحبة المذكورة

فإنه بهذه الآيات يقول لنا كلما ارتدت أمة عن الاسلام دخلت فيه أمة أخرى لأن الاسلام وحى أراد الله بقاءه ليكون من الموازين التي ينصبها الله للعدل وللحياة في الأرض فهذا هو قوله تعالى (بأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) الى قوله (والله واسع عليم) ومعنى (أذلة على المؤمنين) عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لاذلول فان جمعه ذلل وقوله (أعزة على الكافرين) أى شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقوله (يجاهدون في سبيل الله) صفة أخرى لقوم وقوله (ولا يخافون لومة لائم) عطف على يجاهدون فهم جامعون للجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه وقوله (ذلك) أى المتقدم من الأوصاف (فضل الله يؤتية من يشاء) يمنحه ويوفقه له (والله واسع عليم) كثير الفضل عليهم بمن هو أهل

ولما أتم الكلام على الردة المذكورة في غضون التفاف لما سبقتها ولقربها منه لاقترب المنافق من مراتب الكافرين وازداد لافه الى دركات المرتدين أخذ يتكلم على النفاق والموالة ومن الذين نوالهم فقال (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) لما أسلم عبد الله ابن سلام قال يا رسول الله ان قومنا بنى قريظة والمضير هجرونا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا فنزلت فقرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه ربا وبرسوله نبيا وبالمؤمنين أولياء

واعلم أن الآية عامة ولا سبب من الأسباب الواردة يخصها فهو يقول ان أهل معوتتكم وموالاتكم هم المؤمنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم متواضعون لامتكبرون عليكم كما تقدم في قوله تعالى - أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين - ثم أبان أن من اتبع هذا الفريق فإنه فائز لأنهم هم الغالبون وهذا قوله تعالى (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) يعنى فانهم هم الغالبون لكن وضع الظاهر موضع المضمرة تعظيما لشأنهم ثم أخذ بشرح الموضوع زيادة إيضاح لأهميته فقال تعالى

(يأبها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين * واذا ناديتهم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لايعقلون) والمعنى أن أهل الكتاب الذين اتخذوا الدين هزوا ولعبا والكفار وهم عبدة الأصنام لايجوز للمسلمين أن يتخذوهم أنصارا وأولياء وهذا على قراءة النصب بعطف الكفار على الذين اتخذوا دينهم وقرا بالجر أبو عمرو والكسائي ويعقوب فيكون الذين اتخذوا الدين هزوا ولعبا من أهل الكتاب ومن عبدة الأوثان وهم الكفار معا وعلى كل من القراءةين لاتجوز موالاتهم

روى أن نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال أحرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فتطير شررها في البيت فأحرقه وأهله

وروى أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فتهمي الله عن موالاته هؤلاء جميعا وقوله (واتقوا الله) أى بترك ما نهاكم عنه وقوله (إن كنتم مؤمنين) أى بوعده ووعيده وقوله (ذلك بأنهم قوم لايعقلون) لأن السفه يؤدى الى الجهل بالحق والهرؤ به والعقل يمنع منه

ثم إن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يؤمن به فقال - أومن بالله وما أنزل اليه - الى قوله - ونحن له مسلمون - فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام لانعلم ديننا شرّا من دينكم فقال الله له (قل) لهم (يا أهل الكتاب هل تقمون منا) هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه اذا أنكره وانتقم اذا كافأه (الا أن آمنا بالله وما أنزل اليه وما أنزل من قبله وان أ كثرتم فاسقون) أى لاتنكرون منا الا ايماننا بالله وبما أنزل اليه من القرآن وما أنزل الى الأنبياء واعتقاد أن أ كثرتم فاسقون وهذا على حد قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

فهـل الحق ينكر أو الخبر يعاب آمنا بالأنبياء الذين أرسلهم الله فنقمتم علينا واعتقدنا أنكم فاسقون خارجون عن سنن الحق بتحريفكم في دينكم وكفركم بديننا وهذا صدق • فكيف تشكرون وتعيبون ذلك • وكيف تقولون لانعلم ديننا شرّا من دينكم (قل) لهم يا محمد (هل أنبشكم بشرّ من ذلك مثوبة عند الله) جزاء وثوابا عند الله والمثوبة في الخير كالعقوبة في الشرّ (من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) بدل من شرّ أى بشرّ من أهل ذلك وهؤلاء هم اليهود أبعدهم الله من رحمة ومسح بعضهم قردة وخنازير وهم أصحاب السبت إما مسخا جميعا وإما مسخا معنويا بأن صاروا مقلدين كالقردة وذوى شهوات كالخنازير بسبب المعاصي التي ارتكبوها بمخافة التوراة (وعبد الطاغوت) معطوف على صلة من أى أطاع الشيطان فيما سؤل له وفي معناه العجل الذي يعبدوه والكهان والأخبار والرهبان الذين اتبعوهم فيما أحلوا وحرّموا (أولئك) الملعونون (شرّ مكانا) واذا كان مكانهم شرّا فهم أولى بالشرّ (وأضلّ عن سواء السبيل) أى قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقبح اليهود (واذا جاؤكم قالوا آمنا) أى اليهود فانهم نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عاتمة المنافقين (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) أى يخرجون من عندك كما دخلوا (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من الكفر وفيه وعيد لهم (وترى كثير منهم) أى من اليهود أو المنافقين (يسارعون في الاثم) أى ما يختص بهم من الحرام (والعدوان) ما يتعدى الى غيرهم (وأكلهم السحت) أى الحرام (لبئس ما كانوا يعملون) لبئس شيئا عملوه (لولا ينهاهم الرابانيون والأخبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت) لولا اذا دخل على الماضى أفاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض • يقول الله هلا ينهاهم هؤلاء العلماء الزاهدون والعابدون عن قول الاثم وأكل الحرام (لبئس

ما كانوا يصنعون) وهذا توخيخ لهم وتقرير أشد من تقرير العامة الذين قرعهم على عملهم وهؤلاء قرعهم على صنعهم والصنع لا يكون إلا بعد التروى وهؤلاء العلماء قد أمسكوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قصدا وعمدا للمحافظة على رئاستهم وأخذ الأموال بالباطل والعالم أولى بالعقاب من الجاهل . فالعلماء أقرب الناس إلى العذاب في كل أمة متى قصروا عن النصيحة للأئمة

ولقد كان اليهود أغنياء فلما كانت أيام النبي صلى الله عليه وسلم قل ما لهم فقالت اليهود إن الله ممسك مقتر وهذا قوله (وقالت اليهود يد الله مغلولة) فهو مجاز أما عن البخل أو الفقر (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) دعاء عليهم بالبخل والتكد أو بالفقر والمسكنة أو بغل أيدي حقيقة ليكونوا أسرى في الدنيا ويوم القيامة (بل يدها مبسوطتان) ثنى اليد مبالغة في نفي البخل وإثبات الجود (ينفق كيف يشاء) أي يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتصر على من يشاء (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) فلا تتوافق قلوبهم (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) فترى النصارى مختلفين مذاهب دينية وعقائد وهم كذا اليهود وذلك موجب لتفريق الكلمة فكما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله بالتخاذل (ويسعون في الأرض فسادا) أي للفساد وهو اجتماعهم في الكيد وإثارة الحرب والنقن وهتك المحارم (والله لا يحب المفسدين) فلا يجازيهم إلا شرا (ولو أن أهل الكتاب آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (واتقوا) ما ذكرناه من المعاصي (لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنت النعيم) * ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل) بأذاعة ما فيها من نعت محمد صلى الله عليه وسلم والقيام بأحكامهما (وما أنزل إليهم من ربهم) أي سائر الكتب المنزلة (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أي لوسع الله عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات من السماء والأرض أو بكثرة ثمر الأشجار وغلة الزرع ونموه ووفرته (منهم أمة مقتصدة) متوسطة في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم (وكثير منهم ساء ما يعملون) أي بئس ما يعملونه وفيه تعجيب أي ما أسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض والافراط في العداوة . انتهى التفسير اللفظي ﴿ لطائف ﴾

(١) اللطيفة الأولى - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء -

(٢) اللطيفة الثانية - قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا - الآية

(٣) اللطيفة الثالثة - لولا ينهاتهم الربانيون والأحبار عن قولهم الائم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون -

(٤) كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله - ﴿ اللطيفة الأولى ﴾

ليس المقصد من اليهود والنصارى خصوصهما وإنما ذلك يراد به أن يحفظ كيان الدولة ولا يفرق الجمع بالتخاذل والاتفاق السري مع الأعداء من أي دولة ومن أي دين والا فقد جاء التتار من جهة المشرق وأزالوا دولة العرب واتحد معهم الوزير العلقمي سرا وذهبت الدولة لهذا الغدر . فهل كان يجوز لذلك الوزير ذلك لأنهم ليسوا يهودا ولا نصارى بل هم مجوس . كلا لا يجوز موالاتهم * قال الشاعر إذ ذاك

يا أمة الاسلام قومي واندبني * وابكي على ماتم للمستعصم

دست الوزارة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصار لابن العلقمي

وهذا الوزير كان شيعيا وأراد بذلك النكاية في أهل السنة الذين هم سنيون . ثم إن التتار خربوا الديار وفتكوا بالأمة فتكا شديدا بسبب موالاته الوزير لهم وانشقاقه على المسلمين

وأيا إذا عاهدنا أمة كتابية فانا نفي بعهدهم وكذلك أهل الذمة ندافع عنهم ونحوطهم بعنايتنا وإذا عاهدنا قوما فلنف بعهدهم ونحارب معهم على أي دين كانوا وجاء في سورة الممتحنة - لا ينهاكم الله عن الذين لم

بقائكم في الدين ولم يخرجكم من دياركم أن تبرّوهم وتمسكوا اليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون -

فإن قرآن يرجع فيه للعقل والتفصيل والبحث والتنقيب * فأما العمل بالآيات بدون بحث فأنما هو فعل الغافلين

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

يقول الله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم - هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل من قبل الخ - وأنا أورد حكاية لمناسبة هذه الآية * فأقول

﴿ الحكاية ﴾

توجهت يوماً إلى أحد أصحابي بدكانه جهة باب الخلق بالقاهرة فسلمت عليه فردّ السلام وقد رأيت رجلاً معهما جالسا معه * فقال أنا أحب أن أعرفك بفلان المبشر * فقلت كأننا مبشرون * فقال ذلك الضيف وهل يبشر إلا بآب الله الوحيد * فقلت كلمني بالعقل وليكن حكماً * إما أن تقولوا إن العالم ليس له إله وإما أن تقولوا له إله * فقال وكيف ذلك * قلت إذا كان الله يترك العالم بلا هاد ولا مرشد ماثت الألوف من السنين ثم يأتي في آخر الزمان ويقول لهم هذا هو أبني الوحيد يهديكم أفليس ذلك معناه البخل والجود والإله الذي يترك عباده هكذا سهلاً ثم يتذكرهم آخر ليس بكرم واذن يكون هذا ليس باله فالإله متصف بأجل الصفات وأبهاها فقولكم هذا معناه أنه لا إله في العالم فلما سمع ذلك مني اتجه بالكلام إلى جهة أخرى وقال ما الذي فعله نبيكم وليس كل فضل له إلا في فصاحة القرآن بالإيجاز مع إن أمراً القيس قال

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * وهذا في الإيجاز لا ينقص عن القرآن * فقلت له إذا كان هذا هو البلاغة في نظرك فاسمع مني (العالم منظم) وهذه الجملة على إيجازها تجمع التوراة والإنجيل والقرآن وجميع الكتب السماوية وسائر الديانات فهل أنا بقولي هذه الجملة الجامعة الآن أصبحت فوق النبيين * قال * كلا قلت إذن لا معنى لهذا القول * فقال أن نبيكم علمه رجلاً * قلت له أنتم أخذتموها من قول الكفار - إنما يعلمه بشر - وأنا أقول لك أي نبي لم يتعلم * ألم يتعلم موسى * ألم يتعلم عيسى * أليس كل نبي لابد له من طريق يسير فيه * أفليس يسأل الناس عنها * أفليس له ظئر ترضعه ومربية * قال بلى * قلت هذا تعليم * ثم قلت له أأنت ترى أن المعلمين في المدارس المصرية وفي الأزهر متعلمون * قال بلى * قلت ومعلومهم لم يكن لهم ظاير في العلم أيام النبي صلى الله عليه وسلم * قال نعم لأنهم كانوا جاهلية * قلت فإذا كان الأمر كذلك وأن المدارس على التعليم فلماذا لم نكن جميعاً أنبياء

(يا فلان) أنا أقول الحق إن هذه المحاورات التي يقولها المبشرون إنما جعلت لأكل الخبز والا فبالله إذا أراد الناس الحق فلماذا ينكر النصاوي على نبينا هدايته للناس * أليس يأمرهم بفعل الطاعات وترك المعاصي قال بلى * قلت أليس المسيح جاء ليهذب الناس فسكره أتباع موسى وكفروه * قال بلى * قلت أنا أشهد الله أن أكثر المتدينين لا يريدون إلا الخبز والملبس والشهوات وهكذا قال علماءنا المفكرون إن علماء الدين في أكثر الأمم عقولهم أقرب إلى عقول العامة يسعون للخبز * انظر (يا فلان) ألسنا نقرأ كلام شكسبير الإنجليزي وروسو الفرنسي وجميع علماء الأمم يقرأ بعضهم كلام بعض بسرور فما بال القسيسين من النصارى يكرهون من جاء بعدهم ليهدي الناس إلى الحق والحق أقول إن هذا لأجل الخبز والانسانية ضائعة في هذه المجادلات والمحاورات * فقال صاحب الدكان (يا فلان) إن هذا المبشر يصلي سرا صلاة اسلامية وهو في الجهر يعيش مع المبشرين ويأكل من صناعة التبشير فوافق المبشر على ذلك

الطبعة الثالثة

(حکایت مع شاب ہندی)

قابلي منذ أيام شاب دى فرأيت له لابسا ملابس قطنية مغزولة باليد منسوجة بنسج غليظ الخيطان ومن هذا النسج (فلنسوته) على رأسه وثيابه على جسده . فقلت له أهذا صناعة بلادكم . فقال نعم . فقلت له أنت اليوم في مصر فهل يمنع أن تلبس كالمصريين . فقال لو فعلت ذلك لكنت خارجا عن الوطنية والعهود التي أخذت علينا . فقلت له وكيف ذلك . قال أخذ علينا العهد الوطني أن لا نلبس إلا ما نسجه الهنديون وغزله الوطنيون بعد أسوره الهندية . فقلت له حدثني عنها . فقال إن الهنود الوثنيين ليس بينهم رابطة لاختلافهم أديانا حتى إن كل جماعة منهم تبلغ ١٥ مليوناً في المتوسط لها دين خاص بها ولما أراء الرئيس غاندى (الزعيم الهندى) هو والرؤساء المسلمون الثورة لم يجذوا بابا يلجونه إلا مدرسة على كره الاسلاميه . فقالوا للقلاميد ابدأوا بالاضراب فأضربوا فاتبعهم جميع الوثنيين وكان ما كان من هذا الميثاق الوطنى وايس عندنا رئيس يخالف الميثاق ولامرؤس فقال قائل ان الرؤساء في مصر قد يخطئون في أعمالهم فقال ليس عندنا كذلك بل انا مع واقف لهم بالمرصاد قال تعالى - لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون - فأعجبني حسن بيانه وأيقنت أن هناك روحا في الاسلام استجذبت لم تكن من قبل - ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز - وهذه الحكاية تقدمت ولكن هذا زيادة تناسب المقام اللطيفة الرابعة قوله تعالى - كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله -

اعلم أن هذه القاعدة طبيعية إلهية . لقد خلق الله أنواع الحيوان وسلط الأساد على الغزلان ولكنه قل من نسل الصنف الأول وأكثر من نسل الصنف الثاني حتى يبقى ماهو مأكول لقلة ماهو آكل وهكذا يجعل في نوع الانسان قوانين لبقائه وشروطا لحياته ألا ترى انه يحدث بين الدول تصادما واختلافا وهذا الاختلاف لولاه لأهلك بعض الأمم بعضها فيقولون يجب حفظ التوازن ومتى حفظ التوازن لانستبد احدى الدول بالأمم الصغيرة فلذلك نجد أمم أوروبا تجتمع من جهة على اضعاف أهل الشرق ومن جهة أخرى لانسمع واحدة منها لأخرى بابتلاع بلاد كثيرة خيفة أن تكبر عليهم وتعظم ومع ذلك تراهم دائبين في ايقاع الفتن والشور والعداوات بين الأمم الشرقية ليدوم لهم العز والسلطان ويسودوا في بلادنا والرؤساء في بلادنا يوالونهم وهم يملؤن قلوبهم حبا للجبش والشره . فهذا هو ايقاد نار الحرب وذلك اطفائها . انتهى المقصد السابع

(الْمَسَدُ الثَّامِنُ)

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا ، كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ * وَحَسِبُوا أَنَّ تَكُونَ فِتْنَةً ، فَعَمُوا وَصَمُوا

ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، وَاللَّهُ بِصِيرِهِ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ كَفَرَ
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي
وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمِنْ إِلَهِ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِذْ لَمْ يَنْتَهُوا
عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، وَأُمُّهُ
صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ، انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ، ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ *
قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ، وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ دَلَّوْا مِنْ قَبْلُ
وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ * لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ
دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ
فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، لَبِئْسَ مَا
قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَخِطَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ * وَانْظُرْ كَيْفَ يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * اتَّجَدَنَّ أَشَدَّ
النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ، وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيحِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا
مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا
فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا
مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ،
وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد شج رأسه وكسرت ربا عيته وهذا قد تقدم في روة أحد وهكذا
أيضا تقدم حيث أعرابي الذي أراد قتله بالسيف فسقط من يده وهو تحت الشجرة ثم تناول السيف صلى
الله عليه وسلم فأسلم الرجل بعد أن تمكن النبي صلى الله عليه وسلم من قتله فلم يقتله

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثني الله برسائه فضقت بها ذرعا فأوحى الله تعالى اليّ ان لم تبلغ رسالتى عندّ برك وضمن لى العصمة فتقويت * وعن أنس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت - يأيتها الرسول بلغ ما أنزل اليك الآية - فأخرج رأسه من قبة آدم فقال انصرفوا أيها الناس فقد عصمى الله من الناس وهذا قوله تعالى (يأيتها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) أى جميع ما أنزل اليك ولا تراقب أحدا ولا تخف مكرها ولا تبال باستهزاء اليهود ولا بكراهة المنافقين الجهاد ولا باستنقال اليهود حكم الرجم الذى حكمت به وهو موافق للتوراة (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما أمرت (فما بلغت رسالته) فما أدت الرسالة لأن كتمان البعض يضيق مآدى منها كما تبطل الصلاة بترك ركن فيها ويموت الحى بقطع رأسه أو قلبه أو عضو رئيس أيا كان من أعضائه وان خفت الناس فقد حفظتكم منهم (والله يعصمكم من الناس) وهذا عدة من الله وضمان أن يعصم روحه من تعرض الأعادى (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) لا يمكنهم مما يريدون بك وهكذا كل من كتم شيئا من الدين فإنه لم يبلغه ويكون ترك البعض كأنه ترك الكل * ألا ترى أن رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة لما قالوا يا محمد ألسنت تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد انها حق أجابهم قائلا بلى ولكنكم أحدثتم ومحدثم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس فأنا برىء من أحداثكم قالوا فانا نأخذ بما فى أيدينا فانا على الحق والهدى ولانؤمن لك ولا نتبعك فهاهوذا يقول لهم قد كتمتم فكتمان بعض الدين لم يحز فى الاسلام كما لم يحز فيما قبله وهذا هو قوله تعالى بعد ما تقدم (قل يا أهل الكتاب لستم على شئ) دين يعتد به (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) ومن اقامة الدين الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله - فلا تأس - لانحزن عليهم لزيادة طغيانهم

وقوله (ان الذين آمنوا الخ) تقديره - إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم - مما أمامهم - ولا هم يحزنون - على ما فاتهم - والصابثون - كذلك وانما أفرد الصابثين دون الأديان لأنهم أشد انكارا للأنبياء يقولون اننا لا نتبع إلا الملائكة فأما البشر فأنهم متساوون ويزعمون أن الملائكة هم الذين يعلمونهم فقل لهم من أنتمكم هذا فقالوا هذا شرع ابراهيم قيل لهم فابراهيم إذن نبيكم فثبت أن البشر يكونون واسطة بين الناس وبين الملائكة والمخاورة هناك مبسوطه فى كتاب (الشهرستانى)

ومعنى هذه الآيات أن من آمن من أى دين وعمل صالحا فإن الله يجازيه على ذلك خيرا بالجنة وبالنجاة من النار وقد تقدم نظيرها فى سورة البقرة (لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا) لينذروهم (كلما جاءهم رسول) منهم (بما لا تهوى أنفسهم فرىقا كذبوا وفرىقا يقتلون) فقوله كذبوا جواب كلما وجهلة كلما صفة رسلا (وحسبوا) أى بنو اسرائيل (أن لا تكون فتنة) أى أن لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الأنبياء وتكذيبهم (فعموا) عن الدين وعن الدلائل والهدى (وصموا) عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا الجمل (ثم تاب الله عليهم) أى ثم تابوا فتاب الله عليهم (ثم عموا وصموا) كرة أخرى (كثير منهم) بدل من الضمير (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم ثم أخذ يشرح حال النصارى بعد الفراغ من أمر اليهود فقال (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله) هو ظاهر التفسير الى قوله (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) أى أحد ثلاثة أى يقولون انه جوهر واحد ثلاثة أقانيم أب وابن وروح قدس وهذه الثلاثة إله واحد كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالأب الذات وبالأبن الكلمة وبالروح الحياة وقالوا ان الكلمة هى كلام الله اختلطت بحسد المسيح اختلاط الماء باللبن وقالوا ان الأب إله والابن إله والروح إله والكل إله واحد . ونقل المفسرون قولاً

ثانياً أن الثلاثة • الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة واللوحية مشتركة بينهم وكل واحد منهم إله قال تعالى (وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينهوا عما يقولون) ولم يوحّدوا (لنيسق الذين كفروا منهم عذاب أليم) أي لنيسق الذين بقوا على الكفر منهم (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرون) أي أفلا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد (والله غفور رحيم) يغفر لهم ويرحمهم إن تابوا (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة) كسائر النساء الثلاثي يلزم من الصدق (كأننا يا كلان الطعام) ويقتصران إليه اقتدار سائر الإنسان والحيوان • فهذا تبين ما عنوا به من الرسالة والصدق ولهما مشاركون من نوع لأنسان فأين اللوحية وتبين أيضا النقص الذي يساوهم ما مع أصغر المخلوقات وهذا موجب للمعجب من تصديق اللوحية وهذا قوله (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أأنى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق (قل) يا محمد لأتباع المسيح (أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً) وكل ما جاء على يده بملك الله له لا من نفسه فإذا كان هكذا في مشاركة المخلوقات له في النقص الكمال وليس له من نفسه نفع ولا ضرر فكيف تعبدونه وقوله - مالا يملك - أي شيئاً لا يملك وهو عيسى عليه السلام (إن الله هو السميع العليم) بالأقوال والعقائد فيجازى عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر (قل) يا محمد (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) أي غلوا باطلا فترفعوا عيسى عليه السلام إلى أن تدعوا له الألوهية (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) عن طريق الشرع الحنيف يعني أسلافهم وأئمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم (وأضلوا كثيراً) شايعهم على بدعهم وضلالهم (وضلوا عن سواء السبيل) ضللاً عقلياً أخلاقياً (أمن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) أي لعنهم الله في الزبور والانشيد على لسان داود وعيسى • فأهل إله لما اعتدوا في السبت لعنوا فيه ومسحوا قرده • وأصحاب المائدة لما كفروا بعيسى أصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة بأوفى بيان (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) أي لا ينهي بعضهم بعضاً عن المنكرات التي فعلوها (لبئس ما كانوا يفعلون) تعجب من سوء فعلهم (نرى كثيراً منهم) أي أهل الكتاب (يتولون الذين كفروا) يوالون المشركين (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) لبئس شيئاً قد سود ليردوا عليه يوم القيامة والمخصوص بالدم قوله (أن سخط الله عليهم) أن غضب عليهم وقوله (وفي العذاب هم خالدون) أي في الآخرة (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي) يعني نبيهم مكي وعيسى (وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء) لأن دين الأنبياء لا يرضى بالشرك (ولكن كثيراً منهم فاسقون) خارجون عن دينهم ومقتردون في تفاهمهم • ثم أخذ يوازن ما بين النصارى واليهود مع المسلمين المشركين فقال (لنجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) لشدة شكهم وتضاعف كفرهم (ولنجدن أقر بهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) لأنك ترى أن دين المسيح يأمر بالمسححة والعفو والمغفرة وحب العدو والصديق والاحسان إلى الغريب والغريب واليهود على خلاف ذلك بل هم لا يريدون إلا أمتهم وحدها وهم قديما وحديثا لا يريدون إلا أنفسهم ولو أضروا الناس بذلك ثم أيد مودة النصارى بقوله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) أي علماء ومبشرين (وأنهم لا يستكبرون) فهم متواضعون فالتواضع والاقبال على العلم والعراض عن الشهوات كلها خصال محمودة وإن كانت في كافرين نزلت هذه الآيات حين هاجر المسلمون من ابداء الكفار بمكة كعثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبي حذيفة وغيرهم وجميعهم ١١ رجلاً وأربع نسوة وكان ذلك سرّاً في رجب في السنة الخامسة من البعثة وهي الهجرة الأولى ثم خرج جعفر بن أبي طالب وغيره وهي الهجرة الثانية حتى صاروا اثنين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان فوجهت قريش وفداً على رأسهم عمر بن العاص ومعهم هدايا للجاشي وبطارقه ليردوهم إلى قومهم فقال عمرو بن

العاص قد خرج فينا رجل سغه عقول قريش وأحلامها وزعم أنه نبي وقد أرسل اليك رهطاً فذسألك أن تردهم إلى قومنا فأحضر النجاشي المسلمين وقال ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه فقال له جعفر بن أبي طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم العذراء ويقول في مريم أنها العذراء البتول ثم طلب منهم ما جاء في ذلك فقرأ جعفر سورة مريم وهو والتقيسون والرهبان يسمعون فأنحدت دموعهم مما عرفوا من الحق فلم ينل عمرو بن العاص شيئاً من المسلمين ورجع بخفي حنين من عند النجاشي وبقى القوم عنده إلى سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان لما مات زوجها فزوجها له والمهر أربع مائة دينار وأمر النجاشي أن يبعث إليها نسائه مما عندهن من دهن وعود فوردت أم حبيبة إليه صلى الله عليه وسلم وهو يحاصر خيبر وكذلك جعفر وأصحابه وسبعون رجلاً عليهم الثياب الصفراء منهم ٦٢ رجلاً من الحبشة وثمانية من الشام وسمعوا سورة يس من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جاء ثمانون رجلاً منهم ٤٠ منهم من نصارى نجران و٣٢ من الحبشة وثمانية من روم أهل الشام فآمنوا ففي هؤلاء وأمثالهم نزلت هذه الآية وما بعدها وهو قوله تعالى (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فآكتفينا مع الشاهدين) من الذين شهدوا بأنه حق وبنبوته وقد أرسل النجاشي ابنه أزهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم في ٦٠ رجلاً من أصحابه وكتب إليه يقول

أشهد أنك رسول الله صادقاً مصداقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفر وقد بعثت إليك ابني أزهى وإن بذت أن آتيك بنفسى فعلت والسلام عليك يا رسول الله ففرق ابنه في البحر مع أصحابه (ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) أى وأى شئ حصل لنا حال كوننا غير مؤمنين بوحداية الله والحال أنا نطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين (فأنا بهم الله بما قالوا) عن اعتقاد (جنات تجري من تحتها الأنهار) إلى قوله (المحسنين) أى الذين أحسنوا النظر والعمل واعتادوا الاحسان في الأمور كلها (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) وهو ظاهر التفسير . اهـ
المقصد الثامن

(المقصد التاسع)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ، وَلَا تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ * لَا يُؤْخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ، وَلَكِنْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ، فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا طَعِمْتُمْ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ

الصَّلَاةَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا
 أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا
 إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا، ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا، وَاللَّهُ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْدُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيِّدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ
 لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ
 بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذِيئًا بِالْمَعْكَبَةِ أَوْ كِفَارَةً طَعَامٌ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا
 لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ، عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفَ، وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ *
 أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ
 حُرُمًا، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * جَعَلَ اللَّهُ الْمَكَّةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ
 وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ، ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * إِعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ، وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * مَا عَلَى
 الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ * قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
 وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّهُ أَكْبَرُكُمْ تَقْلِحُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ
 تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا، وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا
 كَافِرِينَ * مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ، وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا آبَاءَنَا، أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا، وَلَا
 يَهْتَدُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ حَتَّىٰ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ
 مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *

لما كان مدح النصارى وتواضعهم وانصافهم ربما جرَّ المسلمين أن يفعلوا كما فعلوا ويتركوا النساء
 ويكونوا رهبانا . لاسيما أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لأصحابه يوما وبالغ في انذارهم فارقوا

واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون وانفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفراش وأن لا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسبحوا في الأرض ويحبوا هذا كبرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اني لم أؤمر بذلك ان لا تنفك عليكم حقاً فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزل (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) في الإفراط في كسر الشهوات كما لا يجب المفرطين في الشهوات بفعل الحرام (وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً) أي كلوا ما أحل لكم وطاب مما رزقكم الله (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون * لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقولك لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل الخلف على ما يظن أنه كذلك ولم يكن واليه ذهب أبو حنيفة (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) بما وُثِّمَ الإيمان عليه بالنصد والثنية (فكفارته) أي كفارة ذلك أي الفعلة التي تسره وتذهب أنه اطعم عشرة مساكين من أوسط ما طعمون أهلكم أو كونهم أو تحرير رقبة أي أن الكفارة بأحد أمور ثلاثة

﴿ الأمر الأول ﴾

- (١) إيمان أن يطعم عشرة مساكين بأن يغنيهم ويعيشهم عند أبي حنيفة
- (٢) أو يسطي لكل مسكين مثلاً طعام وهو رطل وثلاث بالبرادى من غالب قوت البلد عند الشافعي وكذا سائر الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب ومالك وغيرهم
- (٣) أو مدين من بر وهو نصف صاع لكل مسكين عند عمر وعلي وعائشة وبه قال أهل العراق
- (٤) أو مدين من الخنطة كما تقدم وهو نصف صاع ومن غيرها صاع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد ابن جبير ومجاهد

- (٥) أو مدين من البر لكل مسكين ونصف صاع من غيره مثل التمر والشعير
- (٦) وجوز أبو حنيفة إخراج القيمة في الكفارة كالدرهم والدنانير وإخراج لدقيق والخبز كذلك فذهب أوسع المذاهب في هذا • هذا هو الأمر الأول

﴿ الأمر الثاني من الكفارات الكسوة ﴾

- (١) وهو إياثوب جامع كالمحفظة عند النخعي
- (٢) أو ثوب واحد مما يقع عليه اسم الكسوة إزار أو رداء أو قميص أو عمامة أو سراويل أو كساء عند ابن عباس والحسن وعطاء وطاووس والشافعي
- (٣) أو ما يجوز به الصلاة للرجل ثوب والمرأة ثوبان درع وخمار وهو أدنى ما يجزى في الصلاة وهو قول مالك
- (٤) أو قميص وإزار ورداء وهو قول ابن عمر
- (٥) أو ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين

﴿ الأمر الثالث من الكفارات العتق ﴾

فيجب اعتناق رقبة مؤمنة وأجزاء الكفارة عند أبي حنيفة • هذه هي الثلاثة التي يخير بينها الخائف والنوع الرابع الصوم (فمن لم يجد) الكفارة (فصيام ثلاثة أيام) أي فإذا عجز من لزمته الكفارة في الصيام عن الإطعام والكسوة والعتق وجب عليه صيام ثلاثة أيام متى كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليالته وفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالإطعام وإن لم يكن عنده هذا القدر جاز له الصيام وقال أبو حنيفة يجوز له الصيام إن لم يكن عنده من المال ما يجب فيه الزكاة • وقال الحسن إذا لم يجد

درهمين صام . وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم

واللتابع في الصوم إما واجب عند ابن عباس ومحمد بن عطاء وقدادة وأبي حنيفة وأحمد وأحمد بن حنبل والشافعي واللتابع أفضل عند الحسن ومالك والفقهاء الثاني للشافعي (ذلك كفارة إيمانكم بأحلفتكم) وحنبل (واحتفظوا إيمانكم) بأن تظنوا بها ولا تبدلوا السكك أمر أو بأن تبروا فيها ما استطعتم (كذلك) أي مثل ذلك البيان (يبين لكم آياته) أعلام شرائعه (لعلكم تشكرون) فعمدة التعليم (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب) الأصنام التي نصبت للعبادة (والأزلام) تقدمت في أول السورة (رجس) قدر تعافى عنه العقول (من عمل الشيطان) لأنه مسبب عن تسويله وتزيينه (فاجتنبوه) أي الرجس (لعلكم تفلحون) لكي تفلحوا بالاجتناب (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) وغيرهما وخسبهما بالكفر لعظم قدرهما (فهل أنتم منهونون) هذا أبلغ حث على الانتهاء جاء بصيغة الاستفهام وهي أبلغ في الأمر

واعلم أن الكلام على الخمر والميسر قد تقدم بأوسع بيان في سورة البقرة فارجع إليه إن شئت (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فيها أمرا به (واحدروا) مانها عنه (فإن توليتم فاعلموا إنما على رسولنا البلاغ المبين) وإذا كان عليه البلاغ فقد أذاه فاذن أنتم أضرتهم بأنفسكم

﴿ فصل في المطعومات ﴾

(ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا) مما لم يحرم عليهم (إذا ما اتقوا وآمنوا وعمالوا الصالحات) في أنفسهم (ثم اتقوا وآمنوا) بينهم وبين الناس (ثم اتقوا وأحسنوا) بينهم وبين الله (والله يحب المحسنين) فلا يؤاخذهم بشئ . ولما كان عام الحديبية ابتلى الله المؤمنين بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يمدكنون من صيدها أخذوا بأيديهم وطعموا برماهم وهم محرمون فزل (يا أيها الذين آمنوا ليماؤنكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه باخفاء) فالذي تناله أيديهم م كالفرخ والبيض وما لا يقدر أن يضرب من صغار الصيد والذي تناله الرماح كبار الصيد كحمر الوحش . وذلك الابتلاء كما ابتلى أصحاب السبت بصيد السمك فيه ولكن عصم الله المسلمين فلم يصطادوا (فمن اعتدى بعد ذلك) فصاد في حالة الإحرام بعد النهي (فله عذاب أليم) في الدنيا فيوجع ظهره وبطنه عند ابن عباس وهذا قول أكثر المفسرين وأما قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) أي قوله (اتقوا الله الذي إليه تحشرون) فقد تقدم تفسيره في مقدمة السورة قال تعالى (جعل الله الكعبة) أي صيرها رمى البيت كعبة لتكعبه وقوله (البيت الحرام) عطف مبين للكعبة وفيه المدح (قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا الحج) ومعنى كون الكعبة قياماً للناس أنها اتعاش لهم أي أنها سبب انعاشهم في أمر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويرج التجار عنده ويتوجه إليه الحاج والعمار والشهر الحرام في هذا المقام ذوالحجة لأن الحج يؤدي فيه والمراد بالهدى ما يهدي إلى الحرم من الأنعام والقلائد أي النعم التي تهدي وتقلد بنحو النعال أو لحاء الشجر أو غيرها وهي من عطف الخاص على العام (والمحصل القول) أن الله عز وجل يمتن علينا معاشر المسلمين . يقول إلى جئت لكم بيتاً فأتون إليه من كل فج عميق تحجون وتأمنون فيه على أنفسكم وفيه تؤدون الفاسك وتهدون السمع المقلدة بالتقليد وغير المقلدة وكما جعلت لكم البيت حرماً وملجأً ومأمناً حرمت الشهر وأمرت بالكف عن القتل فيه ولو على سبيل الذنب بعد المنسخ من نظر إلى حال المسلمين اليوم في الهند والصين وبلاذجاره والملايو والروسيا والحجازيين والمجديين وأهل البربر والسودانيين علم أن الكعبة حصن لهم وملجأ . مكان يتألف فيه المتناكرون ويجمع فيه المتفرقون ومن أطلع على أحوال الحاج في تلبية المناسك كالطواف والوقوف بعرفة وغيرها ورأى كيف ياتق

المصري، فسكر الهندى والمكي عقل الجارى والمليزى والصينى واليابانى عرف كيف أصبح المسلمون فى أقطار الأرض على نمط متقارب ومبدأ يكاد يكون واحداً . فالسكعبة وللحج سركم كنون والسكعبة شمس تشرق أنوارها على المسلمين . فكم بزغت من تحت أستارها الأنوار . واستضاء بأشراقها كوكب سيار . واستغار بنورها بدر التمام

فان بزغ فى الهند كوكب طلوع نوره فى مكة المكرمة ومنها يشع على المسلمين بما ينقل الحجاج عن الحجاج ويذكر الصادرين أخبار الوارد . ومن الآثار المشهودة والمنفحات المحموده والعجائب المعموده ما آتته فى احدى السنين إذ لقيت عالم صالح فاضل من علماء مكة صانها الله وحرسها . ولقد كما تعارفنا قبل اللقاء بما كان يلقى اليها من الأنباء من الحجاج الواردين والشيوخ الصالحين فلما التقينا تعارفنا الأشباح كما تعانقت من قبل ذلك الأرواح وتناجت النفوس وأخبرنى أن ذلك التعارف القابى بسبب ما قرأه فى نظام العالم والأم من الآراء العلمية الموافقة للشريعة الاسلامية الغراء وباحتى حفظه الله فى عجائب الماء وكيف يحلل الى الاكسوجين والاوودروجين ورأيت مسرورا بذلك فرحا وقد قال لاسعادة للاسلام الا بتطبيق المعلوم الطبيعية على الآيات القرآنية فحمدت الله عز وجل إذ جمع بين القلوب واطاع على كل أرض من بلاد الاسلام كوكبا يضئ وبدر مشرقا . ولقد قابات مثله من أكثر الأقطار وهم جميعا متحدوا الأفكار وان تئات الديار أليس ذلك من آثار البيت الحرام فلو لا تعارف الحجاج عند تأدية المناسك ما عرفت ذلك العالم ولا عرفنى ومن ذا الذى كان يخبرنى خبره ويعرفنى قدره ذلك من آيات الله ولقد كنت كتبت نحو ذلك فى كتاب (القرآن والمعالم العصرية) منذ أربع سنين وقد قرأه العالم الاسلامى وانتشر والحمد لله ولكنى ما كنت أعلم أن ذلك الاجتماع يحصل فى أيام حياتى فهذا إذا أقول لك أيها الذى لقد تجلى الحق وسطع وظهرت آيات الله الكبرى فقد اجتمع المسلمون فى هذه السنة فى مكة المشرفة أيام عيد الأضحى أى أثناء طبع هذا التفسير وشكلت لجنة مؤلفة من علماء الهند وتركيا والأفغان والشام وفلسطين ومصر والسودان المصرى وغير المصرى وبلاد روسيا وجاوه وجميع العالم الاسلامى سنة ١٣٤٤ هـ وهذا أول مجلس اسلامى اجتمع فيه المسلمون من سائر الأقطار يتشاررون فى أحوال المسلمين وجزيرة العرب وذلك بدعوة من الأمير ابن السعود . ومن هنا استدل على أن هذا التفسير ذو حظ عظيم لأنه ينشر أيام النهضة وانقلاب الأحوال الاسلامية من الانحطاط الى السؤدد والرقى والسعادة والحمد لله رب العالمين وهذا من السر المكنون الذى تضمنه قوله تعالى - جعل الله السكعبة البيت الحرام قياما للناس الخ -

أليس هذا من العجب . ومن ذا الذى كان يعلم هذه الاسرار قبل ظهورها إلا مبدعها وخالفها فلذلك قال بعدها (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وأن الله بكل شئ عليم) راطما كنت أقرأ القرآن متفكرا فى المعنى أيام الشباب فاذا وصلت هذه الآية تعجبت من قوله - ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السموات الخ - وأقول فى نفسى هل كون السكعبة محل نكس وحج وعبادة يحتاج الى هذه العناية أرتوزه هذه الرعاية . وما المناسبة لذكر علمه ما فى السموات والأرض لذكر السكعبة وجعلها اتعاشا للناس فى أمر دينهم ودنياهم فلما أن فهمت ما أبنته لك علمت أن القرآن مفعم بالأسراء ملوء بالحكم ولن يفهم الناس منه إلا على مقدار ما أتم الله من العلم ولتعلم أن ما ذكرناه من آثار السكعبة قطرة من بحر أو ذرة من جبل فانك لو تصفحت مايجرى فى الأمم والممالك من تقلبات السياسة وتقلب القلوب ونشر الأخبار بواسطة الحجاج لفضيت العجب العجائب . وسوف يرقى المسلمون بالمعارف والعلوم وتكون السكعبة مشرق شمسها ومصب أنهارها . ومن يعيش يره

ثم أخذ يرغب فى الطيب من الأشخاص والأعمال والأموال وجيدها وينظر من الحديث من ذلك كله

فقال تعالى (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) فالفرق بين الأشياء بالجودة والرداءة لا بالكثرة والقلّة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير (فاتقوا الله يا أولى الألباب) فلا تأخذوا الخبيث وإن كثروا وآثروا الطيب وإن قلّ (اعلمكم تفاهون) راجين أن تبغوا الفلاح

﴿ الكلام على قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا الخ - ﴾

الم أنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين زاغت الشمس وصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها أمورا عظيما . ثم قال من أحب أن يسألني عن شيء فليسأل فلا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به مادمت في مقامى هذا فأكثر الناس البكاء وأكثر أن يقولوا فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من أبي فقال أبوك حذافة ثم أكثر أن يقولوا فبك عمر على ركبته فقال رضيفا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد نبيا فبك ثم قال عرضت على الجنة والنار آتيا في عرض هذا الحائط فلم أركاليوم في الخير والشر * ولقد روى أن أم عبد الله بن حذافة قالت لعبد الله بن حذافة ما سمعت يا بن قط أعق منك أمنت أن تكون أمك قارفت بعض ما تغارف أهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس فقال عبد الله بن حذافة لو أخفني بعد أسود للحقته * وأيضا قد كان قوم يسألون رسول الله استهزاء فيقول الرجل من أبي ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتي * وأيضا لما نزلت - والله على الناس حج البيت الخ - قالوا يا رسول الله في كل عام فسكت فقالوا يا رسول الله أكل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت * ومما قال وإنما أهلك من كان قبلك كثرة أسئلتهم واختلافهم على أنبيائهم إذا أمرتكم بشي فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه . وأيضا كانوا يسألونه عن الآيات فهو عن ذلك فزات هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكن تسؤكن وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكن) أي لا تسألوا عن أشياء إن ظهر لكم تغمكم وإن تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم فمن سأل عن الحج هل يأمن أن يقول له نعم يجب في كل سنة فلا يطيقه الناس (عفا الله عنها) أي عفا سلف من الأسئلة (والله غفور حلیم) لا يعاجل بالعقوبة (قد سألت) الضمير للسألة التي دل عليها تسألوا (قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) أي بسببها حيث لم يأتروا بها وقوله (ما جعل الله من بحيرة) أي قوله (وأكثرهم لا يعقلون) تقدم تفسيرها في مقدمة السورة ثم قال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) لقصور عقولهم (أ) حسبهم ما وجدوا عليه آباءهم (ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) تفسيره ظاهر

﴿ الكلام على قوله - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الخ - ﴾

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - ولا تضعوها موضعها ولا تدرسون ما هي وإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا ظلما لم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح . وزاد أبو داود فيه ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقولون أن يغفروا ولا يغفروا إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب . قال ابن مسعود مروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر ما قبيل منكم فإن رد عليكم فعليكم أنفسكم واعلم أن هذا لا يصح إلا إذا كان من أمرناه بالمعروف أقوى منا فإن قدرنا على تأديبه بالقوة أدبناه . ثم قال إن القرآن نزل منه آي قد مضى فأويلهن قبل أن ينزل ومنه آي وقع فأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسر ومنه آي يقع فأويلهن في آخر الزمان ومنه آي يقع فأويلهن يوم القيامة وهو ما ذكر من الحساب والجنة والنار فإدامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة لم تلبسوا شيئا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر أي آخر كلامه . وقد قصد بذلك أن القول إذا لم ينفع يترك وهذه لارتضاها فان المسلمين قد انكسروا على مثل هذه الشبهة من أمثاله

وهو من العظماء . ومثل هذا القول يجب أن لا يأخذ به بل غايةنا الجهاد باللسان وبالقلم والتحويل في توصيل الآراء إلى الناس كافة . وإعلم أن الأمة كلها كأنها نفس واحدة . فإذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر فقد نفعتنا هذه النفس التي نحن كجزء منها ، وقد علمت فيما تقدم عند قوله تعالى - ومن أحيائها فكأنما أحيانا جميعا - أن الأمة كلها فضلا عن الناس أجمعين يؤثر فيها جهل فرد واحد منها أو فقهه أو كسله . فنقص واحد نقص للجُمُوع . وبوافق هذا القول ما نقل عن عبد الله بن المبارك قال هذه الآية أوكد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن الله تعالى قال - عليكم أنفسكم - يعني أهل دينكم بأن يعظ بعضهم بعضا ويرشدهم في الخيرات وينذره عن القبائح والمسذوبات . والذي يؤكد ذلك أن معنى قوله - عليكم أنفسكم - أي احفظوا أنفسكم وهذا أمر بأن نحفظ أنفسنا ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول مؤلف الكتاب (التفسير) هذا هو القول الحق - وإياك أن تنفت إلى قول في أي - مسألة من تفسير القرآن لا توافق - لفاقى فسا كل من قال أبدا وباضل أكثر المسلمين إلا بالادلة على أقوال بعض المتقدمين . وهذا هو تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يبصركم من ضل إذا اعتديتم) أي لا يبصركم ضلال من ضل إذا اعتديتم ومن الاعتداء أن يذكر المنكر كما قال عليه الصلاة والسلام من رأى منكرا منكمرا واستطاع أن يغيره فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه . والآية نزات لما كان المؤمنون يحسرون على الكفرة يخشون إيمانهم (إلى الله مرجعكم فينبشكم بما كنتم تعملون) انتهى المقصد التاسع

(المقصد العاشر)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكُفُّكُمْ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ * فَإِنْ عُبِّرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا ، وَمَا أَعْتَدْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ، وَأَتَوْا اللَّهَ وَأَسْمَعُوا ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ *

قد تقدم تفسير هذا المقصد في مقدمة السورة

(المقصد الحادي عشر)

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ، قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ، إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ، وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ

تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ، فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ حَيْرًا بِإِذْنِي ، وَتَبْرِي الْأَكْمَهَ
وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ، وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ، وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْجَوَارِيْنَ
أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرِسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ
مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ، قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ
قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا
وآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ ، فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ * وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ
مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ
أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَيْدَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * قَالَ
اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ،
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قوله (يوم يجمع الله الرسل) على حذف مضاف والتقدير اسمعوا خبر يوم يجمع الله الرسل (فيقول
ماذا أجبتكم) أي أي أجابة أجبتكم (قالوا لا علم لنا) بما كنت تعلم (إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) فتعلم ما تعلم مما
أجابونا وأظهرنا وما لم نعلم مما أضمرنا (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِذْ كَرَّمْتَنِي عَلَى وَلَدِكَ) (وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ) - يوم يجمع - والمقصود أنه يوضح الكثرة يومئذ بسؤال الرسل عن أجابتهم وقوله (إِذْ) ظرف
لنعمتي (أيدتك روح القدس) قوتك بجبريل عليه السلام أو بالكلام الذي يخبر به الدين أو النفس حياة
أبدية ويظهره من الآثام (تكلم الناس في المهد وكهلاً) أي كائنات في المهد وكهلاً أي تكلمهم في الطفولة
والكهولة على حد سواء في كمال العقل والتكلم (وَإِذْ عَلَّمْنَاكِ الْكِتَابَ) الكتابة وهي الخط (والحكمة)
المنهم والإطلاع على أسرار العلوم (والتوراة والإنجيل) أي وعلمتنا التوراة والإنجيل (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ

كهية الطير باذني فتفتنخ (أى تجعل وتصور من الطين كصورة الطير فتفتنخ) (فيها) أى فى الطير لأنها تكون مؤنثة (فتكون طيرا باذني وتبرى الأكمة) أى وتشفى الأكمة وهو الأعمى المطموس البصرو الأبرص معلوم (وإذ تخرج الموتى باذني) من قبورهم أحياء (وإذ كففت بنى اسرائيل عنك) أى وإذ كر نعمتى عليك إذ كففت بنى اسرائيل الخ (إذ جنتهم بالبينات) بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (فقال الذين كفروا منهم) استقروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا (إن هذا إلا سحر مبين *) وإذ أوحيت إلى الخواريين (أظمتهم وقذفت فى قلوبهم فهو وحى إلهام كما أوحى إلى أم موسى عليه السلام (أن آمنوا بى ورسولى) إن هنا مفسرة (قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) تفسيره ظاهر وإذ ذكر (إذ قال الخواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة) أى هل إذا سألته أن ينزل علينا مائدة . المائدة الخوان الذى عليه الطعام ولا يسمى مائدة إن لم يكن عليه طعام . إنما يقال خوان أو طبق وأصلها من ماد يميد إذا تحرك كأنها تميد بما عليها من الطعام (قال) عيسى للحواريين (اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) أى اتقوا الله ولا تسألوا مالا ينبغى أن يسأل عنه فى الإيمان بالأنبياء لأن المحسوسات لا تؤدى إلى العقائد وثبوتها كما حصل فى بنى اسرائيل إذ رأوا كثيرا من الآيات وكانوا بها يكفرون . فهذه المائدة لا تفيدكم يقينا والمفيد لليقين إنما هو البحث والعلم والتنقيب لأن عالم الحس لا سلطان له على القلوب الا ظاهريا فان كنتم مؤمنين ومصدقين فلا تسألوها واتقوا الله (قالوا نريد أن نأكل منها ونطمئن قلوبنا) بانضمام علم المشاهدة إلى علم الاستدلال على كمال قدرة الله (ونعلم أن صدقتنا) فى ادعاء النبوة (ونكون عليها من الشاهدين) حتى إذا استشهدتنا فنشهد عن عيان لاسماع للخبر وفرق بين الخبر والمشاهدة (قال عيسى ابن مريم) لما رأى أنهم لا يقلعون عنه (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا) العيد يوم السرور العائد (لأولنا وآخرنا) أى فتتخذ ذلك اليوم الذى تنزل فيه المائدة عيدا لعظمه ونصلى فيه نحن ومن يحبى من بعدنا * يقال انها نزلت يوم الأحد * وقيل تكون المائدة عيدا يأكل منها أول طائفتنا وآخرها (وآية) عطف على عيدا (منك) صفة لها (وارزقنا) المائدة (وأنت خير الرازقين) أى خير من يرزق لأنه يرزق ويعطى بلا عوض (قال الله انى منزلها عليكم) اجابة لسؤالكم كما أجيب سؤال من فى السموات ومن فى الأرض ولكن ذلك يكون على مقدار حالهم ومقتضى سؤالهم وإن كان ذلك لا يتفق مع مصلحتهم كما أعطى الغنى مالا والجاهل ضياعا وقرى (فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه) أى لا أعذب ذلك العذاب (أحدا من العالمين) لأنى أعذب العلماء أكثر من الجهلاء إذا فرطوا وأنتم على حسب أخلاقكم وقوتكم رأيتم أن المائدة مقنعة لكم دالة على حقيقة النبوة وأنا لا أخط العالم المشاهد وأخرق نواميسه بالحكمة فاذالم تتم الحكمة ولم تؤمنوا فاللوم عليكم وهل يكون العذاب معجلا فى الدنيا أم يؤجل للاخرة احتملان عند العلماء وهل نزلت المائدة . قال الحسن ومجاهد . كلا لأنهم خافوا فلم تنزل فيكون معنى - انى منزلها عليكم - ان سألتم بعد هذا الانذار والتخويف . وأكثر المفسرين على انها نزلت

ونقل المفسرون انها نزلت سفرة جراء بين غماتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين . اللهم اجعلها رجة ولا تجعلها مثلة وعقوبة . ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلافلوس ولاشوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خلّ وحوطها من أنواع البقول ما خلا الكراث وإذا خسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد . فقال شمعون ياروح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة . قال ليس منهما ولكن الله اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتهم واشكروا بمددكم الله ويزدكم من فضله . فقالوا ياروح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى .

فقال يأسمة احبي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية . فقالوا يا روح الله كن أول من يأكل منها . فقال أن آكل منها يأكل منها من سألتها نخفوا أن يأكلوا منها فدعا لها أهل الفاقة والمرضى والبص والجدام والمقعدين . فقال كلوا من رزق الله لكم الشفاء والتغيركم البلاء ويقال انها بعد أن مكثت أربعين يوماً يأكل منها الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء وتبقى منصوبة حتى ينفى النفي فإذا فاء النفي طارت وهم ينظرون إليها حتى تنوارى عنهم وكانت تنزل يوماً ويوماً لا تنزل فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام أن اجعل مأدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا ترون المائدة تنزل حقاً من السماء فأوحى الله إلى عيسى أني معذب من كفر على مخالفة ما شرطه عليهم . وهناك كلام كثير في مسخ أناس يعتدون بالمئات ونحو ذلك وقد كتبت أهم ما جاء في الروايات

﴿ لطيفة في تحقيق هذا المقام ﴾

لما وصلت إلى هذا المقام واطلع عليه أحد أهل العلم الذين لهم قدم صدق في العلوم العصرية . فقال (١) كيف يذكر في القرآن مثل هذا (٢) ومما مثل هذه الحكاية إلا كما نقرؤه في ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ من الذي يخترعه العقل البشري شارحاً للنفس وجالباً للأنس ثم بعد هذا كله ما فائدة هذا القول لنا معاشر المسلمين وأى فائدة لنا في أن عيسى طلب أن تنزل مائدة من السماء

فقلت إن القرآن ليس فيه شيء من ذلك بل ليس فيه أن المائدة نزلت بدليل اختلاف المفسرين كما رأيت فالقرآن لم يذكر تلك الحكايات ولم يلمعنا ما جاء فيها بل جاء الأمر مطلقاً ولم يبين ما المائدة المطلوب نزولها من السماء فأما كونها حكاية ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ فليس يضربنا في شيء لأن القرآن لم يذكر هذه الحكاية . قال هذا حق ولكن القرآن نفسه نزل فيه - ربنا أنزل علينا مائدة من السماء - ونزول المائدة سواء أكانت خبزاً أم ملحاً أم أغرماً ما كاه المأكول فذلك لا يمنع غرابتها فأما طهي الطعام ونظام الأكل وبهجة المائدة فهذا ليس يفرح به إلا الجاهل ولكننا لانفرق بين هذه الأمور فالمائدة هي المائدة فتصرح القرآن بذلك هو الذي يحتاج للبحث

وكيف يعقل أن المائدة تنزل من السماء وإذا كان ذلك غير ممكن من الطبيعة البشرية فهو غير ممكن من الأنبياء فاني قرأت لك وغيرك أنه لولا أن الناس يرون رؤيا صادقة أو يسمعون بها ممن حولهم ما صدقوا الأنبياء فبناء على هذا كيف نصدق شيئاً ليس في قدرتنا الحصول عليه من أنفسنا فكيف يأتي أنبياؤنا بأشياء ليست في فطرتنا حتى تبرز على يد أحد من الناس فتأنس به ونقول انه ممكن في الفطرة البشرية والأنبياء بامتيازهم نبغوا فيه فصار معجزة لهم . إن كل شيء أحتمله إلا هذه المائدة وتعقلها

فقلت له إن الأخبار بالغيب بسبب الرؤيا الصادقة كما قلت في الفطر الانسانية مع اختلاط الحق بالباطل فيه . هكذا نرى أن فطرتنا الانسانية فيها مبدأ ما جاء في القرآن على لسان المسيح . قال وكيف ذلك قلت نحن في هذا المقام نلجأ إلى علم آخر . قال وما هو . قلت علم الارواح . قال إن هذا العلم لا أصدقه . قلت له قل ما تشاء ولكن قولك هذا يشاركك فيه سائر الجاهل فاني كنت في البلاد القروية وأنا بالجامع الأزهر أسمع من الفلاحين هذا القول ويقولون عن أمور الآخرة والجنة والنار وما أشبهها . هذه أشياء أنتم كبرتموها لأجل وعظمتها فهذا الإنكار لا فرق فيه بين المتعلم والجاهل الآن . والذي يجب أن يكون هناك فرق بحيث يقول العالم أنا لا أصدق ولا أكذب حتى أقف على الحقيقة . هذا هو العقل والحكمة فأما إنكار المتعلمين فأنما هو رياء ليظهروا أمام الناس أنهم فلاسفة والانكار الآن هو الباب الأعظم لظهور الناس بمظهر العظماء والحكماء وهم في أنفسهم ربما صدقوا بأخس الأشياء وأنفسها . فهذا الفريق من

الناس ضرره عظيم بل يجب عليهم أن يتعلموا . قال أنا معك في ظهرك التوقف لا الإنكار . قلت إذن أنت تنوقف في علم الأرواح . قال نعم . قلت حسن وعلى نطاق أن أحدا منا يعرف جميع العلوم . قال كلا . قلت أفلسنا كل يوم نسمع كلام لأطباء في الوباء والندرات الحية التي تقتك بأجسامنا ونحن لم نشاهدها وكذلك في علم الفلك يقولون هناك نجوم لا تقل عن مائتي مليون ونحن لا نقول لهم كذبتهم . قال بلى قلت فيها هنا علماء الأرواح الذين ظهروا في أوروبا وقد قدمت الكلام عليهم في سورة البقرة فلتقرأ كلامهم وأنا معك اننا لا نوقن بدواكنا نطلع عليه حتى نبحث فيه بأنفسنا فيما بعد ويكون ذلك الكلام معرضا للبحث منا لا اننا نقلدهم . قال هذا كلام حسن . قلت اقرأ ما نقلته عنهم في سورة البقرة فان الجمعية الانجليزية الرسمية الروحانية قررت هذا العلم وانه صحيح وأنا أطلب أن يبحث المسامون فيه فيما بعد . قال حسن . قلت له انظر ما نقلته عنهم في كتاب الأرواح الذي ألفته وتأمل كيف جاء فيه أن للأرواح ساطة على المادة الأصلية لا تدركونها بعد وبفعل ارادة الروح تستطيع أن تضم العناصر الأصلية بعضها الى بعض وتصوغ منها أشكال على حسب ما تريد وفيه هناك أن الأرواح تقدر أن تصوغ أغذية وفواكه وأدوية وهذه الأدوية قد يبرأ بها العليل وتصيغ أطعمة . وقد ضربت الأرواح مثلا لذلك لما سألوها فقالت ان علم الكيمياء كل يوم يأتي لكم بالعجب العجيب والأرواح آلات غير آلاتكم وهي الارادة منهم وقدرة الله فوقهم وقالوا ان الروح كلما كان أرقى كان أقدر على الصنعة في المادة وكلما كان أدنى كان أعجز . وهذا ملخص مما نقل عن المعلم (الان كاردك) وروى العلامة (والاسي) الانجليزى أن الأنسة نيشول أحضرت زهورا وفواكه داخل غرفة محكمة الغلق وكانت في منزلي فبعد أن تناولنا الشاي لأننا كنا في فصل الشتاء دخلنا بحجرة صغيرة مغلقة بأحكام وما مكثنا برهة من الزمان حتى لاح على المائدة التي جلسنا حولها كمية وافرة من الزهور منها شقائق النعمان والخزامى والاقوان الأصفر وخلافها من الزهور الربيعية وكل أوراقها خضراء مكاملة بالندى الرطب قال فيمبستها كلها وحفظتها باعتماد بعد أن علمت عليها شهادة ممضاة من الحضور . ثم قال ومثل هذا الحادث تكرر مرارا في ظروف مختلفة في مئات المرات وفي بعض الأوقات يكون مع الزهور ثمار يطلمها الحضور . وفي بعض الجلسات طلب بعض الحضور احضار دوار الشمس ففي زمن قليل انحطت على المائدة هذه الزهرة وعالوها ستة أقدام وجرت ثمرتها مكسوة بكومة من التراب . أنا لا أطيل في نقل هذا فهو في كتاب الأرواح الذي ألفته في ذلك نقلا عن علماء أوروبا

ثم ان (والاسي) هذا قرين داروين الانجليزى صاحب المذهب المشهور وكان معتقدا لمذهبه كما يعتقد علم الأرواح ويرى هذه الزهور والفواكه في منزله ولو كان في بلادنا المصرية هيئات علمية منظمة لدونت ماجاء على يدرجل من بلاد الصعيد فقد شاهد مئات من القضاة والمحامين والعلماء والمديرين ماجاء على يديه من فاكهة وماكل ونقود وغرائب لا يعد بجانبها ماذ كره الأورو بيون شيئا وقد مات في أوائل هذا القرن . قتال صاحبي أنا أنظر لهذا نظر من يريد أن يبحث بعد . فقلت له إذن على مقتضى هذا تكون أرواحنا في قدرتها باذن الله متى طارت من البدن أن تكون فعالة في المادة قادرة على أفعال فيها على حسب طاقتها باذن الله . قال يمكن . قلت والدليل على اقتراب هذا من الصحة أن النفوس البشرية يسرها جدا الروايات والخرافات التي فيها تنطق النفس من الحبس وتسمح في سماء الخيال غير مراعية قانون الأجساد التي حكمت عليها بالحبس في هذه الأرض فانك تجد العامة والجهلاء الذين هم أقرب الى انقطة اذا سمعوا الأشياء التي لا يكون لها نظير عندهم بل بطريق الخيال والوهم يفرحون بها فرحا ويصدقون بها طربا . ولعمري كيف يفرح الانسان بما ليس من طبعه وكما لا يفرح الانسان بأكل المر والخريف الشديد والحرار القوي والبارد الشديد . هكذا لا يفرح بما ينافي طبعه فالعامة والجهلاء والأطفال يفرحون بالأحاديث التي لا تسير على التواءيس المعروفة في الأرض لأن أرواحهم مستعدة لذلك بعد خلاصها من هذا الجسد

فاذا جاء المسيح وطلب المائدة من السماء سواء نزلت كما يقوله أكثر المفسرين أم لم تنزل كما قاله أولهم فنزولها معجزة له ولو نزلت على يد ساحر أو منقود مغناطيسى لم تعتبر معجزة كما نص عليه العلماء ان خوارق العادات لا تكون معجزات الا اذا قرنت بدعوى النبوة وكانت حال صاحبها تدل على ذلك . قال اذا سلمت لك ما ذكرته واننا ننظر في أقوال هؤلاء العلماء نظر الباحثين . وهب اننا بحثنا فوجدنا هذه الأشياء لها وجود وأن الأرواح هي كما تقول فما علاقة المسيح بعلم الأرواح . قلت ان المسيح انسان وله روح بل هو الذي أطلق عليه أنه مؤيد بروح القدس ولم يقل هذا القول لى ولالك . قال نعم . قلت فهل هناك ما يمنع أن روحه الكبيرة تعلى قوة أن تفعل فعل الروح التي فارقت الجسد أشد علوها وقوتها وسلطانها على الجسد قال ليس هناك مانع والكلام الآن مقبول

ثم قال اذا صح هذا فلم حذر الله من نزول المائدة . قلت نعم انك ان قرأت علم الأرواح تجد فيه انها لما سئلت أجابت أن الله لا يرضى بخاط العالم الروحي بالجسمى وليس يحصل هذا العمل إلا نادرا جدا لأغراض خاصة فان أهل الأرض لا بد أن يعيشوا على النمط المعروف لأنهم يأكلون وهم نائمون بل انهم خلقوا ليجدوا وينصبوا ويتعبوا ولو أن الطعام أعطي لهم بلا عمل لكان ذلك عليهم وبالا وضاع المقصود من وجودهم ولما اتوا وهم لم يزدوا ارتقاء ورقيا

قال ولكن أليس ذلك يكون برهانا . قلت البراهين الحسية لا تفيد العقول البشرية إلا قليلا الا ترى أن بنى اسرائيل لما رأوا العصا بالحيات آمنوا ولما رأوا عمل السامري كفروا . قال بلى . قلت وأما سحرة فرعون فانهم لما رأوا أن موسى عليه السلام جاء على يديه ماحو فرق طاقهم آمنوا وصعدوا وبنوا صرعى الحقيقة وهم فرعون فهذه المائدة لا تفيد ماديا ولا معنويا . قال وما فائدتها لنا نحن المسلمين . قلت من فوائدها اننا حركنا اهلهم لنعلم سوف تدخل في الأمة الاسلامية بعد انتشار هذا التفسير وهي هاوم الأرواح ومنى انتشرت يحصل هناك شكوك وأوهام وأكاذيب فيظهر حينئذ حكام وعلماء يزدنون الناس علما وكلما حصل الأخذ والرد زاد الناس علما وارتقى النوع الانساني وكان المسلمون أعظم ارتقاء فان الشكوك والأوهام مفاتيح المعارف فأما العقول الخامدة التي لم تحررها الشكوك والمشوقات فانها أسرع الى الضلالت وأقرب الى الهلاك ومن فوائدها اننا لا نعول إلا على المعقولات ولا نجعل علومنا كعلوم العامة الذين لا يتحققون الامور فكأن هذه القصة تحت المسلمين أن يكونوا مفكرين لما علمت في عصا موسى وسحرة فرعون وأن العلم بمرث اليقين . فأما هذه المعجزات الظاهرة فانها لا تفيد إلا العامة والجهلاء وقتنا ما . ألم تراني قول الله تعالى - وما نرسل بالآيات إلا تخويفا - وقوله - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم - فالمدار في شريعتنا الغراء على التعقل والتفكير

وهذه القصة قد وردت هنا للرد على أولئك الذين ألحفوا في المسألة فقال لهم الله - يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم - فأورد هذه القصة لأنه كان من جملة أسئلتهم انه يأتي لهم بآية فقال لهم هذه ليريههم أن ذلك يصبح استحسانا من الله . قال صاحبي والله لقد أشبعت هذا القول في هذا المقام وأنا واثق أن السير في التفسير على هذا المنوال يكون معجزة لنبينا صلى الله عليه وسلم والا فكيف نرى أن تكون قصة المائدة لحكمة علمية وآية إلهية وفكرة قدسية ومعجزة ربانية . فبذلك فليخرج المفكرون وفيه فليتنافس المتنافسون

ثم قال . لقد قال علماء الصوفية ان المائدة هي عبارة عن الحقائق والمعارف فانها غذاء الروح كما أن الأطعمة غذاء البدن قالوا فلعلهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال عيسى عليه السلام أن حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع على الحقائق فلم يقلعوا عن السؤال فسأل لأجل اقترابهم فبين الله تعالى أن الانزال سهل ولكن فيه خطر فان السالك اذا كشف له ما هو فوق مقامه لا يحمله

ولا يستقر له فضل ضللا بعيدا . قلت له هذا مقبول ولا فرق بين عالم الأرواح وعالم الأجسام كلاهما إذا أعطيتاه في الدنيا بلا استحقاق كان خطرا علينا . وكمن من صريد سالك فتح عليه باب من أبواب الكشف فكان ذلك وبلا عليه فألهاء عن الارتقاء ومماثل أهل الكشف إلا كمثل أهل المال كلاهما أعطى قوة فإذا ظن المكشوف له أنه في مأمن من غارات الامتحانات فهو مخدوع مغرور . فالله يمتحن أرباب القوة وأرباب المال وأرباب العلم وأرباب الجلال وأرباب الكشف . وكمن عند الله من درجات . وكمن من مفتوح عليه أصبح بهذا الفتوح شيطانا رجيا . فقول الصوفية حق ولا فرق بين الحسيات والمعنويات في هذا المقام . فليخبر المكشوف له بالغيب وليقل ما يشاء فليس هذا كل شيء وما ذلك إلا من القوى التي أودعها الله فينا وخبأها إلى أمد معلوم حتى تظهر بعد حفظها لنا فأما إذا أسرفنا فيها فإن ذلك يكون كالامراف في المل ولنقف بالأدب مع الله والله هو الولي الحميد . انتهى الكلام على مائدة عيسى عليه السلام

إذن فانرجع إلى تفسير آخر السورة . فنقول (وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمتي إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد * إن أعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم * قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا * رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم * لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير) هذه صورة خطاب الله عز وجل وجواب للمسيح عليه السلام له يوم القيامة حين يجمع الرسل ويسألهم عن أمهم فيقولون لا علم لنا انك أنت علام الغيوب فيسألون العلم لله عز وجل ولقد قال في الآية السابقة - ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون - وقد بين لكم الرسول مناسكتكم وعباداتكم وأخلاقكم فعليه البلاغ وعلينا الحساب

فيسأل عيسى عليه السلام قائلا - أنت قلت للناس اتخذوني وأمتي إلهين من دون الله - أي متوصلين بنا إلى عبادة الله عز وجل فإن مريم والمسيح في العبادة أنقص مرتبة من رتبة الله عز وجل وعبادتهما توصل لعبادته عندهم . هذا معنى ما قاله البيضاوي رحمه الله فأجابه المسيح عليه السلام أحسن اجابة بأربع جل (الجللة الأولى) دالة على آدابه وأخلاقه الفاضلة وشمائله وسجاياه وهي هل يتسنى لي الكذب أو يليق بي وأنا عبدك ونبيك أن أتطاول لمقامك وأدعى الألوهية وهل يسامى العبد سيده والمربوب الرب والمخلوق الخالق وإذا قبح الكذب على الناس فأقبح به على رب الأرباب والعالم بما في الألباب فهذا بعض معنى قوله - ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق - (الجللة الثانية) الاستشهاد بعلمه والاحتجاج بإطلاع الرب العليم على ما نطق به المسيح فقال - إن كنت قلته فقد علمته - (الجللة الثالثة) تقرير للثانية وإثبات لها واعتراف بالقصور في العلم فقال - تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك - وأكدها بالرابعة فقال - انك أنت علام الغيوب - في السموات والأرض وما بينهما . ثم أخذ يشرح ما قاله بأقصر عبارة فقال - ما قلت لهم إلا ما أمرتني به - وهو عبادة الله - ربي وربكم - ثم شرح المراقبة منه وهو حي فقال - وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم - أي رقبيا أمنعهم من ذلك القول أو كنت مشاهدا لأحوالهم من كفر وإيمان - فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم - المراقب لأحوالهم فتمنع من أردت عصمته بما تنزل عليه من الآيات وما تنصب له من الدلالات وما تبعث من رسلك بالكتب والآيات - وأنت على كل شيء شهيد - مراقب له مطلع عليه - قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم - فالصادقون في الدنيا في العلم والعبادة يتبين صدقهم يوم القيامة ويجازون عليه - لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم * لله

ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير - هذا ظاهر واضح تأمل هذه المحاوره التي قصها الله عز وجل مما سيكون في يوم القيامة بينه وبين سيدنا عيسى عليه السلام وتأمل كيف يقول انى راقبتهم في الدنيا وانت إذ توفيتنى . والتوفى أخذ الشيء واقفا فالموت توفى ورفع الى السماء توفى والمراد هنا الرفع فقط - كنت أنت الرقيب عليهم -

وارجع ان شئت المزيد الى انجيل برنابا فقد شرح حال النصارى في حياة المسيح عليه السلام وكيف كانوا يعبدونه . وكيف كان يتبرأ منهم . وكيف رفع الأمر لقيصر الروم ليصد الناس عن عبادته . وكيف كان يبكى ويقول مامعناه ﴿ ستظلم الأرض بعدى ﴾ وكيف استغاث ورفع صوته صارخا وقال يا أخى يامسيا . وكيف سأله برنابا من مسيا . وكيف أجابه بقوله محمد حبيبى رسول الله . فمن أراد استيفاء هذه المعانى كلها فليقرأ انجيل برنابا المذكور الذى كان سراً مكتوما عند بابا رومة ببلاد ايطاليا من أيام سيدنا المسيح الى أن أظهره عظيم من عظماء الانجليز وأسلم وأسلم كثير من الناس معه . ويا حسرة على المسلمين الغافلين فان هذا الانجيل لم ينتشر بيننا الا قريبا وقد طبع فى (مجلة المنار) فليعلم المسلمون هذا الانجيل وليقرؤه وليعلموا غرائب القرآن وبدائعها . ولن يفهمك هذه الآية حق فهمها الا الاطلاع على ذلك الانجيل فانه أقرب الى التنزيل وقد تقدم فى سورتي البقرة وآل عمران من هذا الانجيل مقتطفات شتى

﴿ لطائف - اللطيفة الأولى ﴾

اعلم أن الله عز وجل فى هذا المقام برأى المسيح عليه السلام من كل ما ألصقه به النصارى من الألوهية . ذلك أنهم لما رأوا صفات عالية وأخلاقا سامية وشمائل غالية قدسوه تقديسا وعظموه ورفعوه الى مقام الألوهية ذلك لما فى طباع البشر من الضعف وقصور النظر . ومماثلهم فى ذلك إلا كمثل من يعشق رسول حبيبه جهالة وغباوة . هكذا ترى الناس فى الاسلام وفى الديانات الأخرى اذا شاهدوا ذاصفات حميدة جميلة دينية أغرموا به ولسوا دينهم الذى ما أحبوا هذا الصالح الا لأجله . ذلك الجهل مشاهد فى أمتنا الاسلامية . ترى كثيرا من تلاميذ رجال الطرق يجعلون شيوخهم فوق كل شئ ويجعلون الحب خالصا لهم مع ان الحب يجب أن يكون لله عز وجل خاصة . واذا تغنى أولئك الجهلة بكرامات أولئك الشيوخ فهم لا يبالون فى كراماتهم الى مقام المسيح الذى خلق الله على يديه طيرا من الطين ونفخ فيه وكان طيرا باذن الله . فاذا كان المسيح عليه السلام مع هذه المزاي يقول - ما قلت لهم إلا ما أمرتني به الخ - ويتبرأ مما نسبوه اليه فكيف يكون هؤلاء الشيوخ . ان الله عز وجل ذكر هنا أنه أكرم المسيح بمزاي منها خلق الطير . ثم أتبع ذلك كما سأوضحه فى أول سورة الأنعام ان شاء الله بأنه خلقنا معاشر بني آدم من طين كأنه يقول تكلمتك أملك أيها الانسان أغرم بالمسيح لأنى خلقت الطير على يديه ولا نكرم فى أنا وأنا خلقتك أنت من الطين فاذا أنا خلقت من الطين من هو أفضل من الطير وهو أنت فكيف تنسأني وتذكره أو تعبد . هكذا أيها المسلم الجاهل كيف تنسأني بشيخك ولو كان وليا وهو لم يعط ما أعطى المسيح . وكيف تكون أقصر نظرا من النصارى جاوزوا الحد فى حب المسيح وأنت أيها المسلم ربما نسيت نبيك وربك بشيخك . اقرأ ما فى السموات وما فى الأرض فذلك هو المطالب منك تلك آثارى ومن أحب أحدنا درس آثاره ونطق بأخباره فما معجزات الأنبياء ولا كرامات الأولياء فى جانب مخلوقاتى وبدائع سمواتى وغرائب حكمته إلا كما يأخذ منقار الطائر اذا شرب من البحر . إن العامة من المسلمين ومن المسيحيين لغفلتهم لا يرفعون نظرهم الى عجائب ربهم التى أشار اليها هنا فى آخر السورة فقال - لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شئ قدير - وابتدأ سورة الأنعام بذكر أن - الحمد لله الذى خلق السموات والأرض - إذن فما خلق الطير على يدى المسيح وما كرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء . أيها الناس لا يصدنكم أفضل المخاوقات عن النظر فى عجائب

هذا ويناسب هذا المقام ما جاء في انجيل برنابا (من صفحة ١٧٨ وما بعدها)

﴿ قال المسيح عليه السلام . حكاية ايليا (الياس) ﴾

حدث في زمن النبي ايليا أن ايليا رأى رجلاً ضريراً حسن السيرة يبكي فسأله قائلاً لماذا تبكي أيها الأخ
أجاب الضرير أبكي لأنني لا أقدر أن أبصر ايلياء النبي قدوس الله . فوبخه ايلياء قائلاً كيف عن البكاء أيها
الرجل لأنك بكانك نخطئ . أجب الضرير ألا تفعل لي أروية نبي الله الذي يقيم الموتى وينزل ناراً من السماء خطيئة
أجاب ايليا أنك لا تقول الصدق لأن ايليا لا يقدر أن يأتي شيئاً مما قلت على الإطلاق فإنه رجل نظيرك لأن أهل العالم
بأسرهم لا يقدر أن يخلقوا ذبابة واحدة . فقال الضرير أنك تقول هذا أيها الرجل لأنه لا بد أن يكون قد
وبخك ايليا على بعض خطاياك فذلك فكرهه . أجب ايليا عسى أن تكون قد نطقت بالحق لأنني لو أبغضت
ايليا أيها الأخ لأحببت الله وكلما زدت بغضا لايليا زدت حبا في الله . فاعتماظ الضرير لذلك غمظاً شديداً وقال لعمر
الله أنك انما جرتك لأحد أن يحب الله وهو يكره نبي الله انصرف من هنا لأنني لست بمصغ اليك فيما بعد . أجب
ايليا أيها الأخ أنك لتعزى الآن بعقلك شدة شر البصر الجسدى لأنك تظن بصراً لتبصر ايليا وأنت تبغض ايليا بنفسك
فأجاب الضرير ألا فانصرف لأنك أنت الشيطان الذي يريد أن يجملي أخطئ الى قدوس الله . فتمهد حينئذ ايليا
وقال بدموع أنك لقد قلت الصدق أيها الأخ لأن جسدي الذي تود أن تراه يفصلني عن الله . فقال الضرير اني
لا أود أن أراك بل لو كان لي عيذان لأغمرتهما لكي لا أراك . حينئذ قال ايليا سلم أيها الأخ اني أنا ايليا .
أجاب الضرير أنك لا تقول الصدق . حينئذ قال تلاميذ ايليا أيها الأخ انه ايليا نبي الله بعينه . فقال الضرير
إذا كان النبي فليقل لي من أي ذرية أنا وكيف صرت ضريراً . أجب ايليا أنك من سبط لاوي ولأنك
نظرت وأنت داخل هيكل الله الى امرأة شهوة على مقربة من المقدس أزال إلهنا بصرك . فقال حينئذ
الضرير باكياً اغفر لي يا نبي الله الطاهر لأنني قد أخطأت اليك في الكلام واني لو أصررتك لما كنت أخطأت
فأجاب ايليا ليغفر لك إلهنا أيها الأخ لأنني أعلم أنك فيما يخصني قد قلت الصدق لأنني كلما ازددت بغضا لنفسى
ازددت محبة لله ولو رأيته لخدت رغبتي التي ليست مرضية لله لأن ايليا ليس هو خالقك بل الله . ثم قال
ايليا باكياً اني أنا الشيطان فيما يختص بك لأنني أحولك عن خالقك فابك إذ ذن أيها الأخ اذ لم يكن لك نور يريك
الحق من الباطل لأنه لو كان لك ذلك لما احتقرت تلميذي لذلك أقول لك ان كثيرين يمتنون أن يروني ويأتون من
بعيد ليروني وهم يمتقرون كلامي . لذلك كان خيرا لهم خلاصهم أن لا يكون لهم عيون لأن كل من يجدلدة في
في المخلوق أيا كان ولا يطلب أن يجدلدة في الله فقد صنع صنأ في قلبه وترك الله . ثم قال يسوع متهدداً أفهمتم كل
ما قاله ايليا . أجب التلاميذ حقاً لقد فهمنا واننا لخيارى من العلم بأنه لا يوجد على الأرض إلا قليلون من الذين
لا يعبدون الأصنام . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

بينما أنا أكتب هذا اذ دخل على صديق لي فاطلع على هذا التفسير فقال

(س) أيها الأخ نزل القرآن لوعظنا وارشادنا وهدايتنا الى الصراط المستقيم فما الفائدة الواضحة في هذه

الآيات القرآنية

(ج) ﴿ الفائدة الأولى ﴾ ان الله سيجمع الرسل ويسألهم قائلاً بماذا أجبتم توبيخاً لأمتهم وتقريباً
لتابعيهم فيتبرأ الأنبياء مما أحدثت أمتهم بعدهم ويردون العلم اليه جل جلاله ﴿ الفائدة الثانية ﴾ ما حكاها الله
من سؤال المسيح عليه السلام وأنه لا يكذب على الله وأن الله أعلم بهم وأنه كان يراهم في حياته فلما رفع الى
السما تخلص عن ذلك ولا علم له بهم الخ ﴿ الفائدة الثالثة ﴾ ان الأنبياء لا يسألون عما أحدثت الأمم بعدهم

والأثم معاقبة على ظلمها مؤاخذه بجهلها

(س) هذه قواعد عامة فعمل الله بالأشياء وتوبيخ الأثم عما أحدثت وتصل الأنبياء من ذلك أمور عامة وأنا أريد عظة للأمة الإسلامية بحيث يفقهها الفقهاء والفلاحون وسائر الطبقات

(ج) اعلم أن الله عز وجل وسعت حكمته وعلمه الدنيا والآخرة ولقد علم جل جلاله وعز كماله أن المسلمين بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم سيغير سفهاؤهم من شريعتهم - ويحرفون الكلم عن مواضعه - فقص القصص الذي سمعته عن النصارى ونبههم ليتعظ المسلمون بذلك وليستيقظوا وليعلموا أن الذنب واقع عليهم والجرم محيط بهم والأثم غل في أعناقهم إذا غيروا الشريعة وبدلوا تلك الحنيفية البيضاء والسنة السمحة الغراء

(س) هذا ما كنت أبتغيه وأتربصه منك وأرتجيه فقل لي ماذا فعل المسلمون قديما وحديثا وبماذا عذبهم الله عز وجل وما الدواء لهذا الداء

(ج) اعلم أن أمتنا الإسلامية قد حدث فيها مثل ما كان في دين اليهود والنصارى من الفرق سواء بسواء كما روى عن وهب بن بنية عن خالد بن عبد الله عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة . وإن كان في الحديث مقال

(س) وهل علم ذلك العلماء

(ج) نعم ذكر هذه الفرق الإسلامية الاستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي رضي الله عنه

(س) هل تذكر بعض هذه الفرق حتى أستدل بها على باقها وهل تذكر لي أثرا سيئا في الأمة الآن مما اختلقه أهل الضلال واقتراه أهل العصيان فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل

(ج) أذكر منهم قوما يقال لهم السبئية

(س) ما أخبرهم وبماذا خرجوا عن الإسلام

(ج) السبئية أتباع عبد الله بن سبا الذي غلا في سيدنا علي كرم الله وجهه وزعم أنه كان نبيا ثم غلا في ذلك وزعم أنه إله وتبعه قوم من جهالة الكوفة . فلما رفع خبرهم إليه كرم الله وجهه أمر باحراقهم وقال مثل هذا القول رجل يهودي اسمه عبد الله بن السوداء أراد أن يفسد على المسلمين دينهم فقال أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصيا وأن عليا وصي محمد صلى الله عليه وسلم وأنه خير الأوصياء كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم خير الأنبياء فلما سمع منه ذلك شيعة على قالوا له كرم الله وجهه أنه من محبيك فرفع قدره وأجلسه تحت درجة منبره ثم بلغه أنه غلا فيه وعدّه إلهيا فهم بقتله لولا مخافة أن يشمت أهل الشام فلما قتل سيدنا علي كرم الله وجهه تعالى ابن السوداء في هذه الدعوة وقال للناس والله لينبئن لعلي في مسجد الكوفة عينان تضيض أحدهما عسلا والأخرى سمنا ويغترف منهما شيعة ولم يرد بذلك ابن السوداء الا تضليل المسلمين ليقولوا في سيدنا علي ما قالت النصارى في المسيح فنشأت الفرقة المسماة (السبئية) من الرافضة . ولما قتل سيدنا علي قال ابن سبا ان المقتول لم يكن عليا وإنما كان شيطانا تمور للناس في صورة علي وأن عليا صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى ابن مريم قال وكما أن اليهود والنصارى رأوا شخصا مصلوبا يشبه عيسى وإيس عيسى هكذا كذبت الناس في قوهم قتل علي وما قتل علي وإنما شبه لهم ولقد زعم بعضهم أنه كرم الله وجهه في السحاب وأن الرعد صوته ومن سمع صوت الرعد من هؤلاء قالوا عليك السلام يا أمير المؤمنين وقد زعموا أنه هو المهدي المنتظر ينزل في آخر الزمان من السماء ويملك الأرض بخلافها

(س) إذن هذه الفرقة أشبهت النصارى والنبي صلى الله عليه وسلم برىء منهم والكل امرئ منهم يوم

القيامة شأن يغنيه فهل تذكر فرقة أخرى . قلت نعم

(ج) (البيانية) أتباع بيان بن سميعان التميمي زعموا أن الإمامة صارت من محمد بن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد ثم صارت من أبي هاشم إلى بيان بن سميعان بوصيته إليه حتى ادعى هو أنه المذكور في القرآن في قوله - هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين - فقال أنا البيان وأنا الهدى والموعظة وزعم هذا الفاجر أنه يعرف اسم الله الأعظم . فلما وقع في أسر خالد بن عبد الله في زمان ولايته بالعراق قال له خالد إن كنت تهزم الجيوش بالاسم الذي تعرفه فاهزم به أعوانى عنك ثم قتله وصلبه . فهذه الفرقة كافرة والنبي صلى الله عليه وسلم برىء منها

(س) زدنا من هذا . فقلت

(ج) وهناك فرقة تسمى (الزيدية) يقولون بإمامة زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في وقته وإمامة يحيى بن زيد بعد زيد . وكان زيد بن علي قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة وخرج بهم على والي العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على العراقيين فلما التقى الصفان واختلف القنا وكاد يحتدم وطيس الهيجاء بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي قالوا له أنا ننصرك على أعدائك بعد أن نخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظاهما جسدك على بن أبي طالب فقال سيدنا زيد رضي الله عنه ورفع درجته في أعلى عاينين (إني لأقول فيهما ألا خيرا وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرا واني خرجت على بني أمية الذين قاتلوا جدتي الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم رفضتموني) ومن يومئذ سموا رافضة ولم يثبت معه إلا مائتا رجل ثبتوا حتى قتلوا عن آخرهم وقتل زيد رضي الله عنه ثم صلب وهكذا قتل ابنه يحيى بجهة جوزجان حين خرج على نصر بن بشار وإلى خراسان . فانظر كيف غر هؤلاء القوم ذلك السيد العظيم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلموه لعدوه وانتحلوا قولاً ما أنزل الله به من سلطان وكيف اختلفوا الأسباب وجعلوا ذم العمرين أجراً لنصره . أفلا يبرأ رسول الله من أولئك الجاهلين ويأكل أمرهم إلى الله يوم الدين - يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم -

(س) لقد أطلت في سؤالك واني خفت أن أكون أضللتك كما ضللتك وحملتك فوق طاقتك ولكن المقام يحتاج لشرح فزدني من هذه الأخبار فما أشبه هؤلاء بالكفار

(ج) ليس يحضرني من الفرق الضالة الآن إلا فرقة اسمها (السيكسانية) وإمامهم المختار بن أبي عبيد الثقفي دعا الناس إلى إمامة محمد بن الحنفية واستولى على عرش الكوفة وقد قتل من رجال الكوفة كل من قاتلوا سيدنا الحسين رضي الله عنه . ومن العجب أن هذا الرجل يدعو الناس لإمامة محمد بن الحنفية وبذلك الكوفة والجزيرة وبلاد أرمينية . ثم يضله قومه ويغره شياطين الانس فيقولون له أنت حجة هذا الزمان فيدعي النبوة يزعم أنه يوحى إليه وصار يسجع كما تسجع السكهان ومن خطبه ما يأتي الحمد لله الذي جعلني بصيرا ونور قلبي تنورا والله لأحرقن بالمصر دورا ولأنفثن بها قبورا ولأشفين منها صدورا الخ ألا تعجب كيف كانت هذه المصائب منصبة على أمتنا الإسلامية وكيف يضل هنا الكافر الناس ولا يخاف الله رب العالمين

ولما أن سمع محمد بن الحنفية بهذا خاف من جهة الفتنة في الدين فأراد القدوم إليه بالعراق ليصير إلى الذين اعتقدوا إمامته التي دعا لها المختار . فلما سمع المختار ذلك خاف من قدومه العراق وذهب رئاسته وولايته فقال لجنده أنا على بيعة المهدي ولكن للمهدي علامة وهو أن يضرب بالسيف ضربة فإن لم يقطع السيف جلده فهو المهدي وانتهى قوله هذا إلى ابن الحنفية فأقام بككة خوفا من أن يقتله المختار بالكوفة

أليس أمثال هذا حتى يبرأ الرسول ومثلهم في الإسلام كمثل الذين ذكرهم الله في سورة المائدة من الفرق الضالة
(س) لعله أن الأوان أن تطلعني على آثار تلك الضلالات اليوم

(ج) ان المسلمين اليوم تفرقوا فرقا وذاق بعضهم بأس بعض بالبدع المنكرة التي قدفت في قلوبهم
والأقارب التي خيمت بظلامها على عقولهم وباضت طيورها في أعشاش دمعهم وأخرجت فراخ الجهل
المخجل . ألا ترى كيف فعل المهدي بالسودان وتبعه الخليفة التعايشي وكيف أفتى بحل نساء المصريين وبناتهم
إلى أوغادهم بلا عقد يعقدونه ولا كتاب ولا سنة مدعى أن من لم يؤمن ببيعته فهو من الكفرة الفجار والجهلة
الأشرار . ولئن سألتهم بماذا استحلت الحرام واستعبدت الأنعام وفعلت الآثام قال لك ذلك أمر النبي صلى
الله عليه وسلم وجبريل والخضر الجليل . أليس المهدي السوداني أشبه بالمختار بن عبيد في دعوته بل المهدي
توغل في الضلالة فدعا لنفسه وافترى اثما على ربه والتعايشي الجهول كان وارث دعوته والقائم بملكه حتى
طاحت البلاد ونعب بها الغراب وذهبت الآمال وضاعت الأموال وقطعت الرؤس وزهقت النفوس واستحال
الدرهم والدينار إلى فلوس وكان ما كان من استئصال القبائل وصار الرجال هناك قلائل فلاحول ولا قوة إلا بالله
لولا البدع المنكرة ماتنا كالفارسي والتركي ولا تقاطع المراكشي والأفغاني ولا تدابر العربي والتركي
لقد قال العلامة (دوارد براون) الإنجليزي لقد قدمت تقريرا ضافيا عن حال المسلمين من فرس وترك
وشيعه وسنيين أتصدون أم يبقون مختلفين فسكتبت ألا طمع في اجتماعهم ولا محيص من تفرقهم إذ يقولون
سنيون وشيعيون ولله في خلقه شؤون

هذا ولقد قرأت بعض ما كتبه السياحون الفرنسيون بمراكش وكيف يملكون البلاد بالضرب ولا جلد
فاقتقت كلمهم وأجمع رأيهم على أن المسلمين لا يخضعهم إلا استمالة شيوخ الصوفية وارضاء أمراءهم . فني أخذ
شيوخهم باللين والشدّة والوعد والوعيد وأغدقت عليهم النعم كما يهددون بالنقم لانت شرتهم وأمكن أن
تسام الأئمة الخسف فانهم في لجة الجهل غارقون وفي عذاب جهنم الضلال ناهون فكان ما كان من توالى
الآلام على بلاد الإسلام فلولاً الجهالة ماهلك المسلمون وبلغنا أن الكتاني هناك من كبار الصالحين آذاه الفرنسيون
كثيرا لأنه يحافظ على بلاده

(س) دع ذكر الأم والممالك واذكر حكاية صغيرة يعرفها الفلاحون ويفهمها المزارعون الذين يعقون
(ج) نعم (الأولى) قابلني من ٢٠ سنة مزارع صغير من قريتنا (كفر عوض الله حجازي) . فقال
ماذا ترى في أمرنا . فقلت ماذا . فقال امرأتى في حاجة إلى ثوب تلبسه ولست أملك إلا عتزا تساوى ٤٠
قرشا وقد قام الناس إلى مولد سيدى أبى مسلم الكبير فان أَرْضيت أبامسلم أعريت زوجتى وإن كسوتها
أغضبت أبامسلم رضى الله عنه . فقلت أنا أكرم أم أبومسلم . قال أبومسلم . قلت فاذا تصدقت على الآن
فهل ترانى أقبل منك . قال كلا . قلت إذن أبومسلم وهو أكرم منى غنى عن صدقتك وتفكر فى الأمر
من وجه آخر . إذا كان أبومسلم حيا وألقيت له هذه المسألة أفتراه مع غناه وفقرك يقبل عطاءك أم يعطيك
قال بل يعطينى . قلت فهل أبومسلم الكريم بعد أن لقي مولاه وتنعّم بالخور والولدان وحظى بلقاء النبي صلى
الله عليه وسلم وآله وصحبه تنزلت درجته وترك الله وجهاله والخور والولدان والنبي والاخوان ثم بحث عن الفلاحين
المساكين الذين لا يجدون ما ينفقون . فقال هذا كلام حق ولكن أخاف أن يقتل أولادى ويخرب دارى
ولكن (من قلدها لى الله سالما) وقد وضعتها فى رقبتك وسأكسوزوجتى إن شاء الله ثمن العنز . فقلت
إذن اهتديت فان سؤلت لك نفسك الخوف وقذف الشيطان فى قلبك الرعب فقل لأبى مسلم ان فلانا هو
الذى أغرانى وكسوت زوجتى ثمن عنزى

(المسألة الثانية) قال لى عمى الشيخ محمد شاذى رحمه الله تعالى عليك أن أريك عجيبة . قلت نعم قال بأباجوده

قال نعم قال له احلف انك ماسرقت من حديقتنا العنب . قال له بماذا أحلف . قال بالله خاف . فقال احلف بأبي مسلم . قال لا . فقال لماذا . فقال ان الله واسع رحيم وأبومسلم ضيق الصدر فأخاف أن يبطش بي ويقتل أولادى

(المسألة الثالثة) قابلنى هذا العام أحد أهل العلم بقرينتنا . فقال أقصّ عليك قصصى مع زوجى . فقلت نعم . قال زرت أنا وهى أمس ضريح السيدة نفيسة رضى الله عنها فطلبت منى ريالاً كنت نذرته فأبيت أن أعطيها ولجت فى طلبها ولججت فى منى فلما أن خيم الظلام وضرب النوم الخيام وأخذ الكرى بمعاقده الأجفان جاءنى السيدة رضى الله عنها وارضأها وأخذت تعذر ورأى عدواً حيثما تقول أيها الملعون كيف نظن أنى لابركة فى فلاندفع الريال الىّ والله لأعذّبك حتى تصدق بكرامتى وتخضع لسطونى قال وما زالت تطاردنى حتى انفلت عمود الصباح وقال المنادى حى على الفلاح . قال هذا وكان أربعة رجال حاضرين من متعلمى قرينتنا والأتقيين . فقلت يا فلان أيهما أقرب الى دار الكرامة وأبعد عن دار اللؤم والقبح ومن الذى صار أقرب معرفة بربه وأبعد عن مفارقة ذنبه أحن الأحياء أم أولئك الذين صاروا فى جوار مولاهم . فقال بل أولئك الذين فى جوار مولاهم . فقلت إذن السيدة رضى الله عنها صارت عارفة بربها الآن أكثر من الأحياء . قال نعم . قلت لو أن رجلاً جاءنى وأبلغنى أن رجلاً عظيماً أخذ يذمنى ويضرب بكلامى عرض الحائط ويقول أنا لا أعبأ بآرائه ولا أصدق ما يقول . لو أنى بلغت هذا لكبرت نفسى أن تهتم بمقاله أو تعير أذننا لكلامه وأنا أمامك على ما ترى فى الدنيا دار اللؤم والجهل فكيف بمن شرف قدرها وعظم سرّها وعلا نسبها وقربت من ربها فهل تنزل عن مقامها الرفيع فى جنة الفردوس مع الذين أنعم الله عليهم وتجري وراءك تقول صدق بكرامتى ومن أنت حتى تبحث عنك سيدة أكثر المؤمنين

وكيف يظن الفلاح المسكين أن السيد البدوى رضى الله عنه والرفاعى والدسوقي يتنزلون من سماء عظمهم ويهرولون وراءه فى الغيطان ليلتقطوا منهم دراهم أوليفرحوا بالتفافهم حول أضرحتهم فى الموالد المعروفة فلما سمع الحاضرون مقالى أمّنوا عليه وقالوا والله إنا لى ضلال مبين وكيف يتجاوز ساداتنا الأولياء أغنياء التجار والعظماء وناظر النظائر والوزراء والأمورين وأصحاب القصور الشاهقة - والخليل المسومة والأنعام والحرث - ثم يجرون وراء من لا يملك قوت يومه وليس عنده من نكير ولا قطمير

(س) إذن النّبى صلى الله عليه وسلم سيتبرأ من هذه الأعمال يوم القيامة ويقول - لا علم لنا انك أنت علام الغيوب - وهو يرى من كل ماسطرته يد الجهل فى أدمغة الجاهلين الذين يقولون ان الأولياء يغضب بعضهم من بعض ويكره بعضهم بعضاً ويقلدهم الناس فى ذلك وهم برآء مما يتقوله الجاهلون . وعلى ذلك ضلّ الناس فى مسألة الزار إذ يقولون ان الشيوخ حضروا أو غابوا كما ضلوا بأفعال الغارية التجالين والجهلة النصابين

(ج) اللهم إنا نبرأ اليك من الكتمان ونقول نحن نصحنا للأئمة وكلنا الخاصة كما أوصحنا للعامة فمن عقل فاز ومن جهل فاته من حزب الشيطان - ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون -

(س) فما الدواء لهذا الداء وماذا يصنع المسلمون

(ج) الرجوع لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

(س) هذا كلام عام وما ابتدع مبتدع إلا وقال انى أتبع الكتاب وادّعى أنه على منهج السنة فائقنا

بقول فصل

(ج) يجب على المسلمين فى أقطار الأرض أن يعصموا التعليم وينظروا فيما خلق الله عزوجل من العوالم العجيبة ويتفكروا ويتأملوا ويتفقهوا بما أودع فى هذا العالم من الصنائع المحكّمة والمجانب المبدعة اهـ

﴿ خاتمة السورة ﴾

﴿ مجزات القرآن في آخر الزمان ﴾

هل لك أيها الذكي أن أحدثك عن هذه الآيات وعجائبها . وكيف يقول الله لعيسى - أنت قلت للناس اتخذوني وأمتي إلهين من دون الله - وكيف يجمع الله الرسل ويسأل عيسى ابن مريم خاصة فيبرأ عيسى مما فعل النصارى . الله أكبر ظهر المشرق في هذا العصر وتبين أن الأنجيل منقولة عن كتب الهند فمنها ما نقل عن كتب كرشنه والخرافات الشائعة حوله ومنها ما نقل عن كتب (بوذا) أن هذا العجب عجاب . أن هذا التفسير حظه عظيم فقد جاء في زمن انكشاف الحقائق . ألا ترى إلى ما جاء في كتاب ﴿ العقائد الوثنية ﴾ في الديانة النصرانية ﴿ وكيف كانت الحقائق التي فيه منقولة عن ثمانية وأربعين كتاباً مؤلفاً بالملغات الأفرنجية مثل كتاب ﴿ ألن الهند ﴾ ومثل كتاب ﴿ أمبرلي تحبليل الايمان ﴾ ومثل كتاب ﴿ الأديان القديمة ﴾ الخ فهل لك أن أطلعك نافلاً من الكتاب على أن الأنجيل منقولة خرافاتها بالخراف من خرافات الهند مصداقاً لهذه الآيات اذ تبرأ المسيح من أكاذيبهم وبقى علينا أن نبين مصادر تلك الأكاذيب . جاء في هذا الكتاب ما نصه

﴿ مقابلة النص الصريح بين كرشنه ويسوع المسيح ﴾

(وهو مقابلة ما يقوله الهندو الوثنيون عن كرشنه بما تقوله النصارى عن يسوع المسيح)

أقوال النصارى المسيحيين في يسوع المسيح ابن الله

يسوع المسيح هو (المخلص والفادي والمعزى)
والراعى الصالح والوسيط وابن الله والاقنوم الثاني من
الثالوث المقدس وهو الآب والابن وروح القدس)
١ ولد يسوع من العذراء مريم التي اختارها
الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها

٢ فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيها المنعم
عليها الرب معك

٣ لما ولد يسوع المسيح ظهر نجمه في المشرق
وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس محل ولادته

٤ لما ولد يسوع المسيح رتل الملائكة فرحاً
وسروراً وظهر من السحاب أنعام مطربة

• كان يسوع المسيح من سلالة ملوك كانية
ويدعونه (ملك اليهود) وأكفنه ولد في حالة الذل
والفقر بغار

٦ لما ولد يسوع المسيح أضيء الغار بنور
عظيم أعيا بلمعانه عيني اقبالة وعيني أطيب أمة
يوسف النجار

٧ وقال يسوع المسيح لأمه وهو طفل (يا مريم

أقوال الهندو الوثنيين في كرشنه ابن الله

كرشنه هو (المخلص والفادي والمعزى والراعى
الصالح والوسيط وابن الله والاقنوم الثاني من الثالوث
المقدس وهو الآب والابن وروح القدس)

١ ولد كرشنه من العذراء ديفاكي التي اختارها
الله والدة لابنه (كنا) بسبب طهارتها وعفتها

٢ قد مجت الملائكة ديفاكي والدة كرشنه ابن الله
وقالوا (بحق) للسكون أن يفاخر ابن هذه الطاهرة)

٣ عرف الناس ولادة كرشنه من مجمه الذي
ظهر في السماء

٤ لما ولد كرشنه سبحت الأرض وأثارها
القمر بنوره وترنمت الأرواح وهامت ملائكة السماء
فرحاً وطرباً ورتل السحاب بأنعام مطربة

• كان كرشنه من سلالة ملوك كانية وأكفنه ولد
في غار بحال الذل والفقر

٦ لما ولد كرشنه أضيء الغار بنور عظيم
وصار وجه أمه ديفاكي يرسل أشعة نور مجد

٧ ومن بعد ما وضعت صارت تبكي وتندب

كرشنة

سوء عاقبة رسالته فكلمها وعزاها

٨ وعرفت البقرة أن كرشنة لله وسجدت له
٩ وآمن الناس بكرشنة واعترفوا بلادوته
وقدموا له هدايا من صندل وطيب

١٠ وسمع نبي الهنود (نارد) بمولد الطفل
الآلهي كرشنة فذهب وزاره في (كوكول) وخص
النجوم فتبين له من خصها انه مولود آلهي يعبد
١١ لما ولد كرشنة كان (ناندا) خطيب أمه
ديفا كي غائبا عن البيت حيث أتى الى المدينة كي
يدفع ماعليه من الخراج للملك

١٢ ولد كرشنة بحال الذل والفقر مع انه من
عائلة ملو كانية

١٣ وسمع (ناندا) خطيب ديفا كي والدة
كرشنة نداء من السماء يقول له قم وخذ الصبي
وأمه فهرت بهما الى (كاكول) واقطع نهر جنة لأن
للملك طالب اهلا كه

١٤ وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنة الطفل
الآلهي وطلب قتل الولد لكي يتوصل الى أمنيته أمر
بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي
ولد فيها كرشنة

١٥ واسم المدينة التي ولد فيها كرشنة (مطرا)
وفيهما عمل الآيات العجيبة ولم تزل محل التعظيم
والاحترام عند الهنود العابدين للأوثان القائلين عن
كرشنة انه ابن الله وانه الله الى يومنا هذا

١٦ كانت ولادة القديس (راما) قبل ظهور
كرشنة في الناسوت بزمان قليل وقد سعى (فانسا)
ملك البلاد في اهلاك القديس (راما) واهلاك
كرشنة أيضا

١٧ وربى كرشنة بين الرعاة ولما جىء به الى
(مطرا) كن في احتياج عظيم فأتى له بمعلم خبير
وفي وقت قليل فاق على أسئلته في العلوم وأعيان في
المسائل العلمية السنسكريتية الدقيقة

يسوع المسيح

أنا يسوع ابن الله وجمت كما أخبرك جبرائيل الذي
أرسله أباي اليك وقد أتيت لخلص العالم

٨ وعرف الرعاة يسوع وسجدوا له
٩ وآمن الناس بيسوع المسيح وقالوا بلاهوته
وأعطوه هدايا من طيب ومر

١٠ ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في
أيام هيردوس الملك إذ المجوس من المشرق قد
جاؤا الى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود
١١ ولما ولد يسوع كان خطيب أمه غائبا
عن البيت وأتى كي يدفع ماعليه من الخراج للملك

١٢ ولد يسوع المسيح بحالة الذل والفقر مع
انه من سلالة ملو كانية

١٣ وأنذر يوسف النجار خطيب مريم والدة
يسوع بحلم كي يأخذ الصبي وأمه ويفرت بهما الى
مصر لأن الملك طالب اهلا كه

١٤ وسمع حاكم البلاد بولادة يسوع الطفل
الآلهي وطلب قتله ولكي يتوصل الى أمنيته أمر بقتل
كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي ولد
فيها يسوع المسيح

١٥ واسم المدينة التي هاجر اليها يسوع المسيح
في مصر لما ترك اليهودية هي (المطرية) ويقال انه
عمل فيها آيات وقوات عديدة

١٦ وكانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة
يسوع المسيح بزمان قليل وقد سعى الملك هيردوس
في اهلاك يوحنا كما سعى في اهلاك الطفل يسوع
المسيح وكان يوحنا مبشرا بولادة يسوع المسيح

١٧ وأرسل يسوع المسيح الى عند المعلم
ذاخوس كي يعلمه فكتب له أحرف ألف باء وقال
ليسوع قل (ألف) فقال الرب يسوع أخبرني
أولا عن معنى حرف الألف ومن بعده أقول (الباء)
فنهّد المعلم يسوع بالضرب فقام يسوع وفسر معنى

الألف والباء وأخبره عن الحروف المستقيمة والحروف
المعنية والحروف المثناة والتي لها نقط وحركات
والتي ليس لها نقط ولماذا وضعت في هذا الترتيب
أي بعض الحروف قبل غيرها وطفق يخبره عن
أشياء لم يسمع بها المعلم من قبل ولم يقرأها في كتاب
١٨ وفي شهر آذار جمع يسوع الأولاد ورتبهم
كأنه ملك عليهم . وإذا مر بهم أحد كانوا يأخذونه
غصبا ويأمرونه بالسجود للملك

١٩ و بينما كان يسوع يلعب لسعت الحية
أحد الصبيان الذين كان يلعب معهم فلمس يسوع
ذلك الصبي بيده فعاد الى حال صحته

٢٠ وأخفى الأولاد الذين كانوا يلعبون مع
يسوع أنفسهم في فرن فبدلوا الى هيئة جداء (أي
جديان) فناداهم يسوع تعالوا الى هنا يا أيها الأولاد
لنلعب فأعيدت تلك الجداء الى هيئاتهم الأولى صبيانا
٢١ وأول الآيات والعجائب التي عملها يسوع
المسيح هي شفاء الأبرص

٢٢ وفيما كان يسوع في منزل عتيا في منزل
سمعان الأبرص تقدمت اليه امرأة معها قارورة
طيب كثير اثنين فسكبته على رأسه وهو متكئ

٢٣ يسوع صلب ومات على الصليب
٢٤ لما مات يسوع حدثت مصائب جمة
متنوعة وانشق حجاب الهيكل من فوق الى تحت
وأظلمت الشمس من الساعة السادسة الى الساعة
التاسعة وفتحت القبور وقام كثيرون من القديسين
وخرجوا من قبورهم

٢٥ وثقب جنب يسوع بحربة
٢٦ وقال يسوع لأحد الصبيان للذين صلبا
معه (الحق أقول لك انك اليوم تكون معي
في الفردوس)

٢٧ ومات يسوع ثم قام من بين الأموات

١٨ وفي أحد الأيام كان كرشنة سائرا مع قطع
من البقر فاختروه ملكا عليهم وذهبت كل بقرة
الى المكان الذي عينه لها هذا الملك

١٩ وفي أحد الأيام لسعت الحية بعض أصحاب
كرشنة الذين يلعب معهم فاتوا فشفق عليهم لموتهم
الباكر ونظر اليهم بعين ألوهيته فقاموا سريعا من
الموت وعادوا أحياء

٢٠ وسرق بعض أصحاب كرشنة مع عجولهم
وأخفاهم السارقون في غار تخفى كرشنة أصحابا وعجولا
مثلهم في الشكل والهيئة

٢١ وأول الآيات والعجائب التي عملها كرشنة
شفاء الأبرص

٢٢ وأتى الى عند كرشنة بامرأة فقيرة مقعدة
ومعها اناء فيه طيب وزيت وصندل وزعفران
وزباد وغير ذلك من أنواع الطيب فدهنت منه جبين
كرشنة بعلامة خصوصية وسكبت الباقي على رأسه

٢٣ كرشنة صلب ومات على الصليب
٢٤ لما مات كرشنة حدثت مصائب وعلامات
شر عظيم وأحاط بالقمر هالة سوداء وأظلمت الشمس
في وسط النهار وأمطرت السماء نارا ورمادا وتأججت
أشعة نار حامية وصار الشياطين يفسدون في الأرض
وشاهد الناس أرواحا في جوف السماء يتحاربون
صباحا مساء وكان ظهورها في كل مكان

٢٥ وثقب جنب كرشنة بحربة
٢٦ وقال كرشنة للصياد الذي رماه بالنبله
وهو مصلوب اذهب أيها الصياد مخفوقا برحمتي الى
السماء مسكن الآلهة

٢٧ ومات كرشنة ثم قام من بين الأموات

كرشنة

٢٨ ونزل كرشنة الى الجحيم

٢٩ وصعد كرشنة بجسده الى السماء وكثيرون يشاهدونه صاعدا

٣٠ ولسوف يأتي كرشنة الى الأرض في اليوم الأخير ويكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتساقط الصخور من السماء وهو أي كرشنة يدين الأموات في اليوم الأخير

٣٢ ويقولون عن كرشنة انه الخالق لكل شئ ولولاه لما كان شئ مما كان فهو الصانع الأبدى

٣٣ كرشنة الألف والياء وهو الأول والوسط وآخر كل شئ

٣٤ لما كان كرشنة على الأرض حارب الأرواح الشريرة غير مبال بالأخطار التي كانت تسكتفه ونشر تعاليمه بعمل المعجائب والآيات كاحياء الميت وشفاء الأبرص والأعمى واعادة المخلوع كما كان أولا ونصرة الضعيف على القوى والمظلوم على ظالمه . وكان إذ ذاك يعبدونه ويزدحجون عليه ويعبدونه الها

٣٥ كان كرشنة يحب تلميذه أرجونا أكثر من بقية التلاميذ بكثير

٣٦ وفي حضور أرجونا بدلت هيئة كرشنة وأضاء وجهه كالشمس ومجد العلى اجتمع في كرشنة إله الآلهة فأخنى أرجونا رأسه ندلا ومهابة وتكثف تواضعا وقال باحترام الآن رأيت حقيقتك كما أنت وانى أرجو رحمتك يا رب الأب فعد واظهر على في ناسوتك ثانية أنت محيط بالملكوت

٣٧ وكان كرشنة خيرا للناس خالقا وخالقا وعلم باخلاص ونصح وهو الطاهر العفيف مثال الانسانية وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل البرهيمين وهو السكاهن العظيم برهما وهو العزيز القادر ظهر لنا بالناسوت

يسوع المسيح

٢٨ ونزل يسوع الى الجحيم

٢٩ وصعد يسوع بجسده الى السماء وكثيرون يشاهدونه صاعدا

٣٠ ولسوف يأتي يسوع الى الأرض في اليوم الأخير كفارس مدجج بالسلاح وراكب جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر أيضا وتزلزل الأرض وتهتز وتساقط النجوم من السماء

٣١ ويدين يسوع الأموات في اليوم الأخير

٣٢ ويقولون عن يسوع المسيح انه الخالق لكل شئ ولولاه لما كان شئ مما كان فهو الصانع الأبدى

٣٣ يسوع الألف والياء والوسط وآخر كل شئ

٣٤ لما كان يسوع على الأرض كان يحارب الأرواح الشريرة غير مبال بالأخطار التي كانت تسكتفه وكان ينشر تعاليمه بعمل المعجائب والآيات كاحياء الميت وشفاء الأبرص والأعمى والأخرس والمريض وبنصر الضعيف على القوى والمظلوم على ظالمه وكان الناس يزدهجون عليه ويعبدونه الها

٣٥ كان يسوع يحب تلميذه يوحنا أكثر من بقية التلاميذ

٣٦ وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم الى جبل عال منفردين وتغيرت هيئة قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالثلج . وفيما هو يتكلم اذا سحابة نيرة ظلتهم وصوت من السحابة قائل هذا هو ابني الحبيب الذي سررت له اسمعوا . ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدا

٣٧ كان يسوع خيرا للناس خالقا وخالقا وعلم باخلاص ونصح وهو الطاهر العفيف مكمل الانسانية ومثالها وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل التلاميذ وهو السكاهن العظيم القادر ظهر لنا بالناسوت

كرشنة

٣٨ كرشنة هو برهما العظيم القدوس وظهوره
بالناسوت سر من أسراره العجيبة الالهية

٣٩ كرشنة الاقنوم الثاني من الثالوث المقدس
عند الهنود الوثنيين القائلين بألوهيته

٤٠ وأمر كرشنة كل من يطلب الايمان
باخلاص أن يترك أملاكه وكافة ما يشتهيه ويحبه
من مجد هذا العالم ويذهب الى مكان خال من
الناس ويجعل تصوّره في الله فقط

٤١ وقال كرشنة لتلميذه الحبيب أرجونا انه
مهما عملت ومهما أعطيت الفقير ومهما أكلت
ومهما قرّبت من قربان ومهما فعلت من الأفعال
المقدسة الصالحة فليكن جميعه باخلاص لي أنا الحكيم
والعليم ليس لي ابتداء وأنا الحاكم المسيطر والحافظ

٤٢ قال كرشنة أنا علة وجود الكائنات في
كانت وفي تحلّ وعلى جميع ما في الكون يتكلّم
وفي يتعلق كاللؤلؤ المنظوم في خيط

٤٣ وقال كرشنة (أنا النور الكائن في الشمس
والقمر وأنا النور الكائن في اللهب وأنا نور كل ما
يضيء ونور الأنوار ليس في ظلمة)

٤٤ قال كرشنة (أنا الحافظ للعالم وربه
وملجئه وطريقه

٤٥ وقال كرشنة (أنا صلاح الصالح وأنا
الابتداء والوسط والآخر والأبدى وخالق كل شيء
وأنا فناؤه ومهلكه)

٤٦ وقال كرشنة لتلميذه الحبيب (لا تحزن
يا أرجونا من كثرة ذنوبك أنا أخلصك منها فقط
ثقي بي وتوكل عليّ واعبدني واسجد لي ولا تتصوّر
أحدًا سواي لأنك هكذا تأتي اليّ الى المسكن
العظيم الذي لا حاجة فيه لضوء الشمس والقمر
الذين نورهما مني

يسوع المسيح

٣٨ يسوع هو يهوه العظيم القدوس وظهوره
في الناسوت سر من أسرار العظيمة الالهية

٣٩ يسوع المسيح الاقنوم الثاني من الثالوث
المقدس عند النصارى

٤٠ وأمر يسوع كل من يطلب الايمان
باخلاص أن يفعل كما يأتي (وأما أنت فتخي صليت
فادخل الى مخدعك واغلق بابك وصل الى أبيك
الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك
علانية)

٤١ فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون
شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله

٤٢ من يسوع وفي يسوع ويا يسوع كل شيء
(كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان)

٤٣ ثم كلمهم يسوع قائلا (أنا هو نور العالم
من يتبعني فلا يمشي في الظلمة)

٤٤ قال له يسوع (أنا هو الطريق والحق
والحياة ليس أحد يأتي الآب إلا بي)

٤٥ وقال يسوع (أنا هو الأول والآخري
مفاتيح الهاوية والموت)

٤٦ وقال يسوع للفلوج ثقي يا بني مغفورة لك
خطاياك • يا بني أعطني قلبك • والمدينة لا تحتاج الى
شمس ولا الى قمر ايضاً فيها الخروف سراجها

هذا شيء قليل من كثيرا كتفينا به حبا بالاختصار

﴿ مقابلة النص الصريح بين بوظا ويسوع المسيح ﴾
(وهو مقابلة مايقوله الهنود الوثنيون عن بوظا بما تقوله النصارى عن يسوع المسيح)

أقوال الهنود الوثنيين في بوظا ابن الله	أقوال النصارى المسيحيين في يسوع المسيح ابن الله
١ ولد بوظا من العذراء مايا بغير مضاجعة رجل	١ ولد يسوع المسيح من العذراء مريم بغير مضاجعة رجل
٢ كان تجسد بوظا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا	٢ كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم
٣ لما نزل بوظا من مقعد الأرواح ودخل في جسد العذراء مايا صار رجها كالبلور الشفاف النقي وظهر بوظا فيه كزهرة جميلة	٣ لما نزل يسوع من مقعده السماوى ودخل في جسد مريم العذراء صار رجها كالبلور الشفاف النقي وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة
٤ وقد دل على ولادة بوظا نجم ظهر في أفق السماء ويدعونه (نجم المسيح)	٤ وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر في المشرق * قال دوان ومن الواجب أن يدعى (نجم المسيح)
٥ ولد بوظا ابن العذراء مايا التى حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد أى فى (٢٥ كانون الأول)	٥ ولد يسوع ابن العذراء مريم التى حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد أى فى (٢٥ كانون الأول)
٦ لما ولد بوظا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة أناشيد المجد للولود المبارك قائلين (ولد اليوم بوظا على الأرض كي يعطى الناس المسرات والسلام ويرسل النور الى المحلات المظلمة ويهب بصرا للعمى	٦ لما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء والأرض ورتلوا أناشيد حمدا للواحد المبارك قائلين (المجد لله فى الأعلى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة)
٧ وعرف الحكماء بوظا وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى حياه الناس ودعوه إله الآلهة	٧ وقد زار الحكماء يسوع وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى دعوه (إله الآلهة)
٨ وأهدوا بوظا وهو طفل هدايا من مجوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة	٨ وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب وطيوب وص
٩ لما كان بوظا طفلا قال لأمه مايا انه أعظم الناس جميعا	٩ لما كان يسوع طفلا قال لأمه مريم (أنا ابن الله)
١٠ كان بوظا ولدا مخيفا وقد سمى الملك بمسارا وراى قتله لما أخبروه أن هذا الغلام سينزع الملك من يده انبقى حيا	١٠ كان يسوع ولدا مخيفا سعى الملك هيرودس ورأى قتله كي لا ينزع الملك من يده
١١ لما أرسل بوظا الى المدرسة وهو ولد أدهش الأساتذة مع انه لم يدرس من قبل وفاق الجميع فى الكتابة والرياضيات والعلوم العقلية والهندسة والتنجيم والكهانة والعراقة	١١ لما أرسل يسوع الى المدرسة أدهش استاذة ذاخيوس وقال لأبيه يوسف (لقد أتيتنى بولد لاعلمه مع انه أعلم من كل معلم)

بوظا

يسوع المسيح

١٢ لما صار عمر بوظا اثنتي عشرة سنة دخل أحد الهياكل وصار يسأل أهل العلم مسائل عويصة ثم يوضحها لهم حتى فاق كافة مناظريه

١٣ ودخل بوظا مرة أحد الهياكل فقامت الأصنام من أمانكنها وتمددت عند رجله يسجد له

١٤ ويصلون نسب كوتاما بوظا من أبيه

(صدودانا) في أناس كلهم من سلالة ملوكانية الى ماها سباطا وهو على زعمهم أول ملك صار في

الدنيا والحوادث والأنساب المذكورة في كتاب (بيورازا) البرهمي توجد في أنسابه غير أنه لا يمكن

تحقيق الحوادث ونسبتها مع غيرها وسبب ذلك هو أن مؤرخي البوذية أدخلوا فيها أسماء قبائل

واخترعوا أسماء تمسكهم من اعلاء نسب حكمهم عدا عن اعتبارهم إياه الها

١٥ لما عزم بوظا على السباحة قصد التعبد والتنسك وظهر عليه - مارا - (أي الشيطان) كي يجربه

١٦ وقال مارا (أي الشيطان) لبوظا لا تسرف حياتك في الأعمال الدينية لأنك بمدة سبعة

أيام تصير ملك الدنيا

١٧ فلم يعبا بوظا بكلام الشيطان بل قال له (أذهب عني)

١٨ ولما ترك مارا (أي الشيطان) تجربة بوظا أمطرت السماء زهرا وطيبا ملأ الهواء طيب

عرفه

١٩ وصام بوظا وقتا طويلا

٢٠ وقد عمد بوظا المخلص وحين عمدته بالماء كان روح الله حاضرا وهو لم يكن إله العظيم فقط بل وروح القدس الذي فيه صار تجسد كوتاما لما

حلى على العذراء مايا

٢١ ولما كان بوظا على الأرض في أواخر أيامه بدلت هيئته وهو إذ ذاك على جبل (بندافا) أي الأصفر المبيض في (سيلان) ونزل عليه بغثة نوراً حاط برأسه على شكل أكليل ويقولون إن

١٢ لما صار عمر يسوع اثنتي عشرة سنة جاؤا به الى (الهيكل) أورشليم وصار يسأل الأحرار والعلماء

مسائل مهمة ثم يوضحها لهم وأدهش الجميع

١٣ وكان يسوع مارا قرب حاملي الأعلام فأحنت الأعلام رؤسها سجودا له

١٤ ويعتدون سلالة يسوع من أبيه يوسف في أشخاص مختلفين وكلهم من سلالة ملوكانية الى

آدم أبي البشر وكثير من الأسماء والحوادث المذكورة في سلالة مذكورة في التوراة كتاب اليهود وايس

بالامكان تحقيق حكاياتهم مع بعضها بعضا ويظهر لنا أن المؤرخين النصارى قد اخترعوا أسماء قصد

اعلاء نسب حكمهم علاوة على قولهم بالوهيته

١٥ لما شرع يسوع في التبشير ظهر له الشيطان كي يجربه

١٦ وقال (أي ابليس) له (أي ليسوع) أعطيك هذه (أي الدنيا) جميعها إن خرت

وسجدت لي

١٧ فأجاب يسوع وقال اذهب يا شيطان

١٨ ثم تركه ابليس واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه

١٩ وصام يسوع وقتا طويلا

٢٠ ويوحنا عمد يسوع بنهر الأردن وكانت روح الله حاضرة وهو لم يكن إله العظيم فقط بل

والروح القدس الذي فيه تم جسده عند ما حلى على العذراء مريم فهو الآب والابن والروح القدس

٢١ لما كان يسوع على الأرض بدلت هيئته وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب

ويوحنا أخاه وصعد بهم الى جبل عال منفردين وتغيرت هيئته فدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت

بوظا

جسده أضاء منه نور عظيم وصار كتمثال من ذهب
براق مضي كالشمس أو كالقمر وحينئذ تحول إلى
ثلاثة أقسام مضيئة وحينما رأى الحاضرون هذا
التبدل في هيئته قالوا ماهذا بشرا . إن هو إلا
إله عظيم

٢٢ وعمل بوظا عجائب وآيات مدهشة خير
الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لكرا عظم
العجائب مما يمكن تصوّره

٢٣ وفي صلاتهم لبوظا يأمل المؤمنون به
دخول الفردوس

٢٤ لما مات بوظا ودفن انحلت الأكفان
وفتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية أي بقوة إلهية
٢٥ وصعد بوظا إلى السماء بجسده لما أكمل
عمله على الأرض

٢٦ ولسوف يأتي بوظا مرة ثانية إلى الأرض
ويعيد السلام والبركة فيها

٢٧ وسيدّين بوظا الأموات

٢٨ بوظا الألف والياء ليس له ابتداء ولا
انتهاء وهو الكائن العظيم والواحد الأزلي

٢٩ قال بوظا فلتكن الذنوب التي ارتكبت
في هذه الدنيا على أن يخلص العالم من الخطيئة

٣٠ قال بوظا اخفوا الأعمال الحسنة التي
تفعلونها واعترفوا بذنوبكم علانية

٣١ ويصفون بوظا أنه ذات من نور غير
طبيعية والشرير مارا (ويدعونه أيضا الحية) ذات
مظلمة غير طبيعية

٣٢ وفي أحد الأيام التقى (اناندا) تلميذ
بوظا وهو سائر في البلاد بالمرأة (متابى) وهي
من سبط (الكندلاس) المردولين قرب بئر ماء
فطلب منها قليلا من الماء فأخبرته عن سبطها وأنه
لا يجوز له أن تقترب منه لأنها من سبط مختفر
فقال لها يا أختي اني لم أسألك عن سبطك وعن
عائلتك إنما سألتك شربة ماء فصارت من ذلك

يسوع المسيح

ثيابه بيضاء كالنور

٢٢ وعمل يسوع عجائب وآيات مدهشة خير
الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكر
أعظم العجائب مما يمكن تصوّره

٢٣ وفي صلاتهم ليسوع يأمل المؤمنون
بالوحيته دخول الفردوس

٢٤ لما مات يسوع ودفن انحلت الأكفان
وفتح القبر بقوة غير اعتيادية أي بقوة إلهية
٢٥ وصعد يسوع بجسده إلى السماء من بعد
صلبه لما أكمل عمله على الأرض

٢٦ ولسوف يأتي يسوع مرة ثانية إلى
الأرض ويعيد السلام والبركة فيها

٢٧ وسيدّين يسوع الأموات

٢٨ يسوع الألف والياء ليس له ابتداء ولا
انتهاء وهو الكائن العظيم والواحد الأبدي

٢٩ يسوع هو مخلص العالم وكافة الذنوب
التي ارتكبت في العالم تنفع عليه عوضا عن الذين
اقترفوها ويخلص العالم

٣٠ قال يسوع اخفوا الأعمال الحسنة التي
تفعلونها واعترفوا بذنوبكم علانية

٣١ ويصفون يسوع أنه ذات من نور غير
طبيعية شمس برّ وعدوه الشيطان الحية القديمة

٣٢ وفي أحد الأيام قعد يسوع قرب بئر ماء
بعد ما سار مسافة حتى كاد ينهكه التعب وبينما هو
قاعد قرب البئر عتد مدينته (السامرة) أتت
امراة سامرية لتأخذ جرّتها من البئر . فقال لها
يسوع اسقيني شربة ماء . فقالت له المرأة السامرية
أنت يهودي وكيف تطلب مني شربة ماء فان اليهود
لا يستحلون معاملة السامريين

الحين تلميذة بوظية

٣٣ قال بوظا انه لم يأت لينقض الناموس •
كلا • بل أتى ليكملهم وقد سره عدد نفسه حلقة
في سلسلة المعلمين الحكماء.

٣٤ وبحسب تعليم بوظا يجب أن تكون
كافة أعمالنا مع أهلنا وجيراننا بالمحبة والحسنى

٣٥ وفي أوائل أيام بوظا التي علم وبشر فيها
ذهب الى مدينة بينارس وعلم فيها فتبعه كوندنيا
ثم تبعه أربعة رجال آخرين وصاروا جميعهم تلاميذه
له ومن ذلك الحين صار أينما علم وكرز يقبعه رجال
ونساء كثيرون ويصبرون من أتباعه وتلاميذه

٣٦ وقال بوظا للذين صاروا تلاميذه له كي
يتركوا الدنيا وغناهم ويندرون عيشة الفقر والفاقة
٣٧ وجاء في كتب البوظية القانونية المقدسة
أن الجوع طلبوا من بوظا آية كي يؤمنوا به

٣٨ لما اقترب انتهاء أيام بوظا على الأرض
وعلم الحوادث المقبلة التي ستقع قال لتلميذه (اناندا)
ما يأتي (يا اناندا متى أنا ذهبت لا تظن أنه لم يعد
لبوظا وجوده كلا فالكلام الذي قلته والفرائض
التي افترضتها تكون خلفا عني وهي لك كذا في أنا
٣٩ وجاء في التعاليم البوظية بأن اتفاق
الانسان لماله من أعظم الصعوبات ومن ينفق
غناه هو أشبه بمن يهب روحه لأن النفس تبخل
بالمال وتمسك به ولما هو فقد وهب ونذر حياته شفقة
وحنوا لخير الناس فلماذا تمسك بغناه الدنيا لزميد
• ولما تخلص بوظا من حب الشهوات الدنيوية
وملذاتها نال المعرفة الالهية وصار الرأس فليعمل
الرجل الحكيم الهاجر للملذات الدنيا الخير مع كل
أحد حتى تنديم نفسه فداء عن الخير عندها يصل
الى المعرفة الحقيقية

٤٠ وكان قصد بوظا تشييد مملكة دينية أي
مملكة سماوية

٤١ وقال بوظا (الآن أحيت إدارة دولاب

٣٣ وقال يسوع (لا تظنوا أنني جئت لانقض
الناموس أو الأنبياء ما جئت لانقض بل لأكمل)

٣٤ قال يسوع (أحبوا أعداءكم باركوا
لأغنيكم أحسنوا الى مبغضكم)

٣٥ وفي أوائل أيام يسوع التي علم وبشر فيها
ذهب الى مدينة (كفرناحوم) وعلم فيها فتبعه بذلك
الحين أربعة رجال صيادين وصاروا تلاميذه له ومن
هذا الحين صار أينما كرز يقبعه رجال ونساء كثيرون
ويؤمنون به

٣٦ وقال يسوع للذين صاروا تلاميذه له كي
يتركوا غناهم ويندرون عيشة الفقر والفاقة
٣٧ وجاء في كتب النصارى الدينية المقدسة
أن الجوع طلبوا من يسوع علامة (أي آية)
ليؤمنوا به

٣٨ لما اقترب انتهاء أيام يسوع على الأرض
أخبر عن الحوادث التي ستقع من بعده وقال
لتلاميذه (أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعلموهم
أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وهذا أنا معكم كل
الأيام الى انقضاء الدهر)

٣٩ واذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح
أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية • قال
له يسوع ان أردت أن تكون كاملا فاهرب وبع
أملكك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء
وتعال اتبعني • لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض
حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب
السارقون ويسرقون بل اكنزوا لكم كنوزا في
السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب
سارقون ولا يسرقون

٤٠ ومن ذلك الزمان ابتداء يسوع يكرز
ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات

٤١ من بعد تجربة الشيطان لبسوع ابتداء

بوظا

الشريعة العظم ومن أجل هذا فاني ذاهب الى مدينة (بينارس) لأهب نورا للتائهين في الظلام وأفتح باب الحياة للإنسانية

٤٢ وقال بوظا لتلميذه الخبيب (اناندا) يا اناندا ان كلامي حق لا ريب فيه فلا يزول قطعيا ولو وقعت السموات على الأرض وابتلع العالم وجفت البحار وانكد جبل سومر وصار قطعاً

٤٣ قال بوظا (لا يوجد شيء أعظم فعلاً في الانسان من الاشتهاه والهووى الشهوانى وحسن الحظ والسعادة لا يوجد سوى اشتهاه شهوانى واحد ولو كان يوجد اشتهاه آخر لما كان على وجه الأرض رجل يتبع الحق فاحترسوا من تحقيق بصركم فى النساء وان كنتم مجتمعين معهن فاجعلوا اجتماعكم كأنكم غير حاضرين معهن واذا كلمتموهن فاحترسوا على قلوبكم

٤٤ وقال بوظا (الرجل العاقل الحكيم لا يتزوج قط ويرى الحياة الزوجية كأثون نار متأججة ومن لم يقدر على العيشة الرهبانية يجب عليه الابتعاد عن الزنا

٤٥ ومن جملة التعاليم البوذية قولهم (اذا أصاب الانسان خزن وآلام وبؤس وقنوط فان ذلك يدل على أنه ارتكب آثاما وهذه الآلام جزاء عملها • واذا لم يكن ارتكب شيئاً من الآثام فى هذا الدور الحاضر من حياته لابد وأن يكون قد ارتكبه فى أحد الأدوار السابقة من ظهوره (أى فى أحد أدوار تنقصة)

٤٦ كان بوظا يعلم أفكار الناس عند ما يدير تصوراتهم نحوهم ويقدر على معرفة أفكار المخلوقات كلها

٤٧ وجاء فى كتاب الصوماديفا حكاية منسوبة لأحد القديسين البوذيين أنه قلع عينه

يسوع المسيح

يسوع بتأسيس ملكة دينية ومن أجل هذا الغرض ذهب الى مدينة (كفرنحوم) ومن ذلك الزمان ابتداء يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت الله الشعب الجالس فى ظلمة أبصر نورا عظميا والجالسون فى كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور

٤٢ التاموس أعطى لموسى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صار • الحق أقول لكم السماء والأرض تزول ولكن كلامي لا يزول

٤٣ وقال يسوع (قد سمعتم أنه قيل للقديماء لاتزن • وأما أنا فأقول لكم ان كل من ينظر الى امرأة ليشتتها فقد زنى بها فى قلبه

٤٤ فحسن للرجل أن لا يمس امرأة ولكن ان لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزوج أصلح من التحرق

٤٥ وفيما هو يجتاز رأى انساناً أعمى منذ ولادته فسأله تلاميذه قائلين يا معلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى)

٤٦ كان يسوع يعلم أفكار الناس عند ما يدير تصوراتهم نحوهم وأنه قادر على معرفة أفكار المخلوقات كلها

٤٧ قال يسوع (فان كانت عينك اليمين تعثر فاقلعها واتمها عنك)

يسوع المسيح	بوظا
<p>٤٨ لما كان يسوع داخلا الى اورشليم راكبا على حمار فرشت الجوع الطريق بأغصان التخيل . اه</p>	<p>ورماها لأنها أشككته ٤٨ لما هزم بوظا على التنسك كان راكبا جوادا يدعى (كنتاكو) ففرشت الملائكة طريقه بالزهر . اه</p>
<p>(تم بحمد الله الجزء الثالث من تفسير الجواهر) (ويليه الجزء الرابع أوله تفسير سورة الأنعام)</p>	

﴿ الخطأ والصواب ﴾

غالبنا التصحيح ففاننا سقط بحال بالمعنى وأشياء أخرى يدركها القارئ بلا تنبيه • وهذا جدول بما
عثرنا عليه من ذلك

صحيفة	س	خطأ	صواب	صحيفة	س	خطأ	صواب
١٢	٨	تعداد	تعدد	١٠٠	٧	الدين	الدين
٢٦	١٦	عليه اذا قبل توبته		١٠٣	١٠	فقتاوه	فقتاوه
٢٧	١١	بوتها	بوتنه	١٠٤	١٣	حتى	حين
٢٨	٤	أن يتركوا القراءة	أن يكتفوا بالقرآن	١٠٥	١٢	ملاعمل	ملاعمل له
٣٠	١٧	وعزوه	وعروه	١١٤	١٧	سرع	أسرع
٣٠	١٨	زواج	أزواج	١١٩	٨	الرؤس	الرؤى
٣٢	١٢	أواعلم	واعلم	١١٩	١٣	بيان الطهر والبهيمة	بيان البهيمة
٣٧	٢٩	تبنهما	بينهما	١٢٨	١١	وجريت	وجربت
٤٢	٦	الا الله	الله إلا	١٢٨	١٦	ملايا كل	من لايا كل
٤٥	٤	ثلاث	ثلاثة	١٢٨	١٨	مايا كل	من يا كل
٤٥	٢١	أو يعلو	أو يعلاوا	١٣٢	٤	وا كاه	وا كاه
٤٧	١١	رلا لا	رجالا	١٣٦	٢٦	حين كونه	حال كونه
٤٩	٨	في ازاله	ازاله	١٤٠	٣١	تقول	يقول
٥٢	١٣	فلعل	ما فعل	١٤١	١٣	الكبرياء	الكبرياء
٥٧	٤	وقلنا	وقلنا	١٥١	١٩	لا بناءنا	لأبناءنا
٦٤	٢١	(وحرّض المؤمنين)	(وحرّض المؤمنين)	١٥٢	١٤	وكم	وكأين
		على القتال عسى	على القتال	١٥٧	٣١	مضار	فصار
٦٨	١٢	وتمّ صلاتها	وتمّ صلاته	١٥٨	١٢	للأمر	للأمة
٦٨	١٤	فأيفعل بهم الى قوله كما تقدم	فليصفهم صفين ويحرم بهم جميعا	١٦٠	٣٣	الغرابية	الغرابية
			فاذا سجد سجد معه أحد الصفيين	١٦٢	٢٢	الهواء	الماء
			ووقف الصف الآخر يحرّسهم فاذا رفع	١٧٦	١١	فقال	قال
			سجدوا ولحقوه وتشهد الامام بالصفيين	١٩١	١٦	ولا تضعوها	ولا تضعونها
			وابن زياد	١٩٤	٨	أن ينزل	ينزل
			الصورة	١٩٥	٣٥	وانفسها	واللاس
			اسبارطه	١٩٦	١٥	والاسى	واللاس
			أحدا	١٩٦	٢٣	والاسى	تنطلق
			يفتيكم فيمن	١٩٦	٣٠	تنطق	عجل
			يفعلون	١٩٧	١٥	عمل	نعم حكايات
				٢٠٣	٢٣	نعم	منذ ٢٠
				٢٠٣	٢٣	من ٢٠	يشاهدونه
				٢٠٨	٣	تأاهدونه	وجهه
				٢٠٨	٢٤	وجه	

﴿ فهرست الجزء الثالث من تفسير الجواهر ﴾

صفحة

- ٢ سورة النساء مقاصدها تسع وبيانها اجمالاً
- ٣ ملخص هذه السورة بحيث يطلع القارئ على ملخص ما فيها
- ٤ مناسبة هذه السورة لما قبلها كما أن آل عمران من بني اسرائيل الذين رقبنا تاريخهم ترتيباً زمانياً في سورة البقرة
- ٥٦ و٧ المقصد الأول وتفسيره وبيان أن خلق آدم في القرآن مجمل والحكماء في الشرق والغرب هم الذين يبحثون في ذلك . وبيان ما يقوله قدمائنا والاوروبيون في خلق آدم وسائر الحيوان برّاً وبحراً وأن جميع الحكماء لم يصلوا للحقيقة والكلام على النفس السكية وعلى احتياج الناس بعضهم لبعض فهم أشبه بنفس واحدة برهان على أن من كره الناس فهو واقع في التناقض المنطقي اذ ينتج أنه يحب نفسه ويكرهها
- ٩ و١٠ المقصد الثاني من القرآن - واتقوا الله الذي تساءلون به - الى - حسيباً - تفسيره اللفظي
- ١١ وصف الناس بأنهم كأعضاء جسم واحد تساوى الذكران والاناث ولادة
- ١٢ تعدد الزوجات في الاسلام . حقد أوروبا على المسلمين وسعيهم في ذلك اللطيفة الثالثة - ولا تؤثروا السفهاء أموالكم -
- ١٣ بيان الجهل الفاشي في مصر وغيرها اذ يتركون الأموال في المصارف الافرنجية ويشتررون مذبح وجانهم ثم يصيرون عبيداً لهم غافلين عن قوله تعالى - ولا تؤثروا السفهاء أموالكم - وقد تنبه لذلك أهل الهند والترك وغيرها
- ١٤ المقصد الثالث في قسم التركات والمعاملات المالية - للرجال نصيب - الى قوله - ولهم عذاب مهين - تفسير هذا القسم تفسيراً لفظياً
- ١٨ لطيفتان . الأولى حصر الفروض المتقدمة في جدول . الثانية كيف تكون التعاليم الاسلامية في مستقبل الزمان . مهمة علماء الاسلام في علم الفرائض المستخرج من هذه الآيات
- ١٩ فاذا كان علماء الاسلام استخرجوا الفرائض وحسبوها فعلياً نحن أن نتم الأمر ونظهر ما في القرآن من العلوم الطبيعية والفلكية كما أنهم أهم العلوم العملية . خلاصة علم الفرائض
- ٢٠ أنواع علم الحساب المستخرجة من الارتماطيقى من علم الفلسفة وحساب الفرائض منها
- ٢١ استنتاج التعليم في مستقبل الاسلام من قوله - وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية الخ - وبيان أن الاسلام يحث على الترغيب والافناع واستخراج ما كمن في النفوس من الرحمة والألفة أما الاقتناع بالترهيب فانه لا يجعل الامتراقية . المحبة والكهرباء وايضاها وأن المحبة والنضائل كامنة في النفوس كمنها
- ٢٢ الترغيب والترهيب في الآيات . موازنة بين الرغبة والرغبة وشعر النابغة وكثير عزه . المفيد أن الرغبة أصل وما عداها ضعيف
- ٢٣ جوهرة في قابلية الناس للكمال وواجب علماء الاسلام . ذكر أهل سويسره وكيف نبغوا في الأمانة والأخلاق وكيف نقص المسلمون في ذلك وأن الأمثلة قائمة على أن المسلمين وأهل الشرق مستعدون أن ينالوا أرقى الأخلاق
- ٢٤ المقصد الرابع في صلة الذكر والأنثى وأحكام اختلاطهما بعقد أو غير عقد - واللاتي يأتين الفاحشة الخ -
- ٢٦ تقسيم هذا المقصد الى ثلاثة فصول . التفسير اللفظي للفصل الأول
- ٢٧ ايضاح هذه الآيات . جوهرة من جواهر القرآن في التربية في مستقبل الاسلام

- ٢٨ صرف المسلم عن الدين بأمرين . الاكتفاء بقراءة القرآن لعباد . والوقوف عن التفكير فيه مادام في غير علم الفقه . النفوس البشرية ثلاثة أقسام . مضيق ومشفة ومعتمة كالشمس والهواء والحجر الخ
- ٢٩ تفسير الفصل الثاني اللفظي . اطائف أربع
- ٣٢ اللطيفة الأولى . ذكر جدول المحرمات
- ٣٣ اللطيفة الثانية . الشهوة قد تقلب راحة والكلام على الشهوات المركوزة في نفوسنا ونار الغضب ونار الرحمة ونار الشهوة وكيف انقلبت الشهوة للمحارم راحة من ذلك ان على قسرة الانسان على الارتقاء وقابليته
- ٣٤ تصوّر فتاة تنفاز عنها العوامل وشابا كذلك . حكمة عالم عظيم من بلاد الشام ناقل ما دار بينه وبين ضابط فرنسي . اللطيفة الرابعة الأحرار والعبيد
- ٣٥ تفسير الفصل الثالث
- ٣٦ جهل المسلمين واستمرارهم على شراء بضائع الفرنجة بعد ما قتلوا المسلمين بالانداس وضربوهم
- ٣٨ غفلة المسلمين في أكثر البلاد عن مسألة الحكمين وهذا جهل بالقرآن
- ٣٩ أهل أوروبا في الغرب ورجال الاسلام في الشرق وكيف استدلواهم بالشهوات وأن من الذين اتبعوا الشهوات أهل أوروبا ورؤساء الاسلام لاذلال المسلمين . وبيان تلاميذ وأصحاب المسيح الدجال . وأن ما هو حاصل الآن قد جاء في الحديث . وأن جنسة الفرنجة باعطاء الملاذ ونارهم بضرب البلاد والمدافع يشبهان جنة الدجال وناره الواردين في الحديث . وان هذا سر النبوة ظهر الآن
- ٤٠ ايضاح شهوات الاستعماريين في أوروبا وشهوات الأمم الشرقية عموما والمسلمين خصوصا . التجارة هي مثل جنة المسيح الدجال الذي حلّ أسبابه وأصحابه بالشرق من أوروبا . بشارة المسلمين بقرب انقشاع الظلمات من بلاد الاسلام . ايضاح آية التجارة والقتل . جال هذا المقام
- ٤٢ زيادة الايضاح وان المسلمين عليهم أن يعملوا ولا ينتظروا المسيح ولا المهدي بل ليرقوا نفوسهم حتى يستعدوا لأن ينزل فيهم المسيح
- ٤٣ المقصد الخامس - واعبدوا الله الخ -
- ٤٥ تقسيم هذا المقصد الى ثلاثة فصول وتلخيص الفصل الأول
- ٤٧ تفسير كلمات الفصل الأول . تفسير ألفاظه
- ٤٩ الفصل الثاني
- ٥١ لطيفة الحسد والبخل
- ٥٢ تاريخ اليهود وكيف تفرقوا في الأرض وكيف أحدثوا البلبسية وكيف قام لالك لهم مع غيرهم لاهم وحدهم مصداقا للقرآن . طاعة الرعايا للحكام وفوائده دنيا وأخرى
- ٥٣ تفسير - إن الله يأمركم الخ - تفسير اللفظي
- ٥٤ الخلافة في الاسلام . وهذه مقالة نشرت في بعض الجرائد المصرية
- ٥٥ دين الاسلام . الخلافة المحجبة المبرقة
- ٥٦ بقية المقالة . بيان أن أولى الأمر هم المذكورون في سورة الشورى (وهي مكية)
- ٥٧ كمال التفسير اللفظي
- ٥٨ التسليم والرضا وسورة النساء وسورة الشورى
- ٥٩ الطريقة المثلى لرقى المسلمين . بالعظات البالغات والتشويق بسير الأبطال كما يعشقون في جبال هذه الدنيا

- ٦٠ المقصد السادس - يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم - الى قوله - عليهما حكما -
- ٦٢ تقسيم المقصد الى أحد عشر فصلا
- ٦٣ التفسير اللفظي للفصل الأول وما بعده
- ٦٧ آراء العلماء في صلاة المسافر • أى سفر يكون القصرفيه ٦٨ صلاة الخوف
- ٦٩ التفسير المعنوي وجمال القرآن والاسلام • ذكر احدى عشرة فكرة بهيئة جدول • نظام العالم ونظام الانسان والتتام أول هذه السورة مع علومها
- ٧٠ سرّ الصلصال في آدم بالحرارة لحفظ جسده وان الغضب والشجاعة يقومان بحفظ الأجسام وقد تنوع ذلك في الديانات والعادات
- ٧١ وجوب المحافظة على الوطن في الاسلام من أهم مافي القرآن • الواجب على المسلمين في أقطار الأرض
- ٧٢ تسامح الاسلام وظلم أوروبا فقد جعلنا من العبيد لنا ملوكا ولم يفعل شيأ من هذا أهل أوروبا
- ٧٣ محاورات بين المسلمين بعد مائتي سنة فأكثر على طريق الخيال وكل نائب من نواب المسلمين يقول مافي نفسه ثم يصطلحون أن يكونوا رجاء بالناس جميعا
- ٧٤ المقصد السابع - إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق - الخ • تفسير هذه الآيات
- ٧٥ بيان أجلى ونور أشرق • وبيان أن هذه الآيات نزلت لأجل يهودى ونصره على مسلم وأن المسلمين بحسب وضع ديننا خلقوا ليكونوا رجة للعالمين جميعا
- ٧٦ وكثير من المسلمين اليوم متعصبون لأقاربهم وأهل وطنهم وأهل أوروبا كذلك كما فعل الانجليز أخيرا إذ برؤا زوجة على فهمى (الشاب المصرى) وقد قتلته امرأة انجليزية وأقرت بقتله فالاسلام نبراس العالم • المقصد الثامن - لاخير في كثير من نجواهم الخ -
- ٧٧ بقية الآيات الى قوله - وكان الله غفورا رحيما -
- ٧٩ وفي هذا المقصد أربعة فصول • الفصل الأول الخ
- ٨٠ بقية تفسير الفصل الأول
- ٨١ ذكر سبعة أنواع من تغيير خلق الله • اللطيفة الأولى في افاضة الكلام على تغيير خلق الله
- ٨٢ تغيير العقول في الأمم ومنع العلم واذلال الشعوب ووضع التلاميذ والموظفين في غير مواضعهم تغيير خلق الله وعدم اعطاء العقل نصيبه من التفكير مع اعطاء المعدة حظها من الغذاء تغيير خلق الله في المسال وأن المسلمين جميعا آثمون لاهمالهم فروض الكفايات وليس عندهم قوم مختصون في كل علم وصناعة
- ٨٣ أى مخلوق هو الشيطان • أهو مجرد مذکور لاحقيقة له • أم له وجود • ومادليله • وكيف يكون لسكل مرض حيوانات تسببه • وكيف جاء في الرازى والغزالي واخوان الصفاء والعلم الحديث أن الشيطان موجود • وخطبة العلامة أوليفر لودج الانجليزى أن الأموات أحياء وهوى مخاطبهم
- ٨٦ غرور المسلمين وغرور المسيحيين كل بدينه ونبيه جهل والله يقول - ليس بأمانىكم ولا أمانى أهل الكتاب الخ - • تفسير الفصل الثانى - ويستفتونك في النساء -
- ٨٧ بقية تفسير هذا الفصل
- ٨٨ حكاية الاسكندر والفيلسوف الهندى إذ أرسل الأول للثانى (برنية سمن) ووضع الثانى فيها (ابرا) ثم ردها اليه الخ
- ٨٩ بقية الحكاية وتفسير الفيلسوف للاسكندر تلك الاشارات وأولها وضع يده على أنفقه الخ وقوله للاسكندر لا ينبغي للفيلسوف أن يأخذ مالا من أحد الخ

- ٩٠ تفسير بقية الآيات . منظر جميل
- ٩١ تفسير ذلك المنظر الجميل الذي تخيله المؤلف في الخلوات من الأعمدة الباقوتية وعمود الماس والحبال الممدودات والسفط المملوء جواهر بحيث لو سقطت الأعمدة الباقوتية وعمود الماس يسقط السفط وأن ذلك رمز للعلم بالأرواح والأمة الخ وذلك كله في هذه الآيات
- ٩٢ صورة ما تقدم بالرسم موضحة
- ٩٣ عجائب العلم الحديث في هذه الآيات . وذكر معص الصدق الذي كشف في بلاد الانجائز وآثار الأيدي والأقدام وعلم (السيكومتري) وكيف يظهر كل فكر وكل قول أو عمل على الحجارة والحيطان ونحن لا نشعر ويفتضح السر بعد آلاف السنين كما وردت به السنة في بعض الأحاديث . واعتراض على المؤلف وجوابه وكيف كان واردا في نفس القرآن والمسلمون ساهون لاهون
- ٩٤ تفسير الفصل الرابع - يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله الخ -
- ٩٥ الأجسام قسمان موصلة للحرارة ورديئة التوصيل فالأولى كالمعادن والثانية كالخشب الخوه ذات مختلف في صهرها وزوبانها كالبلاطين والماء المقطر فالثاني يسيل على درجة صفر والأول على درجة ١٧٧٥ هكذا بنوا آدم فقضايتهم وفضلاؤهم يشبهون ما تقدم وحديث مسلم شبه أعلامهم في المرور على الصراط بطفرة عين وأدناهم بركاب الابل وبينهم مدرجات مذكورة . وهناك جدولان للمعادن أحدهما توصيل الحرارة والثاني للانصهار والذوبان
- ١٠١ المقصد التاسع - يسألك أهل الكتاب الخ -
- ١٠٢ هذا المقصد ثلاثة فصول
- ١٠٣ تفسير (١٦) ذنبا من ذنوب اليهود مفصلات في هذه الآيات
- ١٠٥ الناس في الأرض مخادعون في أمور السياسة . وبيان أني ألقت كتاب (أين الإنسان) وأرسلته الى أوروبا يشتاقي الناس الى يوم يعود فيه السلام العام وكلام الفارابي في ذلك وقد جاء في حديث البخاري ومسلم نزول عيسى عليه السلام وأن عيسى لا يركب القلوص فلعن هذا زمانه لأن الناس تركب القطار
- ١٠٧ المدار في نزول المسيح على رقي الأمم حين نزوله وبعده فليس المدار على الأشخاص بل على الآثار فيبدأ المسلمون بالرقى من الآن ليكونوا رجة للعالمين وليستأهلوا أن ينزل المسيح
- ١٠٨ الأعصر السابقة في علم طبقات الأرض
- ١٠٩ لطيفة في تعاليم الأرواح . وكيف كانت أخلاق المسيح وأعماله موافقة لذلك الحديث
- ١١١ تفسير قوله تعالى - يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم - وهو الفصل الثالث
- ١١٢ لطيفتان . اللطيفة الأولى في شرائع الأنبياء . اللطيفة الثانية في المسيح
- ١١٣ اغترار كثير من جهلة المسلمين بشيوخهم ومثاهم كمثل اليهود والنصارى إذ قالوا - نحن أبناء الله وأحباؤه - وقد غفلوا عن قول الله في نبينا صلى الله عليه وسلم - عيسى وتولى الخ - وقوله - وإن كان كبير عاينك اعراضهم الخ -
- ١١٦ (سورة المائدة) هي أحد عشر قصبا
- ١١٧ مقدمة يذكر فيها جميع ما خصت به هذه السورة من الأحكام وهي ١٨ حكما وهي ثلاثة أقسام
- ١١٨ شرح وتفسير هذه الأحكام وهي المنخفقة والموقوذة الخ
- ١١٩ حل ما صدناه بالجوارح وشروطه
- ١٢٠ حل طعام الذين أوتوا الكتاب والمحصنات منهم والكلام على البحيرة والسائبة والوصيلة والحام الخ
- ١٢١ المسألة الأولى نظافة الجسم - إذا قمتم الى الصلاة - وكيفية الوضوء وأن الفروض نحو ١٩ فرضا المتفق عليه منها أربع والباقي فيه خلاف

- ١٢٢ ايضاح المذاهب كلها في هذه المسئلة . المسئلة الثانية - والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما - . التخفيف فلا قطع في حالين
- ١٢٣ المسئلة الثالثة - لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم - المثل الواجب والاختلاف فيه . وايضاح هذا المقام
- ١٢٤ الجراد وطير الماء والضفدع والتمساح وحكم ذلك كله . المسئلة الرابعة - شهادة بينكم - الآية . وقصة تميم الداري وعدي بن بداء مع بديل مولى عمرو بن العاص وتركته التي كان فيها الماء من فضة وفضاء شرح بهذه الآية
- ١٢٥ مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة وغيرهم في هذه المسئلة . كيف أمر الله بذبح الحيوان وهو أرحم الراحمين . الجواب أن الرحمة بمعنى رقة القلب مستحيلة الخ
- ١٢٦ الحيوان منه آكل وماكول . الأمراض العائمة في الانسان والحيوان . القاتل للانسان من الحيوان
- ١٢٧ ولعلك تقول لماذا يكون هذا الاهلاك والقتل . وبيان أن العالم الأرضي من العوالم المتأخرة الخ . فطرة العائمة والنبوتات
- ١٢٨ أفي الاعدام رحمة . وبيان أن طول حياة الانسان تنافي الرحمة لشدة الازدحام في الأرض . عقائد الانسان في أكل الحيوان وتحريمه ومبادئه في ذلك . كيف وافق الاسلام الطبيعة
- ١٢٩ بيان السبب في تحريم الجوارح والآساد مثلاً والجواب عنه . اليهودية وأبو العلاء المعري . لم سميت هذه السورة باسم المائدة وجوب درس علم الحيوان
- ١٣٠ كيف ساع للمسلمين أن ينموا بعد الآواين السابقين من الأئمة الأعلام . ذكر الحيوانات التي منعت الحكومة المصرية صيدها وهي ١٢ جنساً
- ١٣١ الدليل على أن هذه الحيوانات محرم أكلها . هذه المائدة حسية ومعنوية
- ١٣٢ العلماء الذين سيكونون في مستقبل الزمان . وبيان العلوم التي يدرسونها مثل علم النبات والحشرات الخ
- ١٣٣ اتمام هذا الموضوع . وبيان أن الوضوء مفتاح الصلاة والصلاة معراج ولا عروج إلا بالعالم . اعتراض على المؤلف وجوابه
- ١٣٤ نحن نذبح الحيوان فنريحه وهو يدخل أجسامنا بالأكل فينقلب ذرات حية تأكل أجسامنا بالأمراض المختلفة . (المقصد الأول) - يأبها الذين آمنوا أوفوا بالعقود الخ -
- ١٣٥ تفسير لفظي لهذا المقصد
- ١٣٦ تفسير قوله تعالى - اليوم أكملت لكم دينكم الخ - وما جاء فيها من رأى أبي بكر وعمر وبكاء الأول وهكذا خطبة الوداع تشير الى ذلك ومناسبة هذه الآية لقوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو - الآية
- ١٣٧ عجائب القرآن . زيادة ايضاح - ورضيت لكم الاسلام ديناً الخ - (المقصد الثاني) - اذا قمم الى الصلاة الخ -
- ١٣٨ تفسير هذا المقصد . (المقصد لثالث) - ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل الخ -
- ١٤٠ كلام عام في المقصد الثالث
- ١٤١ ما المقصد من قوله تعالى - وألقينا بينهم العداوة الخ - . ونقل ما في سفر العدد من التوراة وما في سفر التثنية مما يناسب هذا المقام
- ١٤٢ تذكير بني اسرائيل بالنعم . حكمة هذه التجارب بما في الاصحاح الثامن من التثنية وأن اذلالهم في التمية ليسكون تأديباً لهم وثلاً يقول الانسان قوتي وقدرتي يدي صنعت لي هذه الثروة
- ١٤٣ تفسير هذا المقصد تفسيراً لفظياً على مقتضى هذه المقدمة
- ١٤٤ تذكير المنصر المسلمين أن هذا تذكير لهم فلا يشتغلون بالإبرية الشبان على الشهامة والمروءة والعفة (المقصد الرابع) - واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الخ -

١٤٥ تفسيره تفسيراً لفظياً

١٤٦ تحقيق هذا المقام وسؤال المؤلف لم ذكر الله هذه القصة الخ وإجابة المؤلف أنه لو لم يكن إلا هي في القرآن لكفت وبيان أن الإنسان فيه غريزة الانفراد بالمنفعة وغريزة مساعدة الناس فإن لم يتوسط فلا بد أن يكون ظالماً كقبايل أو مستسلماً كهايل . وبيان القروء التي صنعت قنطرة من أنفسهم على النهر وغير ذلك

١٤٨ بيان أن الناس على الأرض جميعاً متعاونون في الشرق والغرب وإن كانوا يتحاربون فهم اليوم أشبه بالنبحلة تلحق الشجر وهي ترمي بالزهرات ولا علم لها وكل عالم وكل صانع هكذا فعله . فالناس اليوم جهلاء غالباً فمن قتل نفساً فقد قوت المنفعة على أهل الأرض جميعاً . وبيان أن الله وإن أحل لنا صيد الحيوان فقد حذنا أن نخذو حذوه في النافع والعلم بعمله أرفع وأشرف من صيده

١٤٩ نداء المفسر لأمة الاسلام وأن النداء بالويل من ابن آدم على جهله بما يعرفه الغراب يراد منه أن يتأسف ويندم المسلمون في مشارق الأرض وأمصاربها على جهلهم الفاضح وتأخرهم الواضح فليقولوا يا ربنا أعجزنا أن نكون كأهل أوروبا وأمريكا واليابان فضلاً عن أن نعرف نظام الحيوان والسموات والأرضين

١٥٠ نداء إلى علماء الاسلام وبيان أن الأئمة اجتمعوا ودققوا في العبادات فامكن جهاد العلماء اليوم في التوحيد وهو علم الفلك والطبيعة الخ . الخزان الحديدية في القرآن

١٥١ بيان أن علم الطيور وعلوم الكائنات ذكرت في القرآن وفي هذه الآيات والناس يرونها أمامهم وهم عنها مصروفون فكأنها في خزائن من حديد . وذكر بعض ما في الخزائن من طيور . الطيور الجارحة

١٥٢ الخفاش البوم ووصفهما وفوائدهما وعجائبهما

١٥٣ الغراب وأنه مساعد للفلاح وكيف يبني بيته . وكيف يحافظ على الجماعة ويأكل الدود فيحفظ الزرع . الموازنة بين الغراب والبوم والخفاش والفلاح في الحقل وأن هذه مملكة سياسية فالوزير الأول الفلاح يزرع الأرض والوزير الثاني البوم إذ يأكل الفيران والحشرات فإذا بقي شيء من الحشرات أكله الخفاش فإذا أفلت شيء من الخفاش لئلا تلتقاه الغراب نهراً فأكله وذلك هو الدود

١٥٥ الطيور المائية والهوائية والأرضية . العصفور الدوري لا يبني عشاً وإنما يضع بيضه في عش عصفور آخر يماثله ويربى ولده وهو لا يشعر

١٥٦ الحيوان كتاب مفتوح للناظرين . يخاطب الهدد سليمان عليه السلام بقوله - أحطت بما لم تحط به - وهكذا . أن سياسة الله في الإنسان والحيوان أن يخدم الفرد المجموع . الكلام على الحشرة المسماة فرس النبي وعلى العقرب وكيف يموت الذكر بعد عملية الإلقاح لأنه لا عمل له

١٥٧ دود القز وتناسله وموته بعد ذلك . وأن ما اقتضت المصلحة بقاءه بقي بعد ظهور الولد كالطيور والدواب والإنسان ولو استغنت الذرية عن هؤلاء لهلكوا وكان المآثم عقب العرس كما هو الحال في دود القز والجراد وغيرها . أن كل الناس يخدم بعضهم بعضاً وكلما كان الإنسان أوسع نفعا كان أفضل كالأنبياء والحسكاه الخ

١٥٩ علماء ألمانيا يؤلفون أصغارهم كتباً عن الطيور ضرباً للأمثال كحكاية البجامة . اعتراض على المؤلف وجوابه . وفي الإجابة إيضاح مراتب الحيوان وعجائبه من حيث حفظ الذرية وبيان أن بعض المسلمين اليوم في مساعدتهم الأعداء على حرب إخوانهم أدنى من الحيوان وأجهل من الدواب

١٦٠ خاتمة هذا المقال وجماله في السفينة والسفينة والمنطاد والمراكب الهوائية التي تعلمها الإنسان من الطير قبيل الحرب الكبرى وبيان أن الله لم يبعث الغراب وحده إنما بل بعث لنا كل العوالم العلوية والسفلية لتعلم منها ولما غفلنا بعث لنا الأنبياء وقال انظروا إن في البحر جماعات من السمك كحوت العنبر الذي

يبلغ طوله ثلاثين متراً وهو يأكل نمر البحر ومن هذا الحوت يكون العنبر ومن القيطس الذي يبلغ مئات القناطر وهكذا الأنعام في البر تكون جماعات كالجر الوحشية فلم يختص الله الطيور ومنها الغراب بقوله - ليريه كيف يوارى سواة أخيه الخ -

١٦٣ بيان أن الطير فيه سر أعظم لم يظهر إلا في هذه الأيام فان السفن والسماك في البحر لا تعوم إلا اذا كانت أخف من الماء . ومثلها المناطيد الهوائية الطائرة في الجو بما فيها من غاز خفيف أخف من الهواء فهي على قاعدة السفينة والسمة . أما الطير فهو أثقل مئات المرات من الهواء المائل لجسمه حجماً وقد حار الناس في الطيران في الجو بالطيارات الثقيلة فاهتدوا في أواخر القرن الماضي بمراقبة الطير الى صنع الطيارات وهي أثقل من الهواء جداً كالطير فها هو ذا الطير يرينا ويعلمنا فعلاً في هذا القرن اعترض على المؤلف بأنه يلصق كل شئ بالدين وهذا منه . وجوابه على ذلك بأنها فروض كفايات والمسلمون جميعاً معاقبون على تركها وقد ذم الغزالي علماء زمانه على ذلك وجعلهم شرّاً من الشياطين ١٦٤ بيان أن هذه العلوم كلها ألزم للمسلمين اليوم من أيام الغزالي حين كان المسلمون أقوى الأمم فالآن يذم العلماء أقبح الذم ان لم يحترضوا على هذه العلوم ولم يتعلموها . (المقصد الخامس) - انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الخ -

١٦٦ تفسير هذا المقصد وبيان حكم قطاع الطريق وأن أهل أوروبا اليوم يهلكون المسلمين ظلماً وطفياً بلا سبب . وبيان حكم السارق والسارقة الخ

١٦٨ ذكر السموات والأرض في كل مقام لحكمة تناسبه . استبصار في بيان أن جميع المخلوقات مراتب بعضها فوق بعض في الدنيا فالأخرى كذلك

١٦٩ (المقصد السادس) - لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الخ - والكلام في الحكم بين أهل الكتاب الخ . وقصة اليهودى واليهودية الزانين والكلام على عدم المحابة في الحكم

١٧٢ تفسير الآيات تفسيراً لفظياً والكلام على الراشى والمرثى ولعنهما

١٧٣ بقية تفسير هذه الآيات وبيان مافعله بعض علماء الاسلام في مصر والجشع ودخول القانون الفرنسى بمصر

١٧٤ هل شرع من قبلنا شرع لنا . وبقية تفسير هذه الآيات

١٧٥ (المقصد السابع) - يأيتها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى الخ -

١٧٦ التفسير اللفظى لهذا المقصد

١٧٧ الكلام على الردة . قتال أهل الردة وذكر مسيئة الكذاب وخطابه للنبي صلى الله عليه وسلم .

وذكر المتنبئين مثل ذى الجمار الاسود والعنسى ومثل طلحة بن خويلد وقتال أبى بكر الصديق لأهل الردة

١٧٨ من هم القوم الذين يحبون الله ويحبهم الله وبيان أنهم موجودون الى يوم القيامة

١٧٩ بقية التفسير اللفظى لآيات هذا المقصد

١٨٠ لطائف أربع . خيانة الوزير العلقمى لدولة الاسلام لأنه كان شيعياً ليعتص من أهل السنة

١٨١ قصتي مع مبشر مسيحي واقامة الحجّة عليه واقاراره بأنه مسلم سرّاً مبشر جهرّاً

١٨٢ اللطيفة الثالثة حكاية مع شاب هندي ظهر من كلامه أنهم يعملون بنصائح القرآن وذكر قوله تعالى

- كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله - . (المقصد الثامن) - يأيتها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الخ -

١٨٣ التفسير اللفظى لهذا المقصد وذكر هجرة المسلمين الى الحبشة (الأولى والثانية) وأن عمرو بن العاص

ومن معه أرسلهم أهل مكة الى النجاشى للايقاع بالصحابة وردّهم مخذولين

- ١٨٦ اسلام النجاشي وبكاؤه والقيسون . معه لما سمعوا قراءة (سورة مريم) . (المقصود التاسع)
- يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم -
- ١٨٨ بيان كفارة اليمين تفصيلا في المذاهب كلها
- ١٨٩ بقية تفسير الآيات . والكلام على تحريم الصيد في حال الاحرام . والكلام على أن الكعبة ملجأ المسلمين
- ١٩٠ ذكر ما كتبته سابقا في أمر الكعبة وانها ستكون هي المجمع الذي يجمع المسلمين علميا وسياسيا
وأن ذلك ابتداء هذه السنة فعلا على يد الأمير ابن سعود
- ١٩١ - يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أحل - وقوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم أحل -
وتفسير عبد الله بن المبارك من أننا نحفظ أهل ديننا أحل . (المقصود العاشر) - يا أيها الذين آمنوا
شهادة بينكم أحل - وبيان أن المعنى تقدم في أول السورة . (المقصود الحادي عشر) - يوم يجمع
الله الرسل أحل -
- ١٩٣ بقية السورة من قوله تعالى - وإذ نخلق من الطين - إلى آخرها . ابتداء التفسير اللفظي
- ١٩٤ بقية التفسير اللفظي . وصف المائدة التي جاءت في الروايات
- ١٩٥ هل نزلت المائدة . خلاف المفسرين في ذلك واتصال هذا بعلم الأرواح الحديث
- ١٩٦ وللاس الانجيزي حضرت الأنسة نيشول أمامه زهورا وفاكهة أحل . وأن الأرواح بعد الموت يعطها
الله قسرة على صنع بعض المواد
- ١٩٧ المائدة الخسبية لا تفيد يقينا ونزولها ابتلاء كما ينبغي السالكون بالكشف أحل
- ١٩٨ الامتحان عام لدوى المال والجمال والكشف والعلم أحل
- ١٩٩ انجيل برنابا وكيف ظهر في هذا العصر وأبان أن المسيح برى . من كل ما يدعيه النصارى فيه . وكيف
نسى المسلم ربه بشيخه الذي هو أقل من المسيح
- ٢٠٠ حكاية المسيح عن ايليا إذ صرح أن الناس إذا أحبوا الأنبياء وشغلوا عن الله فانهم كعباد الأصنام
- ٢٠١ الفرق الإسلامية مثل السبئية والبيانية والزيدية والكيسانية
- ٢٠٣ فحك الفرنسيين على المسلمين ورشونهم بالمال . حكاية الفلاح وزوجته وعنده وأبي مسلم وحكاية
الشيخ محمد شامي مع المؤلف
- ٢٠٤ الفلاح وزوجته والسيدة نفيسة رضى الله عنها واقناع المفسر ذلك الفلاح أن الأمر لله وحده .
وجوب تعميم التعليم في الاسلام حتى يزول الضلال
- ٢٠٥ مقابلة النص الصريح بين كرشنة ويسوع المسيح . وبيان أن الأناجيل قد نقل فيها عن أهل الهند
كثير مثل الهادي والمخلص والمعزى أحل
- ٢٠٦ ومثل انه ربي مع الرعاة وانه ربي بحال الفقر والذل
- ٢٠٧ ومثل انه صلب ومات وانه نقيب جنبه بحربة وانه قام من بين الأموات كل ذلك منقول من كتب الهند
- ٢٠٨ ومثل انه آلاف والباء والوسط وآخر كل شيء . ومثل انه كان يحارب الشياطين . ومثل انه الصانع الأبدى أحل